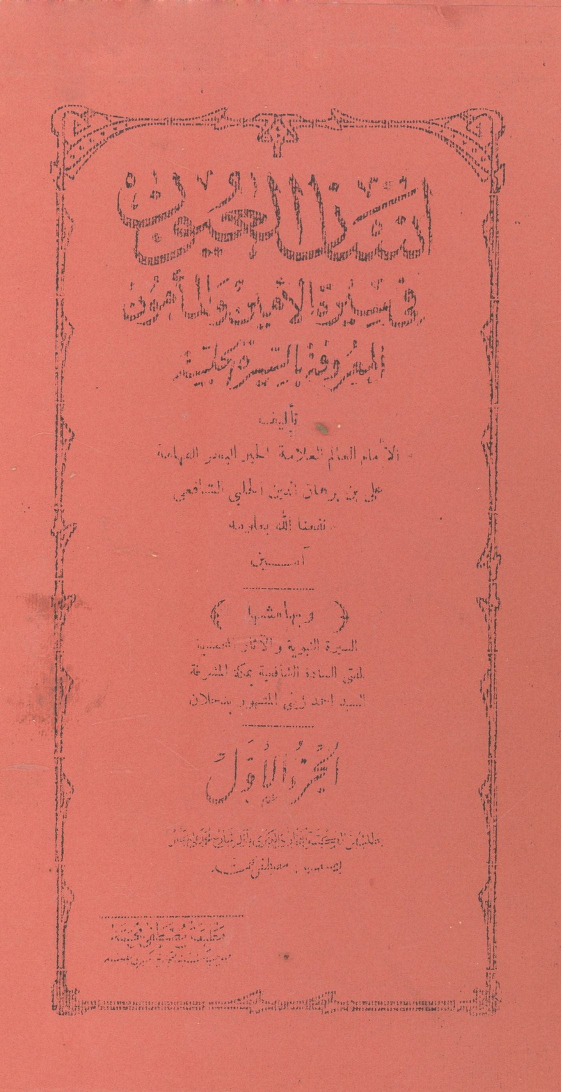


# إنسان العيون

## في سيرة الأمين المأمون

## المعروفة بالسيرة الحلبية

تأليف


الإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة

علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي

نفعنا الله بعلومه

آمين


---

( وبهامشها )

السيرة النبوية والآثار المحمدية

لمفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة

السيد أحمد زيني المشهور بدحلان

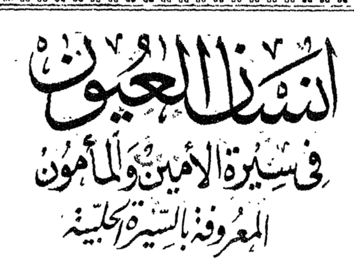
---

## الجزء الأول


طلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

[illegible]




تأليف

الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
على بن برهان الدين الحلبي الشافعى
نفعنا الله بعلومه
آمين

---

﴿ وبهامشها ﴾

السيرة النبوية والآثار المحمدية
لمفتى السادة الشافعية بمكة المشرفة
السيد أحمد زينى المشهور بدحلان

---

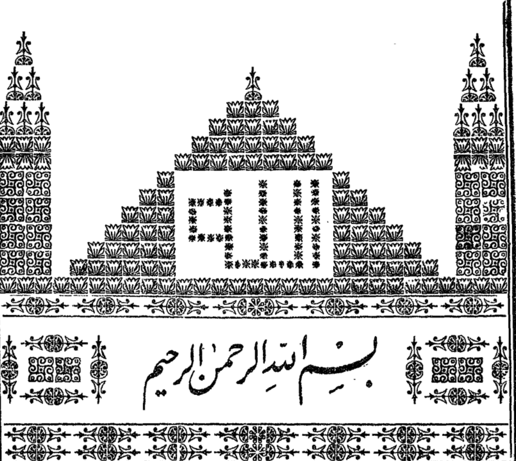
## الجزء الأول

---

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

---

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر




حمدا لمن نضّر وجوه أهل الحديث * وصلاة وسلاما على من نزل عليه أحسن الحديث * وعلى آله وأصحابه أهل التقدم في القديم والحديث * صلاة وسلاما دائمين ما سارت الأئمة في جمع سير المصطفى السير الحثيث (وبعد) فيقول أفقر المحتاجين وأحوج المفتقرين لعفو ذي الفضل والطول المتين علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ان سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام من أهم ما اهتم به العلماء الاعلام وحفاظ ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام والحامل على التخلق بالاخلاق العظام وقد قال الزهري رحمه الله في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف في السير قال بعضهم أول سيرة ألفت في الاسلام سيرة الزهري (وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها) وأحسن ما ألف في ذلك وتداولته الاكياس سيرة الحافظ أبي الفتح بن سيد الناس لما جمعت من تلك الدراري والدرر ومن ثم سماها عيون الاثر غير أنه أطال بذكر الاسناد الذي كان للمحدثين به مزيد الاعتداد وعليه لهم كثير الاعتماد اذ هو من خصائص هذه الامة ومفتخر الأئمة لكنه صار الآن لقصور الهمم لا تقبله الطباع ولا تمتد اليه الاطماع وأما سيرة الشمس الشامي فهو وان أتى فيها بما يعد في صفائح وجوه الصحائف حسنات لكنه أتى فيها بما هو في أسماع ذوي الافهام كالمعادات ولا يخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله

وليعلم الطالب ان السيرا * تجمع ما صح وما قد أنكرا

وقد قال الامام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة اذا روينا في الحلال والحرام شددنا واذا روينا في الفضائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني ابن أحمد دحلان غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين انه لما منّ الله تعالى علي بقراءة الشفا في حقوق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة في العام الثامن والسبعين بعد المائتين والالف يسر الله لي مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقاني ومع مراجعة شيء من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشان فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق أشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لأني رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة بمباحث لها تعلق بها الا أنها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الازمان ونحوها

أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها الصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون في العلم مع ان الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من أعظم الاسباب التي يحصل بها قوة الايمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي صلى الله عليه وسلم واحواله كأنها مشاهدة للنظار * قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو أول من الف السير. كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ويقول يا بني هذه شرف آبائكم  فلا تنسوا ذكرها وفي ذكر السير أيضا معرفة فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان وفيها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة * فمن ذلك ماروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خاصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله وعن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على أصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش * قوله وعبدوا الله سبع

ونحوها تساهلنا وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق ومالا حكم فيه من أخبار المغازي وما يجري مجرى ذلك وانه يقبل منها مالا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها) * فلما رأيت السيرتين المذكورتين على الوجه الذي لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لي ان ألخص من تينك السيرتين انموذجا لطيفا يروق للاحداق ويحلو للاذواق يقرأ مع ما أضمه اليه بين يدي المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولا زلت في ذلك اقدم رجلا وأؤخر أخرى لكوني لست من أهل هذا الشان ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل الرهان حتى أشار علي بذلك وبسلوك تلك المسالك من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة أمره لا تستطاع ذو البديهة المطاوعة والفضائل البارعة والفواضل الكثيرة النافعة من اذا سئل عن أي معضلة اشكلت على ذوي المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا أخبر في كثير من الاوقات عن شيء من المغيبات وكاد أن يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ أبو عبد الله وأبو المواهب محمد فخر الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محل نظر والده من نشر ذكره ملأ المشارق والمغارب وسرى سره في سائر المسارى والمسارب ولي الله والقائم بخدمته في الاسرار والاعلان والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد الجامع اثنان مولانا الاستاذ أبو عبد الله وأبو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع بانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع الاستاذين والمعدود من المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة في العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد أبو الحسن تاج العارفين البكري الصديقي اعاد الله تعالى علي وعلى أحبابي من بركاتهم وجعلنا في الآخرة من جملة اتباعهم * فلما أشار علي ذلك الاستاذ بتلك الاشارة ورأيتها منه أعظم بشارة شرعت معتمدا في ذلك على من يبلغ كل مؤمل أمله ويخيب من قصده وأمله وقد يسر الله تعالى ذلك على اسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع ولا تنفر منه الطباع والزيادة التي أخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة أبي الفتح بن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي في أولها قال وفي آخرها انتهى وان قلت أتيت بلفظة أي وجعلت في آخر القولة دائرة هكذا () بالحمرة وربما أقول وفي السيرة الشامية وربما عبرت عن الزيادة القليلة بقال وعن الكثيرة بأي وماليس بعده تلك الدائرة فهو من الاصل اعني عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادتي على الاصل والشامي كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولي في أولها أقول وفي آخرها والله أعلم وقد يكون من الزيادة ما أقول وفي السيرة الهشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث أقول قال الاصل أو ذكر في الاصل أو نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر ثم عن لي ان اذكر من أبيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء واشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين البوصيري ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات وأشارت اليه من ذلك السياق فانه أحلى في الاذواق

وربما أحل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه وربما أذكر أيضا من أبيات تائية الامام السبكى ما يناسب المقام وربما أذكر أيضا بعض أبيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب بذكرى الحبيب * وقد سميت مجموع ذلك ﴿انسان العيون فى سيرة الامين المأمون﴾ وأسأل من لا مسئول الا إياه أن يجعل ذلك وسيلة لرضاه آمين

## باب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم

هو محمد صلى الله عليه وسلم (ابن عبد الله) ومعنى عبد الله الخاضع الذليل له تعالى وقد جاء أحب أسمائكم وفى رواية أحب الاسماء الى عبد الله وعبد الرحمن وجاء أحب الاسماء الى الله ما تعبد به وقد سمى صلى الله عليه وسلم بعبد الله فى القرآن قال الله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو (ابن عبد المطلب) ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له أى لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة الحمد لانه ولد وفى رأسه شيبة أى وفى لفظ كان وسط رأسه أبيض أو سمى بذلك تفاؤلا بانه سيبلغ سن الشيب () * قيل اسمه عامر وعاش مائة وأربعين سنة أى وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية () * وكان مجاب الدعوة وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رءوس الجبال قال وكان من حلماء قريش وحكمائها وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبى سفيان وكان فى جوار عبد المطلب يهودى فاغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها الابن عم اليهودى حفظا لجواره ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهى ملخصا * وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به صغيرا من المدينة أردفه خلفه أى وكان بهيئة رثة أى ثياب خلقة فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا يقول عبدى أى حياء أن يقول ابن أخى فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر أنه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبة ابن أخى هاشم () لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب أى وقيل لانه تربى فى حجر عمه المطلب وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذى يتربى فى حجر احد هو عبده وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيئات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته أى فالظلوم شأنه فى الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله

سبحانه

سنين فى رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنون التى كانت فى أول بعثته صلى الله عليه وسلم فان أول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس رضى الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن أبى هريرة رضى الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم فى قريش وقال أيضا الائمة فى قريش وقال أيضا لا تسبوا قريشا (٤) فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام أحمد رضى الله عنه هذا العالم هو الشافعى رضى الله عنه لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفى رواية ولا تعالموها أى لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه وفى رواية ولا تعلوها أى لا تعلوا عليها بمعنى لا تجعلوها فى المقام الادنى الذى هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقروا وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغالها العواثر أى من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أى كبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى رواية وشرار قريش شرار الناس والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم * وروى الترمذى عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضنى وروى الطبرانى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا

منافق وروى الترمذي عن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي وقال صلى الله عليه وسلم أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد بيدي يوم القيامة وان أقرب الخلائق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبدمناف وخير عبدمناف بنوهاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ماافترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت في خيرهما وافتي



بعض العلماء بقتل من سب العرب وفي الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبراني حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من الكفر ومن أحب العرب فقد أحبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا أحفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل

سبحانه وتعالى وتؤثر عنه سنن جاء القرآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزي ﴿ابن هاشم﴾ وهاشم هو عمرو العلا أي لعلو مرتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توءمين وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبدشمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما أي بين بني عباس وبين بني أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبدشمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبدمناف حسده أمية بن أخيه فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا هاشما للمنافرة فابى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان نخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنصر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وامية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم وأخوته عبدشمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو أب تباينوا في محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة أي كما سيأتي وعبدشمس مات بمكة وقبره باجياد ونوفلا مات بالعراق والمطلب مات بردمان من أرض اليمن أي وقيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد بعد جده ابراهيم فان ابراهيم أول من فعل ذلك أي ثرد الثريد وأطعمه المساكين () وفيه ان أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة بعد ابراهيم جد هاشم قصي ففي الامتناع وقصي أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة وفيه أيضا هاشم عمرو العلا أول من أطعم الثريد بمكة وسيأتي أن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي فليتأمل وقد يقال لامنافاة لان الاولية في ذلك اضافية فاولية قصي لكونه من قريش وأولية عمرو بن لحي لكونه من خزاعة وأولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش والى ذلك يشير صاحب الاصل يقول

واطعم في المحل عمرو العلا * فللمسنتين به خصب عام

﴿ وقال أيضا ﴾

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه

جفانه كالجوابي للوفود اذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه

أحد أن يحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض في بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملازم ويرمونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الختام

﴿ باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه صلى الله عليه وسلم مع ما ورد من ذلك على لسان آبائه ﴾

يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الهمه الله ان قال يارب لما كنيتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه

فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم فى سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور فقال هذا نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد لولاه ماخلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا وروى الحاكم فى صحيحه عن عمر رضى الله عنه مرفوعا ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمد ماخلقتك * وفى المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجر طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد صلى الله عليه وسلم  مقرونا باسم الله تعالى وهو لا اله الا الله محمد رسول الله فقام آدم يارب هذا محمد من هو فقال الله له هذا ولدك الذى لولاه ماخلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى أهل السماء والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا ماغفرت لى فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك أى من غير واسطة أم وأب ونفخت فى من روحك أى من الروح المبتدأة منك المتشرفة بالاضافة اليك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله إلا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك رواه البيهقى فى دلائله * وروى ابو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ماخلقت النار * وروى ابن سبع عن على رضى الله عنه ان الله

أو امحلوا الخصبوا امنها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه

وقد قيل فيه

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك امك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن أقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه فقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذى بعثك بالحق ولكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن أقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافى

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد وينال لذلك الرفادة واتفق انه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة فى الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع فى السراء والضراء قال ابن الصلاح روينا عن الامام سهل الصعلوكى رضى الله عنه انه قال فى قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اراد فضل ثريد عمرو العلا الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقى له ولعقبه ذكره وقد أبعد سهل فى تاويل الحديث والذى أراه أن معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى أى فالمراد أى ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون أفضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف قال وقد ذكر أنه كان اذا اهل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول فى خطبته يامعشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا وأوسط العرب أى أشرفها أنسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يامعشر قريش انكم جيران بيت الله تعالى أكرمكم الله تعالى بولايته وخصكم بجواره دون بنى اسمعيل وانه يأتيكم

زورا

تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من أجلك اسطح البطحاء وأموج الموج وارفع السماء واجعل الثواب والعقاب قال العلامة الزرقاني وهذا ليس لغيره من نبي ولا ملك ولله در من قال

ومن عجب إكرام ألف لواحد * لعين تفدى ألف عين وتكرم *

وقال آخر

وكان لدى الفردوس فى زمن الصبا * وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد فى عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الأنوار فى الضوء والهدى
فقال الهى ما الضياء الذى أرى * جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطىء الثرى * وأفضل من فى الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا * وألبسته قبل النبيين سوددا

وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا إذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع فى انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا
وأن له أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهى امنن على بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التى * خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلنى عثاري يا الهى فانلى * عدو العينا جار فى القصد واعتدى
فتاب عليه ربه وحماه من * جناية ما أخطاه لا متعمدا

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الايسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها فمد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم تريد بذلك نهيه فقال ولم وقد خلقها الله لى فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات * وفى رواية أن آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال رب وما أعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة * وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا * وما أحسن قول العارف بالله سيدى على وفا رضى الله عنه

فهكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه عيش الرغد

---

زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فاكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل واسالكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون فى ذلك ويخرجونه من اموالهم فيضعونه فى دار الندوة انتهى * وقيل فى تسمية شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد قيل سمى شيبة الحمد عبد المطلب لان أبا هاشم قال للمطلب الذى هو أخو هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمى عبد المطلب كذا فى المواهب وقدمه على ما تقدم (وفيه أنه حكى غير واحد أن هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على شخص من بنى النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا فى أهلها أى ثم مضى لوجهه قبل أن يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها فى أهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما أثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند أهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة قيل وعمره حينئذ عشرون سنة وقيل أربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون أى ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا اصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن انت يا غلام فقال أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب الى المدينة فلما رآه عرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وفى لفظ أنه عرفه بالشبه وقال لمن كان يلعب معه أهذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد أخذه الساعة قبل أن تعلم به أمه فانها ان علمت بك لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن أخي أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ ناقته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم به أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب) أى فان هذا السياق يدل على أن عبد المطلب انما ولد بعد موت أبيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة لا ينافى ما سبق أنه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز أن تكون هذه الحلة البست له عند أخذه ثم نزعت عنه فى السفر أى أو أن هذه الحلة اشتراها بمكة كما يصرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوى على أنه يجوز أن يكون اشترى له حلتين واحدة البسها له بالمدينة وأخرى اشتراها بمكة والبسها له () وفى السيرة الهشامية أن أم عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشرطوا لها أن أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته أى وأنها لا تلد ولدا الا فى اهلها كما تقدم (وأن عمه المطلب لما جاءه لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها

به ثم يموت عبد المطلب ثم كان التاريخ في الاسلام بالهجرة ومن ذلك ما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه
كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى وإلى البر والاحسان
ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تفندوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله
عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة
ولا يقضون أمرا دونه وهو أول ( ١٠ ) من أهدى البدن الى البيت وجاء في الحديث لا تسبوا إلياس فانه كان مؤمنا وكان في العرب
مثل لقمان الحكيم في قومه
وجاء في الحديث أيضا
لا تسبوا ربيعة ولا مضر
فانهما كانا مؤمنين وفي
رواية لا تسبوا مضر فانه
كان على دين اسمعيل
ومن كلامه من يزرع
خيرا يحصد غبطة ومن
يزرع شرا يحصد ندامة
وجاء أن خزيمة ومدركة
ونزارا كل منهم كان يرى
نور النبي صلى الله عليه
وسلم بين عينيه وأن نزارا
لما ولد ونظر أبوه الى نور
النبي صلى الله عليه وسلم
بين عينيه فرح فرحا
شديدا ونحر وأطعم وقال
ان هذا كله نزر أي قليل
بحق هذا المولود فسمى
نزارا لذلك وكان أجمل
أهل زمانه وأكبرهم عقلا
وجاء ان الله لما سلط بختنصر
على العرب أمر الله أرمياء
عليه السلام أن يحمل معه
معد بن عدنان على البراق
كي لا تصيبه النقمة وقال فاني
سأخرج من صلبه نبيا
كريما أختم به الرسل ففعل
أرمياء ذلك واحتمله معه إلى أرض الشام فنشا مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بختنصر * وحكى الزبير بن بكار غير
أن أول من وضع انصاب الحرم عدنان قيل وهو أول من كسا الكعبة او كسيت في زمنه وجاء أنه انما سمي عدنان من العدن وهو الاقامة
لأن الله أقام ملائكة لحفظه وسبب ذلك أن أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك
الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه روى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة واسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء أيضا أن مضر انما سمي بذلك لأنه كان يمضر

هي قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل القوم من أبي لهب رهن ردائه على ما ذكره لهم في أن يخلوا عن
الرجل مع أن رداءه لا يقع موقعا من ذلك * أجيب بأن سنة العرب وطريقتهم أن الواحد منهم اذا رهن
غيره ولو شيئا حقيرا على أمر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء ما رهن عليه ومن ثم لما أجدبت أرض
تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضي الله تعالى
عنه إلى كسرى ليأخذ منه أمانا لقومه لينزلوا ريف العراق لأجل المرعى فقال له كسرى أنتم قوم غدر
وأخاف على الرعايا منكم فقال له حاجب أنا ضامن أن لا تفعل قومي شيئا من ذلك فقال له كسرى
ومن لي بوفائك قال هذه قوسي رهينة فحمقه كسرى وجلساؤه وضحكوا منه فقيل له العرب لو رهن
أحدهم شيئا لا بد أن يفي به فلما أخصبت أرض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم ولما وفد اليه
جماعة منهم وأسلموا ومات حاجب أمر عطارد رضي الله عنه قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد رضي
الله عنه الى كسرى فطلب قوس أبيه فقال انك لم تسلم الى شيئا فقال أيها الملك أنا وارث أبي وقد وفينا
بالضمان فان لم تدفع الى قوس أبي صار عارا علينا وسبة فدفعها له وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبي
صلى الله عليه وسلم وأسلم دفعها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه الحلة من
لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا أشار بعض الشعراء وقد أحسن
وأجاد وتلطف بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حين أزاح يد خزاعة عن البيت وأجلاهم عن مكة بعد ان لم
يسلموا لقصي في ولاية أمر البيت ولم يجيزوا ما فعل حليل وأبو غبشان على ما تقدم وذلك بعد أن اقتتلوا
آخر أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا في الحرم
بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين الا أنه في خزاعة أكثر ثم
تداعوا للصلح واتفقوا على أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا
فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا إني قد شدخت ما كان بينكم من دم
تحت قدمي هاتين فلا تباعة لأحد على أحد في دم وقيل قضى بأن كل دم أصابته قريش من خزاعة
موضوع وان ما أصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصي بانه أولى بولاية مكة فتولاها قيل
وكان يعشر من دخل مكة من غير أهلها أي بتجارة أو كانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت
فان مضاض بن عمرو الجرهمي الأكبر ولي أمر البيت بعد ثابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه
كان جدا لثابت وغيره من أولاد اسمعيل لأمهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم
ولد اسمعيل في ذلك لخئولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من

القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله ولم يره أحد الا أحبه لما كان يشاهد فى وجهه من نور النبي صلى الله عليه وسلم ومن كلامه خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو أول من حدا للابل وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة (( مال والدهما نزار اخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء ان معد اسمى بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمى بذلك لانه خزم اى جمع فيه نور النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان فى آبائه ومدركة سمي بذلك لانه أدرك كل عز وفخر بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم (وكان ظاهرا بينا فيه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان أم النضر برة بنت أد بن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه أهل الجاهلية اذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال أبو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثيرا لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمى الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذى عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك فى هذا الخبر والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا قال الدميري

غير أهلها وأكلوا أموال الكعبة الذى يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا أراد ان يزنى ولم يجد مكانا دخل البيت فزنا فيه فاجمعت أي عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافنى غالبهم أى وجاز أن يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقى الى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمى آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبياتا منها

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت أكتب بين يدى الوزير يحيى بن خالد البرمكى أيام الرشيد فأخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله ذهب ما لكنا وذل عزنا وانقضت أيام دولتنا قلت وما ذاك أصلح الله الوزير قال سمعت منشدا أنشدنى كان لم يكن بين الحجون البيت وأجبته من غير روية بلى نحن كنا أهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وأنا بين يديه على عادتى اذ جاءه انسان وأكب عليه وأخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة قال أو قد فعل قال نعم فما زاد ان رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة * ومما يؤثر عن يحيى هذا ينبغى للانسان ان يكتب أحسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويحدث باحسن ما يحفظ وقال من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما (وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحى وهو ابن بنت عمرو بن الحرث الجرهمى آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو بن لحى فى العرب من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية وهو أول من أطعم الحجيج بمكة سدائف الابل ولحمانها على الثريد والسدائف جمع سديف وهو شحم السنام وذهب شرفه فى العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لا يخالف وفى كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم وربما نحر لهم فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة (وهو أول من غير دين ابراهيم أى فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد ابراهيم استمرت على دينه أى من رفض عبادة الاصنام الى زمن عمرو بن لحى فهو أول من غير دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الاصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة وقيل أول من بحر البحيرة

وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في متقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه قال الحافظ الشامي وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي ينثلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى * وقد أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلاف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الأسماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لايعرفون



وقيل أقل وقيل أكثر وقال عروة بن الزبير ماوجدت أحدا يعرف بعد معد بن عدنان * وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الانكار من اخبره بذلك فينبغي لمن أراد أن يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ان يوصله الى عدنان ابن اد ويقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على أن عدنان ينتهي نسبه الى اسمعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان ولله در القائل

ونسبة عز هاشم من أصولها ومحتدها المرضى أكرم محتد
سمت رتبة علياء أعظم بقدرها ولم تسم الا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال

قال أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذوي شرف * كما علا برسول الله عدنان

قال الماوردي في اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة * وفهر اسمه قريش واليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني وسمى قريشا لانه كان يقرش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم وكلاب * اسمه حكيم سمى بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب

---

رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنيهما وحرم ألبانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته في النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بافواههما وعمرو أول من وصل الوصيلة وحمى الحامي ونصب الاصنام حول الكعبة وأتى بهبل من أرض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ماسيأتي وأول من أدخل الشرك في التلبية فانه كان يلبي بتلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهي لبيك لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فلما قال عمرو لبيك لاشريك لك قال له ذلك الشيخ الاشريكا هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وماملك وهذا لاباس به فقال ذلك عمرو فتبعته العرب على ذلك أي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالى توبيخا لهم ومايؤمن أكثرهم بالله الاوهم مشركون وهو أول من أحل أيضا أكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحي فزعم ان الله تعالى لايرضى تحريم أكل الميتة قال كيف لاتأكلون ماقتل الله وتأكلون ماقتلتم * وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه في النار وفي رواية امعاءه أي وهي المرادة بالقصب بضم القاف وفي رواية رأيته يؤذي أهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناة الفوقية آخره باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار والاندلاق الخروج بسرعة * وقال صلى الله عليه وسلم لاكثم بن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة وهو في اللغة واسع البطن يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه فقال أكثم فعسى أن يضرني شبهه يارسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر أنه أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان أي ودين اسمعيل هو دين ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام استمرت على دينه لم يغيره أحد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم وفي كلام بعضهم ان أكثم هذا هو أبو معبد زوج أم معبد التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة وأكثم هذا هو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الدجال فاذا أشبه الناس به أكثم بن عبد العزى فقام أكثم فقال أيضرني شبهي اياه فقال لاأنت مؤمن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذي فيه ذكر الدجال لايصح انما يصح ماقاله في ذكر عمرو بن لحي وانما كان عمرو بن لحي أول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام في بعض أموره فرأى بارض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ورآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ماهذه قالوا هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطوني منها صنما فاسير به الى أرض العرب

فاعطوه

وقيل من المكالبة أى المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة * وسئل اعرابى لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمى ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة للاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء * وقصى اسمه زيد أو يزيد ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش فى مكة بعد تفرقها قال الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم حيث أنجده من كربة وقعت له



فوجده مربوطا بربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتله بمكة ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه
يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

الى أن قال

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصى من أكرم لئيما شاركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفى ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصى من خزاعة حبى بنت حليل الخزاعى فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى حليل الخزاعى فأوصى بها لابنته زوج قصى فقالت لا قدرة لى على فتح البيت واغلاقه فجعل أبوها ذلك لأبى غبشان الخزاعى فاشترى منه قصى أمر البيت وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أذوادا من الابل وأثوابا فنازعته خزاعة فدعا قريشا وبنى كنانة لاعانته فأعانوه حتى أزاح يد خزاعة وذلك بعد أن اقتتلوا أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغى وذكرتهم ماصارت اليه جرهم حين ألحدوا فى الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وكثر القتل والجرح فى الفريقين الا انه فى خزاعة أكثر ثم تداعوا للصلح واتفقوا على أنهم يحكمون بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا عربيا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا

فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه فى بطن الكعبة على بئرها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأ به قبل أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب العقل إذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح مكتوب فيه لا وذلك للامر الذى يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم إذا اختلفوا فى الولد هل هو منهم أو لا وقدح فيه مياه وقدح فيه ما بها إذا أرادوا أرضا يحفرونها للماء وكان هبل من العقيق على صورة انسان * وعاش عمرو بن لحى هذا ثلثمائة سنة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده ألف مقاتل أى ومكث هو وولده من بعده فى ولاية البيت خمسمائة سنة وكان آخرهم حليل الذى تزوج قصى ابنته كما تقدم وقيل وكان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وادريس عليهما السلام وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب وأتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام فى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال المعجمة على وزن مسجد أبو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير أى وكانوا هؤلاء على صور عباد ماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين أمثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك أهل ذلك العصر قال اللعين لأولادهم هذه آلهة آبائكم تعبدونها ثم أن الطوفان دفنها فى ساحل جدة فأخرجها اللعين * وفى كلام بعضهم ان آدم كان له خمسة أولاد صلحاء وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات ود فحزن عليه الناس حزنا شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بأرض بابل فلما رأى ابليس ذلك من فعلهم جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورته اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمان وماتت الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فأرسل الله لهم نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق وأول ما حدثت عبادة الاصنام فى قوم نوح فأرسله الله تعالى اليهم فنهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحى هو الذى نصب مناة على ساحل البحر مما يلى قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان * وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى تفسيره لبعض الآيات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والأرض ان أصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله تعالى عن كل شىء وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا

فلما اجتمعوا قام يعمر فقال الا انى قد شدخت ما كان من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على أحد وقضى لقصى انه أولى بولاية مكة فتولاها وكانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمى الاكبر ولى أمر البيت بعد ثابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام لانه كان جد الثابت وغيره من أولاد اسمعيل لامهم لان اسمعيل تزوج من جرهم فجاءه الاولاد منهم فاخذ ولاية البيت بعد ثابت بن اسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمى واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام لا ينازعهم ولد اسمعيل فى ذلك لخئولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغى (١٤) ثم أن جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها فاجتمعت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى انوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافنى غالبهم وذهب من بقى الى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمى آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وما سكها حزنا شديدا وقال عمرو بن الحرث ابياتا منها

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا اهله فابادنا ... صروف الليالى والدهور البواتر

ثم استمر الامر فى خزاعة الى أن تزوج قصى منهم وحصل ما تقدم ذكره عبد الله فازاح يد خزاعة وولى أمر مكة وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار اكبر أولاد قصى واحبهم اليه وكان عبد مناف اشرفهم لانه شرف فى زمن ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه فاعطى قصى تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال له اما والله يا بنى لالحقنك بالقوم يعنى بقية اخوته وبنى عمه وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء لحرب الا أن تعقده انت ولا يشرب رجل بمكة

بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه وكان فى زمان جرهم رجل فاجر يقال اساف فجر بامرأة يقال لها نائلة فى جوف الكعبة أى قبلها فيها كما فى تاريخ الازرقى وقيل زنى بها فمسخا حجرين فاخرجا منها ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان زمن عمرو بن لحى أخذهما ونصبهما حول الكعبة أى على زمزم وجعلا فى وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ باساف ويختم بنائلة وذلك قبل أن يقدم عمرو بهبل وبتلك الأصنام وكانت قريش تذبح ذبائحها عندها وذكر انه صلى الله عليه وسلم لما كسر نائلة عند فتح مكة خرجت منها امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها وهى تنادى بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه بان الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون الى العزى كما يهدون الى الكعبة وقصى هو الذى أمر قريشا ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتهم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الأربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الآن اليه كباب بنى شيبة وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبنى قصى دار الندوة وهى أول دار بنيت بمكة واستمر الامر على انه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله جدار زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضى الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى دورا أخر وغالى فى ثمنها وهدمها وزاد فى سعة المسجد ثم أن ابن الزبير رضى الله عنهما زاد فى المسجد زيادة كثيرة ثم أن عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيأ ثم أن الوليد بن عبد المطلب وسع المسجد وحمل اليه أعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدى والد الرشيد مرتين واستقر بناءه على ذلك الى الآن * وكانت قريش قبل ذلك أى قبل بناء منازلهم فى الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا وإذا أراد أحدهم قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم أفصح من فتحها وهو على ثلثى فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم التى فى منازلهم التى بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من الغضاه والسلم وشكوا ذلك الى قصى فامرهم بقطعها فهابوا ذلك فقالوا انكره أن ترى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصى انما تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا بهلة الله أى لعنته على كل من اراد فسادا فقطعها قصى بيده وبيد أعوانه وفى كلام السهيلى عن الواقدى الاصح ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى كيف نصنع فى شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك فكان أحدهم يحدق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله قال وأول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان

الامن سقايتك ولا يأ كل أحد من أهل الموسم الا من طعامك وهذا هو المراد من الرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك يعنى دار الندوة ولا يكون أحد قائد القوم فى قتال الا أنت فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اختلف أبناؤهم فاراد بنو عبد مناف * وهو هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل أن يأخذوا تلك الوظائف من بنى عمهم عبد الدار وأجمعوا على المحاربة وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لمن أراد أن يحالفهم ويكون معهم فى المسجد عند باب الكعبة فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للاشارة الى انهم معهم وتحالفوا بعد أن تطيبوا منها معهم فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة (١٥) وبنو اسد بن عبد العزى بن قصى وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا لتحالفهم بعد أن اخرجوا جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده فى دمها فلعق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا لعقة الدم ثم اصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبنى عبد مناف والحجابة واللواء لبنى عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوة بقيت فى يد بنى عبد الدار حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى ابن قصى فاشتراها بزق خمر ثم باعها فى الاسلام بمائة الف درهم فقال له عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما اتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف واشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الأربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وينقلب بها فتحتجب وكانوا لا يعقدون عقد نكاح الا فى دار قصى أعنى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها * وأما القيادة وهى امارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان فكان يقود الناس فى غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب وأما يوم بدر فقاد الناس

عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل فداء كل شجرة بقرة فليتأمل الجمع وانزل قصى القبائل من قريش أى فانه جعلها اثنتى عشرة قبيلة كما تقدم فى نواحى مكة بطاحها وظواهرها ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى أشرف من الثانية ومن الاولى بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل فى وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

من بنى هاشم بن عبد مناف * وبنو هاشم بحار الحياء
من قريش البطاح من عرف النا * س لهم فضلهم بغير امتراء

قال بعضهم كان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيرا فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى بالزبيب وسقى اللبن وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر * ومما يؤثر عن قصى من أكرم لئيما أشركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفى ولما احتضر قال لأولاده اجتنبوا الخمر فانها لا تصلح الأبدان وتفسد الأذهان وحاز قصى شرف مكة كله فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد قصى وعبد مناف أشرفهم اى لانه شرف فى زمان ابيه قصى وذهب شرفه كل مذهب وكان يليه فى الشرف أخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمى عبد مناف الفياض لكثرة جوده فاعطى قصى ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التى هى السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة اى فانه قال له اما والله يابنى لألحقنك بالقوم يعنى أخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له أى بسبب الحجابة للبيت ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك أى وهذا هو المراد باللواء ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا يأكل أحد من أهل الموسم الا من طعامك أى وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك يعنى دار الندوة أى ولا يكون احد قائد القوم الا أنت وذلك بسبب القيادة فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف أراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهؤلاء اخوة لاب وأم أمهم عاتكة بنت مرة ونوفل أخوهم لابيهم امه واقدة بنت حرملة أن يأخذوا تلك الوظائف من بنى عمهم عبد الدار وأجمعوا على المحاربة أى وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لاحلافهم فى المسجد عند باب الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين

عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من أبي سفيان اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج النفير وأما الرفادة وهي اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر * وأما السقاية فقام بها أيضا عبد مناف ثم ابنه هاشم (١٦) ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم فوض عمه المطلب السقاية اليه فلما مات المطلب وثب أخوه نوفل ابن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحا أي أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فابوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فاقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن اختي اركاحه لاملان منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا وتحالفوا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد أن جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب وقالوا انه أم عبد مناف حبي بنت خليل الخزاعي فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام

أي أخرجتها لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وتوءمة أبيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب منها من بني عبد مناف بنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبائل * وتعاقد بنو عبد الدار وأحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منه فهو منا وصاروا يضعون أيديهم فيهم ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذين لعقوا الدم فسموا لعقة الدم بنو عدي خاصة ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا على ذلك هذا والذي رأيته في الشرق فيما يحاضر به من آداب المشرق والمشرف عبد مناف بن قصي في حياة أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار أراد ان يبقى له ذكرا فاعطاه الحجابة ودار الندوة واللواء وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده * والسقاية كانت حياضا من أدم توضع بفناء الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال لسقي الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا وهذه السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا وكانت قريش تسميه الفياض لكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه أمر السقاية والرفادة فلما مات المطلب وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف وغصبه أركاحا أي أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي بن النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الأبطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فاقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي أركاحه لاملان منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب أمه حبي بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب هلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة

وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد * وعبد المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الماء منها لتلك الأحواض ويقذف التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده أبو طالب ثم اتفق ان أبا طالب أملق اى افتقر فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا أيضا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لا كفلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت للعباس ثم لولده عبد الله بن عباس واستمر ذلك فى بني العباس الى زمن السفاح ثم ترك بنو العباس ذلك * والرفادة اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرجه من أموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكل منه من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك فى الخلفاء الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وأما القيادة وهى امارة الركب فقام بها بعد عبد مناف ولده عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه أمية ثم لابنه حرب ثم لابنه أبي سفيان فكان يقود الناس فى غزواتهم قاد الناس يوم احد ويوم الاحزاب ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست فى العير ولا فى النفير قال له ويحك العير والنفير عيبتي اى وعائي لان العيبة ما يجعل فيه الثياب جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير * ودار الندوة كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة فى امورها ولا يدخلها الا من بلغ الأربعين وكانت الجارية إذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحتجب وهذه كانت سنة قصي فكان لا ينكح رجل امرأة من قريش الا فى دار قصي التى هى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا فى تلك الدار فيشق عنها درعها ويدرعها بيده فكانت قريش بعد موت قصي يتبعون ما كان عليه فى حياته كالدين المتبع ولا زالت هذه الدار فى يد بني عبد الدار الى ان صارت لحكيم بن حزام فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم فلامه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وقال اتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم رضى الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم ان ثمنها فى سبيل الله تعالى فاينا المغبون

---

الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد قيل ان السقاية انتقلت من أبي طالب الى أخيه العباس فى حياة أبي طالب وسبب ذلك أن أبا طالب كان يقذف فى الماء التمر والزبيب تبعا لابيه عبد المطلب فاتفق انه أملق أى افتقر فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها ابو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس اسلفني أربعة عشر الفا الى العام المقبل لأعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لا كلفها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت فى بني عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي صلى الله عليه وسلم فاراد أن يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فانزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فرده صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبي ثم صارت بعده لأخيه شيبة ثم بقيت فى بني شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش فى حروبها ولهذا اقتتل منهم جماعة يوم احد كلما قتل واحد اخذ اللواء بعده واحد آخر منهم * واما عبد مناف بن قصي فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار كتابة منها أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل علا وصلة الرحم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء فى وجهه وكان فى يده لواء نزار وقوس اسمعيل وإياه عنى القائل بقوله كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف وابنه هاشم اسمه عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أى أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم تمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما الى أن اشتد الأمر بين بني العباس وبني أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وأول العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس

لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده ابن أخيه امية بن عبد شمس فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق (١٨) هاشم أمية الى المفاخر فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج امية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال الامام أبو سهل الصعلوكي في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد هاشم الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقال ابن الصلاح خلاف الاولى حمل الحديث على العموم وان المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لأن سائر بمعنى باقي فالمراد أي ثريد وهذا لا ينافي بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ولبعضهم

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مرملون عجاف

ولآخر

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه
أجفانه كالجوابي للوفود إذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه
وأمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه

ولآخر

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف

---

قيل وقصي هو جماع قريش فلا يقال لأحد من اولاد من فوقه قرشي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لأنه توصل به الى ان لا يكون سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق الا ان تعدلوا عنه لأنهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصي لان ابا بكر رضي الله تعالى عنه يجتمع معه في مرة كما سيأتي لان تيم بن مرة بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه خمسة آباء وعمر رضي الله عنه يجتمع معه في كعب كما سيأتي وبين عمر رضي الله عنه وكعب سبعة آباء () ﴿ وقصي بن كلاب ﴾ أي واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم ففي كلاب يجتمع نسب ابيه وامه ( ابن مرة ) وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله تعالى عنه والامام مالك رضي الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو مرة ايضا ( ابن كعب ) اي وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالى عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة اي يوم الرحمة الذي هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث كان اهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام وسيأتي في ذلك كلام فكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا آخرها

على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

وينشد ايضا

يا ليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستين انما هي بين موت كعب والفيل الذي هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في الدلائل النبوية وقيل ان كعبا اول من قال اما بعد فكان يقول اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار صاح والأرض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والأولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وأثمروا أموالكم الدار أمامكم والظن غير ما تقولون أي وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه لأن كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شأنه أرخوا بموته حتى كان عام الفيل ارخوا به ثم ارخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب ( وكعب بن لؤي ) أي بالهمزة أكثر من عدمها أي وفي سبب تصغيره

الرأشون وليس يوجد رأش * والقائلون هلم للاضياف وعن بعض الصحابة رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو يقول يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذى بعثك بالحق لكنه قال يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقراف الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافى ( ١٩ ) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

خلاف ﴿ بن غالب بن فهر ﴾ سماه أبوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش والمناسب أن يكون لقبا لقولهم انما سمى قريشا لأنه كان يقرش أى يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الأكثر قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس لأبى عبيدة بن الجراح ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن فى حمير وغيرهم لأخذ أحجار الكعبة الى اليمن ليبنى بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر الى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب فقاتله وأسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر حسان فى الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما فى يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وان صار اليك () ﴿ وفهر هو ابن مالك ﴾ قيل له ذلك لأنه ملك العرب ﴿ بن النضر ﴾ أى ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لأحد من أولاد من فوقه قرشى () ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك وأولاده قرشى فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال من ولد النضر أى وعلى أن جماع قريش فهر كما تقدم فمالك وأولاده والنضر جده وأولاده ليسوا من قريش () والنضر ﴿ بن كنانة ﴾ قيل له كنانة لأنه لم يزل فى كن من قومه وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبى من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا أى تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال ابن دحية رحمه الله كان كنانة يأكل وحده فاذا لم يجد أحدا أكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده ومما يؤثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر وكنانة ﴿ بن خزيمة بن مدركة ﴾ ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولعل المراد ظهوره فيه ومدركة ﴿ بن الياس ﴾ بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة أيضا وقيل همزة وصل ونسب للجمهور وقيل سمى بذلك لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضى أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وأول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت فى زمن نوح عليه السلام فوضعه فى زاوية البيت كذا فى حياة الحيوان فليتأمل وجاء فى حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا قيل انه جماع قريش أى فلا يقال لأولاد من فوقه قرشى وكان الياس

وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وفى المواهب وشروحها أن نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه فى وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه لا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشىء إلا خضع له تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الى حتى أزوجكها فقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم فى الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدى الحق ويؤمن الخائف وكان اذا هل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول فى خطبته يامعشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما اى عقولا وأوسط العرب اى أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يامعشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بقية بنى اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فاكرموا ضيفه وزواريته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسالكم بحرمة البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم

يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون فى ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه فى دار الندوة ومما نقل من شعر أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت انساب عبد منافها * ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

* وأما عبد المطلب بن هاشم فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد (٢٠) كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤوس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفى رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لأنه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الأمور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا عاش مائة وأربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما قال لأخيه المطلب حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بنى عدى ابن النجار من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه هاشم وبقى عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون أى يلتضلون بالسهام واذا غلام فيهم إذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت ياغلام فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له ياابن أخى أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه قد ذهب به وقيل انه استأذن أمه وقال لها ان ابن أخى غريب فى غير قومه ونحن أهل بيت شرف فى قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة فى غيرهم فأذنت له فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا

---

يسمع من صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم المعروفة فى الحج قيل وكان فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه وهو أول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل احزن من خندف ﴿والياس بن مضر﴾ قيل هو جماع قريش فلا يقال لأولاد من فوق مضر قرشى ففى جماع قريش خمسة أقوال قيل قصى وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لأنه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أعنى نزارا أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجاء فى حديث لاتسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين أى وفى رواية لاتسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفى حديث غريب لاتسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة * أقول سيأتى فى بنيان قريش الكعبة انهم وجدوا فيها كتابا بالسريانية من جملتها كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى آخر ما يأتى وعن أبى عبيدة البكرى أن قبر مضر بالروحاء بزار والروحاء على ليلتين من المدينة والله أعلم وكان مضر من أحسن الناس صوتا وهو أول من حدا الابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يايداه يايداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل أول من سن الحداء للابل عبد له ضرب مضر يده فضربها وجيعا فصار يقول يايداه يايداه فجاءت اليه الابل من مرعاها أى لأن الحداء مما ينشط الابل لاسيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد أعناقها وتصغى الى الحادى وتسرع فى سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة فى زمن قصير وربما أخذت ثلاثة أيام فى يوم واحد وفى ذلك حكاية مشهورة ولأجل ماذكر ذكر أئمتنا انه مستحب * وفى الاذكار للامام النووى رضى الله تعالى عنه باب استحباب الحداء للسرعة فى السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها فيه أحاديث كثيرة مشهورة ﴿ومضر بن نزار﴾ بكسر النون كان يرى نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو أول من كتب الكتاب العربى على الصحيح والامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجد الذى هو نزار بن ﴿معد بن عدنان﴾ هذا هو النسب المجمع عليه فى نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلماء بالانساب ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام الأعظم أن يكون قرشيا فان لم يوجد قرشى جامعا للشروط التى ذكروها فكنانى قال بعضهم وقياس ذلك أن يقال فان لم يوجد كنانى فخزيمى فان لم يوجد خزيمى فمدركى فان لم يوجد مدركى فالياسى فان لم يوجد الياسى فمضرى فان لم يوجد مضرى فنزارى فان لم يوجد نزارى فمعدى فان لم يوجد معدى فعدنانى فان لم يوجد عدنانى فمن ولد اسمعيل لأن من فوق عدنان لا يصح فيه شىء ولا يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسمعيل وقيل له معد لأنه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر

عبد المطلب وقيل أن الشمس أثرت في شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن أخي هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربى يتيما في حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبد المن تربى في حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله أن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن (٢١) باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أي فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهي معدة له في الآخرة ورفض عبد المطلب في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبي في السيرة عن ابن الجوزي وزاد في المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وفيه يقول القائل

علا شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به إلى جبل ثبير يستسقى الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضره عبد المطلب معه في الاستسقاء فيسقون به وامر اباطالب ان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم معه في الاستسقاء ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه في ذلك اليوم لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين أراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب

بالنصر والظفر قال بعضهم ولا يخرج عربي في الانسان عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بختنصر على العرب أمر الله تعالى ارمياء أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فاني سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل ارمياء ذلك واحتمله معه إلى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن أي بموت بختنصر (وكان عدنان في زمن عيسى عليه السلام وقيل في زمن موسى عليه السلام قال الحافظ ابن حجر وهو أولى أي ومما يضعف الأول ما في الطبراني عن أبي امامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى عليه الصلاة والسلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فاوحى الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان منهم النبي الامي البشير النذير الحديث اذ فيه بقاء معد إلى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام. ومعلوم أنه لا خلاف في ان عدنان من ولد اسمعيل نبي الله تعالى أي أرسله الله تعالى إلى جرهم وإلى العماليق وإلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم وكذا بعث أخوه اسحق إلى أهل الشام وبعث ولده يعقوب إلى الكنعانيين في حياة إبراهيم فكانوا انبياء على عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم أن من العماليق فرعون موسى عليه الصلاة والسلام) ومنهم الريان ابن الوليد فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام (وكان اسمعيل بكر أبيه جاء له وقد بلغ أبوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة وولد بين الرملة وايليا وكان بين عدنان واسمعيل اربعون أبا وقيل سبعة وثلاثون) * وفي النهر لأبي حيان رحمه الله ان إبراهيم هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه) ولا يخفى ان اسمعيل أول من تسمى بهذا الاسم من بني آدم ومعناه بالعبرانية مطيع الله وأول من تكلم بالعربية أي البينة الفصيحة والا فقد تعلم العربية من جرهم ثم ألهمه الله تعالى العربية الفصيحة البينة فنطق بها * وفي الحديث أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن أربع عشرة سنة وفي كلام بعضهم لما خرج ابراهيم بهاجر وولدها اسمعيل إلى مكة على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزودا فيه تمر فلما أنزلهما وولى راجعا تبعته هاجر وهي تقول آلله أمرك أن تدعني وهذا الصبي في هذا المحل الموحش الذي ليس به انيس قال نعم فقالت إذا لا يضيعنا ولازالت تأكل من التمر وتشرب من الماء الى أن نفذ الماء الحديث وكان انزاله لهما بموضع الحجر وذلك لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم وكون اسمعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له انعم صباحا ويعرب هذا قيل له أيمن لان هودا نبي الله عليه السلام قال له انت أيمن ولدي وسمي اليمن يمنا لنزوله فيه وهو أول من قال القريض والرجز وقيل سمي اليمن يمنا لانه على يمين الكعبة وقيل أن أول من

بالقداح عليه قوله   يارب أنت الملك المحمود   وأنت ربي الملك المعبود   من عندك الطارف والتليد   .وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فاغاظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي ويروى ان حربا كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق الا تأخروا وتقدم هو ولا (٢٢) يستطيع أحد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التيمي فقال حرب انا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه التيمي ومر قبله فقال حرب موعدك مكة فبقي التيمي دهرا ثم اراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فاتى التيمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فانشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا والصبح ابلج ضوؤه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده وأتيت أهل معالم ونخار
ليثا هزبرا يستجار بقربه رحب المنازل مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعي من خوفه * ما كبر الحجاج في الامصار

وجاء فقال الزبير للتيمي تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التيمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال اجرني من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب اخرج فقال كيف اخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب فالقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا أنه اجاره فتفرقوا والى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية رضي الله عنه في أيام خلافته

كتب الكتاب العربي اسماعيل والصحيح أن أول من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم وكذا كون اسمعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل أول من تكلم بالعربية آدم في الجنة فلما أهبط إلى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانية لأن الله تعالى علمها آدم سرا من الملائكة وأنطقه الله بها قيل وأول من كتب الكتاب العربي والفارسي والسرياني والعبراني وغيرها من بقية الاثنى عشر كتابا وهي الحميري واليوناني والرومي والقبطي والبربري والاندلسي والهندي والصيني آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل الكتاب العربي أي وأما ما جاء أول من خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل * وفي كلام بعضهم أول من تكلم بالعربية المحضة وهي عربية قريش التي نزل بها القرآن اسمعيل وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هؤلاء العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسمعيل العرب المستعربة وهي لغة الحجاز وما والاها * وجاء من احسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق وقد ذكر بعضهم أن اهل الكهف كلهم أعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وأنهم يكونون وزراء المهدي واشتهر على ألسنة الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال انا افصح من نطق بالضاد قال جمع لا أصل له ومعناه صحيح لان المعنى أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم * واسمعيل عليه السلام اول من ركب الخيل وكانت وحوشا أي ومن ثم قيل لها العراب أو لما سيأتي وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسمعيل عليه السلام وفي رواية أوحى الله تعالى الى اسمعيل ان اخرج الى اجياد الموضع المعروف سمي بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع يأتيك الكنز فخرج الى أجياد فالهمه الله تعالى دعاء فدعا به فلم يبق فيه على وجه الارض فرس بأرض العرب الا جاءته وأمكنته من نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهي ميراث ابيكم اسمعيل * وذكر الحافظ السيوطي رحمه الله انه له كتابا في الخيل سماه جر الذيل في علم الخيل وفي العرائس ان الله تعالى لما أراد ان يخلق الخيل قيل لريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة على أعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطيرين بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب * وعن وهب انه قال لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ان خيلا بلقا لها اجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين على بها فصبوا في العين التي تردها خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى تأنست * قيل ويجوز أن يكون المراد من تلك الخيل الفرس الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام

وعنده وفود العرب فذكره كلامافيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس رضى الله عنهما فمن أكفأ عليه اناءه وأجاره بردائه فسكت معاوية رضى الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابني هذا لشانا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع احد أن يجلس على فراشه ولا ان يطأه بقدمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل (٢٣) جده عبد المطلب فجلس على فراشه فاذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشانا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشئ أى بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفى رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أن يعلم من نفسه أن له ملكا وفى رواية ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال سمعت أبى يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب مالابني يبكى قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب وفى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب في زى الملوك وأبهة الاشراف ومما أكرم الله به عبد المطلب وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة ان عمرو بن الحرث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم

وجاء ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شئ مما خلق قال له اختر من خلقي ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا مابقوا أبدا الآبدين ودهر الداهرين وهذا صريح فى أن الخيل خلقت قبل آدم وقد سئل الامام السبكي هل خلقت الخيل قبل آدم أو بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث والاناث قبل الذكور فاجاب بانا نختار بان خلق الخيل قبل آدم عليه السلام لان الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين أحدهما أن الذكر أشرف من الانثى والثاني حرارة الذكر أقوى من الانثى ولذلك كان خلق آدم قبل خلق حواء فليتأمل وقد ذكر الامام السهيلي ان في الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر ذكرها وبينها الاصمعي فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قالوا وفي الحيوان أعضاء باردة يابسة كالعظام نظير السوداء وأعضاء باردة رطبة كالدماغ نظير البلغم وأعضاء حارة يابسة كالقلب نظير الصفراء وأعضاء حارة رطبة كالكبد نظير الدم وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شئ أحب اليه بعد النساء من الخيل وجاء مامن ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني أحب اليه من أهله وولده وقيل لبعض الحكماء أى المال أشرف قال فرس يتبعها فرس وفي بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطنها كنز وفى الحديث لما أراد ذو القرنين أن يسلك في الظلمة الى عين الحياة سأل أى الدواب فى الليل أبصر فقالوا الخيل فقال أى الخيل أبصر فقالوا الاناث قال فاى الاناث أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك وأعطى الله اسمعيل القوس العربية وكان لا يرمى شيئا الا أصابه وفى الحديث ارموا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا أى قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون فقال حسن هذا اللهو مرتين أو ثلاثا زاد في بعض الروايات ارموا وأنا مع بنى فلان فامسك الفريق الآخر فقال لهم مابالكم لاترمون فقالوا يارسول الله كيف نرمى وأنت معهم إذا ينضلونا قال ارموا وأنا معكم كلكم أخرجه البخاري في صحيحه زاد البيهقي فى دلائل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا وقد جاء أحب اللهو إلى اجراء الخيل والرمى ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا وقد جاء أحب اللهو إلى الله تعالى اجراء الخيل والرمى وجاء كل شئ يلهو به الرجل باطل الا رمى الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فانهن من الحق وجاء علموا أولادكم السباحة والرمى وفى رواية الرماية وفى رواية علموا ابنيكم الرمى فانه نكاية العدو وقد جاء تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروى مرفوعا حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وجاء من تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا وفى رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطي رضى الله عنه والاحاديث المتعلقة بالرمى كثيرة قال وقد ألفت كتابافى

بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزالان من ذهب وسيوف وادراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها روى ابن اسحق بسنده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب انى لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد



رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال أحفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قرية النمل بين اساف ونائلة أعنى الصنمين اللذين يذبحون عندهما ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت أيضا المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفي الحديث مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانها فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون ان يتضلعوا منها رواه الدار قطني وروى الزبير بن بكار ان عبد المطلب قيل له أحفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وقوله ولا تذم أي لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها والغراب الاعصم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بانه الذي احدى رجليه بيضاء رواه ابن أبي شيبة فلما بين لعبد المطلب شانها وكل على موضعها وعرف انه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له

الرمي سميته غرس الانشاب في الرمي بالنشاب وفي العرائس كان اسمعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمي والصراع والرمي سنة اذا نوى به التاهب للجهاد لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي على حد قوله الحج عرفة الا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمي والسيوف والسلاح وسئل الحافظ السيوطي رضي الله عنه هل (٢) ما ذكره الطبري والمسعودي في تاريخيهما أن أول من رمى بالقوس العربية آدم عليه الصلاة والسلام وذلك لما أمره الله تعالى بالزراعة حين أهبط من الجنة وزرع أرسل الله تعالى له طائرين يخرجان ما بذره ويأكلانه فشكى الى الله تعالى ذلك فهبط عليه جبريل وبيده قوس ووتر وسهمان فقال آدم ما هذا يا جبريل فاعطاه القوس وقال هذه قوة الله تعالى وأعطاه الوتر وقال هذه شدة الله تعالى وأعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله تعالى وعلمه الرمي بهما فرمى الطائرين فقتلهما وجعلهما يعني السهمين عدة في غربته وأنسا عند وحشته ثم صار القوس العربية إلى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ثم الى ولده اسمعيل وهو يدل على أن قوس ابراهيم هي القوس التي هبطت على آدم عليه السلام من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم عليه السلام من الجنة فاجاب الحافظ السيوطي رضي الله عنه بقوله راجعت تاريخ الطبري في تاريخ آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فلم أجده فيه ولا تبعد صحته فان الله تعالى علم آدم كل علم شيء وذكر أن ابن أبي الدنيا ذكر في كتاب الرمي من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أول من عمل القسي ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم أن اسحق جاء لابراهيم بعد اسمعيل بثلاث عشرة وقيل باربع عشرة سنة أي حملت به أمه سارة في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط فيها ولهما من العمر تسعون سنة وفي جامع ابن شداد يرفعه كان اللواط في قوم لوط في النساء قبل الرجال باربعين سنة ثم استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فخسف الله تعالى بهم وقيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان أول من اتخذ القسي الفارسية نمروذ فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون ابراهيم عليه السلام أول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان اسمعيل بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهما الصلاة والسلام أي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم وأما خالد بن سنان وان كان من ولد اسمعيل على ما قيل فقال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه السلام أي وكان بينه وبين عيسى ثلثمائة سنة وخالد هذا هو الذي أطفأ النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب ان تعبدها كالمجوس كان يرى ضوؤها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج

(٢) قوله ما ذكره الخ هكذا في النسخ التي بايدينا بلا خبر ولعل الخبر صحيح او نحوه بدليل الجواب اه مصححه

الظمى كبر وقال هذا ظمى اسمعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هزيم قال نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمى عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم (٢٥) وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا اما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فامرهم فحفروا قبورهم وقال من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان لقاءنا بايدينا الموت عجز لنضربن في الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدي بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبا لقلة تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما واشتد بذلك بلاؤه وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة واحتفر عبد المطلب زمزم في عامه ذلك هو وابنه الحرث قال ابن اسحق فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين أساف ونائلة التي كانت قريش تنحر عندها

منها العنق فيذهب في الأرض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا بدا كل هدى وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار حتى أطفأها ويذكر أنه كان هو السبب في خروجها فانه لما دعا قومه وكذبوه وقالوا انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا أن تسيل عليهم هذه الحرة نارا فسالها عليهم نار انخرجت فقالوا يا خالد ارددها فانا مؤمنون بك فردها وقيل وكان خالد ابن سنان اذا استسقى يدخل رأسه في جيبه فيجيء المطر ولا يقلع الا ان رفع رأسه وقيل وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وبسط لها رداءه وقال لها مرحبا بابنة أخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فأسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات (وفي البخاري أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان (قد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يات بشريعة مستقلة ولما جاء في رواية أخرى ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ولا ما في كلام البيضاوي تبعا للكشاف من أن بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان عليهما السلام أرسله الله تعالى لأصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز أن يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقررا لشريعة عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا كخالد بن سنان والرس البئر الغير المطوية أي الغير المبنية كذا في الكشاف والذي في القاموس كالصحاح المطوية باسقاط غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها اي وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعا وتبدلوا بعد الأنس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام أي وكان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم اذا أعوزه الصيد وكان اذا خطف أحدا منهم اغرب به أي ذهب به الى جهة المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة المغرب عنقاء مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة عليه السلام فدعا على تلك العنقاء فارسل الله تعالى عليها صاعقة فاهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر بعضهم أن حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسمعيل أيضا عليه الصلاة والسلام ثم رأيت ابن كثير ذكر أن حنظلة هذا كان قبل موسى عليه السلام وانه لما ذكر أن في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفي لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول أنفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا عند رأسه مصحفا فيه

ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردعني حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا انه غير تاركٍ خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التي دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك في هذا شركاء فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بيني وبينك نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف



قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال الزهري انه اتخذ عليها حوضا يستقي منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له في النوم قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه رمى بداء في جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل بكسر الباء مباح وقيل شفاء قال ابن اسحق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ماسواها ولانها بئر اسمعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب بين

فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفي قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه ولما تكامل بنو عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة

---

ما يحدث الى يوم القيامة وان من وفاته الى ذلك اليوم ثلثمائة سنة وقال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بنبي بل هو رجل صالح لان عيسى بن مريم عليه السلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث في البخاري * أقول قد علمت الجواب عن ذلك بأن المراد بالنبي الرسول وفيه أن هذا يبعده عطف الرسول على النبي المتقدم في بعض الروايات الا ان يجعل من عطف التفسير والله أعلم (والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة وقيل ستمائة وقيل بزيادة عشرين سنة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا أي كذبا لان الخراص الكذاب كذا قيل * أقول لعل المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته لان الخرص حقيقة الحزر والتخمين وكل من تكلم كلاما بناه على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا خرصا أي حزرا وتخمينا وعلى هذا كان الصديقة رضي الله عنها أرادت المبالغة للتنفير عن الخوض في ذلك والله أعلم وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك أي ما زاد على ذلك فقد كذب أقول اطلاق الكذب على من زاد على كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من أن المجمع عليه الى عدنان الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذي سمعه غيره وفي اطلاقه الكذب على ذلك التأويل السابق (وأخرج الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الى أن قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المألوف وهو الابتداء بالاب ثم بالجد ثم بابي الجد وهكذا) وقد جاء في القرآن على خلافه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب قال بعضهم والحكمة في ذلك انه لم يرد مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب والله أعلم (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا قال البيهقي والاصح ان ذلك أي قوله كذب النسابون من قول ابن مسعود رضي الله عنه أي لا من قوله صلى الله عليه وسلم * أقول والدليل على ذلك ما جاء كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني الذين يدعون علم الانساب ونفى الله تعالى علمها عن العباد ولا مانع أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم أولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية تقتضي اما الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه أي زيادة أدد أو نقص عدنان فهي مخالفة لما قبلها وفي كلام بعضهم ان

وأبو طالب وعبد الله وأقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وماهو أكبر من ذلك قال قرب أحد اولادك الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بالنذر فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح  بكسر القاف السهم قبل ان يراش ويوضع فيه النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان فى جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم يدفعون القداح له فيضربها فدفع عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعوا الله تعالى ويقول اللهم انى نذرت نحر أحدهم وانى اقرع بينهم فاصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم اقبل الى إساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر عندهما النسائك واصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضا وكان أساف يتعشقها فى أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فاصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات قريش فقالوا ماتريد أن تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن اخت القوم والله لا تذبحه ابدا حتى نعذر فيه فان كان فداؤه باموالنا فديناه وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة فعلها ان تأمرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة

بين عدنان وأدد أدفيقال عدنان بن أد بن دد قيل له أدد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف قيل وهو أول من تعلم الكتابة أى العربية من ولد اسمعيل وتقدم ان الصحيح ان اول من كتب نزار وانظر أهل يشكل على ذلك مارواه الهيثم بن عدى ان الناقل لهذه الكتابة يعنى العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن أمية بن عبد شمس وقد يقال الأولية اضافية أى من قريش وعدنان سمى بذلك قيل لان اعين الانس والجن كانت اليه ناظرة قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسمعيل من الآباء فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل أربعون والله اعلم قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا أى لا يكاد يحاط بها فقد جاء كان ما بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة قرون وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان مدة الدنيا اى من آدم عليه السلام سبعة آلاف سنة أى وقد مضى منها قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف وسبعمائة واربعون سنة وعن ابن خيثمة وثمانمائة سنة قلت وفى كلام بعضهم من خلق آدم الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف وثمانمائة سنة وثلاثون سنة وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم منها وفى كلام الحافظ السيوطى دلت الاحاديث والآثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلا وانما تزيد بنحو اربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على ألسنة الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكث فى قبره أكثر من ألف سنة باطل لا أصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالفه ما اخرجه أبو داود لن يعجز الله ان يؤخر هذه الأمة نصف يوم يعنى خمسمائة سنة وفى كلام بعضهم قد أكثر المنجمون فى تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة أى وهى سبعة وبعضهم اثنا عشر الف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلثمائة الف وستون ألفا بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى أكمل الله خلق الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوان بعد انتهاء خلق العالم الطبيعى باحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله الدنيا بعد أن انقضى من مدة خلق العالم الطبيعى أربع وخمسون ألف سنة ثم خلق الله تعالى الآخرة يعنى الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار أمدا ينتهى اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التى لا نهاية لها فى الدوام ثمانية آلاف سنة وخلق الله تعالى الجان فى الارض قبل آدم بستين الف سنة أى ولعل هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل آدم خلقا فى صورة البهائم ثم أماتهم قيل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فافسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء كما سيأتى أى قال الشيخ محيى الدين وقد

قالت لهم ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أي احضروه الى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل عشرة ثم اضربوا أيضا وهكذا حتى يرضى ربكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبدالله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعوا فخرجت القداح على ولده عبدالله فلم يزيزل يدعشرا عشرا وهي تخرج على عبدالله حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى اضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبدالله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم في المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسة وخافت الماء عابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال معاوية رضي الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفي هذا الحديث دلالة على ان الذبيح هو اسمعيل لا اسحق وفي ذلك خلاف مشهور ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل عليه السلام ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا لشأن اسمعيل وأمه ومعلوم أنهما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وأمه ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى منهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وأيضا مما يدل على أنه اسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح

---

طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعون الف سنة فقلت ليس لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق مائة الف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سأل بنو اسرائيل المسيح عليه الصلاة والسلام ان يحيي لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال أروني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم بأذن الله تعالى فقام وادار رأسه ولحيته بيضاء فقال انك مت وشعرك أسود فقال لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب رأسي ولحيتي الآن فقال له عيسى عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة آلاف سنة الى الآن لم تذهب عني حرارة طلوع روحي وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم ان قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض ولعله لا يخالفه ما تقدم من أن أول من كتب معدا ونزارا وفي كلام سبط ابن الجوزي ان سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين آدم ونوح وفيما بين الانبياء من السنين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه أي لو أراد ان يعلم ذلك الناس لعلمه لهم وهذا أولى من يعلمه بفتح الياء وسكون العين وذكر ابن الجوزي ان بين آدم ونوح شيثا وادريس وبين نوح وابراهيم هودا وصالحا وبين ابراهيم وموسى بن عمران اسمعيل واسحق ولوطا وهو ابن أخت ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبياء ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدى وتسعون سنة وكان فراقه له وليوسف من العمر ثماني عشرة سنة وبقيا مفترقين احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة هذا وفي الاتقان ألقي يوسف في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد الثمانين وعاش مائة وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام أن سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدي أمه فلم يرض الله تعالى له ذلك فأراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى ابن عمران ابن منشا وبين موسى بن عمران وهو أول أنبياء بني اسرائيل وداود ويوشع وكان يوشع كهرون يكتب لموسى ويذكر أن مما أوصى به داود ولده سليمان عليهما السلام لما استخلفه يابني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان أي ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك ولكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة وقيل آكد أسباب القطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو

حقد

حليما فى قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لأنه لاأحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحق عليه السلام سماه عليما فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وأيضا فان الله بعد أن قص فى كتابه قصة الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسمعيل وأيضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية ان أكبر الأولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فامر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة ( ٢٩ ) حينئذ من شوائب المشاركة

فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام

ولبعضهم

ان الذبيح فديت اسمعيل

نطق الكتاب بذاك والتنزيل

شرف به خص الاله نبينا

وأبانه التفسير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافى ابن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله ياأمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق واعلم أن بعض العلماء ذكر أن أعمام النبي صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقيم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة * ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت إلى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن فقال لها أما الحرام فالممات دونه *

حقد عليه وأقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما تعتذر فيه من القول أو الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض أى وقد جاء في الحديث اذا جهل على أحدكم جاهل فان كان قائما جلس وإن كان جالسا فليضطجع وممن مات من الأنبياء فجأة داود وولده سليمان وابراهيم الخليل عليهم أفضل الصلاة والسلام ثم بعد يوشع كالب بن يوقنا وهو خليفة بن يوشع بن حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لأن أمه سألت الله تعالى أن يرزقها ولدا بعدما كبرت وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لأنه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل والياس ثم طالوت الملك أى فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة سأله بنو اسرائيل أن يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من أعيانهم بل كان راعيا وقيل سقاء وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى عليهم السلام وهو آخر أنبياء بنى اسرائيل أيوب ثم يونس ثم شعياء ثم أحصياء ثم زكريا ويحيى عليهم السلام وفى النهر لأبى حيان في تفسير قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير أى وهو من أولاد هرون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيى وكان بين موسى وعيسى ألف نبى هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شانه ونخامته وعلو مكانه ماجاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفى الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة قال وعن سعد بن أبى وقاص أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله تعالى اه أى وأشد الاهانة ما كان في الآخرة وحينئذ اما أن يراد بالارادة العزم والتصميم أو المراد المبالغة ويكون ذلك من خصائص قريش فلا ينافي أن حكم الله المطرد فى عدله ان لا يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازى على الأفعال والأقوال الواقعة أو ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه الامة عدم مؤاخذتها بما تحدث به نفسها وعن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا أى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل أى على أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ماقيل أن سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر ما معنى عبادتهم الله تعالى دون

والحل لا حل فاستبينه يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذي تبغينه وفي السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم اقد حكم البادون في كل بلدة * بان لنا فضلا على سادة الارض وان أبي ذو المجد والسؤدد الذي * نشا بهما ما بين نشر الى خفض أي ارتفاع وانخفاض وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة في وجه (٣٠) عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت اني رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بخاتم القطر فسما لها نور يضيء به ماحوله كاضاءة الفجر ورأيت سقياها حيا بلد وقعت به وعمارة القفر ورأيتها شرفا ينوء به ما كل قادح زنده يوري لله ما زهرية سلبت منك الذي سلبت وما تدرى

وقد روى عن العباس رضي الله عنه انه لما بنى عبد الله بآمنة رضي الله عنهما أحصوا امائتي امرأة من بني مخزوم وبني عبد مناف مُتن ولم يتزوجن أسفا على مافاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة في قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة

( ومن الارهاصات ) التي وقعت قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم قصة اصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفا لقريش وتمهيدا لولد النبي صلى الله عليه وسلم

غيرهم في تلك المدة وعن أنس رضي الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن أبي هريرة رضي لله تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش أي وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش وفي الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وفي رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة من الائمة منهم الامام احمد هذا العالم هو الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وفي كلام بعضهم ليس في الائمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره وفيه أن الامام مالك بن أنس من قريش ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل من أن جماع قريش قصي وقد ذكر السبكي انهم ذكروا أن من خواص الشافعي رضي الله تعالى عنه من بين الائمة ان من تعرض اليه أو الى مذهبه بسوء أو نقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا اهانه الله تعالى هذا كلامه قال الحافظ العراقي اسناد هذا الحديث يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الأرض علما لا يخلو عن ضعف وبه يرد ما زعمه الصغاني من أنه موضوع وحاشا الامام احمد أن يحتج بحديث موضوع أو يستأنس به على فضل الشافعي وقال ابن حجر الهيتمي هو حديث معمول به في مثل ذلك أي في المناقب وزعم وضعه حسدا أو غلط فاحش أي وعن الربيع قال رأيت في المنام كان آدم مات فسألت عن ذلك فقيل لي هذا موت اعلم اهل الارض لان الله علم آدم الاسماء كلها فما كان الا يسير حتى مات الشافعي رضي الله تعالى عنه ورضي عنا به ومما يؤثر عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من اطراك في وجهك بما ليس فيك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم عليك ومن اذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك اذا اسخطته قال فيك ما ليس فيك وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها أي لا تتقدموها وفي رواية ولا تعالموها أي لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعلموها أي لا تجعلوها في المقام الادنى الذي هو مقام المتعلم بالنسبة للمعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل وفي السنن المأثورة عن إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رواية المزني عنه قال الطحاوي حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان قتادة بن النعمان وقع بقريش وكانه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رأيتهم عجبت بهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله تعالى أي لولا انها اذا علمت مالها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل ربما ارتكبت مالا يحل

وبعثته وأمر ابرهة سائس الفيل ان يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب اطلاق ابله التي أخذها جنود ابرهة فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان ابرهة قبل ذلك أرسل رجلا من قومه الى أهل مكة يدخل الرعب في قلوبهم فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له ابرهة اسال عن سيد اهل البلد شريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد

حربا فأتني به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به ابرهة بعد ان افاق من غشيته فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه ثم ذهب معه الى ابرهة واستأذن له وقال له الملك هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عزة مكة ويطعم الناس في السهل والجبل والوحوش والطير في رؤس الجبال فاذن له ابرهة وكان عبد المطلب اوسم الناس واجملهم واعظمهم فعظم في عين ابرهة فاجله واكرمه وكره ان يجلس تحته وان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن  سريره فجلس على بساطه واجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتي أن يرد الملك على مائتي بعير اصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمني فيه فقال عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال قال وما كان يمتنع مني قال انت وذاك فرد عليه ابله فقلدها واشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاء بهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم اقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فارسل الله عليهم طير الابابيل وأهلكهم كما قص ذلك في كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح ان قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت في عام الولادة على الصحيح ايضا وجاء في بعض الروايات ان نور النبي صلى الله عليه وسلم استدار في وجه عبد المطلب لما اقبل على ابرهة مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم لانها في ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح واجاب المحققون عن ذلك بان النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب في ذلك الوقت الا انه كان يستدير في وجهه مثل ذلك النور الذي كان قبل انتقاله ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما في هذه القصة وذلك من جملة

---

يحل اتكالا على ذلك لا علمتها به لكن في رواية لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العواثر اى من طلب لها المكايد اكبه الله تعالى لمنخريه اى اكبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد بن العاص فسلم عليه فقال له والله يا ابن أخي ماقتلت أباك يوم بدر ومالي ان اكون اعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد ابن العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فعجب عمر من قوله وقال قريش أفضل الناس أحلاما وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا كلامه والذي قتل العاص والد سعيد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه فعن سعد ابن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قتلت يوم بدر العاص وأخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس وفي رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس أي ولعله سقط من هذه الرواية قبل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضى لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانه ممن يقتدى به فكانوا أشر الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بانهم خيار شرار الناس ثم رأيت في كتاب السنن المأثورة عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه مارواه المزني عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي الحديث ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوي قريش اهل أمانة هكذا قرأه علينا المزني اهل امانة أي بالنون وانما هو أهل أمامة أي بالميم وفي كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة * ومما يدل على شرف هذا النسب أيضا ماجاء عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارني على من أنا منه من أولئك العرب وماجاء عن واثلة بن الاسقع رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم أقول وجاء بلفظ آخر عن واثلة ابن الاسقع وهو أن الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم عليهما السلام واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من عبد المطلب والله أعلم قال وفي رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وماجاء عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال لي يا محمد ان الله بعثني فطفت شرق الأرض ومغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حيا خيرا

الارهاصات أيضا ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب. روى أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها اني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها  وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لا تناول نصيبا فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس فقال عبد المطلب لأبي طالب لعلك ان تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج أي بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أي أخشى أو يمنعني وروى ابو علي القيرواني في كتاب البستان ان عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا لا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض وقد صح في أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه وفي السيرة الحلبية قال

من مضر ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حيا خيرا من بني هاشم ثم أمرني ان أختار في أنفسهم أي اختار نفسا من أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك انتهى وفي الوفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضريها وربيعتها ويمانيها وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا كانت أولاده كلها قريشا) وعن أبي هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقي ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة الله في العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله في مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم أخرجني من خيار من أنا منه قال بعضهم وما جاء في فضل قريش فهو ثابت لبني هاشم والمطلب لانهم أخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفي الشفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا أبر ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية هذا كلام الشفاء فليتأمل (والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

أي ظهر لهذا العالم منك كريم أي جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لي من فلان صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من أب كريم سالم من نقص الجاهلية. آباؤه الشامل للامهات جميعهم كرماء أي سالمون من نقائص الجاهلية أي ما بعد في الاسلام نقصا من أوصاف الجاهلية وهذا النسب

لا اجل منه ولجلالته اذا تأملته تظن بسبب ماتحلى به من الكمالات أي معاليها جعلت الجوزاء نجومها التي يقال لها نطاق الجوزاء قلادة أي تلك المعالي وهذه القلادة نعم هي قلادة سيادة وتمدح موصوفة بانك في تلك القلادة الدرة اليتيمة التي لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها الا يقال شمول الآباء للامهات لا يناسب قوله نسب لان النسب الشرعي في الآباء خاصة لانا نقول المراد بالنسب مايعم اللغوي او وقد يقال سلامة آبائه من النقائص انما هو من حيث أبوه أي كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم أن تكون امهاته كذلك وسيأتي لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى وقد قال الماوردي في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده صلى الله عليه وسلم علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه أبي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فاشرف القوم قومه واشرف القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم وعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يارسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضني وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفي الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم ألا من أحب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي أبغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد يوم القيامة بيدي وان أقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وفي كلام فقهائنا العرب أولى الامم لانهم المخاطبون اولا والدين عربي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله تعالى آدم الا كنت في خيرهما * أقول وفي لفظ آخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبائل

---

الحافظ السيوطي الذي تلخص ان أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث واقوال السلف وبقي مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام أي لم يعبد الاصنام وقيل ان الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات دليل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل في ضمائر الكون تختا ر لك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وفي رواية خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ماولدني الا نكاح اهل الاسلام * ولما أراد الله ع انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو ابن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج قبلها بزوجات قيل أول زوجة تزوجها قيلة بنت جندب ويقال صفية بنت جندب وهي ام ولده الحرث وأن سبب تزوجه انه بعد أن بلغ الحلم نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لايدري من فعل ذلك به فاخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فولدت له الحرث ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت لعبد الله انتقل النور اليه وكان أي عبد الله أحسن رجل في قريش خلقا وخلقا وفي رواية كان أكمل بني ابيه واحسنهم واعفهم واحبهم الى قريش وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية يرى في وجهه كالكوكب

الدرى وفى شرح المواهب كان يتلألأ النور فى قريش وكان اجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن ان تذهل عقولهن قال أهل السير فأتى عبدُ الله فى زمنه النساء من العناء مثل ما اتى يوسف فى زمنه من امرأة العزيز وقد هدى الله والده فسماه باحب الأسماء الى الله ففى الحديث احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح كما تقدم وكان ذا عفة وكرم وسماحة ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى لديانته وعفته فأتى عبدُ المطلب عمّ آمنة وهو وهب ابن عبد (٣٤) مناف بن زهرة بن قصى وقيل أن وهبا المذكور أبوها لا عمها فزوج آمنة لعبد الله وهى يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها الخمات برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه فسبقته فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعنى فرسه وقال فى بعض غزواته

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة فى الأصل المتلطخة بالطيب والطاهرة وعن بعض الطالبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم أحد أنا ابن الفواطم واختلف الناس فى عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر أن العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولهن أم لؤى بن غالب واللواتى من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبى أمه صلى الله عليه وسلم وهب وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بنى سليم ابكارا ارضعته كل واحدة منهن تسمى عاتكة * وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصى وقيل لم يرد خصوص الامهات التى فى عمود نسبه بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة ام اسد بن هاشم وفاطمة بنت اسد

جعلنى من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلنى من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وأنا خيرهم نسبا وفى لفظ آخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهم قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا ثم جعل الثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا وتقدم عن الشفاء مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالآيات وتقدم الامر بالتأمل فى ذلك والله أعلم وفيه أنه ورد النهى فى الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الآباء فى الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية فو الذى نفسى بيده ما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية أى والذى يدحرجه الجعل هو النتن وجاء فى الحديث ليدعن الناس فخرهم فى الجاهلية أو ليكونن أبغض الى الله تعالى من الخنافس وجاء آفة الحسب الفخر أى عاهة الشرف بالآباء التعاظم بذلك وأجاب الامام الحليمى بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم أى ومن ثم جاء في بعض الروايات قوله ولا فخر أى فهو من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر وهو اشارة الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم من ذلك الفخر أيضا (وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى أخرجت نبيا أى وجدت الانبياء فى آبائه فسيأتى أنه قذف بى فى صلب آدم ثم فى صلب نوح ثم فى صلب ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بدليل ما يأتى فيه وفى لفظ آخر عنه مازال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب فى أصلاب الانبياء أى المذكورين أو غيرهم حتى ولدته أمه أى وهذا كما لا يخفى لا ينافى وقوع من ليس نبيا فى آبائه فالمراد وقوع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت ضرورة أن آباءه كلهم ليسوا أنبياء لكن قال غيره لا زال نوره صلى الله عليه وسلم ينقل من ساجد الى ساجد) قال أبو حيان واستدل بذلك أى بما ذكر من الآية المذكورة أى المفسرة بما ذكر الرافضة على أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين أى لان الساجد لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسيأتى مزيد الكلام فى ذلك وهو استدلال ظاهرى والا فالآية قيل معناها وتصفحك أحوال المتهجدين من أصحابك لانه نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على أنه كان واجبا عليه وعلى أمته وهو الأصح وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان واجبا على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله صلى الله عليه وسلم طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر حالهم أى هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير أى لان الله عز وجل افترض عليه صلى الله عليه وسلم أى وعلى أمته قيام الليل أو نصفه أو أقل أو أكثر فى أول سورة المزمل ثم نسخ ذلك فى آخر السورة بما تيسر أى وكان نزول ذلك بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس

التى هى أم على بن أبى طالب رضى الله عنه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتى قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلى وقد دفع اليه ثوبا حرير اأقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ومن جداته الفواطم أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله أعلم * والسبب الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال ممن الرجل فقال من بنى هاشم قال أتاذن لى أن أنظر بعضك قال نعم مالم يكن عورة ففتح احدى منخرى فنظر  فيها ثم نظر فى الاخرى فقال أشهد ان فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك فقلت لا أدرى قال هل لك من شاعة أى زوجة من بنى زهرة قلت أما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب ابن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس أيضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما أخبره به الحبر وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة

الخمس ليلة المعراج كما سيأتى وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت أن آخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بأن الاخبار دالة على أن قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن انما أنزل بالمدينة يدل على ذلك قوله علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله لان القتال فى سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر اختيار لا ايجاب (وقيل معنى وتقلبك فى الساجدين وتقلبك فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا فى الساجدين أى المصلين ففى الساجدين ليس متعلقا بتقلبك بل بساجدا المحذوف لا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين ان من جملة آبائه صلى الله عليه وسلم آزر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا لانا نقول أجمع اهل الكتابين على أن آزر كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أما فقد حكى الله عن يعقوب عليه السلام انه قال آبائى ابراهيم واسمعيل ومعلوم أن اسمعيل انما هو عمه أى ويدل لذلك أن أبا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور اهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ فى الفتح لا آزر لكن ادعى بعضهم أنه لقب له لان آزر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان آزر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل من اخذ بظاهر الآية كالقاضى البيضاوى وغيره فقال أن أبا ابراهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل ويوافقه ما فى النهر نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آزر كان اسم ابيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطى رحمه الله يستنبط من قول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة ان المذكور فى القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار له أى فى قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه هو عمه لا أبوه الحقيقى قال فلله الحمد على ما ألهم أى ولا يخفى ان هذا لا يتم الا اذا كان أبوه الحقيقى حيا وقت التبرى منه وان التبرى سببه الموت أى موت عمه على الكفر لا الوحى بانه يموت كافرا فليتأمل وحينئذ يكون أبوه الحقيقى هو المعنى بقول أبى هريرة أحسن كلمة قالها أبو ابراهيم ان قال لما رأى ولده وقد ألقى فى النار على تلك الحال أى فى روضة خضراء وحوله النار لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم وكان سنه حين ألقى فى النار ست عشرة سنة كما فى الكشاف وفى كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما سجن ثلاث عشرة سنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألقى ذلك النور فى صلبه قال صلى الله عليه وسلم فأهبطنى الله تعالى الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقذفنى فى صلب ابراهيم عليهم الصلاة والسلام

فامر ابوها بوأدها وارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى ذلك المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة وتلد نذيرا له شان وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة * (ولما حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من خوارق العادات ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم * منها انها لم تشك لحمله ثقلا وأتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها

ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط * اقول قوله صلى الله عليه وسلم فاهبطنى ينبغى ان لا يكون معطوفا على ماقبله من قوله أن قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى الخ فيكون نوره صلى الله عليه وسلم من جملة نور قريش وانه صلى الله عليه وسلم انفرد عن نور قريش وأودع فى صلب نوح عليه السلام الخ بل على مايأتى من قوله كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام الخ اللازم لذلك أن يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره صلى الله عليه وسلم وحكمته اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء عليهم السلام لاتخفى وهى أنهم آباء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذرية نوح هود وصالح عليهما السلام ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهرون بناء على أنه شقيق موسى أو لابيه والافسيأتى أن نوره انتقل الى شيث وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام ورأيت فى كتاب التشريفات فى الخصائص والمعجزات لم أقف على اسم مؤلفه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال ياجبريل كم عمرت من السنين فقال يارسول الله لست أعلم غير أن فى الحجاب الرابع نجما يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال ياجبريل وعزة ربى جل جلاله أنا ذلك الكوكب رواه البخارى هذا كلامه فلما خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور فى ظهره أى فهو حالة كونه نورا سابق على قريش حالة كونها نورا بل سيأتى مايدل على ان نوره صلى الله عليه وسلم سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور آدم وذريته وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره صلى الله عليه وسلم وجعل نوره صلى الله عليه وسلم فى ظهر آدم عليه السلام فقد تقدم فى الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور فى ظهره أى فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الخ مايأتى ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه وكان من جملة ماأوصاه به انه يوصى من انتقل اليه ذلك النور من ولده أنه لايضع ذلك النور الذى انتقل اليه الا فى المطهرة من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الماضية الى أن وصل ذلك النور الى عبد المطلب أى وهذا السياق يدل على أن ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه فى آبائه وهو قد يخالف ماتقدم من تخصيص بعض آبائه بذلك ولم تلد حواء ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور وقيل مكث فى بطنها حتى نبتت أسنانه وكان ينظر الى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد آدم عليه السلام وكانت تلد ذكرا وأنثى معا أى فقد قيل انها ولدت لآدم أربعين ولدا فى عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال أن آدم عليه السلام لما

وتوفى أبوه وأمه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند بنى عدى بن النجار وهم اخوال أبيه عبد المطلب لان أمه منهم فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا عند اخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحرث وقيل الزبير فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا فى الغمائم دعته المنايا دعوة فاجابها * وماتركت فى الناس مثل ابن هاشم



عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره أصحابه فى التزاحم فان تك غالته المنون وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما توفى عبد الله قالت الملائكة يا الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما لا اب له فقال الله تعالى لهم أنا له حافظ ونصير وفى رواية انا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم أى ماحكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان أمه ماتت وعمره ست سنين وليعلم أن العزيز من أعزه الله وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقير واليتيم * ولما دنت ولادتها اتاها آت فى المنام فقال لها قولى اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفى السير الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التى حمل فيها وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا ومثل هذا لايقال من قبل الرأى اهـ * ومن علامات حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم انتقال النور الذى كان فى عبد الله اليها * وعن كعب الاحبار ان فى صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام الدنيا منكوسة ووقع له أيضا عند ولادته صلى الله عليه وسلم * وروى الحاكم باسناد صحيح ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يارسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى

مات

أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كانه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من أرض الشام وصح أيضا انها رأت ذلك عند الولادة وقيل ان الذي عند الحمل كان مناما والذي عند الولادة كان يقظة وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب في تلك السنة واذن الله تلك السنة النساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولد صلى الله عليه وسلم مختونا أي على صورة المختون مكحولا نظيفا ما به قذر ولبعضهم (٣٧) وفي الرسل مختون لعمرك خلقة

ثمان وتسع طيبون أكارم

وهم زكريا شيث ادريس يوسف

وحنظلة عيسى وموسى وآدم

ونوح شعيب سام لوط وصالح

سليمان يحيى هود يس خاتم

وقيل ختنه جده وقد يجمع بانه تمم ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها وفي رواية عن أمه أنها قالت فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل وفي رواية شاخصا ببصره الى السماء وفي رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الغلام ليغلبن هذا المولود أهل الأرض أي لأنه قبض

مات بكى عليه من ولده وولد ولده أربعون الفا ولم يحفظ من نسل آدم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته أي فانهم لم يعقبوا أصلا فهو أبو البشر وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي اخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره الحديث وفيه انه أصل لكل موجود والله سبحانه وتعالى أعلم

* واختلف الناس في عد طبقات انساب العرب وترتيبها والذي في الأصل عن الزبير بن بكار انها ست طبقات وان أولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقي في قوله

للعرب العربا طباق عدة * فصلها الزبير وهي ستة

اعم ذاك الشعب فالقبيلة * عمارة بطن فخذ فصيلة

أي فالشعب أصل القبائل والقبيلة أصل العمارة والعمارة أصل البطون والبطن أصل الفخذ والفخذ أصل الفصيلة فيقال مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته صلى الله عليه وسلم وقريش عمارته صلى الله عليه وسلم وقصي بطنه صلى الله عليه وسلم وهاشم فخذه صلى الله عليه وسلم وبنو العباس فصيلته صلى الله عليه وسلم وقيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء وقيل بعدها الفصيلة قال ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها وقد ذكرها محمد بن سعد اثني عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة وفي كلام بعضهم الاسباط بطون بني اسرائيل والشعب في لسان العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والأوراق والقبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتأمل

﴿ باب تزويج عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك ﴾

(قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان أحسن رجل في قريش خلقا وخلقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه) وفي رواية انه كان أحسن رجل رئاء بكسر الراء وبضمها ثم همزة مفتوحة منظرا في قريش (وفي رواية انه كان أكمل بني أبيه واحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش وقد هدى الله تعالى والده فسماه باحب الأسماء الى الله تعالى ففي الحديث أحب الأسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك لأن أباه عبد المطلب حين أمر في النوم بحفر زمزم بئر اسمعيل عليه السلام أي لأن الله تعالى أخرج زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل كما يأتي ان شاء الله تعالى في بناء الكعبة أخرج زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل عليهم الصلاة والسلام (وكانت جرهم قد دفنتها أي فان جرهما

عليها وصارت في يده * وروى ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضي الله عنه في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك وأنت لما ولدت أشرقت الـ ـارض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النو * ر وسبل الرشاد نستبق * وقال البوصيري في الهمزية وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء * قال في المواهب وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من

النور الذى اهتدى به أهل الأرض زالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم *روى السهيلى انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع وروى أيضا أنه قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وعن عثمان بن أبى العاص عن أمه رضى الله عنها أنها قالت أشهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فلم أنظر من البيت إلا نورا وإنى لأنظر الى النجوم تدنو حتى انى لأقول ليقعن على وقولها ليلا (٣٨) أى قرب الفجر جمعا بين الروايات قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التى ولد فيها فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل المراد الاسراء * وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنها قالت لما ولدته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير بقول البوصيرى فى الهمزية شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء قال بعضهم لعله عطس لحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذى فيه أنه قال حين خروجه الحمد لله كثيرا * وعن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها قالت لما أخذنى ما يأخذ النساء أى عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها وأخذنى المخاض واشتد على الطلق وكان واحدة منهن تقدمت الى وناولتنى شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لى اشربى فشربت ثم قالت الثانية ازدادى فازددت ثم مسحت بيدها على بطنى وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لى أى تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وام عثمان عندها ولعل الحكمة فى شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم فى الجنة مع كلثم أخت موسى عليه السلام وقد جىء بهؤلاء النسوة أن يطأهن أحد فقد روى ان آسية لما زفت الى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضى عنها بالنظر

لما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكى ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا فلما رأى ذلك منهم عمد الى غزالتين من ذهب كانتا فى الكعبة وما وجد فيها من الاموال أى السيوف والدروع على ماسيأتى التى كانت تهدى الى الكعبة ودفنها فى بئر زمزم (وفى مرآة الزمان ان هاتين الغزالتين احداهما الكعبة وكذا السيوف ساسان أول ملوك الفرس الثانية وورد بان الفرس لم يحكموا على البيت ولا حجوه هذا كلامه وفيه أن هذا لا ينافى ذلك فليتأمل (وكانت بئر زمزم نضب ماؤها أى ذهب لحفرها مضاض بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها ذلك أى ودفن الحجر الأسود أيضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله تعالى عليهم خزاعة فاخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لا زالت زمزم مطمومة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصى ومن بعده الى زمن عبد المطلب ورؤياه التى أمر فيها بحفرها قيل وتلك المدة خمسمائة سنة) أى وكان قصى احتفر بئرا فى الدار التى سكنتها أم هانىء أخت على رضى الله تعالى عنهما وهى أول سقاية احتفرت بمكة (فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى وقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب وتركنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقى الحجيج الأعظم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف أى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها (وفيه أنه ذكر أنه وقع فيها عبد حبشى فمات بها وانتفخ فنزحت من اجله ووجدوا قعرها فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها التى من ناحية الحجر الأسود (وقوله ولا تذم بالذال المعجمة أى لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة أى قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها أحد (لان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك ذمها وسماها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء منه وهو الذى كان يعلن ويفصح بلعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه على المنبر فلا عبرة بذمه (وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم وقيل لها برة لأنها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق (وقد جاء فى رواية يقول الله تعالى ضننت بها على الناس الا عليك ولعل المراد الاعلى اتباعك فيكون بمعنى ماقبله وفى رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال لهم انى قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هى قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فان يكن حقا من الله تعالى بين لك وان يكن من الشيطان

اليها قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عاداتهم اذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه وفي رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب أي يسيل لبنا * ولما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت يا أبا الحرث ولدك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال ليس بشرا  سويا فقالت بلى ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فاخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه لخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة وقع بعدن * وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها مما سيقع في الأرض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمي بشهاب وازداد ذلك عند المبعث * وقد أخبرت الأحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال أني لغلام يفعة أي غلام مرتفع ابن سبع أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودي بيثرب ذات غداة على أطمة أي محل مرتفع يامعشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة * وعن كعب الأحبار قال رأيت في التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أي من بطن امه وموسى

الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتاه فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من أبيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب أين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا أي والاعصم قيل أحمر المنقار والرجلين وقيل أبيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم ابيض الجناحين وقيل ابيض احدى الرجلين فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها أي التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جاء في رواية انه لما قام يحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز أن يكون فهم أن يكون الفرث والدم موجودين بالفعل فلا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه في ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في محلهما فارسل الله تلك البقرة ليرى الأمر عيانا وذكر السهيلي رحمه الله ان هذه العلامات الثلاث حكمة لا بأس بها ولعل اسافا ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد أن نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا يخالف ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما أي ومن ثم لما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف أي السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان شعارنا في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد موضع زمزم فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب أعصم فوقع في الفرث فيتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية الأولى فندت بقرة من ذابحها أي ممن شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها أي تمم ذبحها فقد نحرت بالحزورة وبالمسجد أو يراد بنحرها في الحزورة ذبحها وبنحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد رأينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى موضع آخر ثم يقع به وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا له والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحرث ذد عني أي امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما رأوه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي أي البناء فكبر وقال هذا طي اسمعيل عليه السلام أي بناؤه فعرفت قريش أنه أصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا والله يا عبد

أخبر قومه أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وصار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل وعن عائشة رضي الله عنها ترويه عمن كان موجوداً وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه فقال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات أي متتابعات (٤٠) كانهن عرف فرس أي وتلك العلامة هي خاتم النبوة أي علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودي فاخبروه الخبر أي قالوا له اعلمت ولد فينا مولود افقال اذهبوا معي حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشياً عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل افرحتم به يامعشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب * وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال يامعشر قريش قد ولد نبي هذه الأمة هذه الليلة في بحر تكم أي ناحيتكم هذه وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبراً حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي والتوراة وكان عمر الظهران راهب من أهل الشام يدعى عيص وكان قد آتاه الله علماً كثيراً وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيأتي الناس ويقول يوشك أي يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أي تذل وتخضع ويملك العجم أي أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أي أدرك بعثته واتبعه أصاب حاجته أي ما يؤمله

المطلب انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فقال ما أنا بفاعل ان هذا الأمر قد خصصت به دونكم فقالوا انخاصمك فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت باعالي الشام أي ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طابت شقا وسطيحا وتفلت في فمها وذكرت أن سطيحا يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح ستأتي ترجمته وأما شق فقيل له ذلك لأنه كان شق انسان يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما بين الحجاز والشام مفازات لا ماء بها فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه وماء أصحابه فظمؤا ظمأ شديدا حتى أيقنوا بالهلكة فاستقوا ممن معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب لأصحابه ماترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فقال اني أرى أن يحفر كل أحد منكم حفيرة يكون فيها الى ان يموت فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أي تركه بلا موارأة أيسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما أمرت به فحفر كل حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لأصحابه والله ان لقاءنا بأيدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب في الأرض فعسى الله أن يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ماهم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة فلما جاء وأخذ في الحفر وجد فيها الغزالتين من الذهب الذي دفنتهما جرهم ووجد فيها أسيافا وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم اعطوها لصاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل أي وجعلوا الغزالتين قسما والأسياف والأدراع قسما آخر وقام عبد المطلب يدعو ربه بشعر مذكور في الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالتين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليت به الكعبة ذلك * ومن ثم جاء عن ابن عباس رضي

من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد مولود بمكة الا ويسئل عنه فيقول ما جاء بعد أى الآن فلما كان صبيحة اليوم
أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا
فقال انا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضا أنه وجع
فيشتكى أى لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ماقلته لأحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما
يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها وذلك (٤١) جل أعمال أمته وتنكست الاصنام
عند ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم أنها تنكست أيضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت فى الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الأصنام ويأمر بعبادة الملك العلام وفى السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثلاثة فقالوا ان هذا الأمر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن
سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أى مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب قال فى الهمزية وتوالت بشرى الهواتف ان قد
* ولد المصطفى وحق الهناء وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن
وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وارتجس أى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان وكان
مبنيا بناء فى غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤوس وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربعة عشر شرافة وليس ذلك لخلل فى بنائه

رضى الله عنهما والله ان أول من جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب * وفى شفاء الغرام أن عبد المطلب علق الغزالتين فى الكعبة فكان أول من علق المعاليق بالكعبة وسيأتى الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حليا لباب الكعبة وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضى الله تعالى عنه لما فتحت مدائن كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك ابن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صحفة خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المأمون ياقوتة كانت تعلق كل سنة فى وجه الكعبة فى زمن الموسم فى سلسلة من ذهب ولما أسلم بعض الملوك فى زمنه أرسل اليها بصنمه الذى كان يعبده وكان من ذهب متوجا ومكللا بالجواهر والياقوت الأحمر والاخضر والزبرجد فجعل فى خزانة الكعبة ثم أن الغزالتين سرقتا وأبيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر وغيرها فاشتروا بثمنهما خمرا وقد ذكر أن أبا لهب مع جماعة نفذت خمرهم فى بعض الأيام واقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا بها خمرا وطلبتها قريش وكان أشدهم طلبا لها عبد الله بن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب أبو لهب هرب الى اخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لأبى لهب سارق غزالة الكعبة وقد قيل منافع الخمر المذكورة انهم كانوا يتغالون فيها إذا جلبوها من النواحى لكثرة ما يربحون فيها لأنه كان المشترى إذا ترك المماكسة فى شرائها عدوه فضيلة له ومكرمة فكانت أرباحهم تكثر بسبب ذلك وماقيل فى منافعها انها تقوى الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلى المحزون وتشجع الجبان وتصفى اللون وتنعش الحرارة الغريزية وتزيد فى الهمة والاستعلاء فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع وصارت ضررا صرفا فينشأ عنها الصداع والرعشة فى الدنيا لشاربها وفى الآخرة يسقى عصارة أهل النار وفى كلام بعضهم من لازم شربها حصل له خلل فى جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر فى الفم وضعف البصر والعصب وموت الفجأة ومميتة للقلب ومسخطة للرب ومن ثم جاء انها أى الخمرة ليست بدواء ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر أى كان مغلقا وجاء الخمر أم الفواحش وفى رواية أم الخبائث وجاء فى الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى الله من استشفى بها وقد قيل لامنافاة بين كون الغزالتين عاقتا فى الكعبة وسرقتا أو سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حليا للباب لانه يجوز ان يكون عبد المطلب استخلص الغزالتين أو الغزالة من التجار ثم جعلهما حليا للباب بعد ان كان علقهما وفى الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من آبار حفرت بمكة واول من حفر بها بئر اقصى كما تقدم وكان الماء العذب بمكة قليلا (ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا فيصلحه نهارا حين

وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الأرض يروى أن الرشيد أراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيى ابن خالد البرمكي يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضا والى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء (٤٢) وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسرى قد رأى ماهاله وافزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فلما اصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الأمر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر هذا الأمر عن مرازبته أي فرسانه وسجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال اتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب إيليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي سماوة انقطع تلك الليلة ويكون

وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان وأنا اصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الليل فقال أي شيء هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني

---

يصبح فلما أكثروا من ذلك وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضبا شديدا فأرى في المنام أن قل اللهم اني لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل أي حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادى بذلك فلم يكن يفسد حوضه أحد واغتسل الا رمي في جسده بداء ثم أن عبد المطلب لما قال لولده الحرث ذدعني أي امنع عني حتى احفر وعلم انه لا قدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى عليه ليذبحن أحدهم عند الكعبة أي وقيل ان سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف أبا المطعم قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك أي متعدد بل لك ولد واحد ولا مال لك وما أنت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب أتقول هذا وانما كان نوفل أبوك في حجر هاشم أي لأن هاشما كان خلف على أم نوفل وهو صغير فقال له عدي وأنت أيضا قد كنت في يثرب عند غير ابيك كنت عند أخوالك من بني النجار حتى ردك عمك المطلب فقال له عبد المطلب أو بالقلة تعيرني فلله على النذر لئن آتاني الله عشرة من الأولاد الذكور لانحرن أحدهم عند الكعبة وفي لفظ أن أجعل أحدهم لله نحيرة أي قيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم فعن معاوية رضي الله عنه ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر أن سهل الله الأمر بها أن ينحر بعض ولده فلما صاروا عشرة أي وحفر زمزم أمر في النوم بالوفاء بنذره أي قيل له قرب أحد أولادك أي بعد أن نسي ذلك وقد قيل له قبل ذلك اوف بنذرك فذبح كبشا واطعمه الفقراء ثم قيل له في النوم قرب ماهو أكبر من ذلك فذبح ثورا ثم قيل له في النوم قرب ماهو أكبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له في النوم قرب ماهو أكبر من ذلك فقام فقال وما هو أكبر من ذلك فقيل له قرب أحد أولادك الذي نذرت ذبحه فضرب القداح على أولاده بعد أن جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء وأطاعوه ويقال ان أول من أطاعه عبد الله وكتب اسم كل واحد على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل وضرب بتلك القداح فخرجت على عبد الله أي وكان أصغر ولده وأحبهم اليه مع ما تقدم من اوصافه فاخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على أساف ونائلة والقاه على الأرض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله الى أن مات كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها فعنه رضي الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لي قبل أخاك فقبلته وقيل منعه أخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة امه وقالوا له ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة وفي رواية واعظمت قريش ذلك أي وقامت سادة قريش من انديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا له والله لا تفعل حتى تستفتي فيه فلانة الكاهنة أي لعلك تعذر فيه الى ربك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه أي

وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليسألنى الملك بما أحب فان كان عندى علم منه أعلمته والا أخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذى وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام أى اعاليها وهى الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فاته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتنى بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح أى الموت وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسداً ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفى كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفى لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا أريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذى يمحض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلىء ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ يقول عبد المسيح الابيات المشهورة التى أولها

* أصم أم يسمع غطريف اليمن *

فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أى سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذ ان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم مات سطيح من ساعته * وذكر الطبرى ان ابرويز بن هرمز جاءه جاء فى المنام فقيل له سلم ما فى يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا حتى كتب له النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة وعند موت سطيح نهض

---

ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك من النذر وقال له بعض عظماء قريش لا تفعل ان كان فداؤه بأموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت بخيبر فأتها فاسألها فان امرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته فاتاها أى مع بعض قومه وفيهم جماعة من أخوال عبد الله بن مخزوم فسألها وقص عليها القصة فقالت ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فاسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج عشرة من الابل وتقدح وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها فضرب على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة عشرة حتى بلغت مائة فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضره قد انتهى رضى ربك فقال عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات أى ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها احد اى من آدمى ووحش وطير قال الزهرى فكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل أى بعد ان كانت عشرة كما تقدم وقيل أول من سن ذلك ابو يسار العدوانى وقيل عامر بن الظرب فجرت فى قريش اى وعلى ذلك فاولية عبد المطلب اضافية ثم فشت فى العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله اخوه أى وأما ما قيل ان القدح بعد المائة خرج على عبد الله أيضا ولا زال يخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن ابن عباس رضى الله عنهما سالته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الابل أخذا من هذه القصة ثم سألت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن ذلك فلم يفتها بشىء فبلغ مروان بن الحكم وكان أميرا على المدينة فامر المرأة ان تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا نظر باطل عند نا معاشر الشافعية فلا يلزمها به شىء وعند أبى حنيفة ومحمد يلزمها ذبح شاة فى أيام النحر فى الحرم أخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال القاضى البيضاوى وليس فيه ما يدل عليه وفى الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين أى عبد الله واسمعيل وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال معاوية على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى أى يشكو جدب أرضه فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحين ياأمير المؤمنين قال عبد الله واسمعيل قال الحافظ السيوطى هذا حديث غريب وفى اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما أحب ابراهيم ولده اسمعيل بطبع البشرية أى لا سيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد أجرى الله العادة البشرية أن بكر الاولاد أحب الى الوالدين وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره أمره الله

عبد المسيح الى رحله وهو يقول أبياتا منها    شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير    والخير والشر مقرونان فى قرن * والخير متبع والشر محذور  فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى ان يملك منا أربعة عشر ما كا كانت أمور وأمور فملك منهم بعضهم فى خلافة عمر رضى الله عنه وملك الباقون فى خلافة عثمان رضى الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بنى تميم فروا منه



ومن جيشه وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فاخذ وجيء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ما كنا سيصير اليهم على يد نبي يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها ويعظمونك بها فى دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وعن العباس رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله دعاني الى الدخول فى دينك اشارة أى علامة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر أى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما أشرت اليه مال قال كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته أى سقطته حين يسجد تحت العرش وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وتقدم ان امه رأت من يقول لها فسميه اذا ولدتيه محمدا    اى

وعن أبي جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال أمرت أمه آمنة فى المنام وهى حامل برسول صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد ولا مانع من رؤية الامرين فاخبرت جده فسماه وقيل ألهم ذلك أيضا ولا مانع منهما ولما سماه بمحمد قيل له ما حملك على ان تسميه بمحمد وليس اسماء آبائك ولا قومك فقال لى رجوت ان يحمد فى السماء والارض وقد حقق الله رجاءه (فائدة) جرت العادة ان الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك

بذبحه ليخلص سره من حب غيره بابلغ الاسباب الذى هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضى توحد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق فى الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدى هذا وجاء مما يدل على ان الذبيح اسحق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى النسب أشرف وفى رواية من أكرم الناس فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله عليهم السلام كذا روى قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وما زاد على ذلك من الراوى * وما ذكر أن يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين أخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذ ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فربطت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت اتسلى به وانك حبسته وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت ففى كلام القاضى البيضاوى وما روى ان يعقوب كتب ليوسف من يعقوب بن اسحق ذبيح الله لم يثبت أى ولعله لم يثبت أيضا وما فى أنس الجليل ان موسى لما أراد مفارقة شعيب وذهابه الى وطنه بمملكة فرعون بسط شعيب يديه وقال يارب ابراهيم الخليل واسمعيل الصفى واسحق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد على قوتى وبصرى فامن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته وذكر أن يعقوب رأى ملك الموت فى منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى وعلمه ما يدعو به وهو ياذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيره فرج عنى * وذكر ان سبب ذبح اسحق أى على القول بانه الذبيح ان الخليل قال لسارة ان جاءنى منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحاق وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة أو أربع عشر سنة واسحاق اسمه بالعبرانية الضحاك وجاء فى حديث رواية ضعيف الذبيح اسحق وان داود سأل ربه فقال أى ربى اجعلنى مثل آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب فاوحى الله اليه انى ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب أى بفقده ولده يوسف فصبر الحديث وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده أى لما صبر الاب على ما أمر به وسلم الولد لامر الله تعالى جعلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة قال الحافظ السيوطى وجزم بهذا القول عياض فى الشفاء والبيهقى فى التعريف والاعلام وكنت ملت اليه فى علم التفسير وأنا الآن متوقف عن ذلك

كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم قال الحلبي في السيرة فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم   قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب   فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووي ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف  واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين قال السخاوي ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزي من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل وألف له الحافظ ابن دحية تأليفا سماه التنوير في مولد البشير النذير فاجازه الملك المظفر بالف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته في الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد فذكر انه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السنة وهو ما في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد

أي كون اسحق هو الذبيح هذا كلامه (وقد تنبأ كل من اسمعيل واسحق ويعقوب في حياة ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فبعث الله اسمعيل لجرهم واسحق الى أرض الشام ويعقوب الى أرض كنعان) ولا ينافي ذلك أي كون اسحق هو الذبيح تبسمه صلى الله عليه وسلم من قول القائل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمي العم أبا * وفي الهدى اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأما القول بانه اسحق فردود باكثر من عشرين وجها ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم الذي هو التوراة فان فيه ان الله امر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك اسحق أي ومن ثم ذكر المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم للفضل الذي ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم ولي رسالة في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح رجحت فيها القول بان الذبيح اسمعيل جوابا عن سؤال رفعه الى بعض الفضلاء وعلى ان الذبيح اسمعيل فمحل الذبح بمنى وعلى انه اسحق فمحله معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس (وفي كلام ابن القيم تاكيد كون الذبيح اسمعيل لا اسحق ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة واستشكل كون أولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بان حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله) هذا كلامه وأجيب عن الأول بانه يجوز أن يكون له حينئذ أي عند ارادة الذبح ولد أو ولد أي فقد ذكر أن لولده الحرث ولدين أبو سفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا وذكر بعضهم أن أعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثني عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وكلاهما أصغر من عبد الله على ما تقدم من أن عبد الله كان أصغر بني أبيه وقت الذبح لانه يجوز ان يكون المراد انه كان أصغرهم حين أراد ذبحه أي لا بقيد كونهم عشرة أو بذلك القيد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر (وكان عبد الله كما تقدم أحسن فتى يرى في قريش وأجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري أي المضيء المنسوب الى الدر حتى شغفت به نساء قريش ولقي منهن عناء ولينظر ما هذا العناء الذي لقيه منهن * قيل أنه لما تزوج آمنة لم تبق امرأة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت أي اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت

اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكراً فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وانه يخرج له من بين أصبعيه ماء يشربه كما أخبر بذلك العباس فى منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافر جاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
الى انه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا



باب في ذكر شيء من الخوارق التى ظهرت في زمان رضاعه صلى الله عليه وسلم

أول من ارضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة الاسلمية مولاة أبى لهب التى اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم *واختلفوا فى انها ادركت البعثة وأسلمت أم لا وكان من عادة العرب إذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وأفصح له فجاء نسوة من بنى سعد إلى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة اخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما اجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبي تعنى زوجها والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذلبن إلى ذلك فلآخذنه فقال لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته وفي رواية قالت فاستقبلنى عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بنى سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد ياحليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فابين أن يقبلن وقلنا ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك ان ترضعيه فعسى أن تسعدى به فقلت ألا تذرنى حتى اشاور صاحبى قال بلى فانصرفت إلى صاحبى فاخبرته فكان الله قذف فى قلبه فرحا

وهب بن عبدمناف بن زُهرة بضم الزاى واسكان الهاء وأما الزهرة التى هى النجم فبضم الزاى وفتح الهاء والزهرة فى الاصل هى البياض أى وأم وهب اسمها قيلة بنت أبى كبشة أى وكان عُمْر عبدالله حينئذ نحو ثمان عشرة سنة () فمر على امرأة من بنى أسد بن عبدالعزى أى يقال لها قتيلة وقيل رقية وهى اخت ورقة بن نوفل وهى عند الكعبة وكانت تسمع من أخيها ورقة انه كائن فى هذه الامة نبى أى وأن من دلائله أن يكون نورا فى وجه ابيه أو انها ألهمت ذلك فقالت لعبدالله أى وقد رأت نور النبوة فى غرته () أين تذهب ياعبد الله قال مع أبى قالت لك مثل الابل التى نُحِرت عنك وقع على الآن قال أنا مع أبى ولا استطيع خلافه ولا فراقه وأنشد

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه فكيف بالامر الذى تبغينه

قال ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما فى تذكرة الصلاح الصفدى

لقد حكم البادون فى كل بلدة بان لنا فضلا على سادة الارض
وان أبى ذو المجد والسؤدد الذى يُشار به ما بين نشز إلى خفض

أى ارتفاع وانخفاض* وعن أبى يزيد المدينى ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبدالله ليزوجه فمر به على امرأة كاهنة من أهل تبالة بضم التاء المثناة فوق بلدة باليمن قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة فى وجه عبدالله فقالت له يافتى هل لك ان تقع على الآن وأعطيك مائة من الابل فقال عبدالله ما تقدم اه * أقول قال الكلبى كانت أى تلك الكاهنة من أجمل النساء واعفهن فدعته إلى نكاحها فأبى ولا منافاة لانه جاز ان تكون ارادت بقولها وقع على الآن أى بعد النكاح وفهم عبدالله انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا بناء على اتحاد الواقعة وان المرأة فى هاتين الوقعتين واحدة وانه اختلف فى اسمها وانه مر على تلك المرأة فى ذهابه مع أبيه ليزوجه آمنة ويدل لذلك فاتى المرأة التى عرضت عليه ماعرضت وظاهر سياق المواهب يقتضى انهما قضيتان وان الاولى عند انصرافه مع أبيه ليزوجه آمنة وقوله وقد قرأت الكتب أى فجاز انها رأت فى تلك الكتب ان النبى صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا فى وجه أبيه وانه يكون من أولاد عبدالمطلب أو انها ألهمت ذلك فطمعت أن يكون ذلك النبى منها ويؤيد الثانى ماسيأتى عنها والله أعلم (فاتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهيب بن عبدمناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وكانت فى حجره لموت أبيها وهب بن عبدمناف وقيل أتى عبد المطلب إلى وهب ابن عبدمناف فزوجه ابنته آمنة وقدم هذا فى الاستيعاب (فزوجها لعبدالله وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين املك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى

الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها * قيل وقع عليها يوم الاثنين في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى * أقول فيه انه سيأتي في فتح مكة أنه نزل بالحجون بفتح الحاء المهملة عند شعب أبي طالب بالمكان الذي حصرت فيه بنو هاشم و بنو المطلب ويمكن أن يقال ذلك الشعب الذي كان في الحجون كان محلا لسكن أبي طالب في غير أيام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة الوسطى كان ينزل فيه أبو طالب أيام منى فلا مخالفة والله أعلم ثم أقام عندها ثلاثة أيام وكانت تلك السنة عندهم إذا دخل الرجل على امرأته أي عند أهلها أي فهي وأهلها كانوا بشعب أبي طالب ثم خرج من عندها فاتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالأمس فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة * قال وفي رواية أنه لما مر عليها بعد أن وقع على آمنة قال مالك لا تعرضين علي ما عرضت بالأمس قالت من أنت قال أنا فلان قالت لما أنت هو لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن ماصنعت بعدي فاخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكن رأيت في وجهك نورا فاردت أن يكون في وابى الله الا أن يجعله حيث أراد اذهب فاخبرها انها حملت بخير أهل الأرض اه * أقول وفي رواية ان المرأة التي عرضت نفسها عليه هي ليلة العدوية وان عبد الله كان في بناء له وعليه الطين والغبار وانه قال حتى أغسل ما علي وارجع اليك وانه رجع اليها بعد أن وقع على آمنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به * أي وفي سيرة ابن هشام مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت على آمنة فذهبت بها ولئن كنت أي وحيث كنت المممت بآمنة لتلدن ملكا ولا يخفى ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على أن هذه المرأة كان عندها علم بان عبد الله تزوج آمنة وانه يريد الدخول بها وانها علمت انه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذي دعاها الى بذل القدر الكثير من الابل في مقابلة هذا الشئ على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما في الوفاء من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فاقبل اليها الحديث والله أعلم * وعن الكلبي أنه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم أي من قبل أمه وأبيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح الزنا أي فان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد () ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية أي من نكاح الام أي زوجة الاب لأنه كان في الجاهلية يباح اذا مات الرجل ان يخلفه على زوجته اكبر اولاده من غيرها وفي كلام بعضهم كان أقبح ما يصنعه أهل الجاهلية الجمع بين الأختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذي يزاحم أباه في امرأته ويقال له نكاح المقت وهو العقد على الرابة وهي امرأة الأب والراب زوج الام وما قيل ان هذا أي نكاح امرأة الأب وقع في نسبه صلى الله عليه

وسرورا فقال لي يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخذني وأدخلني بيت آمنة فقالت لي أهلا وسهلا وأدخلتني البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقد عليها على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فاشفقت أي خفت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وحملته وما حملني على أخذه أي في ابتداء الأمر الا أني لم أجد غيره والا فاذكرته من أوصافه مقتض لأخذه وفي شرح الزرقاني على المواهب انها لما دخلت عليه صلى الله عليه وسلم سمع جدها تقول

اذا ابن آمنة الامين محمدا
خير الأنام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع
نعم الأمينة هي على الأبرار
مأمونة من كل عيب فاحش
ونقية الأثواب والاوزار
لا تسلمنه الى سواها انه
أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة ثم أعطيته ثديي الأيمن فاقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الى الأيسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم ألهمه الله أن له شريكا فعدل وفي رواية أن أحد ثديي حليمة كان لا يدر اللبن فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب أخوه معه حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أي لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجي الى شارفنا فاذا هي حافل أي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين أصبحنا والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة فقلت والله اني لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته معي عليها فوالله انها قطعت بالركب ما يقدر على مرافقتها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليست هذه أتانك التي كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فاقول لهن بلى والله انها هي فيقلن والله ان لها لشأنا قالت حليمة وكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل ترين من

على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره فى السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة رات تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بنى سعد ولا أعلم أرضا من أراضى الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا شباعا لبنا أى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفى رواية تحلب ماشاء الله وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان المقيم فى المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب يعنونى فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أى غليظا شديدا وعن حليمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبو الى كل جانب وفى ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفى أربعة كان يمسك الجدار ويمشى وفى خمسة حصلت له القدرة على المشى فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمى بالسهام مع الصبيان وعن حليمة أيضا رضى الله عنها قالت انه فى حجرى إذ مرت بنا غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت رضى الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلى عنه والى قصة ارضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول

وبدت فى رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الأجـر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

---

وسلم لان خزيمة أحد آبائه صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على زوجته أكبر أولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لأن الذى خلف عليها كنانة بعد موت أبيه ماتت ولم تلد منه ومنشأ الغلط أنه تزوج بعدها بنت أخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر وبهذا يعلم أن قول الامام السهيلى نكاح زوجة الاب كان مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم التى ابتدعوها لانه أمر كان فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة وهى برة بنت مر فولدت له النضر بن كنانة وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها أى واقدة لم تلد جده صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن فى أجداده صلى الله عليه وسلم من كان من بغية ولا من سفاح ألا ترى انه لم يقل فى شىء نهى عنه فى القرآن أى مما لم يبح لهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل إلا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا فى شىء من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من كان قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل وأختها اليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه فلا التفات اليه ولا معول عليه على أن قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضى البيضاوى ان يعقوب عليه السلام انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل * وفى أسباب النزول للواحدى ان فى البخارى عن أسباط قال المفسرون كان أهل المدينة فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المرأة وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء أن يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذى أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئا وان شاء عضلها وضارها لتفتدى منه فمات بعض الانصار فجاء ولده من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتفتدى منه فاتت تلك المرأة وشكت حالها للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى الآية ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية * وقيل توفى أبو قيس فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى أعدك ولدا ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فأتته فأخبرته فانزل الله تعالى الآية * وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال لقيت خالى يعنى أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه ومعه الراية فقلت أين تريد قال أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه أن اضرب عنقه زاد فى رواية احمد وآخذ ماله * وذكر بعضهم ان فى الجاهلية كان إذا أراد الشخص أن يتزوج

يقول خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول * ومن نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم أى مع استقباحهم له كما تقدم * وذكر بعضهم ان قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين أى ثم حرم ذلك بنزولها قال وقد افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجداته أى تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه على شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال أنا ابن العواتك والفواطم * فعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجرى فرسه مع أبى أيوب الانصارى فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعنى فرسه * وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته أى فى غزوة حنين وفى غزوة أحد أنا النبى لا كذب * انا ابن عبد المطلب * انا ابن العواتك * وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة فى الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة وعن بعض الطالبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم احد انا ابن الفواطم أى ولا ينافيه ماسبق انه قال فى ذلك اليوم أنا ابن العواتك لانه يجوز أن يكون قال كلا من الكلمتين فى ذلك اليوم * واختلف الناس فى عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم اربع عشرة وقيل احدى عشرة أى أولهن أم لؤى بن غالب واللواتى من بنى سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبى ام وهب أى وقيل اراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بنى سليم أبكارا أرضعنه كما سيأتى فى قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة * قال وعن سعد ان الفواطم من جداته عشرة اه * اقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم أقف على من اسمه فاطمة من جداته من جهة أبيه الا على اثنتين فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصى الا أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التى فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة وأسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التى هى ام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وفاطمة امها وهؤلاء الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتى قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلى وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسمه بين الفواطم الثلاثة فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت اسد ثم رأيت بعضهم عد فيهن أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله ابن رزام وامها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله أعلم * وعن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت من نكاح غير سفاح أى زنا فقد تقدم أن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم تزوجها ان أراد فكانت العرب تستحل الزنا الا أن الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض افراد منهم حرمه على نفسه فى الجاهلية * أى وفى حديث غريب خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وتكلم بهذا أيضا عند خروجه من بطن امه كما تقدم وفى رواية أول كلام تكلم به فى بعض الليالى وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة رضى الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى أن أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع  الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا إذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة رضى الله عنها فقدمنا مكة على أمه أى بعد أن بلغ سنتين ونحن أحرص شىء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلت لها لو تركت ابنى عندى حتى يغلظ وفى رواية قلنا نرجع به هذه السنة الاخرى فانى اخشى عليه وباء مكة أى مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضى الله عنها قالت لحليمة رضى الله عنها ارجعى بابنى على الفور فانى اخاف عليه وباء مكة أى كما تخافين أنت أيضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه تعنى من الرضاع لفى بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتى أخوه يشتد أى يعدوا فقال لى ولأبيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان



عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أى يدخلان يديهما فى بطنه قالت فخرجت انا وأبوه نحوه فوجدناه قائما مستنقعا وجهه أى متغيرا لما ناله من الملائكة لا من الشق لانه بغير ألم قال فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يابنى قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدرانى فاخذانى فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدرى ماهو قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا وقال لى ابوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد اصيب يعنى بشىء من الجن فالحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك به واخرجى من امانتك وفى رواية قالت قال زوجى أدى ان ترديه

على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسداً من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن أربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان حليمة رضى الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يا أماه مالى لا أرى اخوتى بالنهار يعنى اخوته من الرضاع وهم اخوه عبد الله وأختاه انية والشيماء أولاد الحرث قالت فدتك نفسى انهم يرعون غنما النافير وحون من ليل الى ليل قال ابعثينى معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار وأتانى أخوه وفى رواية ابنى ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادى يا أمه ويا أبت الحقا أخى محمداً فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدرى ما فعل به قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا شديداً فاذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسى ما الذى دهاك قال خير يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفى يد الآخر طست من زمردة خضراء فأخذونى وانطلقوا بى الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فأضجعنى الى الارض ثم شق من صدرى الى عانتى وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الى آخر القصة) وفى رواية انها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته فى أعالى مكة فقالت انى قدمت بمحمد فى هذه الليلة فلما كنت فى أعالى مكة أضلنى فوالله ما أدرى أين هو فقام عبد المطلب يدعو الله أن يرده عليه وأنشد يارب رد ولدى محمدا * أردده ربى واصطنع عندى يدا فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا أن لمحمد ربا لن يخذله ولن يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادى تهامة عند الشطرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة ابن نوفل فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب غصنا من أغصانها فقال له جده من أنت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد

سفاح الجاهلية شىء ماولدنى الا نكاح الاسلام* قال وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة اهـ* أقول والبغايا كن فى الجاهلية ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون به شبهه فالتاط أى يعلق والتحق به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك والله أعلم * قال وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلها نكاح وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كنكاح الاسلام أى يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها ثم يعقد عليها اهـ* وعن الامام السبكى الانكحة التى فى نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم كلها مستجمعة شروط الصحة كانكحة الاسلام ولم يقع فى نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم الا نكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة* قال بعضهم وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم أن أجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه من آدم الى أن أخرجه من بين أبويه على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع فى الجاهلية) اذا أراد الرجل أن يتزوج قال خطب وتقول أهل الزوجة نكح كما تقدم ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول (والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل التسرى بناء على أن أم اسمعيل كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسمعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كما فى البخارى أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة انحاء نكاح كنكاح الناس اليوم أى بايجاب وقبول شرعيين دون أن يقول الزوج خطب ويقول أهل الزوجة نكح وحينئذ يزيد على ذلك النكاح الذى كان يقال فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع أى ومن انكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب لاكبر أولاده والجمع بين الاختين على ما تقدم (وحينئذ يكون المراد ليس فى نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلى ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو أن يطأ البغى جماعة متفرقين واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك أن المرأة كانت فى الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلى الى فلان استبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب وليس فيه نكاح الجمع وهو أن تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد ان تضع حملها

المطاب قال وأنا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي إلى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم أهل مكة وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ان هذه القصة تكررت وانه حصل له ضياع مرة أخرى فوجده أبو جهل فاركبه بين يديه على ناقته وجاء به إلى جده وقال ماتدري ما وقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فابت ان تقوم فاركبته أمامي فقامت قالت حليمة فلما قدمت به قالت أمه ما أقدمك به ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث فاديته عليك كما تحبين قالت  ماشانك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني هذا شانا ألا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به ان خرج مني نور اضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة وعن حليمة رضي الله عنها انه مر بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته وأمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه وكل ما رأته هي بعد أن اخذته واسندت الجميع إلى نفسها كأنها هي التي حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أو يتيم هو فقالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما قتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة أيضا رضي الله عنها انها نزلت به صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب إذا قصدت الحج اقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون وانما سمي عكاظ لان المعاكظة المفاخرة يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة قيل كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت عن الطريق

---

حماها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل أن يكون أم عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه يقال انه وطئها أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وابو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرا فالحقته بالعاص وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل أن يكون من القسم الاول ويدل عليه ماقيل أنه ألحق بالعاص لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير بذلك عيره بذلك علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وسيأتي ذلك في قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة * قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين إلى ارحام الطاهرات أي وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة إلى الارحام الطاهرة * وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه اه * وقد تقدم في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد إلى ساجد وتقدم ما فيه ومن جملته قول أبي حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين أي متمسكين بشرائع انبيائهم ثم رأيت الحافظ السيوطي قال الذي تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم إلى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سيأتي الكلام فيه وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال احدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة أي لانه سيأتي انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثاني انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أي لم يعبد الاصنام والثالث ان الله تعالى احياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات وهذا أضعف الاقوال وأوهاها لم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به أحد من ائمة السنة وانما حكي عن بعض الشيعة * قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين إلى ارحام الطاهرات دليل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وفيه أن الطاهرية فيه يجوز أن يكون المراد بها ما قابل انكحة الجاهلية المتقدمة وقد أشار إلى اسلام آبائه وأمهاته صاحب الهمزية بقوله

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الامهات والآباء

أي لان الكافر لا يقال انه مختار لله * والسبب الذي دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة ماحدث به ولده العباس رضي الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن في رحلة الشتاء فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور أي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال ممن الرجل قلت من قريش قال من ايهم قلت

فأنجاه الله وفى الوفاء للسيد السمهودى لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون أى صبي هذا فقال هذا الصبي فلا يرون أحدا فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضى الله تعالى عنها انها لما رجعت به مرت بذى المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أى وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوما من ذى القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذى هو سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أى منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة فى عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن اهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر أمرا من السماء وجعل يغرى بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات وفى السيرة الشامية أن نفرا من نصارى من الحبشة رآه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة فى عينيه وقالوا لها هل يشتكى عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شان نحن نعرف أمره فأبت وأتت به الى أمه وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة ففى بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذ بالحى قد اقبلوا بحذافيرهم أى بأجمعهم واذا بظئرى أى مرضعتى أمام الحى تهتف أى تصيح بأعلى صوتها وتقول واضعيفاه فأكبوا على يعنى الملائكة وضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئرى واوحيداه فأكبوا على فضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من

من بنى هاشم قال أتأذن لى أن أنظر بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة قال ففتح احدى منخرى فنظر فيه ثم نظر في الأخرى فقال أنا أشهد في احدى يديك وهو مراد الأصل بقوله فى منخريك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذاك قلت لا أدرى قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة أى لأنها تشايع أى تتابع وتناصر زوجها قلت أما اليوم فلا أى ليست لى زوجة من بنى زهرة ان كان معه غيرها أو مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم أى وهذا الذى ينظر فى الاعضاء وفي خيلان الوجه فتحكم على صاحبها بطريق الفراسة يقال له حزاء بالمهملة وتشديد الزاى آخره همزة منونة * وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى عن شيخه سيدى على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاتهما أنه كان اذا نظر لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته هذا كلامه * أى ومن ذلك ان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما تزوج امرأة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون أم ابنه يزيد اذهبي فانظرى اليها فأتتها فنظرت اليها ثم رجعت اليه وقالت هى بديعة الحسن والجمال ما رأيت مثلها لكن رأيت خالا أسود تحت سرتها وذلك يدل على أن رأس زوجها يقطع ويوضع فى حجرها فطلقها معاوية رضى الله تعالى عنه ثم تزوجها النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه وكان واليا على حمص فدعا لابن الزبير وترك مروان ثم خاف من أهل حمص لما تبعوا مروان ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا رأسه ووضعوها فى حجر تلك المرأة ثم بعثوا بتلك الرأس الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لأن أمه لما ولدته وكان أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ما سيأتى حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بتمرة فمضغها ثم وضعها فى فيه فحنكه بها فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يكثر ماله وولده فقال أما ترضين أن يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة وهو الذى أشار على يزيد بن معاوية باكرام آل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من أولاده وأولاد أخيه وأقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم على هذه الحالة فرق لهم يزيد وأكرمهم ورده معهم وأمره باكرامهم على ما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * ومما يروى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان مصالى ونخوخا وان مصاليه ونخوخه البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله * وقد ذكر ان حمص نزل بها تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا * وفي حياة الحيوان ان حمص لا تعيش بها العقارب وإذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها قيل لطلسم بها * وفى حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل الحزاء هو الكاهن وقيل هو الذى يحرز الاشياء ويقدرها بظنه ويقال الذى ينظر فى النجوم فانه ينظر فيها بظنه فربما أخطأ أى لان من علوم العرب الكهانة والعيافة والقيافة والزجر والخط أى الرمل والطب

ومعرفة

أهل الأرض ثم قالت ظئرى وايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت علي وضمتني الى صدرها فو الذي نفسي بيده ان لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في أيديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم أي لا يبصرونهم فقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هؤلاء ما بي مما تذكرون شيء ان آرابي أي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح وليس بي قلبة أي علة فقال أبي وهو زوج ظئري ألا ترون كلامه صحيحا اني لأرجو أن لا يكون بابني بأس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه قصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فسألني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته ياللعرب ياللعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت لأنت أعته وأجن ولو علمت ان هذا قولك ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى أهلهم ثم أصبحت فزعا مما فعلوا يعني الملائكة وأصبح أثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء اذ أحاطت به ملائكة الله * فظنت بأنهم قرناء

ورأى وجدها به من الوجـ * ـد لهيب تصلى به الاحشاء    فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء

شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء    ختمته يمنى الامين وقد أو * دع ما لم يدع له أنباء

---

ومعرفة الانواء ومهاب الرياح * فلما رجع عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب أخي وهيب فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على أبيه أي فاز وظفر لان الفلج بالفاء واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر أي فاز وظفر بما لم ينله أبوه من وجود هذا المولود العظيم الذي وجد عند ولادته ما لم يوجد عند ولادة غيره * أي وفي كلام ابن المحدث أن عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم آمنة في مجلس خطبة عبد الله لآمنة وتزوجا وأولما ثم ابتنيا بهما ثم رأيت في أسد الغابة ما يوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد قيل وفيه تصريح بان عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله وقد يقال من أين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز أن يكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وفيه أن هذا لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بني زهرة الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله وجد من بني زهرة لجواز أن يكون عبد المطلب تزوج من بني زهرة غير هالة فولدها عبد الله (ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد في احدى يديه الملك وانه يكون في بني زهرة مشكل أيضا لان الملك لم يكن الا في أولاد ولده العباس ولا يستقيم الا لو كانت أم العباس من بني زهرة ما هالة التي هي ام حمزة أو غيرها وأم العباس ليست من بني زهرة خلافا لما وقع في كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة فهو شقيق حمزة لأنه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا أن يقال جاز أن يكون الملك والنبوة اللذان عناهما الحبر هما نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم اعطيهما أي كلا من الملك والنبوة المنتقلين اليه من أبيه عبد الله بناء على أن ام عبد الله من بني زهرة ولعله لا ينافيه قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل من الذهب فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن تكون فاطمة هذه من بني زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم أي من بني زهرة بعد قوله الك شاعا) وقيل الذي دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهي عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها زرقاء شيماء أي سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أي يدفنونها حية ويمسكون من لم يكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة أي لانه سيأتي ان الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن احياء خصوصا كندة قبيلة من العرب خوف العار أو خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيي الموءودة لأجل الاملاق يقول للرجل اذا أراد أن يفعل ذلك لا تفعل انا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها

صان أسراره الختام فلا الفضض ملم به ولا الافضاء وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الاولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفى الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن أبى بن كعب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت ياأبا هريرة انى لفى صحراء وأنا ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا رجل يقول أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها الخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا  الى يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فاضجعنى بلاقصر ولا هصر أى من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلادم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له ادخل الرأفة والرحمة فاذا الذى أدخله يشبه الفضة ثم نقر ابهام رجلى اليمنى وقال أغد واسلم فرجعت وعندى رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشرين غلط من بعض الرواة) والمرة (الثالثة عند ابتداء الوحى) والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة فى الشق الثانى الذى كان وعمره عشر سنين قال فى السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير والحكمة فى الرابع الزيادة فى اكرامه ليتأهب للمناجاة وعن حليمة رضى الله عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لاتدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته من الرضاع وهى الشيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبى صلى الله عليه وسلم أيضا وكانت ترقصه وتقول هذا أخ لى لم تلده أمى وليس من نسل أبى وعمى * فانمه اللهم فيمن تنمى ومما كانت ترقصه به أخته الشيماء يا ربنا ابق لنا محمدا * حتى أراه يافعا وامردا

---

وكان صعصعة جد الفرزدق يفعل مثل ذلك فامر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لاتئد الصبية وخلها فى البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذير أو تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكن فعرضن عليها فقالت فى كل واحد منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان منير أى فاختيار عبد المطلب لآمنة من بنى زهرة عبد الله واضح من سياق قصة هذه الكاهنة وأما اختياره لتزوجه بعض نساء بنى زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر بناء على أن أم عبد الله كانت من بنى زهرة وأما جعل الشمس الشامى ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بنى زهرة ففيه نظر ظاهر إذ كيف يتأتى ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله ألك شاعة أى زوجة ثم رأيت ابن دحية رحمه الله تعالى ذكر فى التنوير عن البرقى ان سبب تزويج عبد الله آمنة ان عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال ائذن لى أن أفتش منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اوضح لأنه أسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة إلى آخره فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بنى زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للبرقى رحمه الله تعالى ان يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله آمنة قوله وتزوج عبد المطلب هالة

## باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

عن الزهرى رحمه الله تعالى قال قالت آمنة لقد علقت به صلى الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها أنها كانت تقول ما شعرت بفتح أوله وثانيه أى ماعلمت بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح القاف كما تجد النساء الا انى أنكرت رفع حيضتى بكسر الحاء الهيئة التى تلزمها الحائض من التجنب واما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض أى والذى ينبغى أن يكون الثانى هو المراد واستعمات المرة فى مطلق الدم الذى تراه الحائض وربما يؤيد أن هذا هو المراد ان بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض قالت وربما ترفعنى وتعود أى فلم يكن رفعها دليلا على الحمل أى وهذا ربما يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم أقف على مقدار تكرره وقد ذكر ان مريم عليها السلام حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام حيضتين قالت آمنة وأتانى آت أى من الملائكة وأنا بين النائمة

ثم أراه سيدا مسودا واكبت اعاديه معا والحسدا * واعطه عزا يدوم أبدا * قال الأزدى ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة فى هذا الحر أى ماينبغى أن يكون الخروج والوقوف فى هذا الحر فقالت أخته ياأمه ماوجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يابنية قالت إى والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ماتحذر على ابنى وفى كلام بعضهم ان حليمة رضى الله عنها فى بعض الاوقات رأت الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وفدت عليه حليمة رضى الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضى الله عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة  رضى الله عنها فاعطتها عشرين

النائمة واليقظانة وفى رواية بين النائم أى الشخص النائم واليقظان فقال هل شعرت بأنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها أى وفى رواية بسيد الانام أى اعلمى ذلك وأمهلنى حتى دنت ولادتى أتانى فقال قولى أى اذا ولدتيه أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد أى ثم سميه محمدا فان اسمه فى التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض وفى القرآن محمد أى والقرآن كتابه وسيأتى عن محمد الباقر رضى الله تعالى عنه أن تسميه أحمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت أبيات لا أصل لها واذا ثبت أنها قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس أن آمنة رقت النبى صلى الله عليه وسلم من العين * أقول ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من قول الملك لأنها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها أن حيضها ربما عاد بعد عدم وجوده فى زمنه المعتاد لها أى ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور الى وجهها على ما ذكر بعضهم ففى كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله انتقل الى وجه آمنة ولا على خروج النور منها مناما أو يقظة بناء على أنه غير الحمل على ما يأتى لخفاء دلالة ما ذكر على ذلك ولعل أباه صلى الله عليه وسلم عبد الله لم يبلغها قول المرأة التى عرضت نفسها عليه اذهب فاخبرها انها حملت بخير أهل الأرض والثقل فى ابتداء الحمل الذى حمل عليه بعض الروايات كما سيأتى يجوز أن يكون بعد أخبار الملك لها لكن فى المواهب فى رواية عن كعب رضى الله تعالى عنه أن مجىء الملك لها كان بعد أن مضى من حملها ستة أشهر فليتأمل فان الستة أشهر لا يقال انها ابتداء الحمل ونص الرواية كانت آمنة تحدث وتقول أتانى آت حين مر بى من حملى ستة أشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك الا أن يقال يجوز تعدد الملك أو تكرر مجىء الملك لها فليتأمل والله اعلم * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة أى التى حمل فيها أى فى اليوم قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم أى بناء على ما هو الظاهر مما تقدم أنه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا أى ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى * أقول دلالة الأول على مطلق الحمل به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم حينئذ واضحة وأما دلالة الثانى عليه فقد يتوقف فيها الا أن يقال أن ذلك كان من علامة الحمل به فى الكتب القديمة مع أن المدعى فى كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انما هو خصوص حمل آمنة به على أن السياق يدل على أن المراد اعلام أمه بحملها به والله أعلم * وعن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه أن فى صبيحة تلك الليلة اصبحت أصنام الدنيا منكوسة أى ولعل ذلك كان من علامة حمل أمه به فى الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسيأتى أن عند ولادته أيضا تنكست الأصنام ولا مانع من التعدد قال وروى الحاكم وصححه أن أصحاب رسول

رأسا من غنم وبكرات من الابل وفى رواية أربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفى رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه وفى رواية وأجلسهم على ثوبه وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك * قال فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن أبى الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التى ارضعته وفى رواية استأذنت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال امى أمى وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه * قال ابن حجر فى شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها وغلط من انكر اسلامها بل اسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضى الله عنها * وفى السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت فى السبى يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يارسول الله أنا أختك وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام

المواهب يقتضي أنهما قضيتان في كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجيء أخته وواحدة عند مجيء أمه خلافا لمن وهم في ذلك وأنكر مجيء الام وقال بل هي الاخت فقط * قال ابن عبد البر في الاستيعاب حليمة السعدية أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فأخذوها فيمن اخذوا من النبي الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاي تأليفا في (٥٦) اسلام حليمة رضي الله عنها ردا على من أنكر (باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم)

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخوال جده وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم ايمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر امورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار كان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت أم ايمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به أمه الى مكة وفي رواية أبي نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الى رجل من اليهود يختلف ينظر الى فقال ياغلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهري فسمعته يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فاخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة فلما كانت بالأبواء توفيت ودفنت فيها (وقيل بالحجون) وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت أولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة * وروى أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع أي

---

الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور وفي لفظ سراج وفي لفظ شهاب أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام قال الحافظ العراقي وسيأتي أنها رأت النور خرج منها عند الولادة وهو أولى لكون طرقه متصلة ويجوز أن يكون خروج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته أي وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك أو هذه أي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين اه * أقول الرواية الآتية هي رواية شداد بن أوس ولفظها انها رأت في المنام أن الذي في بطنها خرج نور رأي وهي تفيد ان ذلك النور هو نفس حملها فهو بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد ان النور غيره وانه كان وقت ابتداء وجود الحمل فلا يصح حمل احداهما على الاخرى الا أن يقال المراد بحين حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك الحمل لكن الذي ينبغي أن تكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصلة قبل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة تأنيسا لها على أنه يجوز ابقاء الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها خرج منها نور عند ابتداء الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها أن الذي في بطنها خرج نورا ثم رأت يقظة عند وضعه خروج النور وسيأتي في رواية عن أمه أنها قالت لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى تكون رابعة (فبصرى أول بقعة من الشام خلص اليها نور النبوة وعلى أنه مرتين ناسب قدومه صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه أبي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها كما سيأتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فأثر ذلك فيه وبني على ذلك المحل مسجد (ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على يد خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه (وبها بئر سعد بن عبادة وهي من أرض حوران والله أعلم (ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عائذ أي بالياء المثناة تحت والذال المعجمة أنه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن أمه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء أي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور (وكانت أمه صلى الله عليه وسلم تقول ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه (وروى ابن حبان رحمه الله عن حليمة رضي الله تعالى عنها عن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت أن لابني هذا شأنا اني حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف علي ولا اعظم منه بركة وقيل بقي عشرة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر أي ويكون ذلك آية كما أن عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكماء والمنجمين على أن من يولد في

الشهر

مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت    بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام * فودى غداة الضرب بالسهام    بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت فى المنام فأنت مبعوث الى الأنام
تبعث فى الحل وفى الحرام   تبعث فى التحقيق والاسلام * دين أبيك البر ابراهام   فالله أنهاك عن الاصنام * ان لا توالى اليها مع الاقوام
ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وولدت طاهرا ثم قالت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا
من ذلك    تبكى الفتاة البرة الأمينه * ذات الجمال العفة الرزينه    زوجة عبد الله والقرينه * (٥٧) أم نبى الله ذو السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه
صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينة
وللمنايا شفرة متينة *
لا تبقى ظعانا ولا ظعينه
الا أتت وقطعت وتينه
أما دللت أيها الحزينه
عن الذى ذو العرش يعلى
دينه
فكلنا والهة حزينه
نبكيك للعطلة أو للزينه
أو للضعيفات والمسكينه
قال الزرقانى فى شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطى بعد ذكر أبياتها السابقة وهذا القول منها صريح فى أنها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شىء غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله والهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف فى التبرى من



الكفر وثبوت صفة التوحيد فى زمن الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن بكل من كان فى الجاهلية انه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من أنه قرب بعث نبى من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت فى حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها أضاءت له قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما

الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس الذى هو أقل مدة الحمل أى فقد قال الحكماء فى بيان سبب ذلك ان الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته فى الشهر السادس فان خرج عاش وان لم يخرج استراح فى البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا يتحرك فى الشهر الثامن ولذلك تقل حركته فى البطن فى ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى لم أر للثمانية صورة فى نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد فى الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت أى وقيل بل كان حمله ووضعه فى ساعة واحدة وقيل فى ثلاث ساعات أى وقيل بذلك فى عيسى عليه السلام أى وكانت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك فى جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرغد من كل جانب فى تلك السنة أى وفى حديث مطعون فيه قد أذن الله تلك السنة بنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولم أقف على ما يجرى على ألسنة المداح من أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله فى بطن أمه كما نقل عن عيسى عليه السلام أنه كان يكلم أمه اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهى تسمع وعن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ كبير من بنى عامر هو مدرة قومه أى المقدم فيهم يتوكأ على عصا فمثل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب انى انبئت أنك تزعم أنك رسول الله الى الناس أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا أنك فهت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء أى معظمهم فى بيتين من بنى اسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فمالك والنبوة ولكن لكل حق حقيقة فأنبئنى بحقيقة قولك وبدء شانك قال فاعجب النبى صلى الله عليه وسلم بمسئلته ثم قال يا أخا بنى عامر ان لهذا الحديث الذى سألتنى عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا أخا بنى عامر ان حقيقة قولى وبدء شأنى انى دعوة أبى ابراهيم عليه السلام أى حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم أى وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو كائن فى آخر الزمان كذا فى تفسير ابن جرير قال فى ينبوع الحياة أجمعوا على أن الرسول المذكور ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم * اقول وفيه ان جبريل عليه السلام اعلم ابراهيم عليه السلام قبل ذلك بانه يوجد نبى من العرب من ذرية ولده اسمعيل فقد جاء أن ابراهيم لما أمر باخراج هاجر أم ولده اسمعيل

عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فى كلمات اخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد انها تحنفت فى حياتها * وأما ابوه رضى الله عنه فنقل عنه كلمات واشعار تدل على توحيده أيضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيئا وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يضىء فى وجهه كالكوكب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات الكافر لا يوصف بأنه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر قال فى المواهب وقد روى ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبرانى وابن شاهين عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفى رواية وهو باك حزين فاقام به ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال يخاطب عائشة رضى الله عنها سألت ربى فاحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلى من حديث عائشة رضى الله عنها ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ولفظه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيى ابويه فاحياهما له فآمنا به ثم اماتهما قال السهيلى والله قادر على كل شىء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شىء ونبيه صلى الله عليه وسلم اهل ان يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادى وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا فى النار بل فى الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه وقال السيوطى مال الى ان الله احياهما حتى آمنا به طائفة من الائمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم انه موضوع وهذا مردود والحق انه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به فى الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقى حيث قال حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رءوفا



عليه السلام حمل هو وهى وولدها على البراق فلما أتى مكة قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبى الامى من ذرية ولدك يعنى اسمعيل عليه السلام الذى تتم به الكلمة العليا الان يقال الغرض من دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق حصوله وتقدم أن أم اسمعيل قالت لابراهيم ماقاله لجبريل والله أعلم ثم قال وبشرى أخى عيسى وفى رواية ان آخر من بشر بى عيسى عليه السلام أى آخر نبى بشر بى من الانبياء عيسى بدليل الرواية الاخرى وكان آخر من بشر بى عيسى لان الانبياء بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

مامضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء

وبشرى عيسى فى قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد أى والمبشر بهم من الانبياء قبل وجودهم أيضا أربعة اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال الله تعالى فى حق سارة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قيل بشرت بأن تبقى الى ان يولد يعقوب لولدها اسحق وقال فى حق ذكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال فى حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ثم قال وانى كنت بكر أبى وأمى وانها حملتنى كأثقل ماتحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ماتجد ثم انها رأت فى المنام ان الذى فى بطنها اخرج نورا قالت فجعلت أتبع بصرى النور والنور يسبق بصرى حتى اضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وستأتى تتمته فى الرضاع أى وقال ابن الجوزى ممن روى عن أمه صلى الله عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم لما قيل له يارسول الله ماكان بدء أمرك قال دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى قالت خرج منى نور اضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابو نعيم الثقل الذى وقع فى هذه الرواية كان فى ابتداء الحمل والخفة التى جاءت فيما سبق من الرواية كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال * أقول قد قدمنا انه يجوز أن يكون هذا الثقل الواقع فى ابتداء الحمل كان بعد اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ماسبق وفيه ماسبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهرى قال قالت آمنه لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن ان يكون المراد بالمشقة ماتقدم فى بعض الروايات لم تشك وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا مايعرض لذوات الحمل من النساء أى فمع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافى ذلك شكواها ماتجده من ثقله والله تعالى أعلم

## باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

عن ابن اسحق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفى وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به أى كما عليه اكثر العلماء () أى وصححه الحافظ الدمياطى وسيأتى فى بعض الروايات مايدل على ان ذلك

فاحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا    فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا    وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة قال الزرقاني في شرح المراهب بعد ذكر حديث احيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على انه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفى شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا (٥٩) للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

أيقنت ان ابا النبي وأمه
أحياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة
سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه
فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقاني الذي يظهر لى ان المراد صححوا العمل به فى الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه فى مرتبته فيرجع لكلام السيوطي وقال التلمساني روى اسلام أمه بسند صحيح وكذا روى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له وسيذكر فى المواهب فى المعجزات ان الله أحيا على يده صلى الله عليه وسلم خمسة منهم الابوان قال القرطبي فى التذكرة أن فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد فى الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله كما قص الله ذلك فى سورة البقرة وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى قال الزرقاني فاحيا ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لى ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي فى الدلائل وأباه وأمه وتوفى شاب من الأنصار فتوسلت امه وهى عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فاحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة الانصاري من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله

من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد أن تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان فى المهد حين توفى أبوه ابن شهرين وذكر السهيلي ان عليه أكثر العلماء فليتامل مع ماقبله وقيل كان ابن سبعة أشهر أى وقيل ابن تسعة أشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين لا الاكثرين () وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا أى ومايأتى فى الرضاع من أن المراضع ابته ليتيمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذى قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع إلا اشهران * وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها ليمتار تمرا ولزيارة أخواله بها أى أخوال أبيه عبد المطلب () بنى عدى بن النجار أى ولا مانع من قصد الأمرين معا وقيل خرج الى غزة فى عير من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهى التى تحمل الميرة خرجوا التجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال أنا اتخلف عند اخوالى بنى عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل له النجار لأنه اختتن بقدوم اى وهو آلة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم فاقام عندهم مريضا شهرا أى وهذا أثبت من الاول () ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم أبوه عبد المطلب عنه فقالوا اخلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض فبعث اليه أخاه الحرث وهو اكبر اولاد عبد المطلب كما تقدم أى ومن ثم كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفى أى وفى أسد الغابة ان عبد المطلب أرسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن فى دار النابغة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة اى وهو رجل من بنى عدى بن النجار اى فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال ههنا نزلت بى أمى وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أنه صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه يسبحون فى غدير أى فى الجحفة فقال النبي عليه السلام لاصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقى النبي عليه السلام وأبو بكر فسبح النبي عليه السلام الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حتى اعتنقه وقال أنا وصاحبى أنا وصاحبى وفي رواية أنا الى صاحبى انا الى صاحبى يعلم رد قول بعضهم وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لأنه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر فى بحر ولا بالحرمين بحر قال وقيل قد توفى ودفن أبوه بالابواء محل بين مكة والمدينة اه * أقول سيأتى ان الذى بالابواء قبر امه صلى الله عليه وسلم على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر أحد أبوى * وقد ذكر بعضهم فى حكمة تربيته صلى الله عليه وسلم يتيما مالا نطيل به وقد جاء ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا وقد جاء ان الله لينظر كل يوم الى الغريب الف نظرة والله

عليه وسلم الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وأخرج ابن الضحاك ان انصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشر سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين  تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد أطبقت الأئمة الأشاعرة من أهل الأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الأشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي أن الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فاحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال كاهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل عنهما

اعلم أن أورد الخطيب عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الله أحيا له أباه وآمن به وفي المواهب أحيا الله له أبويه حتى آمنا به قال السهيلي وفي اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع قال ويرده القرآن والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا أي معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل أين أبي فقال في النار فلما قفا أي ولى دعاه وقال له ان أبي وأباك في النار وفيه ان هذا رواه مسلم فلا يكون ذلك الحديث ناسخا أي معارضا له * اقول هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على أن حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله فيه ان أبي وأباك في النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وخالفه معمر عن ثابت عن أنس فروى بدل ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على أن معمرا أثبت من حماد فان حمادا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه وأيضا ما رواه معمر ورد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقد أخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عائذ بن سعد عن أبيه أن اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبي فقال في النار قال فاين أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الأول من تصرف الراوي رواه بالمعنى بحسب ما فهم فاخطأ وذكر الحافظ السيوطي أن مثل هذا وقع في الصحيحين في روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة والثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فاخطأ كذا أجاب امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن حديث نفي قراءة البسملة والذي ينبغي أن يقال يجوز أن يكون هذا أي ما في الصحيح كان قبل أن يسأل الله تعالى أن يحييه له فاحياه وآمن به كما أشار اليه الاصل أو انه قال ذلك لمصلحة إيمان ذلك السائل بدليل انه لم يتداركه عليه الصلاة والسلام الا بعد ما قفا فظهر له عليه الصلاة والسلام من حاله أنه تعرض له فتنة أي يرتد عن الاسلام فأتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريدا بابيه عمه أباطالب لا عبد الله لانه كان يقال لابي طالب قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا وقالوا له اعطنا ابنك وخذ هذا مكانه فقال اعطيكم ابني تقتلونه الى غير ذلك مما يأتي على انه تقدم ان العرب تسمي العم أبا ولا يقال على ثبوت هذا الحديث وصحته التي صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت * لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى الخصوصية فعليه الدليل أي لأن الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح وفي كلام القرطبي قد أحيا الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى واذا ثبت ذلك فما يمتنع ايمان أبويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في

كرامته

قال وقد ورد فى أهل الفترة أحاديث انهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهى كثيرة ومعانيها متقاربة والمصحح منها ثلاثة * الأول حديث الاسود بن سريع وأبى هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة الحديث أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقى وصححه وفيه وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل الله اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها * والثانى حديث أبى هريرة رضى الله عنه



موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأى اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين * والثالث حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين واقره الذهبى قال الحافظ ابن حجر والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا فى الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض فى الأحاديث التى فيها انه صلى الله عليه وسلم جاء قبر امه فبكى بكاء هائلا بكاؤه صلى الله عليه وسلم ليس لتعذيبها وانما هو أسف على مافاتها من ادراك أيامه والايمان به قال الزرقانى وقد رحم الله بكاءه فاحياها له حتى آمنت به ثم قال وما الطف هذه العبارة من القاضى عياض فانها صريحة فى أن البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول فى هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازى فى تفسيره أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه بل أن آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا تشريفا لمقام النبوة وكذلك امهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق

كرامته وفضيلته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن أحياء ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما أحييا كما أن رد الشمس لو لم يكن نافعا فى بقاء الوقت لم ترد والله أعلم * قال الواقدى المعروف عندنا وعند أهل العلم ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل سبط ابن الجوزى ان عبد الله لم يتزوج قط غير آمنة ولم تتزوج آمنة قط غيره ونقل اجماع علماء النقل على أن آمنة لم تحمل بغير النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم أحمل حملا أخف منه المفيد انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم انه خرج على وجه المبالغة اه * أقول هذه الرواية لم أقف عليها والذى تقدم ما رأيت من حمل هو أخف منه وفى رواية اخرى حملت به فلم اجد حملا قط أخف منه على وحمل الرؤية والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضى ذلك انها حملت بغيره ولا ينافيه قولها أخف على لأن المراد على فيما علمت والله أعلم قال والحافظ ابن حجر نسب سبط ابن الجوزى فى نقل الاجماع الى المجازفة فقال وجازف سبط ابن الجوزى كعادته فى نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون آمنة أسقطت من عبد الله سقطا فاشارت بقولها المذكور اليه اه * اقول وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء على أن والده صلى الله عليه وسلم لم يمت وهو حمل به بل بعد وضعه وانها وجدت المشقة فى حمل ذلك السقط وان اخبارها بذلك تأخر عن حملها بذلك السقط وانها رأت فى حملها بذلك السقط من الشدة ما لم تجده فى حمله صلى الله عليه وسلم وأما حملها بذلك السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم فلا يتأتى لمخالفته لما تقدم من أن عبد الله دخل بها حين املك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك ولانه يخرج بذلك عن كونه بكر أبيه وأمه وأما رواية حملت الاولاد فما وجدت حملا فقال فيها الواقدى لا تعرف عند أهل العلم كما بينا ذلك فى الكوكب المنير على ان مكان حملها بسقط لا يقدح فى نقل الاجماع على انها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان أن مراده حملا تاما وفى الخصائص الصغرى للجلال السيوطى ولم يلد أبواه غيره صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال وترك عبد الله جاريته أم ايمن بركة الحبشية اسلمت قديما هى وولدها أيمن وكان من عبد حبشى يقال له عبيد اه * اقول فى كلام ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم اعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيدا الحبشى ابن زيد من بنى الحرث فولدت له أيمن ولا ينافيه ما فى الاصابة كانت أم أيمن تزوجت فى الجاهلية بمكة عبيد الحبشى ابن زيد وكان قدم مكة واقام بها ثم نقل أم أيمن الى يثرب فولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذرى والله أعلم قال وقد زوجها صلى الله عليه وسلم أى بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج بام أيمن فجاءت منه باسامة فكان يقال له الحب ابن الحب * وقيل اعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم (وترك أى عبد الله

خمسة أجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه اهـ أي فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتي متن في حياته فعلى تقدير صحته جاز أن يكون صلى الله عليه وسلم ترك أخذ ميراثه تعففا وسيأتي وقال ابن الجوزي وأصاب أم أيمن هذه عطش في طريقها لما هاجرت أي الى المدينة على قدميها وليس معها أحد وذلك في حر شديد فسمعت شيئا فوق رأسها فتدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما أصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر ما عطشت أي وفي مزيل الخفاء قال الواقدي كانت أم أيمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم أي بدل سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم هذا كلامه فليتأمل فان هذا يقتضي ان الصيغة الاصلية في السلام سلام الله عليكم مع أن الصيغة في السلام أما السلام عليكم أو سلام عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر أئمتنا تلك الصيغة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأم أيمن عنده فقالت يارسول الله اسقني فقلت لها ألرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ماخدمته أكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها وذكر بعض المؤرخين ان بركة هذه من سبي الحبشة اصحاب الفيل وكانت سوداء أي لونها أسود ولهذا اخرج ابنها اسامة في السواد أي وكان ابوه زيد أبيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل على النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال ألم ترى أن مجززا المدلجي قد دخل علي فرأى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض وقد جعل أئمتنا ذلك أصلا لوجوب الاخذ بقول القائف في الحاق النسب قال الابي رحمه الله والمعروف ان الحبشية انما هي بركة اخرى جارية أم حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت تكنى أم يوسف كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم أي وهي التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي * قيل وورث صلى الله عليه وسلم من أبيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف واعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم

## باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا أي مقطوع السرة وجاء ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته وأذن في أذنه

---

السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الا مع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب وهذا لازم في جميع الآباء وقد أيد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بادلة كثيرة وألف في ذلك رسائل فجزاه الله خيرا وشكر سعيه فمن تلك الادلة حديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه مع ما ثبت ان الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل  الارض واخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي رضي الله عنه قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها واخرج الامام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعني بعثت من خير قرون بني آدم الخ وان الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ نتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من اجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما ان يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو المدعى واما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفة الحديث الصحيح واما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت انهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض في زمانهم وساق نصوصا وأدلة كثيرة في ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بان العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم احد الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي الذي يقال له عمرو بن لحي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بان عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على

وكساه

ملة ابراهيم ثم قال فتخلص من مجموع ماسقناه ان أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والدا ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الأجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ بن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ فى جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى أن جاء خير المرسلينا

قال السهيلى أن عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بأن عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سيد الناس أن الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالاكثرون (٦٣) على أنه لم تبلغه الدعوة أو أنه كان على الحنيفية ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وأبهة الاشراف ذكره فى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما ويؤيده أيضا ما اتضح له من المبشرات التى بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والاشارات حتى تبين له أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم فى الصحابة منهم الحافظ ابن حجر فى الاصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وانظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة (وقد روى عن عبد المطلب أخبار كثيرة تقتضى أنه عرف بها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك أن قوما من بنى مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له فى حق النبي صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذى فى المقام منه أى وهى قدم ابراهيم عليه السلام وبينا عبد المطلب يوما فى الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى فى دينهم وذلك الاسقف يحدثه ويقول انا نجد صفة نبى تبقى من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ماهذا منك قال هذا ابنى قال ما نجد اباه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا

---

وكساه ثوبا أبيض وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا أى على صورة المختون أى ومكحولا ونظيفا ما به قذر * أقول أى لم يصاحبه قذر وبال فلا ينافى جواز وجود البال والقذر بعده أى فى زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على أن امه صلى الله عليه وسلم لم تر نفاسا فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل بعد الولادة فى زمن امكانه وهو قبل مضى خمسة عشر يوما لا الحاصل مع الولد والله اعلم قال وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى أى لئلا يرى أحد سوأتى عند الختان قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبى فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا وأجيب بأنه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة فى ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان أى وقد يدعى أنه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز أن يكون من قال صحيحة أراد صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة أراد فى حد ذاتها وفى الهدى أن الشيخ جمال الدين بن طلحة صنف فى أنه ولد مختونا مصنفا أجلب فيه من الاحاديث التى لا خطام لها ولا زمام ورد عليه فى ذلك الشيخ جمال الدين بن العديم وذكر انه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب * وولد من الانبياء على صورة المختون أيضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا وقد نظم الجميع بعضهم فقال

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وليس هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك ومن خرافات العامة أن يقولوا لمن يولد كذلك ختنته القمر أى لأن العرب تزعم أن المولود فى القمر تنفسخ قلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملائكة وبهذا يرد على ما ذكره الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا قيل ختن صلى الله عليه وسلم أى ختنه الملك الذى هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه صلى الله عليه وسلم عند ظئره أى مرضعته حليمة قال الذهبى أنه خبر منكر وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته صلى الله عليه وسلم قال العراقى وسنده غير صحيح اهـ أى لما عق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سيأتى * اقول وقد يجمع بأنه يجوز أن يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب فى ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى أى لاجل الختان كما هو الظاهر أن صح كما قدمنا) وفى كلام بعضهم أن عيسى عليه السلام ختن بآلة وعلى صحته

يا بن أخيكم ألا تسمعون مايقال فيه وعن أم أيمن رضى الله عنها قالت كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أى أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابنى قلت لا أدرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان أهل الكتاب يزعمون أنه نبى هذه الأمة وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول على بابنى أى احضروه ويجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب طعامه وعن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم ابن عبد مناف قيل أدركت الاسلام (٦٤) ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون أى أزمنة قحط وجدب ذهبت بالأموال واشفين اى اشرفن على الأنفس فسمعت قائلا يقول فى المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان أى وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أى اشرافكم نسبا طوالا عظاما أى طويلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين أهدب الاشفار أى طويل شعر الأجفان أسيل الخدين اى لا شعر بهما رقيق العرنين أى الأنف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس ابى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبى قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال صلى

لاهم هؤلاء عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ماترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أى البقر والابل والخيل والبغال والحمير فاشفت على الأنفس اى أشرفت على ذهابها فاذهب عنها الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الأودية قال وسمعت شيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب هنيئا لك أبا البطحاء بك عاش اهل البطحاء وفى هذه القصة تقول رقيقة بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحياة واجلوذ المطر فجاء بالماء جونى له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر

يجمع بنحو ما تقدم * والظاهر أن المراد بالآلة التى ختن بها عيسى والتى ختن بها صلى الله عليه وسلم بناء على أن جده ختنه كانت بالآلة المعروفة التى هى الموسى والالنقات لأن ذلك مما تتوفر الدواعى على نقله لا يقال عدم وجود القلفة نقص من أصل الخلقة الانسانية فقد قالوا فى حكمة وجود العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلق بها تكملة للخلق الانسانى * لانا نقول انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال بخلاف العلقة السوداء وكره الحسن أن يختن الولد يوم السابع لأن فيه تشبيها باليهود أى لأن ابراهيم عليه السلام لما ختن ولده اسحق عليه السلام يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل فى ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل عليه السلام لثلاث عشرة سنة قال أبو العباس بن تيمية فصار ختان اسمعيل عليه السلام أى فى ذلك الوقت سنة فى ولده يعنى العرب ويؤيده قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك أى لأن الثلاثة عشر هى مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ مختون اى فى أوائل زمن الختان والله أعلم *(ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الأرض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها) * أقول وفى رواية عن أمه أنها قالت لما خرج من بطنى نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز أن يراد باصبعيه السبابتان من اليدين والله أعلم وفى سجوده اشارة الى أن مبدأ أمره على القرب من الحضرة الالهية (قال وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا رأسه الى السماء وفى رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء اه * أقول وفى رواية وقع جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق من أنها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز أن يكون سجوده بعد رفع رأسه وشخوص بصره الى السماء ولا مخالفة بين كونه وقع على الارض مقبوضة أصابع يده ووقوعه على كفيه لجواز أن يكون قبض أصابعه ماعدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقرب زمنها من الوقوع على الأرض والاقتصار على الركبتين لا ينافى الجمع بينهما وبين الكفين) ورأيت فى كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدى يديه على عينيه والأخرى على سوأتيه فليتأمل والله أعلم والى رفع رأسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى السماء يشير صاحب الهمزية بقوله

رافعا رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو والعلاء

أى وضعته حالة كونه رافعا رأسه الى السماء وفى ذلك الرفع الذى هو أول فعل وقع منه بعد بروزه

منا من الله بالميمون طائره * وخير امن بشرت حقا به مضر     مبارك الاسم يستسقى الغمام به * مافى الانام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا لقد أصبحنا فى جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه رسول الله صلى الله عليه  وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يده وقال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد أشعثت رؤوسها وجدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوى وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يامعشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا * وذكر ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من مولده اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال ياعبد المطلب ان هذا الغلام نبى هذه الأمة ولو لم أخرج اليك لخرب ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه واعطاه ما يعالج به وفى رواية أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال ياعبد المطلب هذا ارمد قال نعم قال ان دواءه معه خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب ياعبد المطلب وتالله هذا الذى أقسم على الله به فابرىء المرضى واشفى الاعين من الرمد

صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووضعته حالة كونه رامقا ببصره الى السماء وسر ذلك الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذى قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف قال وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قبض قبضة من تراب وأهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الفال ليغلبن هذا المولود أهل الارض أى لأنه قبض عليها وصارت فى يده والفأل بالهمز وبدونه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء فالفال ضد الطيرة بكسر الطاء وقد جاء انى أتفاءل ولا أتطير وقيل له صلى الله عليه وسلم ما الفال فقال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم وقال صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ويعجبنى الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفى رواية وأحب الفال الصالح وفرق بعضهم بين الفال والتفاؤل فان الاول يكون فى سماع الآدميين والثانى يكون فى الطير بأسمائها وأصواتها ومرها وقوله لاعدوى معارض لما جاء انه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع فرجع ولم يصافحه وجاء لاتديموا النظر الى المجذومين وسيأتى الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جاء أنه أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حى من الازد أعلم الناس بالزجر أى زجر الطير والتفاؤل بها وبغيرها فقد كان فى الجاهلية اذا أراد الشخص ان يخرج لحاجة جاء الى الطير وأزعجها عن أوكارها فان مر الطائر على اليمين سمى سانحا واستبشر مريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمى بارحا بالموحدة والراء والحاء المهملة وقعد مريد الحاجة عنها تفاؤلا بعدم قضائها أى وهذا ما فسر به امامنا الشافعى الحديث الآتى أقروا الطير فى مكامنها فعن سفيان بن عيينة قال قلت للشافعى رضى الله تعالى عنه ياأبا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان فى زجر الطير كان الرجل منهم اذا أراد سفرا جاء الى الطير فى مكامنها فطيرها الحديث ويحكى عن وائل بن حجر وكان زاجرا احسن الزجر أنه خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذى ألحقه معاوية بأبيه أبى سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذى قاتل الحسين وكان أميرها المغيرة بن شعبة فرأى غرابا ينعق بالغين المعجمة اى يصيح فرجع الى زياد وقال له هذا غراب يرحلك من ههنا الى خير فقدم رسول معاوية الى زياد من يومه بولاية البصرة وقد ذكر أن أبا ذؤيب الهذلى الشاعر كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت السحر هتف بى هاتف وأنا نائم وهو يقول

قبض النبى محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال فقمت من نومى فزعا فنظرت فى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتى وحثثتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطير فاخبرنى بوفاته صلى الله

جملة من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الاخلاق وتحنثه بغار حراء واطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش فى رءوس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموءودة وان لا يطوف بالبيت عريان ومن ذلك قوله والله أن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسىء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لاهل مكة عند مجىء اصحاب الفيل لاهمّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك والنصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك (٦٦) ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله فكان يضرب القداح ويقول يارب أنت الملك المحمود * وأنت ربى الملك المعبود * من عندك الطارف والتليد * فهل التوحيد شىء غير هذا كلا والله واما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم أنه كان يوضع له فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به اشراف قريش فيجىء النبى صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فأراد بعض اعمامه أن يمنعه فقال عبد المطلب ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وارجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكى خلف سريره * وروى أبو نعيم فى الحلية والبيهقى أن سيف ابن ذى يزن الحميرى لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لان مُلك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر فى يد الحبشة سبعين سنة ثم أن سيف بن ذى يزن الحميرى استنقذ مُلك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئة من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمى وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصى بن عبد الدار فاخبر بمكانهم وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن

عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج فسالت فقيل لى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلا به أهله * وأبو هذيل هذا هو القائل

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية أنشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لاتنفع
وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابى الى دار القاضى أبى الحسين الازدى المالكى فجاء غراب فقعد على نخلة فى تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابى هذا الغراب يقول أن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف ففى سابع يوم مات هذا القاضى وقد جاء النهى عن ذلك أى عن الزجر والطيرة فى قوله صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكامنها أى لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء من ارجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك أى حيث اعتقد أنها تؤثر وجاء اذا رأى أحدكم من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك وفى رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفى لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد فى رواية ولا صفر والهامة هو أنه كان أهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يؤخذ بثاره يخرج له طائر يقول عند قبره اسقونى من دم قاتلى اسقونى من دم قاتلى ولا يزال يقول ذلك حتى يؤخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف وأما الهامة بالتشديد فواحدة الهوام وهى الحيات والعقارب وما شاكلها ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى تعويذه الحسن والحسين أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم عليه السلام كان يعوذ اسمعيل واسحق وقوله ولا صفر ذكر الامام النووى أن المراد به حية صفراء تكون فى جوف الانسان اذا جاع تؤذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح الذى عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر راوى الحديث فتعين اعتماده * (وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمى حين وضعتنى سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى وفى رواية انها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت اعناق الابل ببصرى وفى الخصائص الصغرى ورأت أمه عند ولادته نورا أخرج منها أضاءله قصور الشام وكذلك أمهات الانبياء عليهم السلام يرين اه ولعل المراد يرين مطلق النور لا الذى تضىء منه قصور الشام وقوله قصور الشام الخ ظاهر فى ان المراد جميع الاقليم لا خصوص بصرى ولعل الاقتصار على بصرى فى الروايات

لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب * وفى الوفاء للسيد السمهودى وجدوه جالساً على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه فى الكلام ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا وأنبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته وأنت ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من انت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليه الذى ابهجنا من كشف الكرب الذى أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أى التعزية فعند ذلك قال الملك من انت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا لان ام عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال أدن ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا سجلا أى كثير العطاء قد سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء أى العطاء إذا ظعنتم ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى لو غيرك يكون لم أبح له به ولكن رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه أى عليه فليكن عندك مخبا حتى يأذن الله عز وجل فيه انى اجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب ايها الملك أبت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته من مسارّه اياى أى مسارّته اياى بما أزداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذى يولد

الروايات لكون النور كان بها أتم ومن ثم قالت حتى رأيت اعناق الابل ببصرى اورأت مرة وصول النور الى بصرى خاصة ومرة جاوزها تامل (والى هذا النور يشير عمه العباس رضى الله تعالى عنه بقوله فى قصيدته التى امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له فى مرجعه من تلك الغزوة يارسول الله انى أريد أن امتدحك فقال له رسول الله قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وانت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـــور وسبل الرشاد نخترق

الى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

أى رؤيت قصور ملك الروم فى بلاد الروم يبصرها الذى داره بمكة قال وهذا ظاهر فى أنها رأت ذلك النور يقظة وتقدم فى حديث شداد انها رأته مناما وقد تقدم الجمع * أى وتقدم ما فى ذلك الجمع * وذكر ان أم أمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه رأت وهى حامل به أن النجم المسمى بالمشترى خرج من فرجها فوقع فى مصر ثم وقع فى كل بلدة منه شظية فتأول ذلك أصحاب الرؤيا بانها تلد عالما يكون علمه بمصر أولا ثم ينتشر الى سائر البلدان * وروى السهيلى عن الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع (وروى أن أول ما تكلم به لما ولدته أمه حين خروجه من بطنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا) ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم تكلم بكل ذلك والاولية فى الرواية الثانية اضافية لما لا يخفى * (وقد وقع الاختلاف فى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم أى هل كان ليلا أو نهارا وعلى الثانى فى أى وقت من ذلك النهار وفى شهره وفى عامه وفى محله فقيل ولد يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة أى فعن قتادة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر أن ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولدلى الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار أى وسطه وكان ذلك اليوم لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول أى وكان ذلك فى فصل الربيع وقد أشار الى ذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى * ربيع فى ربيع فى ربيع

قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الآن أى فى الامصار خصوصا أهل مكة فى زيارتهم موضع

فيه أوقد ولدا اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض بعبد الرحمن ويدحض الشيطان أى يزجره ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك لجده ياعبد المطلب غير كذب ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشىء مماذكرت لك قال نعم أيها الملك أنه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة فجاء بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب فقال له الملك أن الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أى لخطه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ماذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى است آمن ان تداخلهم النفاسة فى أن تكون لهم الرسالة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وابناؤهم من غير شك ولولا اعلم أن الموت مجتاحى أى مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب احكام امره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أنى أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشرة أماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من الابل وكرسيا مملوأ عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فأتنى بخبره ومايكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا مايقول لمن معه لايغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن



مولده صلى الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصحح اهـ أى صححه الحافظ الدمياطى أى لأن الأول قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح أصلا ولو أسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح أهل العلم له فقد قال كل من ابن المدينى وابن معين أن ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك رضى الله تعالى عنه بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لأنه بلغه عنه أنه قال هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحق انما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة قال بعضهم وابن اسحق من جملة من يروى عنه شيخ مالك يحيى بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحق فقيه ثقة لكنه مدلس * وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذى لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ وقال القطب القسطلانى هو اختيار اكثر أهل الحديث أى كالحميدى وشيخه ابن حزم * وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن أبى شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتى عشرة بقين منه وقيل لاثنتى عشرة وقيل لثمان ليال خلت من رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه صلى الله عليه وسلم حملت به فى أيام التشريق أوفى يوم عاشوراء وانه مكث فى بطنها تسعة أشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند قائله انه أوحى اليه صلى الله عليه وسلم فى رمضان فيكون مولده فى رمضان وعلى أنها حملت به فى أيام التشريق الذى لم يذكروا غيره يعلم مافى بقية الاقوال قال وقيل ولد فى صفر وقيل فى ربيع الآخر وقيل بل فى محرم وقيل فى عاشوراء أى كما ولد عيسى عليه السلام وقيل لخمس بقين منه اهـ * أى وذكر الذهبى أن القول بأنه ولد صلى الله عليه وسلم فى عاشوراء من الافك أى الكذب وفيه ان كان ذلك لأنه لا يجامع انها حملت به صلى الله عليه وسلم فى أيام التشريق وانه مكث فى بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل يأتى فيما عدا القول بأنه ولد فى رمضان ثم رأيت بعضهم حكى أنه حمل به فى شهر رجب وحينئذ يصح القول المشهور بولادته فى ربيع الأول * (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد يوم الاثنين فى ربيع الأول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين فى ربيع الأول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين فى ربيع الأول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الأول وتوفى يوم الاثنين فى ربيع الأول قال بعضهم وهذا غريب جدا) وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان بن أبى العاص عن أمه رضى الله تعالى عنهما انها شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شىء أنظر اليه من البيت الانوار وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول لتقعن على قال ابن دحية وهو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندى بوجه أنه ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل أنه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القرآن وأيضا

يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره ونخره فاذا قيل له ماهو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين قال الزرقانى فى شرح المواهب وماذكره الفخر
الرازى من تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين بتنقيله فى أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه فى تفسير
الآية وليس مراده الحصر فى هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى ومن نبى الى نبى حتى اخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى
الساجدين بتقلبه فى اصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم  المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية
ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه انها لا اله الا الله باقية فى عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة فى الآية قال هى شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن حجر الهيتمى ان أهل الكتابين والتاريخ اجمعوا على أن آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل فى القرآن ذلك قال تعالى وإله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب وقد سبق الرازى على ذلك جماعة من السلف فقد روى بالاسانيد
عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر فى تاريخ
ابن المنذر صرح فيه بأنه عمه قال الزرقانى وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم أنه تبع الشيعة
وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على أن والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف فى اسمه وأطال فى
بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وتخطئته هى الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل كيف وقد قال أولئك
السلف انه عمه وحكاه الرازى ونقله حافظ السنة فى عصره واقره وأيده بما لا محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار وقد وافق الرازى

وأيضا الصوم لا يكون الا نهارا وأفاد البدر الزركشى ان هذا الحديث أى المتقدم عن أم عثمان بن أبى العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على أنه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا أى فضلا عن أن تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لأن ذلك ملحق بالليل والى التردد فى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم هل هو فى الليل أو النهار أشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذى كان للديـ ـن سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لآمنة الفضـ ـل الذى شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أحمـ ـد أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار مالم تنله النساء

أى ليلة المولد الذى وجد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه وقد أضاف كلا من الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف فى ذلك فهنيئا لآمنة الفضل الذى حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم أى لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذى شرفت بذلك الفضل حواء التى هى أم البشر ومن يشفع لحواء فى أنها حملت به وانه أصابها نفاس به يوم أعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو مايتمدح به من الخصال العلية والشيم المرضية مالم يعطها غيرها من النساء * أى وقد أقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل أراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع أن يكون الاقسام وقع بهما أى استعمل الليل فيهما * ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة الى آخر ما يأتى وسيأتى ما يدل على ذلك وهو وضعه تحت الجفنة * وولادته صلى الله عليه وسلم قيل كانت فى عام الفيل (قيل فى يومه فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن مخرمة ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل ضحيا فنحن لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام أى بدل لفظ اليوم وقد يراد باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلدان معناه متقاربان فى السن بالموحدة وعلى أن المراد باليوم حقيقته يكون بالنون *(وفى تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل فى اليوم الذى بعث الله تعالى الطير الأبابيل فيه على أصحاب الفيل * وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعنى عام الفيل اه أى لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون قول ابن حبان فى اليوم تفسير العام على أن المراد باليوم مطلق الوقت الصادق بالعام) *(وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم السهيلى قال بعضهم وهو المشهور) وقال (و) قيل (بخمسة وخمسين يوما وقيل بأربعين يوما وقيل بشهر وقيل بعشر سنين وقيل

الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردى من أئمة الشافعية وناهيك بهما وأما الأخبار الواردة فى تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها انها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف أكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتأويل أو انها منسوخة بما ورد فى الابوين مما يخالفها * فمن الاحاديث المعارضة مارواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبى كان يصل الرحم وكان فاين هو قال فى النار فكأنه وجد من ذلك ( ٧٠ ) فقال أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الاعرابى بعد

فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجمل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا سأله اعرابى وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب اجابه بجواب فيه تورية وايهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا مبهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى كرواية مسلم أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما اقفى دعاه فقال ان أبى وأباك فى النار فهذه الرواية منكرة والعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب وأحسن مايقال فيها أن الرواة تصرفوا

فيها واختلفت رواياتهم وان الصواب هى الرواية الاولى فهى فى غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبى صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابى بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة فى أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته ادلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر فى الاصول * فان قيل حيث قررت ان أهل الفترة لا يقضى عليهم بشىء حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبى السائل بأنه فى

بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين سنة وقيل بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة) اه أى وعلى أنه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطى رحمه الله وعبارة المواهب حكاه الدمياطى فى آخرين (وكونه فى عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخارى رحمه الله لا يشك فيه أحد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم) *أى وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف أيضا * أقول والقول بأنه ولد قبل عام الفيل أو فيه أو بعده بعشر سنين يقتضى تضعيف ماذكره الحافظ أبو سعيد النيسابورى ان نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يضىء فى غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور (وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التى بناها ويقال انها القليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها فى أعلى الرؤوس مكان الكعبة فى الحج اليها وقد اجتهد ابرهة فى زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل أن يأخذ العامل فى عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه فى أن لا يقطع يد ولدها فأبى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال لها ويحك ماقلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها فعفا عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب فى قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور فى وجه عبد المطلب كالهلال وألقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور منى الا أن يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه اى فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب أى فان صاحب الفيل أمره أن يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم تحولوا بينه وبينه لم يزد على هدمه وان أحلتم بينه وبينه أتى عليكم فقال لعبد المطلب ماعندنا منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه اى وفى لفظ قال عبد المطلب والله مانريد حربه ومالنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه وأمر أبرهة رسوله أيضا أن يأتى له بسيد القوم فقال لعبد المطلب قد أمرنى ان آتيه بك فقال عبد المطلب افعل فجاءه راعى ابله وخيله وأخبره ان الحبشة أخذت الابل والخيل التى كانت ترعى بذى المجاز * وفى سيرة ابن هشام بل وفى

غالب

النار أجاب السيوطي بجواز أنه يعصى عند الامتحان وأوحى اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فحكم بانه من أهل النار وبان حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها وبجواز انه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصر ومات فى عهده وهذا لاعذر له البتة قال الزرقاني وفى الثالث نظر لأنه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه إذ الفراق لائح لان أباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بان الاعرابى توهم أن لا يكفى بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ولا ينكر هذا منه لأنه لم يكن حينئذ تفقه فى الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به فى حديث سعد وابن عمر رضى الله عنهما وبعضهم روى  هذه القصة بان السؤال عن الام وجمع بانه سأل مرة عن أبيه ومرة عن أمه * ومن الأحاديث المعارضة للنجاة حديث مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا استأذنت ربى ان استغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنته أن أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وأجيب كما فى الزرقانى بان حديث عدم الاذن فى الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا فى أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له مع انه من المسلمين وعلل بان استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الى منزله فى الجنة والمديون محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضى دينه فقد تكون امه مع كونها متحنفة محبوسة فى البرزخ عن الجنة لامور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار لها الى ان اذن الله فيه بعد ذلك قال وأما حديث أمى مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منها كونها فى النار لجواز انه اراد بالمعية كونها معها فى دار البرزخ او غير ذلك وعبر بذلك تورية وايهاما تطييبا للقلوب بما قال واحسن منه انه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه انها من اهل الجنة كما قال فى تبع لا أدرى تبعا العينا كان أم لا اخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال بعد ان أوحى اليه فى شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس رضى الله عنهما فكانه أولا لم يوح اليه فى شأنها بشىء ولم يبلغه القول الذى قالته عند موتها ولا تذكره فاطلق القول بانها مع أمهما جريا على قاعدة

غالب السير الاقتصار على الابل وانها كانت مائتى بعير وقيل اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب صحبة رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحرث فاستؤذن له على ابرهة أى قيل له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة يعنى زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤس الجبال فاذن له فلما دخل ورآه ابرهة اجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره وأجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اسأله عن حاجته فذكر ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة قل له كنت أعجبتنى اذ رأيتك ثم قد زهدت فيك اذ سألتنى ابلا وخيلا وتركت أن تسال عن البيت الذى هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب أنا رب الابل والخيل التى سألتها الملك وأما البيت فله رب ان شاء ان يمنعه من الملك فقال أبرهة ما كان ليمنعه منى فرد عليه ما كان أخذه وانصرف وابرهة بلسان الحبشة الأبيض الوجه * ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله سبحانه وتعالى الفيل فقال السلام على النور الذى فى ظهرك ياعبد المطلب * وفى كلام بعضهم أن ابرهة لما بلغه مجىء عبد المطلب اليه أمر ان عبد المطلب قبل دخوله عليه أن يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان أبيض اللون * أقول رأيت ان ملك الصين كان فى مربطه الف فيل أبيض وكان مع الفرس فى قتال أبى عبيد بن مسعود الثقفى أمير الجيش فى خلافة الصديق أفيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين أيديهم فيلا اعظمها أبيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل نفرت فامر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة فقتلوها عن آخرها وتقدم أبو عبيد لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة هائلة وحمل على أبى عبيد فتخبطه برجله ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان أبو عبيد أوصى أن يكون أميرا بعده فقتله ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص ابو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من أغرب الاتفاقيات والله أعلم وانما أرى عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ماعدا الفيل الاعظم تسجد لابرهة * وأما الفيل الاعظم فلم يسجد الا للنجاشى فلما رأت الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الأعظم ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم أمر بادخال عبد المطلب عليه فلما رآه القيت له الهيبة فى قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رأيت العلامة ابن حجر فى شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذى تقدم عن الحافظ النيسابورى من أن النور استدار فى وجه عبد المطلب الى آخره أى وقول الفيل السلام على النور الذى فى ظهرك ياعبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت يلزمها أن يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله ثم انتقل من عبد الله الى آمنة بان النور وان

أهل الجاهلية ثم اوحي اليه امرها بعد قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير انها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فاحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم أكملت لكم دينكم فاحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضي عياض ان الاحاديث التي فيها البكاء عند قبر أمه تحمل على ان بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان اسفا على ما فاتها من ادراك ايامه اي بعثته والايمان به وقد رحم الله بكاءه فاحياها حتى آمنت * ومن الاحاديث المعارضة



للنجاة ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أومأ الى المقابر أي اشار الى انه يريد الذهاب اليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قال فقام اليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استأذنته في الدعاء وفي رواية في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فاخذني ما يأخذ الولد للوالد أي من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبي فيه ابو أيوب ابن هانيء ضعيف قال السيوطي فهذه علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التي فيها ان الآية نزلت في أبي طالب واما ما يذكره بعض المفسرين من ان قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم نزلت في الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الآية نزلت في اليهود والنصارى قال ابو حيان في البحر وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت في ابي طالب وسيأتي الكلام عليه فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به احد

---

انتقل من عبد المطلب لكن الله سبحانه وتعالى اكرم عبد المطلب فاحدث ذلك النور في ظهره وفي وجهه واطلع الفيل عليه هذا كلامه فليتامل وذكر بعضهم ان الفيل مع عظم خلقته صوته ضئيل أي ضعيف ويفرق أي يخاف من السنور الذي هو الهر القط ويفزع منه * وفي المواهب والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته) هذا كلامه وفيه انه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذي هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضي البيضاوي انها من الارهاصات إذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد وجوده ومن ثم قال ابن القيم في الهدى ان مما جرت به عادة الله تعالى ان يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه صلى الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قال فلما شرع ابرهة في الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى أول الحرم والمواهب أسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتامل وعند وصوله الى أول الحرم برك فصاروا يضربون رأسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا يقوم فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك مرارا فامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على أمره ويقال انما برك لان نفيل ابن حبيب الخثعمي قام جنب الفيل فعرك اذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام * ثم ارسل اذنه فبرك قال السهيلي رحمه الله الفيل لا يبرك فيحتمل ان يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله سبحانه ويحتمل ان يكون فعل فعل البرك وهو الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت من يقول ان في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر أمثال الخطاطيف ويقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فاهلكتهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل انما هو شيء يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والا فسيأتي أن حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار على ما سيأتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل تعشش وتفرخ بين السماء والأرض * ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا أهل الله لأن الله معهم وفي لفظ لان الله سبحانه وتعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا أصحاب الفيل أي ومن حينئذ مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيأ أصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذي هو أول خلفاء بني العباس فذكر له أمرها فبعث اليها عامله على اليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات

المفضضة

قال انما تعلق بمحجتي وان غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك باجوبة أحدها انها اخبار آحاد تفيد الظن فلا تعارض القطع بانهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها وان صحت الثاني قصرا لتعذيب المذكور في هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع والله أعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحي فانهم فعلوا من الضلال والاضلال ما يعذرون به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام ﴿القسم (٧٣) الأول﴾ من ادرك التوحيد

المفضضة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفار سمها وانقطع خبرها واندرست آثارها وقد كان عبد المطلب أمر قريشا أن تخرج من مكة وتكون في رؤوس الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو وإياهم الى ذلك بعد أن أخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله سبحانه وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال

لاهم أن العبد يحمي رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

أي فانهم كانوا نصارى ولاهم أصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفي بما يبقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والغدو بالغين المعجمة أصله الغد وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي انت فيه (ويقال أن عبد المطلب جمع قومه وعقد راية وعسكر بمنى وجمع ابن ظفر بينه وبين ما تقدم من أنه خرج مع قومه الى رؤس الجبال بانه يحتمل انه أمر أن تكون الذرية في رؤوس الجبال أي وخرج معهم تأنيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة أي ويؤيد ذلك قول المواهب ثم أن ابرهة أمر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى آخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش جيشت جيشا مع قوله ثم أن ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يحسن ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء من صفراء وبيضاء ثم آذن أي أعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتبهوا * وفي كلام سبط ابن الجوزي وسبب غنى عثمان بن عفان أن أباه عفان وعبد المطلب وابا مسعود الثقفي لما هلك ابرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من أموال ابرهة وأصحابه شيئا كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا أغنى قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضي الله تعالى عنه أي ومن جملة من سلم من قومه ابرهة ولم يذهب بل بقي بمكة سائس الفيل وقائده فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس * وأورد على هذا ان الحجاج خرب الكعبة بضرب المنجنيق ولم يصبه شيء ويجاب بان الحجاج لم يجيء لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ليسلم نفسه وهذا اولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله أعلم وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج أي وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب ولم تزل بيده اولاده بعد وفاته الى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بمائة ألف دينار قاله الفاكهي أي فأدخلها في داره وسماها البيضاء أي لأنها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن

وعرف الله ببصيرته أي بعلمه وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الأيادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وفي كلام آخر روى اليعمري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا اني ارجو أن يبعثه الله أمة وحده وسياتي شيء من أخباره وكزيد ابن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر ابن الخطاب فانه كان ممن



طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول اني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وانا انتظر نبيا من بني اسمعيل يبعث ولا اراني ادركه وأنا أومن به واصدقه واشهد انه نبي وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فاقرئه مني السلام قال عامر فلما أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم أبو بكر رضي الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه

كرم الله وجهه لكن اشتهر الصديق في أبي بكر وكرم الله وجهه في علي رضي الله تعالى عنهما وكل منهما لم يسجد لصنم قط ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقاني ولا بدع أن يكون الأبوان الشريفان كالقسم الأول أعني زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان أولى بذلك كما تقدم * القسم الثاني من أهل الفترة من غير وبدل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر أول



من سن للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجده قمعة بن خندف أبو خزاعة وخندف زوج الياس ابن مضر وقد ذكر ابن اسحق في سبب تغيير عمرو ابن لحي وتبديله واشراكه انه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به إلى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من الجن يقال له ابو ثمامة جاء ليلة فقال أجب أبا ثمامة فقال لبيك من تهامة ادخل بلا ملامة فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التي كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام في العرب وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لاشريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو فقال ماهذا فقال قل تملكه وماملك فانه لا بأس به فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي فكانوا إذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر نحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضي أو قدمت من سفري فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم أو ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها

---

يوسف لكن سيأتي في فتح مكة انه قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله تنزل في الدور قال هل ترك لنا عقيل من رباع أو دور فان هذا السياق دل على أن عقيلا باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده إلا ان يقال المراد باع ماعدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم أي لانه كما سيأتي في الفتح باع دار أبيه أبي طالب لانه وطالبا أخاه ورثا أباطالب لانهما كانا كافرين عند موت أبي طالب دون جعفر وعلي رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا مسلمين وعقيل أسلم بعد دون طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وأن عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي دار خديجة أي التي يقال لها مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي الآن مسجد يصلي فيه بناه معاوية رضي الله تعالى عنه أيام خلافته قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام أي واشتهر بمولد فاطمة رضي الله تعالى عنها لشرفها والافهو مولد بقية اخوتها من خديجة ولعل معاوية رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التي ابقاها في يد عقيل أي التي هي دار خديجة فانه لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فاخذها عقيل * وفي كلام بعضهم لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ضرب مخيمه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بني هاشم وفي كلام بعضهم كان عقيل تخلف عنهم في الاسلام والهجرة فانه أسلم عام الحديبية التي هي السنة السادسة وباع دورهم فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها * (وهي أي تلك الدار التي ولد بها صلى الله عليه وسلم عند الصفا قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا لما حجت وفي كلام ابن دحية ان الخيزران أم هرون الرشيد لما حجت أخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز أن تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي بنته الخيزران فنسب لكل منهما وسيأتي أن الخيزران بنت دار الارقم مسجدا أو هي عند الصفا أيضا ولعل الأمر التبس على بعض الرواة لأن كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم * أقول قد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بني هاشم ثم رأيت التصريح بذلك ولا ينافيه ماتقدم في الكلام على الحمل من أن شعب أبي طالب وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون لأنه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله أعلم قال وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم أي ردم بني جمح وهم بطن من قريش ونسب لبني جمح لأنه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني الحرث فقد وقع بين بني جمح وبين بني الحرث في الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحرث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى * أقول مما يرد القول

بكونه

فلا يذبح الذكر لآلهتهم وإذا انتجت من صلب الفحل عشرة بطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الأقسام يجعلونها لطواغيتهم وتبعته العرب فى غير ذلك أيضا مما يطول ذكره كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة * القسم الثالث وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثانى لأجل كفرهم بما تعدوا الله من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى فى مقام الرد والانكار لما ابتدعوه ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وانما قيل لهم لا يعقلون لأنهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن أكثرهم بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الأول * وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم ان والدى النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يكونا من أهل القسم الأول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم فيما تقدم واما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من احبار أهل الكتاب مفرقين في أقطار الأرض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة أن أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا

بكونه ولد بعسفان ماذكره بعض فقهائنا ان من جملة ما يجب على الولى أن يعلم موليه اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا أن يقال ذاك بناء على ماهو الأصح عندهم والردم هو المحل الذى كانت ترى منه الكعبة قبل الآن ويقال له الآن المدعى لأنه يؤتى فيه بالدعاء الذى يقال عند رؤية الكعبة ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا فى زمنه صلى الله عليه وسلم لأنه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته لما جاء السيل العظيم الذى يقال له سيل أم نهشل وهى بنت عبيدة بن سعيد بن العاص فانه أخذها وألقاها أسفل مكة فوجدت هناك ميتة ونقل المقام الى أن ألقاه بأسفل مكة أيضا فجيء به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر رضى الله عنه بذلك فحضر وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف فهاله ذلك ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة رضى الله تعالى عنه أنا يا أمير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت أخشى عليه مثل ذلك فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بحفاظ فقال له اجلس عندى وارسل فارسل فجيء بذلك الحفاظ فقيس به ووضع المقام بمحله الآن واحكم ذلك واستمر إلى الآن فعند ذلك بنى هذا المحل الذى يقال له الردم بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة تشاهد منه والآن قد حالت الأبنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا بأس بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا محمل قول من قال أول من نقل المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلا ينافي أن الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سيأتى لكن رأيت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر أى الذى هو المقام ملصقا بباب الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاخره عنه لئلا يشغل المصلين عنده الطائفون بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فليتأمل * (وعن كعب الأحبار انى أجد فى التوراة عبدى أحمد المختار مولده بمكة أى وهو ظاهر فى أن كعب الأحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية) * قال وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه عن أمه الشفاء أى بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء وقيل بفتحها وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى أى فهى دايته صلى الله عليه وسلم ووقع فى كلام ابن دحية ان أم أيمن دايته صلى الله عليه وسلم وقد يقال اطلاق الداية على أم أيمن لأنها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفاء قابلته وقد قيل فى اسم الوالدة والقابلة الامن والشفاء وفى اسم الحاضنة البركة والنماء وفي اسم مرضعته أولا التى هى ثويبة الثواب وفى اسم مرضعته المستقلة برضاعه التى هى حليمة السعدية الحلم والسعد (قالت أم عبد الرحمن فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك

لا نزل ملائكة فلو كان عنده علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون ان ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة * وأما اهل القسم الاول كقس ابن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام في كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بانهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى واذا صح ذلك لمثلي هذين فلا مانع من حصول مثله لآبائه الكرام وأمهاته الفخام * واختلفوا (٧٦) في ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل

والاكثرون على عدم ثبوت الصحبة لان اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام انهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه السلام * وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين الذي دخلوا فيه مالم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه فيه لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا ثم لما أوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فان كان قد أسلم أي وحد الله وصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه

الله تعالى أو رحمك ربك أي أو يرحمك ربك ولهذا القول الذي لا يقال الا عند العطاس أي الذي هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذي هو في المشهور صياح المولود أول ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بانه لم يجيء في شيء من الأحاديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى أي فقد قال الحافظ السيوطي لم أقف في شيء من الأحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانها أي وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكى الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن في الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وقد أشار الى التشميت صاحب الهمزية رحمه الله بقوله شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

أي قالت له الاملاك رحمك الله أو رحمك ربك وقت وضع أمه له وفرحتنا بقولها المذكور الشفاء التي هي أم عبد الرحمن بن عوف * أقول قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه ويدل لما ترجاه ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن أمه قال الحمد لله كثيرا وفي كلام بعض شراح الهمزية ويجوز أن يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره صلى الله عليه وسلم وقد جاء العاطس ان حمد الله تعالى فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجاء اذا عطس فحمد الله تعالى فحق على كل من سمعه أن يشمته وفي الصحيح ان رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس آخر فلم يحمد الله فلم يشمته * وفي حديث حسن اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك أي بالامر بالتشميت بصيغة افعل التي الاصل فيها الوجوب وبقوله حق أهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الأئمة الى وجوبه على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضى الله تعالى عنه اي وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس على ابليس أشد من تشميت العاطس * وعن سالم بن عبيد الله الاشجعي وكان من أهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليه بقوله يغفر الله لي ولكم * (ومن لطيف ما اتفق ان الخليفة المنصور وشى عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت في نفسي فقال قد شمتك في نفسي فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابني لا تحابي غيري) * قال بعضهم والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك وقال غيره لان الاذى وهي الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذي فيه قوة التذكر والتفكر أي فهو بحران الرأس

وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطي اني لم أدع ان مسئلة الأبوين اجماعية بل هي مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير انى اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه الأنسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الناس يقولون

أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال مابال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى الله وروى الطبراني والامام أحمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الأموات فتؤذوا الاحياء ولا ريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل وان تاب فاذا سئل العبد عن الأبوين الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة اما لانهما احييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي في شرح مسلم وأما  لأنهما كانا على الحنيفة والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيئا من ذلك) وقد نقل العلامة الطحاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر ان المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فاجاب بأنه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم ان رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له ما حملك على ان تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تقل لي شيئا ما بقيت وعزله عن الدواوين ولقد اطنب الجلال السيوطي رضي الله عنه في الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا في نجاة آباء المصطفى صلى الله عليه وسلم قال في مسالك الحنفا وقد سئلت ان انظم في هذه المسئلة أبياتا

---

الرأس كما أن العرق بحران بدن المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغي أن يحمد الله تعالى عليها أي ولان الأطباء كما زعمه بعضهم نصوا على ان العطاس من أنواع الصرع أعاذنا الله تعالى من الصرع وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الأطباء ان العطاس للدماغ كالسعال للرئة قال والعطاس أنفع الأشياء لتخفيف الرأس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الرأس فيحصل منه النشاط والخفة (وفي نوادر الاصول للترمذي قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا) وفي الجامع الصغير ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد عدل وفي حديث حسن أصدق الحديث ما عطس عنده وقد جاء ان روح آدم عليه السلام لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فمه ولسانه قال تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم عليه السلام فقال الحق يرحمك الله يا آدم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك اي للموت وقد روى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس النعاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان وروى ابن أبي شيبة موقوفا بسند ضعيف أيضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس في الصلاة أي فمع كون كل واحد من العطاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان والعطاس فيها أحب الى الله تعالى من التثاؤب فيها والتثاؤب فيها أكره الى الله تعالى من العطاس فيها لان الكراهة مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جاء اذا عطس أحدكم أي هم بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته أي ولا ينافي وجود الشفاء ووجود ام عثمان ابن العاص عند أمه صلى الله عليه وسلم عند ولادته (لما روى عنها أنها قالت لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة وأني لوحيدة في المنزل رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي وفي كلام ابن المحدث ودخل على نساء طوال كأنهن من بنات عبد المطلب ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الي فاستندت اليها وأخذني المخاض واشتد علي الطلق وكان واحدة منهن تقدمت الي وناولتني شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله تعالى فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين) لجواز وجود الشفاء وأم عثمان عندها بعد ذلك وتأخر خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفاء لما تقدم من قولها وقع على يدي (ولعل حكمة شهود آسية ومريم لولادته كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم أخت موسى ففي الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى وسيأتي عند موت

خديجة انه صلى الله عليه وسلم قال لها أشعرت ان الله تعالى قد أعلمنى انه سيزوجنى وفى رواية أما علمت ان الله تعالى تدزوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت الله اعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفاء والبنين* وقد حمى الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن أحد فقد ورد ان آسية لما ذكرت لفرعون أحب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الأموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضى منها بالنظر اليها* وأما مريم فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما تزوجها ليرفقها الى مصر لما أرادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى عليه السلام وأقاموا بها اثنتى عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا الناصرة* وأخت موسى عليه السلام لم يذكر انها تزوجت وهذا يفيد ان بنات عبد مناف او بنات عبد المطلب على ماتقدم كن متميزات عن غيرهن من النساء فى افراط الطول* وقد رأيت ان على بن عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور أول خلفاء بنى العباس أبو أبيهما محمد كان مفرطا فى الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب أبيه عبد الله ابن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب أبيه العباس وكان العباس الى منكب أبيه عبد المطلب لكن ابن الجوزى اقتصر فى ذكر الطوال على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب ابن سلمة وعلى بن عبد الله بن العباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن أبيه العباس وعن أبيه عبد المطلب* وفى المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا ورأيت أن عليا هذا جد الخلفاء العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان اجمل شريف على وجه الارض وكان يصلى فى كل ليلة الف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه هو الذى سماه عليا وكناه أبا الحسن فقد روى أن عليا رضى الله تعالى عنه افتقد عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فى وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه مابال أبى العباس يعنى عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى على كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فأتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب زاد بعضهم ورزقت بره وبلغ أشده ماسميته قال أويجوز لى ان اسميه حتى تسميه فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما ولى معاوية الخلافة قال لابن عباس ليس لكم اسمه ولا كنيته يعنى على بن أبى طالب كرم الله وجهه كراهة فى ذلك وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه وقد يخالف ذلك ماذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان قال لا غير اسمك أو كنيتك فلا صبر لى على اسمك وهو على وكنيتك وهى أبو الحسن قال اما الاسم فلا أغيره واما الكنية فاكتنى بابى محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة فى اسم على بن أبى طالب وكنيته وعلى هذا دخل هو وولدا ولده محمد

اختم بهاهذا التاليف فقلت | ان الذى بعث النبي محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف | ولامه وأبيه حكم شائع *
أبداه اهل العلم فيما صنفوا | فجماعة اجروهما مجرى الذى * آياته خير الدعاة المسعف | والحكم فيمن لم تجئه دعوة*
أن لاعذاب عليه حكم مؤلف | فبذاك قال الشافعية كلهم * والأشعرية ما بهم متوقف | وبسورة الاسراء فيه حجة*
وبنحو ذا في الذكر آى تعرف | ولبعض أهل الفقه فى تعليله * معنى ارق من النسيم والطف | ونحا الامام الفخر رازى الورى *
منحى به للسامعين تشنف (٧٨) اذهم على الفطر الذى ولدوا ولم * يظهر عناد منهم وتخلف | قال الاولى ولدوا النبي المصطفى*

كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لابيه عبد الله ما
فيهم أخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة
نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب
فى الساجدين فكلهم
متحنف هذا كلام الشيخ
فخر الدين فى
أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير
جزائه
وحباه جنات النعيم
تزخرف
فلقد تدين فى زمان الجاهليـ
ـة فرقة دين الهدى
وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل
هكذا الصـ
ـديق ماشرك عليه يعكف
قد فسر السبكى بذاك
مقالة
للاشعرى وما سواه
مزيف
أذا لم تزل عين الرضا منه
على الصـ
ـديق وهو بطول عمر احنف

عادت عليه صحبة الهادى فما * فى الجاهلية للضلالة يعرف | وهما
فلامه وأبوه أحرى سيما * ورأت من الآيات مالا يوصف | وجماعة ذهبوا الى احيائه * ابوية حتى آمنا لا تحرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * فى ذاك لكن الحديث مضعف | هذى مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته * أدبا ولكن أين من هو منصف | صلى الاله على النبي محمد * ما جدد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضاه يدوم لا يتوقف | ﴿باب وفاة جده عبد المطلب ووصيته لابى طالب﴾

كان جده عبد المطلب هو الكافل له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكانت وفاة جده وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفى مائة وأربعين سنة وقيل مائة وعشرة وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصى ولما حضرته الوفاة أوصى به الى عمه شقيق أبيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض أن اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى أن الله اصطفى (٧٩) آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد اخطؤا في ذلك خطأ كثير ولم يتأملوا القرآن قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا وحين أوصى به جده لابى طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه أحدا من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما فخرجت القرعة لابى طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه ومو الاته له وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب فى كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة فى الكتب القديمة فهى من علامات نبوته ففى خبر سيف ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا قال بعضهم لم يبك على أحد بعد موته ما بكى على عبد المطلب وكان صلى الله عليه وسلم يسعى خلف سريره ويبكى وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

أعينى جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمقتصر على ماجد الجدوارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعزو المفتخر وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فأكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سيليان هذا الامر يعنى الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه فى ذلك الى الحمق ويقال أن الوليد بن عبد الملك أى لما ولى الخلافة وبلغه عنه أنه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور وأركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبد الله بن عباس الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت له ما هذا الذى يسنده اليك من الكذب قال بلغهم عنى أنى أقول أن هذا الامر يعنى الخلافة ستكون فى ولدى والله لتكونن فيهم فكان الأمر على ما ذكر فقد ولى السفاح الخلافة ثم المنصور * وفى دلائل النبوة للبيهقى أن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قدم على معاوية رضى الله تعالى عنه فأجازه وأحسن جائزته ثم قال يا أبا العباس هل تكون لكم دولة قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لتخبرنى قال نعم قال فمن أنصاركم قال أهل خراسان أى وهو أبو مسلم الخراسانى يجىء بجيشه معه رايات سود يسلب دولة بنى أمية ويجعل الدولة لبنى العباس يقال أن أبا مسلم هذا قتل ستمائة ألف رجل صبرا غير الذى قتله فى الحروب وهذه الروايات السود غير التى عناها صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى فان تلك الرايات تأتى قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة فى أولاد المنصور وقول على فى ولدى واضح لأن ولد الولد ولد * وقد حكى فى مرآة الزمان عن المأمون انه قال حدثنى ابى يعنى هرون الرشيد عن أبيه المهدى عن أبيه المنصور عن أبيه محمد بن على عن أبيه على عن أبيه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد القوم خادمهم وذكر انه مما يؤثر عن المأمون أنه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لؤم * وكان يقول لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا الى بالجرائم وانى أخاف انى لا أوجر على العفو أى لانه صار لى طبيعة وسجية * قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله أعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان فى عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة زاد فى لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فتعجبوا من ذلك وعن أمه انها قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب أى يسيل لبنا اه * أى وفى العرائس أن فرعون لما أمر بذبح أبناء بنى اسرائيل جعلت المرأة أى بعض النساء كما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد أو غار فاخفته فيه فيقيض الله سبحانه وتعالى له ملكا من الملائكة

وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب أي القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك وكان أبو طالب يقرب  الى الصبيان أول بكرة النهار شيئا يأكلونه فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافي ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة الوانهم ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه في انعم عيش لطفا من الله به قالت أم ايمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا الا في صغره ولا في كبره وكان يغدو اذا اصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول انا شبعان وهذا في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال أن ابن أخي ليحس بنعيم أي بشرف عظيم وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج * وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا مناة الثالثة الأخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي اني تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل قالوا كأنك عنيت أبا طالب فقال أيها فقاموا باجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا أبا طالب

يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي أتى السامري لما جاءته أمه في غار من الملائكة جبريل عليه السلام فكان أي السامري يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الأخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى من المص قد جعل الله له فيه رزقا والسامري هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى عليه السلام ويخفي الكفر وفي رواية أن عبد المطلب هو الذي دفعه للنسوة ليضعوه تحت الاناء * أقول هذا هو الموافق لما سيأتي (عن ابن اسحق من أن أمه صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت الى جده أي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها أي فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال أليس بشرا سويا فقالت نعم وسكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر التوقف في قول ابن دريد أكفئت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه الا أن يقال يجوز أن يكون جده اخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعه لها وللنسوة ليضعوه تحت جفنة أخرى الى أن يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ما تقدم عن أمه فوجدت الاناء قد تفلق وهو يمص ابهامه * وعن اياس الذي يضرب به المثل في الذكاء قال اذكر الليلة التي وضعت فيها وضعت أمي على رأسي جفنة وقال لأمه ما شيء سمعته لما ولدت قالت يا بني طست سقط من فوق الدار الى أسفل ففزعت فولدتك تلك الساعة * قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل وان اياسا منهم ولعل هذا هو المراد بما جاء في الحديث يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها والمراد برأسها آخرها بأن يدرك أوائل المائة التي تليها بأن تنقضي تلك المائة وهو حي الا أني لم أقف على أن اياسا هذا كان من المجددين والله أعلم * وفي تفسير ابن مخلد الذي قال في حقه ابن حزم ما صنف مثله أصلا أن ابليس رن أي صوت بحزن وكآبة أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة حين أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنته حين ولادته صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الأصل بقوله

لمولده قد رن ابليس رنة * فسحقا له ماذا يفيد رنينه

(وعن عطاء الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قائلين ما هذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل بي لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فاني سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ أخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني قد وجدت

أقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام وهو النبى صلى الله عليه وسلم كانه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أى أشار بأصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجى وما فى السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا واغدودق الوادى أى أمطر وكثر قطره وأخصب النادى والبادى وفى هذا يقول ابو طالب يذكر قريشا حين تمالئوا على أذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلال من آل هاشم * (٨١) فهم عنده فى نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابى حديثا فيه أن قريشا تتابعت عليهم سنون جدب فى حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا فى الحال فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال أعنى قوله وأبيض يستسقى البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتا لأبى طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد اخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه قال جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه كانك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بأن أبا طالب منشئ البيت وأول القصيدة

ولما رأيت القوم لا ود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وجدت قالوا وما الذى وجدت قال أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون أى لأن صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها * وقد جاء فى الحديث أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أى لا يثيبه على عمله مادام متلبسا بتلك البدعة * وعن الحسن قال بلغنى أن ابليس قال سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهى الاهواء أى البدع وقد جاء فى الحديث اخاف على أمتى بعدى ثلاثا ضلالة الاهواء الحديث وأهل الاهواء هم أهل البدع * وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال أى لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا وهذا يدل على أن تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو ذهبت إليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة وقع بعدن * وكون تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدها فى السماء لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا أمر حدث فى الأرض وأمرهم أن يأتوه بتربة من كل أرض فصار يشمها إلى أن أتى بتربة من أرض تهامة فلما شمها قال من ههنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم الا أن يقال لا اشكال لأن تساقط النجوم وإن كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن فى أى أرض على أن بعضهم أنكر كون ما ذكر كان عند الولادة وقد تقدم أن المذكور فى كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم روى أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء ثم تجاوز سماء الدنيا إلى غيرها فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع فى سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعوا من التردد إلى السماء إلا قليلا أى فصاروا يسترقون السمع فى سماء الدنيا فى بعض الأحايين وفى أكثر الأحايين يسترقون دونها حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا أصلا فصاروا لا يسترقون السمع إلا دون سماء الدنيا ثم رأيتنى نقلت فى الكوكب المنير فى مولد البشير النذير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها مما سيقع فى الأرض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع إلا رمى بشهاب وسيأتى عند المبعث ايضاح هذا المحل (وقد أخبرت الأحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال إنى لغلام يفعة أى غلام مرتفع ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت أو سمعت إذ يهودى بيثرب يصيح

وقدحالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول
اعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا فى أمركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم * تكونوا كما كانت أحاديث وائل
اعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بعيبة * ومن ملحق في الدين مالم يحاول
وثور ومن رأسى ثبير امكانه * وراق لبر فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

قال الزرقانى وما أحلى قوله فى ختامها عن ابن اسحق
لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش * يوالى الهاليس عنه بغافل
فوالله لولا أن اجىء بسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا ان ابننا لامكذب * لدينا ولا يعنى بقول الا باطل )
فاصبح فينا احمد فى ارومة * تقصر عنها سورة المتطاول
حديث بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
قال الامام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخارى ان فى شعر ابى طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ماشاهده من أحواله * ومنها الاستسقاء به فى صغره ومعرفة أبى طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت فى كثير من الاخبار زيادة على اخذها من شعره وتمسك بها الشيعة فى انه كان مسلما والف على بن حمزة البصرى الرافضى جزءا جمع فيه شعر ابى طالب وقال انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ فى سبهم والرد عليهم قال الحافظ ابن حجر قد أكثر فى هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام

ذات يوم غداة على أطمة أى محل مرتفع يامعشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة أى الذى طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة وحسان هذا سيأتى انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام مثلها وكذا عاش هذا القدر وهو مائة وعشرون سنة أبوه وجده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم سواهم وكان حسان رضى الله عنه يضرب بلسانه أرنبة أنفه وكذا ابنه وأبوه وجده (وعن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه رأيت فى التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى من بطن أمه وموسى عليه السلام أخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة اى وهو منكم معاشر قريش على كتفه أى عند كتفه علامة أى شامة فيها شعرات متواترات اى متتابعات كانهن عرف فرس أى وتلك العلامة هى خاتم النبوة أى علامتها والدليل عليها لا يرضع الليلتين وذلك فى الكتب القديمة من دلائل نبوته أى وعدم رضاعه لعله لتوعك يصيبه وفى كلام الحافظ ابن حجر واقره تعليلا لعدم رضاعه لأن عفريتا من الجن وضع يده على فيه (وعند قول اليهودى ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم آله وفى لفظ أهله فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاءوا لليهودى وأخبروه الخبر أى قالوا له أعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معى حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على امه فقال أخرجى الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به يامعشر قريش اما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب) أى وعن الواقدى رحمه الله انه كان بمكة يهودى فقال يوسف لما كان اليوم اى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به أحد من قريش قال يامعشر قريش قد ولد نبى هذه الامة الليلة فى بحرتكم أى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لابن عبد المطلب اى لعبد الله غلام فقال هو نبى والتوراة (وكان بمر الظهران راهب من أهل الشام يدعى عيص وقد كان آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اى يقرب أن يولد فيكم مولود يااهل مكة تدين له العرب اى تذل وتخضع ويملك العجم اى ارضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أى ادرك

أدرك بعثته واتبعه اصاب حاجته أي ما يؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه اخطأ حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا ويسأل عنه ويقول ما جاء بعد أي الآن فلما كان صبيحة اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب أي وقيل الجائي له عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على أنه لم يمت وأمه حامل به أي ولعل قائله اخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ما ترى عليه أي على ذلك المولود فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه وان نجمه أي الذي طلوعه علامة على وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك أي أيضا انه الآن وجع فيشتكي ثلاثا ثم يعافى *أقول أي ولا يرضع في تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف ما سبق من قول الآخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة في قوله كن أباه على أن الجائي للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له أبو النبي صلى الله عليه وسلم ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم *أنا ابن عبد المطلب* كما تقدم والله أعلم ثم قال له احفظ لسانك أي لا تذكر ما قلته لك لأحد من قومك فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها في احدى وستين او ثلاث وستين زاد في رواية وذلك جل أعمار أمته (وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام) أي أصنام الدنيا وتقدم أيضا انها تنكست عند الحمل به وتقدم أنه لا مانع من تعدد ذلك وجاء أن عيسى عليه السلام لما وضعته أمه خر كل شيء يعبد من دون الله في مشارق الأرض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب ابن منبه لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم اصبحت الأصنام في جميع الأرض منكسة على رؤوسهم وكلما ردوها على قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف ابليس في الأرض ثم عاد اليهم فقال رأيت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع أن أدنو اليه وما كان نبي قبله أشد علي وعليكم منه واني لارجو ان أضل به أكثر ممن يهتدي به *أقول قد علمت أن تنكيس الأصنام تكرر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة فالخاص به ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى عليه السلام له في ذلك وبهذا يعلم ما في قول الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكيس الاصنام لمولده (وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الأصنام ويأمر بعبادة الملك العلام) ولا يقال قال ابليس في حق عيسى عليه السلام لا أستطيع أن أدنو اليه وتقدم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه جبريل عليه السلام لانا نقول يجوز أن يكون الدنو في حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا

أبي طالب ولا يثبت شيء من ذلك واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه والحاصل أن مذهب أهل السنة من المذاهب الأربعة عدم اسلامه وانقياده على حسب ما نطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبي بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة ياعم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة وفي رواية أحاج وفي رواية أشهد لك بها عند الله وفي رواية يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها الا لأسرك بها وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفي رواية قال العباس أنه أسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن أجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بان شهادة العباس لابي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره وقبل أن يسلم مع ان الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد اثبتت لابي طالب الوفاة على الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن ابيه أن أباطالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يراد انه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك مالم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقوله هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم أن المحققين على نجاة عبد المطلب لانه أراد حكاية ظاهر الحال لهم مع أن عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراك البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله أيضا في أبي

طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وفى صحيح البخارى ومسلم عن العباس رضى الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباطالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الأرض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفى رواية لولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال الزرقانى لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسأل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ بن حجر لو كانت طريقه (٨٤) يعنى حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذى هو أصح منه فضلا عن انه لا يصح وروى ابو داود والنسائى وابن الجارود وابن خزيمة عن على رضى الله عنه قال لما مات ابن طالب اخبرت النبى صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبى الآية * وفى رواية لما مات ابو طالب قلت يارسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أن أهون أهل النار عذابا ابو طالب وروى البخارى ومسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه زاد فى رواية حتى يسيل على قدميه قال البيهقى ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه ابى طالب ويؤخذ من الحديث أنه يجوز ان الله يضع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع قال السهيلى ان اباطالب كان مع النبى صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا ناصرا له الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة قريش حتى قال عند الموت انه على ذلك فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على تلك الملة فيكون من مشاكلة الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط المستقيم قال القرافى فى قوله السابق منكسا

الى محله الذى هو فيه لا الى جسده والدنو المنفى فى حق عيسى عليه السلام دنو الى جسده فان قيل جاء فى الحديث مامن مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان أى لقوم أم مريم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفى رواية كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب وهى المشيمة التى يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه فى جنبه فيستهل صارخا الا عيسى بن مريم وأمه مريم ضرب الله عليهما حجابا فاصابت الطعنة الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شىء ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل أن يكون غيرها *قلت وجاء عن مجاهد أن مثل عيسى فى عدم طعن الشيطان فى جسده حين يولد سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل الرأى وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وأمه بالذكر كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعيسى وأمه وهذا الكلام يرد بيان القاضى عياض للضرر المنفى فى قوله صلى الله عليه وسلم من قال إذا أراد أن يأتى أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان قدر بينهما فى ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان ابدا بان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا أى عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون فى حق خصوص ابليس فلا ينافى ماتقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم فى ليلتين بوضع عفريت من الجن يده فى فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف أخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان فى اغوائه وتبعه القاضى على ذلك وسيأتى فى شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك وفى كلام الشيخ محيى الدين ابن العربى اعلم انه لا بد لجميع بنى آدم من العقوبة والالم شيئا بعد شىء الى دخولهم الجنة لأنه اذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو غيره وأول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضر به الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكى فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وقال بعد ذلك فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام على يوم ولدت معناه السلامة من ابليس المتوكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى عليه السلام بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتامل هذا مع قوله ان استهلال المولود واصراخه حين يولد لحسه ألم البرد الذى يجده مع مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على أن سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله أعلم وذكر أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه

لقدعلموا ان ابننالامكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول انى لاعلم ان مايقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن يعيرنى نساء قريش لاتبعته وفى شعره من هذا النحو كثير كقوله حين اجتمعت قريش وجاءوه بعمارة ابن الوليد وقالوا له خذه بدل محمد ويكون كالابن لك واعطنا محمدا نقتله فقال ماأنصفتمونى يامعشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقرمنك عيونا ودعوتنى وعلمت انك ناصحى * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا (٨٥) لولا المسبة أوحذار ملامة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا وروى انه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض أن الحمزة وعمر قد اسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبى طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شىء يعنون القتل للنبي صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فمشى اليه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب فى رجال من اشرافهم فاخبروه بما جاءوا له فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فاخبره بمرادهم وقال ياابن أخى هؤلاء اشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك أعط سادات قومك ماسالوك فقد أنصفوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وآلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان أعطيتكم ماسألتم هل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لنعطيكها وعشر امعها فما هى قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم وقالوا ايا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ان أمرك لعجيب فانزل الله ص والقرآن ذى الذكر الآيات وفى رواية قالوا ايسع لحاجاتنا جميعا إله واحد سلنا غير هذه الكلمة وقال أبو طالب ياابن أخى هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها قال ياعم ماأنا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جئتمونى بالشمس

منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا لأمر حدث ثم أنشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أى مرتفع يقول

تردى لمولود أضاءت بنوره جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب

الأبيات والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق الهناء

أى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو مايسمع صوته ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور وليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس أى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان ومعنى أنوشروان مجدد الملك أى وكان بناء محكما مبنيا بالحجارة الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة أى وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك الايوان أربع عشرة شُرْفة بضم الشين المعجمة وسكون الراء أى وليس ذلك لخلل فى بنائه وانما أراد الله تعالى أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الأرض أى وقد ذكر أن الرشيد أمر وزيره يحيي بن خالد البرمكى اى والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيي لا تهدم بناء دل على فخامة شأن بانيه قال بلى يامجوسى ثم أمر بنقضه فقدر له نفقة على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيي ليس يحسن بك أن تعجز عن هدم شىء بناه غيرك هذا والذى رأيته فى بعض المجاميع أن المنصور لما بنى بغداد أحب أن ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبنى به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن رآه علم أن من هذا بناؤه لا يزول أمره وهو مصلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والمؤنة في نقضه أكثر من الانفاق عليه ولا مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيي بن خالد يامجوسى لان جده والد خالد البرمكى وهو برمك كان من خراسان وكان أولا مجوسيا ثم أسلم وكان كاتبا عارفا محصلا للعلوم كثيرة جاء الى الشام فى دولة بنى أمية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما أن زالت دولة بنى أمية وجاءت دولة بنى العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور من بنى العباس ورأيت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهى انه سار الى زيارة ملك الهند فاكرمه وأنس به واحضر له طعاما وقال كل فاكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا اقدر والله أيها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه الملك وأمر به على صدرى فكانى لم آكل شيئا قط ثم أكلت أكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا والله لا اقدر أيها الملك فامر بالقضيب على صدرى فكانى لم آكل شيأ قط فاكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت والله

حتى تضعوها فى يدى ماسألتكم غيرها فقال بعضهم لبعض والله ماهذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم قالوا عند قيامهم والله لنشتمك وإلهك الذى يأمرك بهذا وفى رواية لتكفن عن سب آلهتنا ولنسبن الذى يأمرك بهذا وقال أبو طالب عند ذلك والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شحطا أى أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أى عم فأنت قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخى لولا مخافة السب عليك (٨٦) وعلى بنى أبيك من بعدى وان يظن قريش انى انما قلتها جزعا من الموت لأقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكنى أموت على ملة الاشياخ فانزل الله تعالى انك لاتهدى من أحببت الآية وفى رواية ان أباطالب قال عند موته يامعشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله فقال يا ابن أخى قد علمت انك صادق لكن أكره أن يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة أخرى عند أبى طالب فأوصاهم أبو طالب فقال يامعشر العرب أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطاة صلوا أرحامكم فان فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن

ماأقدر على ذلك فأراد أن يمر بالقضيب على صدرى فقلت ايها الملك ان الذى دخل يحتاج الى أن يخرج فقال صدقت وأمسك عنى فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك * ومما يحفظ عن يحيى بن خالد هذا زيادة على ماتقدم عنه اذا أحببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا أبغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما يحفظ عنه أيضا وقد قال له ولده وأظنه الفضل وقد كان معه مقيدا فى حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهبه أموال البرامكة ومن يلوذ بهم ياأبت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذه الحالة فقال ياولدى دعوة مظلوم سرت ليلا غفلنا عنها وماغفل الله عنها أى فقد قال أبو الدرداء اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسرى بالليل والناس نيام أى ولأن الله تعالى يقول انا أظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسأل الله حقه وان الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه وجاء اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الأبيض الذى فوق السماء السابعة المعنى بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام أى لا تقوى على حمله اذا سقط ونصر دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو سبحانه وتعالى وان أمهل الظالم لا يهمله وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة أى تصعد الى السماء السابعة فما فوقها وجاء اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القائل

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل فى يحيى بن خالد هذا من المدح البليغ

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ... ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء فقال لا بل وراثة ... توارثنى من والد بعد والد

ومما يحفظ عن والده خالد التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمولود ومما يحفظ عن جعفر ولد يحيى قوله شر المال مالزمك الاثم فى كسبه وحرمت الأجر فى انفاقه وقوله المسىء لا يظن فى الناس الاسوأ لأنه يراهم بعين طبعه ومما قيل فى جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك ندى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم فى الغنى ... ولكن معروفه أوسع

(وخمدت نار فارس أى مع ايقاد خدامها لها أى كتب له صاحب فارس أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أى غارت بحيرة ساوة أى بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شىء من الماء مع شدة اتساعها أى كتب له بذلك عامله باليمن والى هذا يشير صاحب الأصل بقوله

لمولده ايوان كسرى تشققت ... مبانيه وانحطت عليه شؤونه

لمولده

وأيم الله كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا أعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفي رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير



ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا * قال الزرقاني فانظر واعتبر كيف وقع جميع ماقاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ومع ذلك سبق فيه قدر القهار أن في ذلك لعبرة لاولي الابصار ولهذا الحب الطبيعي كان أهون أهل النار عذابا كما في صحيح مسلم والحاصل أن ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كلها تدل على أنه مات على كفره وانه كان عنده تصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه وأما حديث العباس رضي الله عنه الذي فيه انه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص وقالت الشيعة باسلامه تمسكا بذلك الحديث وبكثير من أشعاره لكن مذهب

لمولده خرت على شرفاته * فلاشرف للفرس يبقى حصينه
لمولده نيران فارس أخمدت * فنورهم اخماده كان حصينه
لمولده غاضت بحيرة ساوة * وأعقب ذاك المدجور يشينه
كان لم يكن بالأمس ريا الناهل * وورد العين المستهام معينه

والى ذلك ايضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

أي ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انهدام ايوان كسرى أنو شروان الذي كان يجلس به مع أرباب مملكته وكان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علامة صادرة عنك الى الوجود ماتهدم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك أيضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال أن في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من أجل سكون لهب تلك النيران التي كانوا يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك أيضا غور ماء عيون الفرس في الأرض حتى لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتقريعا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران ويقال في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي العظيم وظهوره (ورأى الموبذان أي القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم ورأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا أي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة أي وهي نهر بغداد وانتشرت في بلادها أي والابل كناية عن الناس ورأى كسرى ماهاله وأفزعه أي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فلما أصبح تصبر أي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى أنه لا يدخر ذلك أي هذا الامر الذي هاله وأفزعه عن مرازبته بضم الزاي أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيما بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبيناهم كذلك أذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران أي وورد عليه كتاب من صاحب أيليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره بأن الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بمارأى وماهاله أي وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان فانا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال أي شيء يكون هذا ياموبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة

أهل السنة على خلافه ونقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الامام الشعراني والسبكي وجماعة أن ذلك الحديث أعني حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصح عندهم اسلامه وان الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفارا لانه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم كما تقدم نظيره في حديث الذي قال أين أبي وأيضا لو ظهر لهم اسلامه لعادوه وقاتلوه ومنع النبي صلى الله عليه وسلم ولما تمكن من حمايته والدفع عنه فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وانجاه في باطن الامر لكثرة نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم وحمايته له ومدافعته عنه ولكن هذا القول أعني

القول باسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض في شأنه وانما يفوض الأمر فيه الى الله تعالى فانه أسلم للعبد قال في السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوى لابن القيم وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تأخر اسلام من أسلم منهم ولو أسلم أبو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم أن ذلك انما هو على بصيرة صادقة ويقين ثابت ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت واتفق أن ابن العيطلة سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة حفر يعني أبا لهب فاقبلت قريش على أبي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقته وفي لفظ قالوا له أصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن اخي أن يضام حتى يمضي لما يريد قالوا قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث صلى الله عليه وسلم اياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الى أن جاء أبو جهل وعقبة بن معيط الى أبي لهب فقالا له اخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك يزعم أنه في النار فقال أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال

يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني أي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالي يسكن مشارف الشام بالفاء أي أعاليها أي وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فاته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى أي أشرف على الضريح أي الموت أي احتضر وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة أي ولم يذكره ابن الجوزي في المعمرين وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى عظم رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ماء امرأة لأن ماء الرجل يكون منه العظم والعصب أي كما يأتي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة يخلق منها اللحم والدم قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما سأله اليهود فقالوا له مما يخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك أي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه أن عيسى عليه الصلاة والسلام على تسليم أنه خلق من نطفة وهي نطفة أمه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك بصفة شاب أمرد حتى انحدرت شهوتها الى أقصى رحمها وقيل لم يخلق من نطفة أصلا وقد صرح بالاول الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله حيث قال أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك أن الملك لما تمثل لها بشرا سويا اشتدت اللذة بالنظر اليه فنزل الماء منها الى الرحم فتكون عيسى عليه السلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط هذا كلامه أي وكون سطيح كان وجهه في صدره لم يختص سطيح بهذا الوصف فقد رأيت أن عمر اذا الاذعار انما قيل له ذلك لأنه سبى أمة وجوهها في صدورها فذعرت الناس منهم وعمر وهذا كان في زمن سليمان بن داود عليهما السلام وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس بعد قتلها له وكان لسطيح سرير من الجريد والخوص اذا أريد نقله الى مكانه يطوى من رجليه الى ترقوته وفي لفظ جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك اطلب المخيض أي سقاء اللبن الذي يخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلىء ويعلوه النفس فيسئل فيخبر عما يسئل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها قيل وهو أول كاهن كان في العرب وهذا يدل على أنه سابق على شق وقد تقدم في

مع قومه فقالا يزعم أنه في النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي رواية من مات على عبادة غير الله فهو في النار فترك أبو لهب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى وأنه مات في الفترة وأنه كان موحدا وإنما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لأنهم كانوا يعتقدون أنهم على ما كان عليه عبد المطلب ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سببا لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الأصنام فاللائق بالمقام أن يجعل الكلام عاما



وأن يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير أن يفصل لهم ويظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لأن ذلك أبلغ في تنفيرهم ومن تأمل اجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفي رواية من مات على عبادة غير الله فهو في النار وجاء في رواية من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل أنها من تصرف الرواة ويحتمل أنها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب في النار وهكذا كانت عادته صلى الله عليه وسلم في اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به وبفهمه وعقله ويأتي بالكلام محتملا تحريا للصدق ومن تأمل الحديث السابق في سؤال الرجل الذي قال له أين أبي يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شيء من أمثاله فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أعقل العالمين وأعلمهم فيخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة أبي طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه إلى ذكر الكلام على أبي طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله أعلم ﴿ ومن الارهاصات التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير ﴾ أنه كان مع عمه أبي طالب بذي المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه أبو طالب فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي قد عطشت فأهوى بعقبه إلى الأرض وفي رواية إلى صخرة فركضها برجله وقال شيئا قال أبو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت



حفر زمزم أن الكاهنة التي ذهب إليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها تفلت في فم سطيح وفم شق وذكرت أن سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن أحد أشرف في الكهانة ولا أعلم بها ولا أبعد فيها صيتا من سطيح وكان في غسان * وذكر بعضهم أن سطيحا كان في زمن نزار بن معد بن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر واخوته وهو يؤيد ما تقدم من أنه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح وهؤلاء كانوا رؤس الكهنة وأهل العلم الغامض منهم بالكهانة أي والافمنهم أي من أهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب في بني حنيفة وسجاح كانت في بني تميم وسجاح أخرى كانت في بني سعد (والكهانة هي الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية لأن لها استعدادا للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول * أصم أم يسمع غطريف اليمن * أي سيدهم إلى آخر أبيات ذكرها فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه) *أقول قد يقال لا منافاة بين اثبات الرأس هنا ونفيه في قوله ولم يكن له رأس لأنه لا يجوز أن يكون المراد بالرأس المثبت الوجه لكن قد تقدم أنه لم يكن له عظم سوى ما في رأسه أو الا جمجمته ففي ذلك اثبات الرأس وقد يقال لما كان رأسه وتلك الجمجمة يؤثر فيهما اللمس للينهما لمخالفتهما لرأس غيره ساغ اثبات الرأس له ونفيه عنه والله أعلم وعند رفع رأسه قال عبد المسيح على جمل مشيح أي سريع إلى سطيح وقد وافى على الضريح أي القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة أي تلاوة القرآن وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه أي مات من ساعته)* والهراوة بكسر الهاء وهي العصا الضخمة أي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي إليها التي هي العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء وفي الحديث من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عد له أي عدم أخذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي تغرز ويصلي إليها في غير المسجد لأنه لم يحفظ أن ذلك كان لمن قبله من الأنبياء وذكر الطبري أن ابرويز بن هرمز جاء له جاء في المنام فقيل له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب إليه النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الأمر سيصير إليه (وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضي العزم شمير ... ولا يغرنك تفريق وتغيير

حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه فى ذلك السفر عمه الزبير فمروا بوادفيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الأرض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا * وفى السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال علىّ بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به (ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشام فصبب به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفى رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أى لزمه وقبض عليه وفى رواية أمسك بزمام ناقة أبى طالب وقال ياعم الى من تكلنى لا أب لى ولا أم فاخذه معه واردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وماينبغى أن يكون له أب حى لأن من كانت هذه الصفة صفته فهو نبى أى النبى المنتظر بدليل قوله ومن علامة ذلك النبي فى الكتب القديمة أن يموت أبوه وأمه حامل به وحينئذ وأن تموت أمه وهو صغير قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبى قال الذى يأتيه الخبر من السماء فينبىء أهل الأرض قال أبو طالب الله أجلّ مما تقول قال فاتق عليه اليهود (ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال ماهذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حى قال ولم قال لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبى أى النبى الذى يبعث لهذه الأمة الأخيرة لأن ماذكر علامته فى الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى الا تسمع مايقول قال

والناس أولاد علات فمن علموا ... ان قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم اما ان رأوا نشبا ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن ... فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قاله سطيح قال له كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله عنه أى فقد ذكر أن آخر من هلك منهم كان فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه () أى وكانت مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وأربعا وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لأنه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بنى تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه فاستنطقه فوجد عنده ادبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون أن ملكنا يصير اليهم على يد نبي يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الأمر باطلا فلن يضرك وإن يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها ويعظمونك بها فى دولتك فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وأحسن اليهم بعد ذلك (وقول سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم أقف على انه ملك منهم من النساء الا واحدة وهى بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت (وذكر ابن اسحق رحمه الله أن أمه صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فأتاه ونظر اليه وحدثته بما رأته فأخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة أى وقام يدعو الله أى وأهله يؤمنون ويشكر له ماأعطاه * ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم مافيه قال (وتكلم صلى الله عليه وسلم فى المهد فى أوائل ولادته وأول كلام تكلم به ان قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اه * أقول وتقدم أنه قال حين ولد جلال ربى الرفيع كما أورده السهيلى عن الواقدى وانه روى انه تكلم حين خروجه من بطن أمه فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه وحين وضعه فى المهد وأنه زاد فى المرة الثالثة وسبحان الله بكرة وأصيلا (وحينئذ يكون تكلمه حين خروجه من بطن أمه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا الخليل والا نوحا كما سيأتى بخلاف تكلمه فى المهد على أنه سيأتى أنه يجوز أن يكون المراد بالتكلم فى المهد التكلم فى غير أوان الكلام (ويقال انه قال ذلك عند فطامه * وتقدم انه قال الحمد لله لما عطس على الاحتمال الذى ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة التى هى جلال ربى الرفيع والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على نقل

أي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو سرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام وقيل كان بحيرا من احبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول ألا أن خير أهل الأرض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل  شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يابحيرا أن لك اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت أن اكرمكم واصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا يابحيرا ما تخلف أحد عن طعامك ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني أراه من أنفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحرث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر رضي الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث انه أصغر من النبي

وحينئذ تكون الاولية في الواقعة في بعض ذلك اما حقيقية أو اضافية وقدمنا أن الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية * قال وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر نفسه أي فقد روى عن أبي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها انها زنت وقد يقال هذا الحصر اضافي اى ثلاثة من بني اسرائيل أو أن ذلك كان قبل أن يعلم بما زاد (وذكر أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن أربعين يوما أشار بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله لما مر بنو اسرائيل على مريم عليهما السلام وهي حاملة له صلى الله عليه وسلم وانكروا عليها ذلك وأشارت اليهم ان كلموه وضربوا بأيديهم على وجوههم تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم ما قصه الله سبحانه وتعالى ثم رأيتني في الكلام على قصة الاسراء والمعراج ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته قال لابن خال امه يوسف النجار وقد خرج في طلب أمه وقد خرجت لما أخذها ما يأخذ النساء من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجاءت تحت نخلة يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها أبشر يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد اخرجني ربي من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسآتي بني اسرائيل وادعوهم الى طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا عليه السلام واخبر بولادة مريم وقول ولدها ما ذكر صلى الله عليه وسلم وفي النطق المفهوم أن عيسى عليه السلام كلم يوسف المذكور وهو في بطن أمه فقد قيل انه أول من علم بحمل مريم عليها السلام فقال لها مقرعا لها يامريم هل تنبت الارض زرعها من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى عليه السلام وهو في بطن أمه قم فانطلق الى صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان عادة أي ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بحمد لم تسمع الآذان مثله فقال اللهم أنت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك حارت الابصار دون النظر اليك * ومبري جريج تكلم كذلك أي في بطن امه قيل له من

صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما وقال فى الشفاء انه اختبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغض شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما اسالك عنه فقال له سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته



وأموره فيخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبى المبعوث آخر الزمن التى عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التى عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده فى كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم انى قد أديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفى رواية لما قال له ابن أخى قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشام أى جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذى هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب إن كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة من طلب التوقى فبعثه عمه مع بعض غلمانه وفي رواية فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة وفى رواية ان بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا بعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما أعلمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا

أبوك فقال الراعى عبد بنى فلان وتكلم بعد خروجه من بطن أمه فقد تكلم مرتين مرة فى بطن أمه ومرة وهو طفل كذا فى النطق المفهوم ولم أقف على وقت كلامه ولا على ما تكلم به حينئذ * واما يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث سنين قال لعيسى أشهد أنك عبد الله ورسوله والخليل تكلم وقت ولادته وسيأتى ما تكلم به وفى كون ابن ثلاث سنين وفى كون من تكلم وقت ولادته يكون فى المهد نظر ألا ان يكون المراد بالتكلم فى المهد التكلم فى غير أوان الكلام ولم أقف على سن من تكلم فى المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذى لذى الاخدود فانه لما جىء بأمه لتلقى فى نار الاخدود لتكفر وهو معها مرضع فتقاعست قال لها يا أماه اصبرى فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة أشهر * وفى النطق المفهوم ان شاهد يوسف الصديق عليه السلام كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا * وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بكلام الصبيان فى المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدمامينى رحمه الله هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هؤلاء الا مبارك اليمامة حسبما وقفت عليه ورأيت فى الاجوبة المسكتة لابن عون رحمه الله أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألست لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق فى المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل فلولا أنه نطق فى المهد لما كان لمريم عذر وأخذت بما يؤخذ به مثلها وأنا ولدت بين أبوين هذا كلامه وهو يخالف ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تكلم فى المهد الا أن يقال مرادهم لم تنطق فى المهد بمثل الذى نطق به عيسى أو ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم ارخاء للعنان فليتأمل * ثم رأيت أن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما سقط على الارض استوى قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذى هدانا لهذا قال في النطق المفهوم ولد بالغار الذى ولد به نوح وادريس عليهما الصلاة والسلام * ويقال لهذا الغار فى التوراة غار النور ويضم لهؤلاء ما ذكره الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله قال قلت لبنتى زينب مرة وهى فى سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين فى الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت أذنت لوالدتها في الحج فجاءت مع الحج الشامى فلما خرجت لملاقاتها رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن ترانى أمها هذا أبى وضحكت وأرمت نفسها الى قال وقد رأيت أى علمت من أجاب أمه بالتشميت وهو فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها اشهد عندى الثقات بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو ببطن أمه ولا يحجبك قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا لانه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه دائما * وفى النطق المفهوم ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه تكلم في بطن أمه فقال أنا المفقود والمغيب عن وجه أبى زمانا طويلا فاخبرت أمه والده بذلك فقال لها اكتمى أمرك

يسجد الا لنبي وان الغمامة صارت تظله دونهم واني لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه وفي رواية ان سبعة من الروم عرفوه صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فردهم بحيرا وقال لهم أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه واذيته وجاء في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه أبو بكر وبلال فقيل ان هذه الزيادة خطأ وقيل انها صحيحة وان بلالا كان مع أمية بن خلف في تلك العير وكذا كان في العير أبو بكر رضي الله تعالى عنه مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لمقاربتهما  له في السن وجاء في بعض الروايات

وفيه ان نوحا عليه السلام تكلم عقب ولادته فان أمه ولدته في غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته وأرادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافي أحدا علي يا أماه فان الذي خلقني يحفظني وفيه ان ام موسى عليه السلام لما وضعت موسى استوى قاعدا وقال يا أماه لا تخافي اي من فرعون ان الله معنا * ومبارك اليمامة قال بعض الصحابة دخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت فيها عجبا جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال الغلام بلسان طلق أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر وهو في مهده أي يحدثه يقال ناغت المرأة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصائصه ففي حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس رضي الله عنه انه قال يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك اشارة أي علامة نبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر اي تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيثما أشرت اليه مال قال كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد تحت العرش أي ولم اقف على سنه صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان في مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وعده ابن سبع رحمه الله تعالى من خصائصه

## باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد

(لا يخفى ان جميع أسمائه صلى الله عليه وسلم مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم قال وكما أن لله عز وجل الف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم عن أبي جعفر ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وهو الباقر من بقر العلم اتقنه قال أمرت آمنة اي في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحق رحمه الله ان تسميه محمدا وقد تقدم * قال والثاني هو المشهور في الروايات) اي وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله (والمسمى له بمحمد جده عبد المطلب فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه أي يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحرث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم آبائه وفي لفظ وليس من اسماء آبائك ولا قومك قال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض اه * اقول وهذا هو الموافق لما اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التي يحمد عليها ولذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضي الله عنه بقوله

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الالهام لا ينافي ان تكون امه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاءه بانه صلى

حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصرى من أرض الشام وفي ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال من الذي في ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم الا محمد اي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي الا النبي الهاشمي قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون سفر أبي بكر رضي الله تعالى عنه معه صلى الله عليه وسلم في سفرة أخرى وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة وان ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة * واختلف العلماء في بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون في الصحابة والتحقيق ان من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذي قدم من الحبشة مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فان ذلك صحابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في التحذير من شرب الخمر وقد حفظ الله النبي صلى الله عليه وسلم مما كان عليه الجاهلية من اقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى من كرامته حتى صار احسنهم خلقا وأعظمهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وافضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واكثرهم حلما واحفظهم امانة واصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم

والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة فمن ذلك ماذكره في السيرة الحلبية عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني أي رأيت نفسي في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض مايلعب به الغلمان وكلنا قدتعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذلكمني لاكم أي من الملائكة ماأراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة لم تكن وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته علي ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين أصحابي ووقع (٩٤) له مثل ذلك عند اصلاح أبي طالب بئر زمزم فعن ابن اسحق وصححه ابو نعيم أبو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رأيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبة)* ومن ذلك ماجاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماهممت بقبيح مماهم به أهل الجاهلية حتى اكرمني الله بالنبوة الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل من فعلهما قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها وفي رواية قلت لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت من هذا قالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك (* ومن ذلك ماجاء عن ام أيمن قالت كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك اي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رأيت أباطالب غضب عليه ورأيت

الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحبوبة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة * وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمي احمد ولم يسم به أحد قبله ولافادة الكثرة في معناه لأنه لايقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة أي الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور استعمالا لا وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة في الصيغ الخمسة وليس هذا منها او هذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في يوم العقيقة وان العقيقة كانت في اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في ليلة ولادته أو يومها وقد يقال لا منافاة لأنه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا معناه أظهر تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ماقيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى تناسب في الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور كتسميته لابي الحكم بابي جهل وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه ادع لي انسانا يحلب ناقتي فجاءه بانسان فقال مااسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه بآخر فقال مااسمك فقال يعيش فقال احلبها وروى انه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بئرا فجاءه رجل فقال له مااسمك قال مرة فقال اذهب * وليس هذا من الطيرة التي كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يكتب لأمرائه اذا أبردتم لي بريدا فابردوه أي اذا أرسلتم لي رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لما قال لمن أراد ان يحلب له ناقته او يحفر له البئر ماتقدم لاأدري اقول أم أسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال قد كنت نهيتنا عن التطير فقال له صلى الله عليه وسلم ماتطيرت ولكن آثرت الاسم الحسن وللجلال السيوطي كتاب فيمن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولم أقف عليه ورأيت في كلام بعضهم ان حزن بن أبي وهب أسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب أراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال لاأغير اسما سمانيه أبواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله أعلم أي وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعدما جاءته النبوة قال الامام احمد هذا منكر أي حديث منكر والحديث المنكر من أقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك وجعله أصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لاتعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهارا للشكر على ايجاد الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريفا لأمته كما كان

يصلى

عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعان يقان أنا نخاف عليك مماتصنع من اجتناب آلهتنا وماتريد يامحمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك فقال انى أخشى أن يكون بى لمم أى لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم منها أى من تلك الأصنام التى عند الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى وراءك يامحمد لا تمسه قالت فما عاد إلى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم ✻ ومن ذلك ما روته عائشة رضى الله (٩٥) عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ماذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها الماء من السماء وانبت لها من الأرض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله قال فما ذقت شيئا ذبح على النصب أى الاصنام حتى أكرمنى الله تعالى برسالته أى فكان ما سمعه من زيد سببا لتركه ماذبح على الاصنام أى مؤكدا لما عنده فلا ينافي أن السبب الاصلى حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية وزيد ابن عمرو هذا كان قبل النبوة من الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وكان يحييها أى إذا أراد أحد ذلك اخذ الموؤدة من أبيها وكفلها وكان إذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوما يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده أى يقوم مقام جماعة وزيد بن عمرو بن نفيل رابع أربعة تركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان حتى أن قريشا كانوا يوما فى عيد لصنم من اصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعة لبعض تعلمون والله ما قومكم على شىء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية

يصلى على نفسه لذلك قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها أى فى منامه رأى كأن سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف فى الأرض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمدا أى مع ما حدثته به أمه بما رأته على ما تقدم وعن أبى نعيم عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا اتتنى ففزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الى عرفت فى وجهى التغيير فقالت ما بال سيدهم قد اتى متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شىء فقلت لها بلى فقلت لها انى رأيت الليلة وانا نائم فى الحجر كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب ومارأيت نورا أزهر منها ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط احسن منهم وجها ولا أطيب منه ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدى لاتناول منها نصيبا فلم انله فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه ابى طالب لعلك أن تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هى أصل محمد صلى الله عليه وسلم وفى الامتاع لما مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى اخبرته امه آمنة انها رأت فى منامها أن تسميه محمدا فسماه محمدا أى ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز أن يكون نسى تلك الرؤية ثم تذكرها ويكون معنى سؤالهم ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء قومك اى لم استقر امرك على أن تسميه محمدا وذكر بعضهم انه لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم يعنى محمدا قبله الا ثلاثة طمع آباؤهم حين وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول واخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم أى بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذى هو محمد وهو يدل على أن اسمه في بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك وفى الشفاء ان فى هذين الاسمين محمد او أحمد من بدائع آياته اى المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حماهما عن أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أى قبل شيوع وجوده اما أحمد الذى اتى فى الكتب القديمة وبشرت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمنع الله تعالى

دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الأربعة هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخي الخطاب والد سيدنا عمر رضي الله عنه ولم يدرك البعثة وكذا ورقة ابن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضا وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فأدرك البعثة وأسلم وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك ومات على نصرانيته وهو الذي كان متزوجا بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل النبي صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده



ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيري حتى أن عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج بطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء يروى انه قال لعامر بن ربيعة انا ننتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا ارى اني ادركه وأنا ادين به واصدقه واشهد انه نبي وان طالت بك حياة فرأيته فسلم مني عليه قال عامر فلما أسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم السلام عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أي شجرتين عظيمتين * ومن ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا ومازلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان أي كيفية الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه وسلم قال

بحكمته أن يتسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياته زاد الزين العراقي ولا في زمن اصحابه رضي الله تعالى عنهم حتى لا يدخل لبس أو شك على ضعيف القلب أي فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدمه خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى انه من خصائصه على الانبياء فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى أفضليته على محمد وقال الصلاح الصفدي أن أحمد أبلغ من محمد كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن أفعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم أحمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله * وفي الهدى لو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى ان يسمى الحماد كما سميت بذلك أمته وأما هو فهو الذي يحمده أهل السماء والأرض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصاله المحمودة التي تزيد على عدد العادين واحصاء المحصين أي أحق الناس وأولاهم بان يحمد فهو كمحمد في المعنى فهو مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وحينئذ فالفرق بين محمد وأحمد أن محمدا من كثر حمد الناس له وأحمد من يكون حمد الناس له أفضل من حمد غيره وسيأتي عن الشفاء انه احمد المحمودين وأحمد الحامدين فيجوز أن يكون أحمد مأخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز أن يكون مأخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن محمدا كان قبل أحمد فباحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له وأطال في بيان ذلك * وفي كلام بعض فقهائنا معاشر الشافعية انه ليس في أحمد من التعظيم ما في محمد لانه أشهر أسمائه الشريفة وأفضلها فلذلك لا يكفي الاتيان به في التشهد بدل محمد وقد جاء أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن * قال بعضهم وعبد الله أحب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به على الاصح * ومن سمى نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن بعبد الله في قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعلى ما ذكر هنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور في القرآن في قوله تعالى وعباد الرحمن أحمد ثم محمد أي وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن وذكر بعضهم ان أول من تسمى باحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولد لجعفر بن أبي طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي وقيل والد الخليل أي ولعل المراد به الخليل بن أحمد صاحب العروض ثم رأيت الزين العراقي صرح بذلك حيث قال وأول من تسمى في الاسلام أحمد والد الخليل ابن احمد العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يسم به أحد في زمن الصحابة تسمية ولد جعفر بن ابي طالب بذلك الا ان يقال لم يصلح ذلك عند العراقي او يقال مراد العراقي أصحابه الذين تخلفوا عنه بعد وفاته فلا يرد جعفر لانه مات في حياته صلى الله عليه وسلم وهو خامس خمسة كل يسمى الخليل ابن احمد وزاد بعضهم سادسا (وكذلك محمد أيضا لم يتسم به أحد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده

لما نشأت بغضت الى الأصنام وبغض الى الشعر ﴿باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم لزيادة الرحمة فى قلبه﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الارعى الغنم قال له أصحابه وأنت يارسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أى وهى من أجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة وقيل القراريط هنا اسم موضع بمكة وفى رواية بالقراريط باجياد فالأول لبيان الاجرة والثانى لبيان المكان ومن حكمة الله ان الرجل اذا استرعى الغنم التى هى أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من (٩٧) الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين اصحاب الابل وأصحاب الغنم عند النبى صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وأنا راعى غنم أهلى بأجياد وهو موضع باسفل مكة من شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لأهلها وقال فى الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية سمنها معاش وصوفها رياش وفى الحديث الفخر والخيلاء فى أصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم وعن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث وهو النضيج من ثمر الاراك فقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه اطيبه فانى كنت أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يارسول الله قال نعم وما من نبى الا وقد رعاها ولا ينبغى لاحد عير برعاية الغنم أن يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كمال فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى ذلك فى كل ما يكون كمالا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمى فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا أدب * وحضر النبى صلى الله عليه وسلم حرب الفجار وكان له من العمر أربع عشرة سنة وكان يقول حضرته مع عمومتى ورميت فيه باسهم وما أحب انى لم أكن فعلت وقيل لم يرم

وميلاده الا بعد أن شاع ان نبينا يبعث اسمه محمد أى بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك وحمى الله تعالى هؤلاء ان يدعى أحد منهم النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه شىء من سماتها أى علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفى دعوى ان الذى فى الكتب القديمة انما هو أحمد مخالفة لما سبق وما يأتى عن التوراة والانجيل أى فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافى ان فى بعضها اسمه محمد وفى بعضها اسمه احمد وفى بعضها الجمع بين محمد واحمد قال بعضهم سمعت محمد بن عدى وقد قيل له كيف سماك أبوك فى الجاهلية محمدا قال سألت أبى عما سألتنى عنه قال خرجت رابع أربعة من تميم نريد الشام فنزلنا عند غدير عند دير فاشرف علينا الديرانى وقال ان هذه للغة قوم ماهى لغة أهل هذه البلد فقلنا له نحن قوم من مضر فقال من أى المضاير فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا أى سريعا فسارعوا اليه وخذوا بحظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله ما بقى أحد منا الا زرع قوله فى قلبه فأضمر كل واحد منا ان رزقه الله غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله أى فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق قال فلما انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء أن يكون احدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته * أقول يجوز ان يكون هؤلاء الأربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لا ينافى نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمناه ويجوز أن يكونوا غيرهم فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفر ان سفيان بن مجاشع نزل على حى من تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهى تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله أبوك فقالت نبى مؤيد قد آن حين يوجد ودنا وان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان اعربى ام عجمى فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد أكثرت ياسفيان فأمسك عن سؤالها ومضى الى أهله وكانت امرأته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء منه أن يكون هو النبى الموصوف والله أعلم وقد عد بعضهم ممن سمى بمحمد ستة عشر ونظمهم فى قوله

ان الذين سموا باسم محمد * من قبل خير الخلق ضعف ثمان
ابن البراء جاشع بن ربيعة * ثم ابن مسلم يحمدى حرمانى
ليثى السليمى وابن أسامة * سعدى وابن سواءة همدانى
وابن الجلاح مع الاسيدى يافتى * ثم الفقيمى هكذا الحرانى

قال بعضهم وفاته آخران لم يذكرهما محمد بن الحرث ومحمد بن عمر بن مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير فى أول من سمى بذلك الاسم منهم

وانما كان يناول عمومته السهام وسببه أن بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاسقطها وقيل جرحه فقط فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجيء هزمت كنانة فقالوا لا ابالك لا تغب عنا ففعل ذلك ويروى انه صلى الله عليه وسلم طعن في تلك الحروب أبا براء ملاعب الأسنة وكان رئيس بني قيس وحامل رايتهم والطعن يحتمل (٩٨) أن يكون برمح أو بسهم وسميت حرب الفجار لان العرب فجرت فيه لأنه وقع في الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول ولهم حروب تسمى حرب الفجار وغيره وكلها أربعة وفي اليوم الثالث من حرب الفجار قيد امية وحرب ابنا امية ابن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا وافسموا العقابس اي الاسود وحرب والد ابي سفيان وامية اخوه ماتا على الكفر وابو سفيان اسلم كما سيأتي ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمي وقيل كان الى حرب بن امية والد أبي سفيان لأنه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره وهو ابن عمه فضن أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يامعشر مضر علام تفاوتون فقالت له هوازن ماتدعو اليه قال الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وقيل

*أقول وفي شرح الكفاية لابن الهائم ويمكن أن يكون من زاد على أولئك الأربعة أو السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما طمع فيه (ومثل ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته الوفاة أعلم بني اسرائيل بحضور أجله وكان أول أنبيائهم فقالوا له يانبي الله أنا نحب أن تعلمنا بما يئول اليه أمرنا بعد خروجك من بين أظهرنا في أمر ديننا فقال لهم أن أموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر فيكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبية يذبح أبناءكم ويستحي نساءكم ثم يخرج من بني اسرائيل رجل اسمه موسى بن عمران فينجيكم الله به من أيدي القبط فجعل كل واحد من بني اسرائيل إذا جاء له ولد يسميه عمران رجاء أن يكون ذلك النبي منه ولا يخفى أن بين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم أم عيسى وهو آخر أنبياء بني اسرائيل الف وثمانمائة سنة والله أعلم والذي أدرك الاسلام ممن تسمي باسمه عليه السلام محمد بن ربيعة ومحمد بن الحرث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم ان محمد بن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر سنة أي وقد ذكر ابن الجوزي ان أول من تسمي في الاسلام بمحمد محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمي في القرآن أي كالتوراة محمد وفي الانجيل أحمد وأما فضل التسمية بهذا الاسم أعني محمدا فقد جاء في أحاديث كثيرة وأخبار شهيرة أي منها انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أعذب احدا تسمى باسمك في النار أي باسمك المشهور وهي محمد او احمد ومنها ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد أي وفي رواية فيها اسمي الا قدس من الله ذلك المنزل كل يوم مرتين (ومنها قال يوقف عبدان أي اسم احدهما احمد والآخر محمد بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه احمد أو محمد لكن قال بعضهم ولم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكل ماورد فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ وأصحها أي أقربها للصحة من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة* وعن أبي رافع عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها بأن بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تعنفوه وشرفوه وعظموه وأكرموه وبروا قسمه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت فيه محمد وفي مجلس فيه محمد وفي رواية تسمونه محمدا ثم يسبونه وفي رواية طعن فيها أما يستحي أحدكم أن يقول يامحمد ثم يضربه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل أي وفي رواية فهو من الجفاء وفي اخرى فقد جفاني وذكر بعضهم وان لم يرد في المرفوع من أراد أن يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا وجاء عن عطاء قال ماسمي مولود في بطن أمه محمدا الا كان ذكرا قال ابن الجوزي

ردت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند أم معاوية زوج أبي سفيان رضي الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق أي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه (٩٩) وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تميم في حياته كاهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت اكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا يعللن به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه الا هلموا الى جفنة عبد الله ابن جدعان ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الحياء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أحجره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية بعد ان كان مغرما بها وسبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحي وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان

الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم أي وروى ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه أي في الأمر الذي اجتمعوا له وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد أو احمد فشاوروه الا خير لهم أي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة واتهم راوي ذلك بأنه مجروح وروى ما قعد قوم قط على طعام حلال فيهم رجل اسمه أسمي الا تضاعفت فيهم البركة أي اسمه المشهور وهو احمد أو محمد كما تقدم وفي الشفاء ان لله ملائكة سياحين في الأرض عبادتهم أي بالباء الموحدة كل دار فيها اسم محمد أي حراسة أهل كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت * وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى أن يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وإن كان أنثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا * وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما * وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة بأنها لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك أن تسميه أي الولد الذي ترزقينه محمدا ففعلت فعاش ولدها وعن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا ليس أحد من أهل الجنة الا يدعى باسمه أي ولا يكنى الا آدم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى أبا محمد تعظيما له وتوقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم أي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باجل ولده قاله الحافظ الدمياطي وفي رواية ليس أحد أي من أهل الجنة يكنى الا آدم فانه يكنى أبا محمد أي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمنعون * وفي الحلية لأبي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة أي في بني اسرائيل ثم مات فأخذوه وألقوه في مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان أخرجه فصل عليه قال يا رب ان بني اسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة فاوحى الله اليه هكذا الا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء *(ومن الفوائد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها أي لكن هي بدعة حسنة لأنه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة) وقد قال العز ابن عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكر من أمثلة كل ما يطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا أي شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه لأن هذا عام أريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي قدس الله سره ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو اجماعا او اثرا فهو البدعة الضلالة وما أحدث من الخير

ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الأمة ومقتدى الأئمة دينا وورعا الامام تقى الدين السبكى وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام فى عصره فقد حكى بعضهم أن الامام السبكى اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصرى فى مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على ورق من خط أحسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه ... قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكى رحمه الله وجميع من فى المجلس فحصل أنس كبير بذلك المجلس ويكفى مثل ذلك فى الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيتمى والحاصل ان البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أى بدعة حسنة ومن ثم قال الامام أبو شامة شيخ الامام النووى من أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما منّ به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوى لم يفعله أحد من السلف فى القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم قال ابن الجوزى من خواصه انه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغيه والمرام وأول من أحدثه من الملوك صاحب أربل وصنف له ابن دحية كتابا فى المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فأجازه بألف دينار (وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطى وردا على الفاكهانى المالكى فى قوله أن عمل المولد بدعة مذمومة)

## باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به

(يقال انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النساء وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وأم أيمن عزيزة قالت أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة أى بعد ارضاع أمه له كما سيأتى قال وثويبة هى جارية عمه أبى لهب وقد أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أى فانها قالت له أما شعرت أن آمنة ولدت ولدا وفى لفظ غلاما لأخيك عبد الله فقال لها أنت حرة فجوزى بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بأن يسقى ماء فى جهنم فى تلك الليلة أى ليلة الاثنين فى مثل النقرة التى بين السبابة والابهام) اه أى ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة فى تلك النقرة (ويذكر ان بعض أهل أبى لهب اى وهو أخوه العباس رضى الله تعالى عنه رآه فى النوم فى حالة سيئة فعن العباس

رضى

---

طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقوى الضعيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لأنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لأن القول المذكور لا يصدر الا من مسلم وكان يكنى أبا زهير وقال صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر لو كان أبو زهير حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبى صلى الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبى صلى الله عليه وسلم أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى صكة عمى اى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لأن عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا قتالا لا يزال يجنى فيعقل عنه أبوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب اى رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك موتى ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيئا فشيئا ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام مكتوبا عليه أنا نفيلة بن جرهم ابن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى أبيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس

ويفعل المعروف وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما زاد بعضهم ما بل بحر صوفة ومارساحرا وثبير مكانيهما والمراد الابد وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم أى الابل وانى اغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة اى لا أحب الغدر به وان اعطيت حمر الابل فى ذلك وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لأجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لأن الاسلام (١٠١) انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع فى بعض الروايات انه حضر حلف المطيبين وذلك خطا لان حلف المطيبين كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم لانه وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنى زهرة وبنى أسد بن عبد العزى وبنى تيم وبنى الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بنى عمهم عبد الدار بن قصى واحلافهم بنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وبنى عدى ويقال لهم الاحلاف وأجيب بأن الذين تعاقدوا فى حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الأول فاطلق عليه انه هو المسبب فى هذا الحلف اعنى حلف الفضول الواقع فى دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى ابن وائل السهمى وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف بنى عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصى وانتهروه أى أظهروا له الشر فرقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
أن الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردا اليه حقه شريفا أو وضيعا

---

رضى الله تعالى عنه قال مكثت حولا بعد موت أبى لهب لا أراه فى نوم ثم رأيته فى شر حال فقلت له ماذا لقيت فقال له أبو لهب لم أذق بعدكم رخاء وفى لفظ فقال له بشر خيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسر الخاء وهى سوء الحال غير أنى سقيت فى هذه وأشار الى النقرة المذكورة بعتاقتى ثويبة ذكره الحافظ الدمياطى والذى فى المواهب وقد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار الا أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعى هاتين ماء وأشار برأس اصبعيه وان ذلك باعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتأمل وقيل انه انما أعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى فان خديجة رضى الله تعالى عنها كانت تكرمها وطلبت من أبى لهب ان تبتاعها منه لتعتقها فأبى أبو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها أبو لهب * أقول قد يقال لا منافاة لجواز أن يكون لما أعتقها لم يظهر عتقها وأباؤه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم أظهر عتقها بعد الهجرة والله أعلم وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان أياما قلائل قبل أن تقدم حليمة وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا فى النور وفى السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد أرضعت قبله أبا سفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم الحرث وفى كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يألفه إلفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا أصحابه رضى الله تعالى عنهم فانه كان شاعرا مجيدا وسيأتى اسلامه رضى الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وأرضعت ثويبة رضى الله تعالى عنها قبلهما عمه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب كان أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل بأربع سنين * اقول هذا يخالف ما تقدم من أن عبد المطلب تزوج من بنى زهرة هالة وأتى منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بنى زهرة آمنة وذلك فى مجلس واحد وأن آمنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وانه دخل بها حين أملك عليها فكيف يكون حمزة أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا أن يقال ليس فيما تقدم تصريح بأن عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما فى وقت واحد وعبارة السهيلى هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول أسد الغابة المتقدم أن عبد الله تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد تصريح بأنهما دخلا بزوجتيهما فى وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة المصرح بها فيما تقدم عن ابن المحدث أن عبد الله خطب هالة فى مجلس خطبة عبد الله لآمنة والله أعلم ثم رأيت فى الاستيعاب قال كان أى حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع سنين وهذا لا يصح عندى لأن الحديث

ثم مشوا الى العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه* وذكر السهيلي أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى ياحلف الفضول فاذاهم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فالك فقال أن نبيها ظلمني في بنتي فنزعها مني قسرا فساروا اليه فقالوا اردها فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة أي مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي قال كان بين الحسين بن علي بن أبي  طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنقصني من حقي اولآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعوك لحلف الفضول أي لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله ابن الزبير لانه كان اذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد ابن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم

(باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها )

وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك أن عمه أباطالب قال له يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من اليهود ولكن لانجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الي في ذلك فقال أبو طالب اني أخاف أن تولي غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم اخلاقه فقالت ماعلمت أنه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف

---

الثابت أن حمزة أرضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن تكون ارضعتهما في زمانين هذا لفظه وفيه ماعلمت وفيه أيضا على تسليم انها ارضعتهما في زمانين لكن بلبن ابنها مسروح كما سيأتي ويبعد بقاء لبن ابنها مسروح أربع سنين ثم أرضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي الجواب عنه وأرضعت ثويبة رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم أباسلمة بن عبد الاسد أي ابن عمته الذي كان زوجا لأم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم اباسفيان ابن عمه الحرث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أباسلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبري وأرضعته ثويبة جارية أبي لهب وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب وأباسلمة عبد الله بن عبد الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ماعلمت وقد يجاب بأنه يمكن بأن تكون لم تحمل على ولدها مسروح في المدة المذكورة فاستمر لبنها وأيضا هي أرضعت بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه أباسفيان الحرث كما علمت* وذكر بعضهم أن اباسلمة أول من يدعى للحساب اليسير وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت أتاني أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لاتصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا افعل به قال الترمذي حسن غريب ويدل لكون أبي سلمة أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ماجاء عن أم حبيبة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له هل لك في أختي بنت أبي سفيان أي عزة بعين مهملة ثم زاي أي وفي رواية هل لك في أختي حمنة بنت أبي سفيان والذي في مسلم انكح اختي عزة أي وفي البخاري انكح اختي بنت أبي سفيان قال او تحبين ذلك قالت نعم لست لك بمخلية بضم الميم وسكون الخاء وكسر اللام وبالتحتية أي لست لك بتاركة عدم اخذها وأحب من شاركني في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فوالله اني انبئت أي وفي لفظ أنا لنتحدث انك تخطب درة أي وفي لفظ تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة أي بضم الدال المهملة وأما ضبطه بفتح الذال المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لاشك فيه تعني بدرة بنتها من أبي سلمة قال ابنة أبي سلمة قلت نعم فقال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ماحلت لي أنها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واياه ثويبة أي وفي رواية لو أني لم أنكح أم سلمة يعني أم حبيبة التي هي أمها ما تحل لي أن أباها أخي من الرضاعة أي واختك على فرض أن لا تكون بنت أخي من الرضاعة لا يحل لي أن اجمعها معك فلا تعرضن على بناتكن ولا اخواتكن قيل وفي هذا أي في قوله لو لم تكن ربيبتي في حجري وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري أن الربيبة لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها فان لم تكن في حجره فهي حلال له أي وقيل لها ربيبة لانها مأخوذة من الرب وهو الاصلاح لأن زوج امها

يقوم

ما أعطى رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال أن هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها في تجارة لها وقالت لميسرة لاتعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشىء فصار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا  الراهب فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال ياميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال لهم الراهب مانزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام الا نبي وفى رواية ان الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف العلامات الدالة على نبوته المذكورة فى الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبّل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد انك الذى ذكره الله في التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفى رواية قال يامحمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فاقبل عليه يقبله ويقول أشهد انك رسول الله النبي الامى الذى بشّر بك عيسى فانه لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ولا بُعد فى بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليه وسلم لاحتمال ان بقاءها معجزة أو انه كانت شجرة زيتون لأن شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضا أن الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه وسلم أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفى رواية قال لميسرة أفى عينيه حمرة قال ميسرة نعم لاتفارقه أبدا قال هو هو وهو آخر الانبياء وياليتنى ادركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف

يقوم باصلاح أحوالها قال ولك أن تقول كان الظاهر والاقتصار على الاخوات لأن أم حبيبة هى التى عرضت أختها ولم تعرض بنتها التى هى درة * وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب أم حبيبة خطابا لجميع زوجاته صلى الله عليه وسلم لأن هذا الحكم لايختص بواحدة دون أخرى اه اقول فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته صلى الله عليه وسلم من عرض عليه بنته الا أن يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغى لكن ان تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رأيت الامام النووى رحمه الله ذكر ان هذا من أم حبيبة أى من عرض اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال وكذا لم تعلم من عرض بنت أم سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضى ان بعض الناس عرض عليه بنت ام سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن على بناتكم تأمل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له صلى الله عليه وسلم ان يجمع بين المرأة واختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول خص بجواز ذلك له ولا يجمع بين المرأة وبنتها خلافا لوجه حكاه الرافعى وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم انكح أم سلمة لم تحل لى يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغرى وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة واختها وعمتها وخالتها فى أحد الوجهين وبين المرأة وابنتها فى وجه حكاه الرافعى وتبعه فى الروضة وجزموا بانه غلط والله أعلم * مما يدل أيضا على أن عمه صلى الله عليه وسلم حمزة أخوه من الرضاعة ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله مالك لاتتوق فى قريش أى بمثناة فوق مفتوحتين ثم واو مشددة ثم قاف أى لاتتشوق اليهم مأخوذ من التوق الذى هو الشوق وفى رواية بالتاء والنون أى لاتختار ولا تتزوج منهم قال أوعندك قلت نعم ابنة حمزة أى عمه وهى أمامة وهى احسن فتاة فى قريش قال تلك ابنة اخى من الرضاعة أى وهذا من على رضى الله تعالى عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم أو انه لم يكن يعلم أن عمه حمزة أخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وفيه انه جاء رواية أليس قد علمت انه أخى من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ماحرم من النسب الا أن يراد بقوله قد علمت أى أعلم قال ولعله لم يقل ارضعتنى واياه ثويبة كما قال ذلك فى ابى سلمة لان ثويبة أرضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبا سلمة لأن حمزة رضيعه أيضا من امرأة من بنى سعد غير حليمة كان حمزة رضى الله تعالى عنه مسترضعا عندها فى بنى سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهى عند حليمة أى فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المرأة السعدية ولم أقف على اسم تلك المرأة اه أى ولو اقتصر على ثويبة لا وهم انه لم يرتضع معه على غيرها وذكر فى الاصل أن بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر * اقول وتقدم ذلك ونسب هذا البعض فى ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر التى هى أم بردة انما كانت مرضعة لولده ابراهيم وقد يجاب عنه

باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده انه الذي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية أي غرفة عالية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلانه رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا (١٠٤) منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي حالفه في البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له ما كانت سمته له وفي رواية باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة اربعين سفرة ما رأينا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك وقبل أن يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده على أخفافهما وعوذهما فانطلقا في أول الركب ولهما رغاء وألقى الله محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة حتى كأنه عبده ولما بلغوا من الظهران أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها

وفي رؤية ميسرة للملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه السلام لجمع من الصحابة رضي الله عنهم قال الغزالي في كتابه المسمى المنقذ من الضلالة أن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية دائما وعملا مستمرا نقله الحلبي في السيرة وذكر فيها أن خديجة رضي الله عنها استأجرت النبي صلى الله عليه وسلم أيضا سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح

---

يجوز ان تكون خولة بنت المنذر اثنتان واحدة أرضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة أرضعت ولده ابراهيم وان خولة التي أرضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت ترضع حمزة التي قال فيها الشمس الشامي لم أقف على اسم تلك المرأة والله أعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ ابن حجر وفي طبقات ابن سعد ما يدل على أنها تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به وفي الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة الا أسلمت ولم أقف على اسلام ابنها مسروح * أقول ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيامه أشفع لاخ لي في الجاهلية قال الحافظ السيوطي يعني أخاه من الرضاعة لأنه لم يدرك الاسلام لا يقال من أين أنه مسروح جاز أن يكون ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه صلى الله عليه وسلم بناء على أنه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول سيأتي عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة أسلم والله أعلم أي وقد يدل على عدم اسلامه ثويبة وابنها المذكور الذي هو مسروح ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها أي ولو كانا أسلما لهاجرا الى المدينة *أقول وهذا بظاهره يدل على أن مسروحا أدرك الاسلام وقد ينافي علم وفاتهما مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر ما ذكر السهيلي أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون سؤاله الثاني للتثبت لوصوله محل اقامتهما والقول بانهما لو كانا أسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز أن تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله أعلم قال وجاء أن أمه ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة أيام *أقول وعن عيون المعارف للقضاعي سبعة أيام وفي الامتاع أنها أرضعته صلى الله عليه وسلم سبعة أشهر ثم أرضعته ثويبة أياما قلائل هذا كلامه وقوله ثم أرضعته ثويبة يخالف ما تقدم من أن أول من ارضعه ثويبة الا أن يقال المراد أول من أرضعه غير أمه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الأصل أن أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الأصل أول من أرضعته ثويبة لما علمت أن الاولية اضافية لا حقيقية الا أن يدعى ذلك في نقل ابن المحدث أيضا أي أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم بعد لبن أمه والله أعلم قال وأرضعه صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة أي أبكار من بني سليم أخرجن ثديهن فوضعنها في فمه فدرت في فيه فرضع منهن وأرضعته صلى الله عليه وسلم أم فروة اهـ أي وهؤلاء النسوة الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهي التي عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله أنا ابن العواتك من سليم على ما تقدم وما تقدم من أن أم أيمن أرضعته صلى الله عليه وسلم ذكره في الخصائص الصغرى رد بأنها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته ينظر بلبن أي ولد لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا أيمن وأسامة

الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها سفرات * وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوما وكانت تدعى في الجاهلية والاسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضا سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكنى بابى هالة بن زرارة التميمي ومات في الجاهلية وكانت ولدت له هند بن أبي هالة وهو من الصحابة رضي الله عنه كان يروي عنه الحسن بن علي رضي الله عنه ويقول حدثني خالي لانه أخو فاطمة رضي الله عنها لامها وقتل رضي الله عنه مع علي يوم الجمل وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمى هالة فهند وهالة ذكران



واسامة الآن يقال جاز أن لبنها در له صلى الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم في النسوة الابكار (وأرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة بنت أبي ذؤيب وتكنى أم كبشة أي باسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى بها أيضا والدها الذي هو زوج حليمة أي وكانت من هوزان أي من بني سعد بن بكر بن هوزان وسيأتي الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحرث بن عبد العزى ويكنى أباذؤيب أي كما يكنى أبا كبشة أدرك الاسلام واسلم فقد روى ابو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب انه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلسه بين يديه وعن ابن اسحق بلغني أنما الحرث اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يؤيد قول بعضهم لم يذكر الحرث كثير ممن ألف في الصحابة اه * أقول يدل للاول ظاهر ماروى ان الحرث هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له قريش او تسمع ياحارث مايقول ابنك فقال ومايقول قالوا ايزعم أن الله يبعث من في القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه أي يعذب في احداهما من عصاه وهي النار ويكرم في الاخرى من أطاعه وهي الجنة فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا أي أن الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا أقول ذلك وفي لفظ أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم ياأبت فلآخذن بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فاسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه أي وقد كان يقول حين اسلم لو أخذ ابني بيدي فعرفني ماقال لم يرسلني عليه حتى يدخلني الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة في ذلك على انه اسلم في حياته صلى الله عليه وسلم وفي شرح الهمزية لابن حجر (ومن سعادتها يعني حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وأنيسه هذا كلامه وفي الاصابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا أي على ثوب فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت امه صلى الله عليه وسلم فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم أقبل اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ ففاعل جلس النبي صلى الله عليه وسلم وضمير يديه راجع لاخيه أي قال صلى الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب وأجلس أخاه على الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة أخيه فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليكون أخوه هو وأبواه جميعا على الثوب والله أعلم قالت وخرجت في نسوة من بني سعد أي ابن بكر بن هوازن عشرة يطلبن الرضعاء في سنة شهباء أي ذات جدب وقحط لم تبق شيئا على اتان قمراء بفتح القاف والمد أي

ثم بعد موت أبي هالة تزوجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتا اسمها هند أسلمت وصحبت النبي صلى الله عليه وسلم ولم تروشيأ وقيل ان عتيقا تزوجها قبل النباش وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فقالت ياابن عمي اني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك * وعن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخيرة وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت يامحمد ومايمنعك ان تتزوج



فقال مابيدي ماأتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ائت لساعة كذا وارسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه وسبب عرضها نفسها ماحدثها به غلامها ميسرة مع مارأته من الآيات وقد ذكرت مارأته من الآيات وماحدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا ياخديجة فان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحق انه كان لنساء قريش عيد

يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى فقال يامعشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فأيتكن أستطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك فى نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع مارأته هى قالت ان كان ماقال اليهودى حقا ماذاك الا هذا فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد أو عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم فرضى وأصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتى عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية وقيل على أربعمائة دينار وخطب ابو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضى الله عنه ذلك العقد فقال ابو طالب الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم أن ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته قد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما اتم ابو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علىّ معاشر بانى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ثم سكت فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها اشهدوا على يامعشر قريش انى قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبى صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذى أنكحها عمها عمرو بن أسد وان اباها خويلدا مات قبل حرب الفجار قيل لما تزوجها صلى الله

حتى

شديدة البياض ومعنى شارف أى ناقة مسنة ماتبض بالضاد المعجمة وربما روى بالمهملة أى ماترشح بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلتنا اجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع مافى ثديى وفى رواية ثديى مايغنيه ومافى شارفنا مايغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال المعجمة وضم الباء الموحدة أى مايكفيه بحيث يرفع رأسه وينقطع عن الرضاعة قالت حليمة ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد أدمت بالدال المهملة وتشديد الميم بالركب أى حبسته بتأخرها عنه لشدة عنائها وتعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتمس أى نطلب الرضعاء جمع رضيع وأدم مأخوذ من الماء الدائم يقال أدم بالركب اذا أبطأ حتى حبسهم ويروى بالمعجمة أى جاء بما يذم عليه وهو هنا الابطاء * أقول لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد لهم ولد يلتمسون له مرضعة فى غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وأفصح لهم وقيل لانهم كانوا يرون انه عار على المرأة أن ترضع ولدها انتهى أى تستقل برضاعة ويدل للاول وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه أنا أعربكم أى أفصحكم عربية أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد وجاء ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم مارأيت أفصح منك يارسول الله فقال مايمنعنى وأنا من قريش وارضعت في بنى سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضربنا حب الوليد يعنى ولده لانه لمحبته له ابقاه مع أمه فى المصر ولم يسترضعه فى البادية مع الاعراب فصار لحانا لاعربية له واخوه سليمان استرضع فى البادية مع الاعراب فصار عربيا غير لحان * قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انما نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم ماعسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة معى الا أخذت رضيعا غيرى فلما اجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبى والله انى لأكره ان ارجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلآخذنه قال لاعليك أى لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته أقول وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم أن عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع فالتمس له حليمة ابنة ابى ذؤيب الا ان يقال جاز أن يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن وابين أن يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد أن لم يجد رضيعا ويدل لذلك قول صاحب شفاء الصدور ان حليمة قالت استقبلنى عبد المطلب فقال من انت فقلت انا امرأة من بنى سعد قال مااسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد ياحليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فابين أن يقبلن وقلن ماعند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك ان ترضعيه فعسى أن تسعدى به فقلت ألا تذرنى

عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهي أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفي رواية فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك ينحر بكرا من بكراتك واطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فاطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فاقر الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل أن تتزوج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت بأبي أنت وأمي ماأفعل هذا لشيء ولكن أرجو أن تكون أنت النبي الذي (١٠٧) سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندي مالا أضيعه أبدا وإن يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى والـ ـزهد فيه سجية والحياء
وأتاها أن الغمامة والسر ح اظلته منهما افياء
وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما أحـ ـسن مايبلغ المنى الأذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة * وحضر صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وذلك انه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهيتها من حريق أصابها بسبب أن امرأة بخرتها فطارت شرارة في باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا الحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفي رواية انهم قالوا الحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان صلى الله عليه وسلم اول من دخل منه فاخبروه فامر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ من قبائل قريش أن يأخذ بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحق ان الذي أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومي أخو الوليد بن

---

حتى أشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي فأخبرته فكأن الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي ياحليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فأخذني وأدخلني بيت آمنة فقالت لي أهلا وسهلا وأدخلتني في البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فأشفقت أي خفت ان أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأخذته وما حملني على أخذه أي أكد أخذه الا اني لم أجد غيره والا فاذكرته من أوصافه مقتض لأخذه أي وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك وان أباها كان قبل رؤيتها له قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري اقبل ثدياي بما شاء الله من لبن فشرب حتى روي أي من الثدي الأيمن وعرضت عليه الأيسر فاباه قالت حليمة وكانت تلك حالته بعد أي بعد ذلك لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الأيمن وفي السبعيات للهمداني ان أحد ثديي حليمة كان لا يدر اللبن منه فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب معه أخوه حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أي فعدم نومه من الجوع فقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا هي لحافل أي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين أصبحنا تعلمي والله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله اني لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته صلى الله عليه وسلم معي عليها فوالله لقطعت بالركب أي صيرته خلفها مايقدر عليها أي على مرافقتها ومصاحبتها شيء من حمرهن حتى ان صواحبي يقلن لي يابنت أبي ذؤيب ويحك اربعي أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليس هذا أتانك التي كنت خرجت عليها تخفضك طورا وترفعك أخرى فأقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا أي وقالت حليمة فكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يانساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره في النطق المفهوم * وذكرت انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أي خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت (قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضا من أراضي الله اجدب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا أي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ فنحلب ماشئنا والله ما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر أي المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب يعنوني فتروح أغنامهم جياعا لم تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا

المغيرة واسم ابى أمية حذيفة وكان أسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبى أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لأنه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفى كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حاسد ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد وذكر السهيلى أن ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته يامعشر قريش أقد رضيتم أن يضع  هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى اسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحضر صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من اجياد وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الأرض وطمحت عيناه الى السماء ونودى يامحمد غط عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقى بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما قتله الحجاج ردها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن (فائدة) لما حوصر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه أناس ثم اشتد الأمر عليهم فانصرفوا وأخذوا لانفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق احد معه الا عبد الله بن صفوان بن امية فقاتل معه أشد القتال فاذن له عبد الله فى الانصراف وأن يأخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فابى وبدت وقال انى اقاتل على دينى فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضى الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضى الله عنه * باب ما جاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اخبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره

فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أى غليظا شديدا (وعن حليمة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبو الى كل جانب اى وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع من ان أمه صلى الله عليه وسلم أرضعته سبعة أشهر (قالت حليمة فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمى السهام مع الصبيان وعنها رضى الله تعالى عنها انها قالت انه لفى حجرى ذات يوم اذ مرت به غنيمات لى فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها) * أقول وقد سجدت له صلى الله عليه وسلم الغنم وكذا الجمل بعد بعثته والهجرة (فعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا أى بستانا للانصار ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله كنا أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغى فى أمتى أن يسجد أحد لأحد ولو كان ينبغى لأحد أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها) وفى رواية ولو أن رجلا امر زوجته أن تنقل من جبل الى جبل لكان نولها اى حقها أن تفعل وحرب جمل بكسر الراء أى اشتد غضبه فصار لا يقدر أحد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه افتحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يارسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا عنه فلما رآه الجمل خر ساجدا أى فأخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله واحسن علفه فقال القوم يارسول الله كنا أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث (وفى هذا دلالة على عظيم حق الزوج على زوجته * وجاء مما يدل على ذلك أيضا ما روى ان أسماء بنت يزيد الانصارية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات اولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم افنشاركهم فى الأجر يارسول الله فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى اصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه قالوا بلى يارسول الله فقال انصرفى يا اسماء واعلمى بأنك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها الموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال أى من حضور الجماعات وشهود الجنائز والجهاد فانصرفت اسماء وهى تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة المرأة لزوجها والله أعلم) * قالت حليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلى عنا (والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله

وصفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها) قال ابن اسحق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه * أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرونها (١٠٩) فعرفوها * وفى هذا تصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده فاما اخبار الاحبار من اليهود فمنها ماتقدم ذكره ومنها ماجاء عن سلمة بن سلامة رضى الله عنه وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الأشهل فذكر عند قوم اصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يافلان أو ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به ويود الشخص أن له بحظه من تلك النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه أى وينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وانا من احدثهم سنا فقال أن يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أى ذلك اليهودى بين اظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يافلان ألست الذى قلت لنا ماقلت قال بلى ولكن ليس به * ومن ذلك ماجاء عن عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية أى تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء وهى قرية بين المدينة والشام فقلت انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه إله فيخرج فيأتى بأربعة احجار فيعين ثلاثة لقدره أى يستنجى بها ويجعل احسنها الها يعبده ثم لعله يجد ماهو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل

وبدت فى رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن مافى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست * مابها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء
يالها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

أى وظهرت فى رضاعه وفى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم أمور خارقة للعادة لوضوحها لاتخفى على العيون فمن ذلك أن المراضع أبت أن تأخذه صلى الله عليه وسلم لأجل يتمه فبعد أن تركته اتته فتاة من أهل سعد قد أبتها أهل الرضاع لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها الشاء ألبانها وكانت تلك الشياه لالبن بها بل هزيلات فصارت ذات ألبان وسمن ومن ذلك أن العيش كثر عندها بعد شدة المحل لأجل حصول غذاء النبى صلى الله عليه وسلم يالها أى لتلك الخصلة الصادرة من حليمة وهى سقيها له لبنها نعمة منها عليه لقد كرر الثواب والجزاء على تلك النعمة من جنس تلك النعمة لأن الجزاء من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى اذا سخر أناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعداء أقول لم أقف على رواية فيها ان حليمة أبتها أهل الرضعاء لفقرها وكان الناظم أخذ ذلك من قولها فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى وما حملنى على أخذه الا انى لم أجد غيره ولا دلالة فى ذلك واستفتى الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس المولد حادثات أى وقائع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جاءت بها الاخبار وهى مخلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم فى حيز من يرحم لا فى حيز من يعظم من ذلك أنهم يقولون أن المراضع حضرن ولم يأخذنه لعدم ماله ونحو ذلك فما تقولون فى ذلك فاجاب بما نصه ينبغى لمن يكون فطنا أن يحذف من الخبر أى الحديث مايوهم فى المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب كما وقع لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه حيث قال فى بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لها شرف فكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعتها يعنى فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تأدبا معها أن تذكر فى هذا المعرض وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لأن ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على أن الخلق عنده صلى الله عليه وسلم فى الشرع سواء فهذا من كمال أدب الامام رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته أى فاذا جاز حذف

فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ماهو أحسن منه تركه واخذ ذلك الاحسن فرأيت انه إله باطل لاينفع ولا يضر فدلني
على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بافضل الدين فلم
يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة آتي فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة
قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا
عليه اشداء فتلطفت له حتى دخلت  عليه فسألته اى شيء أنت قال نبي قلت من نبأك قال الله قلت وبم ارسلك قال
بعبادته وحده لاشريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان وصلة الرحم وامان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني أو امكث معك أو انصرف فقال الا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث معي كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج الى المدينة فسرت اليه وقلت يانبي الله اتعرفني قال نعم انت السلمي الذي اتيتني بمكة *ومن ذلك ماحدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه ما نسمع من احبار يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان
نبي يبعث يقتلكم قتل عاد وارم أي يستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك
منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا ليتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا
به وكفروا وفي ذلك نزلت هذه الآية فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين *ومن ذلك ماحدث به شيخ من بني
قريظة أن رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا فوالله ما رأينا رجلا قط
لا يصلي الخمس أفضل منه أي لانظن احدا من غير المسلمين أفضل منه لأن المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة فأقام عندنا

بعض الحديث الموهم نقصا في بعض اهل بيته فما بالك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم
وهذا من الحافظ يدل على أن اباء المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث اقره ولم ينكره والله أعلم
قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطمته
حليمة رضي الله تعالى عنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا أي وقد تقدم انه
صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه من بطن أمه وفي رواية أول كلام تكلم صلى الله عليه
وسلم به في بعض الليالي أي وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوس قدوس نامت العيون والرحمن لا تأخذه
سنة ولا نوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة رضي الله عنها لما دخلت
به صلى الله عليه وسلم الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته
صلى الله عليه وسلم أي واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى أن احدهم كان اذا نزل به اذى في جسده
أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذلك اذا اعتل
لهم بعير أو شاة انتهى قالت حليمة فقدمنا مكة على امه صلى الله عليه وسلم أي بعد ان بلغ سنتين ونحن
احرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم فكلمنا امه وقلت لها لو تركت ابني عندي
حتى يغلظ وفي كلام ابن الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الأخرى فاني أخشى عليه وباء مكة
أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته صلى الله عليه وسلم معنا وقيل ان أمه صلى الله عليه وسلم آمنة
قالت لحليمة ارجعي بابني فاني أخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شان اى ولا مخالفة بينهما لجواز أن
حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعي بابني على الفور فاني اخاف عليه وباء مكة اى كما تخافين
عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم فوالله انه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم باشهر
عبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه يعني من الرضاعة لفي بهم لنا ولعل هذا لا ينافيه
قول المحب الطبري فلما شب وبلغ سنتين لانه ألغى اى ذلك الكسر فبينما هو صلى الله عليه وسلم واخوه
في بهم لنا خلف بيوتنا والبهم أولاد الضأن اذا أتى أخوه يشتد أي يعدو فقال لي ولابيه ذاك أخي القرشي
فقد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أي يدخلان يديهما في بطنه
قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه وفي لفظ لونه أي متغيرا أي صار لونه كلون
النقع الذي هو الغبار وهو صفة ألوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع أي من رؤية الملائكة لامن
مشقة نشأت عن ذلك الشق لما يأتي في بعض الروايات فلم أجد لذلك حسا ولا ألما ومن ثم قال ابن الجوزي
فشقه وماشق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التي هي الأولى وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو
صلى الله عليه وسلم صغير في بني سعد قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له يابني فقال صلى الله عليه
وسلم جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أي وهما جبريل وميكائيل أي وهما المراد بقوله في

رواية

فكنا اذا قحط المطر أى حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أى لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من اهل الخمر بالتحريك الشجر الملتف الى أرض البؤس والجوع فقلنا انت أعلم قال انما قدمت هذه الأرض اتوكف أى أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه أى أقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم نبى أى التى  عليهم ظله وهذه البلاد مهاجرة وكنت أرجو أن يبعث فاتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال لهم نفر من هذيل اخوة بنى قريظة وهم ثعلبة ابن سعيد وأسد بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا اشبانا احداثا يابنى قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم * ومن ذلك خبر العباس رضى الله عنه قال خرجت فى تجارة الى اليمن فى ركب فيه أبو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبى سفيان ان محمدا قائم فى أبطح يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغنى ان فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الأمين قال هل كتب بيده فاردت ان أقول نعم فخشيت من أبى سفيان أن يكذبنى ويرد على فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل فى كداء أى بالفتح والمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمى الا انى أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى

رواية فاقبل الى طيران أبيضان كانهما نسران فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدرانى فاخذانى فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئا أى طلباه فوجداه فاخذاه وطرحاه ولا أدرى ماهو أى وسيأتى ان هذا الذى قال صلى الله عليه وسلم فيه وما أدرى ماهو انه علقة سوداء استخرجاها من قلبه بعد شق بطنه ففى هذه الرواية طى ذكر القلب وشقه وسيأتى ذكر ذلك فى بعض الروايات وفى رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا او بردا وقد يقال ان الطيرين تارة تشبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفى كون مجىء جبريل وميكائيل على صورة النسر لطيفة لأن النسر سيد الطيور فقد جاء فى الحديث هبط على جبريل فقال يا محمد ان لكل شىء سيدا فسيد البشر آدم وأنت سيد ولد آدم وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفى بحر العلوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد الشهداء هابيل وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الى خبائنا أى محل الاقامة وقال لى أبوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه باهله قبل أن يظهر به ذلك وفى رواية قال الناس يا حليمة رديه على جده واخرجى من أمانتك وفى رواية وقال زوجى أى أن ترديه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسد من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على أمه قال الواقدى وكان ابن عباس يقول رجع الى امه وهو ابن خمس سنين اى وزاد فى الاستيعاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم وكان غيره أى غير ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وذكر الاموى انه رجع الى أمه وهو ابن ست سنين انتهى أقول سياق ماقبله يدل على أن قدوم حليمة به على أمه كان عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كانت سنتين واشهر وسيأتى مافيه والله أعلم * وعن ابن عباس أن حليمة كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يوما ياأماه مالى لا أرى اخوتى بالنهار يعنى اخوته من الرضاعة وهم اخوه عبد الله وأختاه أنيسة والشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية اولاد الحرث قلت فدتك نفسى انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثينى معهم فكان عليه الصلاة والسلام يخرج مسرورا ويعود مسرورا أى وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع أخيه فى بهم لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله عليه وسلم الآتى فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ولا قوله فبينما أنا ذات يوم منتبذا من اهلى فى بطن وادمع اتراب لى من الفتيان كما لا يخفى قالت حليمة فلما كان يوما من

الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال إي والله انى لأذكرها * ومن ذلك ماجاء عن أمية بن أبي الصلت الثقفي قال لأبي سفيان انى لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت أظن انى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى انه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الأربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال أمية اما انه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت اخبرهن انى هو فكيف الآن أتبع فتى من بنى عبد مناف * وأما أخبار الرهبان من النصارى فمنها ماتقدم ذكره ومنها خبر طلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل فيكم أحد من اهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله ابن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه اى يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبي ماقال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر رضى الله عنه فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك واسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدهما فى حبل فلذلك سميا القرينين * ومنها ماحدث به سعيد بن العاص ابن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمي أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شيء سأل عنه انه قال ما فعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية اى اشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الأرض منذ أربعين سنة اى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت انى لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هناك يزعم ان الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمدا قال كم منذ خرج فقلت عشرين سنة

ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتانى أخوه أي وفى رواية اذ أتى ابنى ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا أبت ويا أمه الحقا اخى محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وماقضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدرى مافعل به *أقول ولعل ضمرة هذا هو أخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الآتى ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هرابا مسرعين الى الحى يؤذنونهم ويستصرخونهم لأنه يجوز أن يكون ضمرة سبقهم والله أعلم قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسى ما الذى دهاك قال خيرا كذا بالنصب يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفى يد الآخر طست من زمردة خضراء والزمردة بالضم والزاى المعجمة الزبرجد وهو معرب فاخذونى وانطلقوا بى الى ذروة الجبل فاضجعونى على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الآتى فاخذونى حتى أتوا شفير الوادى فعمد أحدهم فاضجعنى الى الأرض ثم شق من صدرى الى عانتى وسيأتى الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدرى الى عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم ومايأتى قال وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الحديث وفى هذه الرواية طى ذكر القلب وشقه أيضا * أقول ولا منافاة فى تلك الرواية بين قولها فوجدناه قائما وبين قولها فى هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل لجواز أن تكون أرادت بقولها قائما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ما كنا كما لا منافاة بين قولها فى تلك الرواية منتفعا وبين قولها فى هذه الرواية يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافى الفزع أو الجواز أن يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأى من الحالة التى عليها أمه من التعب والشدة والله أعلم قال واذكر ابن اسحق ان حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم مكة لترده على أمه أى بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد بلغ أربع سنين أو خمسا أو ستا على ماتقدم أضلته فى أعالى مكة فاتت جده عبد المطلب فقالت انى قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعالى مكة أضلنى فوالله ما أدرى اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده عليه وفى مرآة الزمان انه أنشد

يا رب رد لى ولدى محمدا * اردده ربى واصطنع عندى يدا

وسيأتى ان هذا البيت أنشده عبد المطلب حين بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ليرد إبلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادى تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسيأتى بعض ترجمة ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قائما تحت

شجرة

شجرة يجذب غصنا من أغصانها فقال له جده من أنت ياغلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال وأنا عبد المطلب جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر وأطعم أهل مكة اقول وقول جده له من أنت ياغلام لعله لكونه وجده على حالة لا توجد لمن يكون في سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان وفي السيرة الهشامية ان الذي وجده هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب أي ويقال أن عمرو بن نفيل رآه وهو لا يعرفه فقال له من انت ياغلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبد المطلب وفي كلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي وصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة * يارب رد ولدي محمدا * البيت فجاء أبو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدي ألا تدري ما وقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت ان تقوم فاركبته من امامي فقامت ويحتاج الى جمع على تقدير صحة كل مما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين قال في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن حليمة مرضعته وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت امه ما أقدمك به ياظئر أي يامرضعة ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ والله وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فأديته اليك كما تحبين فقالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني شأنا أفلا اخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي ما علمت من حمل قط كان اخف علي ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة قال وعن حليمة انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت الا تحدثوني عن ابني هذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت لها أمه أي فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند أخذه منها انتهى * أقول لا ينافي ذلك قول آمنة لحليمة أولا اخبرك خبره وقول حليمة لها بلى لجواز أن تكون امه لم تكن متذكرة انها اخبرتها بذلك قبل ذلك وأن حليمة كذلك او جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة عما أخبرتها به أولا بناء على اتحاد ما أخبرتها به أولا وثانيا والله أعلم قالت ولما أخبرت أولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو فقالت لا هذا أبره وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما اقتلناه اقول وهذا يدل على ان ما ذكرته امه لحليمة من انها حين حملت به خرج منها نور الى آخر ما تقدم وان يكون لا أب له مذكور في بعض الكتب القديمة انه من علامة نبوة النبي المنتظر والله أعلم قال وعنها انها نزلت به سوق عكاظ

فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ في صفته شيئاً ثم قال لي هو والله نبي هذه الأمة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال اقرأ لي عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية لأنها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب * ومنها ما حدث ابن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل أن أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أي العرب أنتم من هذا الذي يزعم أنه نبي قال فقلت يجمعني واياه الجد الخامس فقال هل أنتم صادق فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال هل أنتم ممن اتبعه اي ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله



صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل قال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت أني عنده فأشرب غسالة قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبي بكر رضي الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبي بكر فقال هل تعرفون الذي أخذ بعقبه قلنا هو أبو بكر



فقال هل تعرفون الذي أخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعده هذا * ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان من قرية يقال لها جيّ بفتح الجيم وشد الياء وفي لفظ من قرية من قرى الأهواز يقال رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبي فمن أصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبيراً هل قريته وكنت أحب خلق الى أبي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي قاطنها بمعنى خادمها الذي يوقدها

لا يتركها تخبو أى تطفأ ساعة وكانت لابى ضيعة عظيمة فشغل عنها في بنيان له يوما فقال لى يابنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم فاذهب الى الضيعة وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فان احتبست عنى كنت أهم لى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من امرى فخرجت أريد ضيعته التى امرنى بها وبعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لاأدرى ما أمر الناس لحبس أبى أياى في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقات والله هذا خير من الذى نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى ابى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى اين كنت ألم اكن عهدت اليك ماعهدت قلت ياابت مررت باناس يصلون فى كنيسة لهم فاعجبنى مارأيته من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخاف منى ان أهرب فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته وبعثت الى النصارى قلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبرونى بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبرونى فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فاخبرونى بهم فاخبرونى فالقيت الحديد من رجلى ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم فى الدين فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن اكون معك فاخدمك فى كنيستك واتعلم منك واصلى معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزها لنفسها ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا فقالوا لى وما

أى وكان سوقا للجاهلية بين الطوائف وتحله المحل المعروف كانت العرب اذا حجت اقامت بهذا السوق شهر شوال فكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمى عكاظ يقال عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه فى المفاخرة وفى كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فرآه كاهن من الكهان فقال ياأهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فزاغت أى مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله تعالى أى (وفى الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يامعشر هذيل يامعشر العرب فاجتمع اليه الناس من أهل الموسم فقالوا اقتلوا هذا الصبي فانسلت حليمة به فجعل الناس يقولون أى صبى فيقول هذا الصبي فلا يرون شيأ فيقال له ماهو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضى الله عنها انها لما رجعت به مرت بذى المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أى وهذا السوق قبله سوق يقال له سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذى هو سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أى منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة فى عينيه صاح يامعشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر امرا من السماء وجعل يغرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات اه أى وفى السيرة الهشامية ان نفر النصارى من الحبشة رأوه صلى الله عليه وسلم مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه أى رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة فى عينيه وقالوا لها هل يشتكى عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه () ثم قالوا لها لنا خذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شان نحن نعرف أمره فلم تكد تنفلت به صلى الله عليه وسلم منهم وأتت به الى امه (وعنه صلى الله عليه وسلم واسترضعت فى بنى سعد فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اتانى رجلان عليهما ثياب بيض بيد احدهما طست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذانى فشقا بطنى ثم أستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها أى وقيل هذا حظ الشيطان منك ياحبيب الله) وفى رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين أى ولا مخالفة لجواز أن تكون تلك العلقة انفلقت نصفين (وفى رواية فاستخرجا منه مغمز الشيطان أى وهو المعبر عنه فى الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافى ذلك قوله فى الرواية السابقة ولا أدرى ماهو لجواز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذا بعد أن علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه أى محل ما يلقيه من الامور التى لا تنبغى لأن تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه فلم يبق فيه

مكان

أعلمك بذلك فقلت أنا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف اردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع اهل كل ملة على ان الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا عليه من الدنيا التى حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم واولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ومن قواعد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون ذهبا ولا



فضة وقال رأيت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا نصفا مربوطا على عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان وعند ذلك جاؤا برجل آخر وجعلوا مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه افضل منه أى لا اظن احدا من غير المسلمين افضل منه ولا ازهد فى الدنيا ولا ارغب فى الآخرة ولا أداب ليلا ونهارا فاحببته حبا شديدا لم احبه شيئا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يافلان انى كنت معك واحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصى بى قال أى بنى والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبرى وما امرنى به صاحبى فقال اقم عندى فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت عنده خير رجل فلما احتضر قلت يافلان ان فلانا اوصى بى اليك وامرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تامرنى قال يابنى والله ما اعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبرى وما امرنى به صاحبى فقال أقم عندى فاقمت عنده فوجدته

مكان لان يلقى الشيطان فيه شيئا فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست هى محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام غير واحد وفيه ان هذا يقتضى ان يكون قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل اجاب السبكى بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء أى بالفعل فليتامل وسئل السبكى رحمه الله تعالى فلم خلق الله ذلك القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن أن لا يخلقه الله فيها وأجاب بانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم أى وليظهر للخلق بذلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره أى لانه لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة وأجيب بالفرق بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم كل ذلك وذكر السهيلى رحمه الله ما يفيد ان هذه العلقة هى محل مغمز الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من منى الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من مغمز الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك الغمز هذا كلامه وقد علمت انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور التى لا تنبغى وان ذلك مخلوق فى كل احد من الانبياء عيسى عليه السلام وغيره ولم تنزع الا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قال صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبى بذلك الثلج أى الذى فى ذلك الطست حتى انقياه أى وملآه حكمة وايمانا كما فى بعض الروايات أى وفى رواية ثم قال احدهما لصاحبه ائتنى بالسكينة فاتى بها فذراها فى قلبى وهذه السكينة يحتمل ان تكون هى الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا فى الرواية الآتية وفى الرواية قبل هذه كانت من زمردة خضراء ويحتاج الى الجمع وسنذكره فى هذه الرواية وكذا الرواية الآتية ان الثلج كان فى الطست وفى الرواية قبل هذه كان فى يد احدهما ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفى غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبرده على الفؤاد ذكر السهيلى رحمه الله وذكر فى حكمة كون الطست من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وفى الرواية السابقة طى ذكر الخاتم وتتمة الجواب الذى أجاب به صلى الله عليه وسلم أخا بنى عامر التى وعدنا بذكرها هنا هو قوله صلى الله عليه وسلم وكنت مسترضعا فى بنى سعد فبينما انا ذات يوم منتبذا أى منفردا من أهلى فى بطن وادمع اتراب لى أى المقاربين بالموحدة أو النون لى فى السن من الصبيان اذ أتى رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فاخذونى من بين اصحابى فخرج أصحابى هرابا حتى أتوا على شفير الوادى ثم أقبلوا على الرهط

على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فو الله مالبثت ان نزل به الموت فلما احتضر قلت له يافلان أن فلانا أوصى بى إلى فلان ثم أن فلانا أوصى بى اليك قال من توصى بى وإلى من تأمرنى فقال يابنى والله ماأعلم بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان أحببت فأته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبرى فقال أقم عندى فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لى بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يافلان إنى كنت مع فلان. فأوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان إلى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرنى فقال أى بنى والله ماأعلم أصبح على ماكنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل أى أقبل وقرب زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى عليه السلام أربعة وفى كلام السهيلى انهم ثلاثون وقيل اربعة وعشرون قال سلمان ثم مربى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمى هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها فحملونى حتى إذا بلغوا بى وادى القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى أى وصف لى صاحبى ولم أتحقق ذلك فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى إلى المدينة فوالله ماهو إلا أن رأيتها فعرفتها أى تحققتها بصفة صاحبى فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ماأقام لاأسمع له بذكر مع ماأنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى عذق أى نخل لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة أى وهم الأوس والخزرج لأن قيلة أمهم والله أنهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم

---

فقالوا ماأربكم أى ماحاجتكم إلى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مرتضع فينا يتيم ليس له أب فما يرد عليكم أن يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك فان كنتم لابد قاتلوه أى إن كان لابد لكم من قتل واحد فاختاروا منا من شئتم فاياتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم فلما رأى الصبيان أن القوم لايجيبون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين إلى الحى يؤذنونهم أى يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم إلى فأضجعنى على الارض إضجاعا لطيفا ثم شق بطنى مابين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك مسا أى أدنى مشقة واستخرج إحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها أى بالغ فى غسلها ثم أعادها مكانها أى وقد طوى ذكر استخراج الأحشاء وغسلها فى الروايات السابقة ولا يخفى ان من جملة الاحشاء ظاهر القلب ثم قال الثانى منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء تقدم التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كانه يتناول شيئا وإذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبى أى بعد التئام شقه فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة وقد تقدم وملأه حكمة وإيمانا وأن السكينة ذرت فيه ثم أعاده مكانه فوجدت برد الخاتم فى قلبى دهرا وفى رواية فانا الساعة أجد برد الخاتم فى عروقى ومفاصلى * اقول نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطى عن مغازى ابن عائذ فى حديثه صلى الله عليه وسلم لأخى بنى عامر وأقبل أى الملك وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتأمل وقوله فصدعه يدل بظاهره على أن صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بآلة وحينئذ يكون المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوى فى هذه الرواية ذكر ملء لبه حكمة وإيمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر فى هذه الرواية أن الختم كان لقلبه صلى الله عليه وسلم وفى الرواية قبلها أنه كان بين كتفيه وفى رواية ابن عائذ بين ثدييه ويحتاج إلى الجمع والظاهر ان متعاطى الختم جبريل ويدل عليه قول صاحب الهمزية رحمه الله فى هذه القصة * ختمته يمنى الأمين * وسيأتى التصريح بذلك لكن فى غير هذه القصة والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى فأمر يده مابين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى وختم عليه وفى رواية قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه * أقول وقد يقال معنى خطه ألحمه فخاطه أى لحمه أى مر بيده عليه فالتحم أى فلا يخالف ماسبق ولا ينافيه مافى الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم لجواز أن يكون المراد يرون أثرا كأثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم وهو أثر مرور يد جبريل عليه السلام وهذا طوى ذكره فى الروايات السابقة وقوله ختم عليه يقتضى ان الختم كان فى صدره صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ انه بين ثدييه لكنه زاد بين كتفيه وتقدم أن الختم كان بقلبه وقد يقال فى الجمع لامانع من تعدد الختم فى الحال المذكورة

من مكة اليوم يزعمون انه نبي قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء وهى الحمى النافض حتى ظننت انى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماتقول فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شىء انما أردت أن استثبته فيما قال قال سلمان وقدكان عندى شىء جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا ولا يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انى قد بلغنى انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شىء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسى هذه واحدة أى من العلامات أعنى كونه لا يأكل الصدقة قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة فجئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الفرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان فجلس مع اصحابه فسلمت عليه ثم ابتدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله عنهما فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليلوذ بنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ذلك اى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما

أى فى قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ مافيه وختم الصدر وبين الكتفين مبالغة فى حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه أقرب الى القلب من بقية الجسد ولعله أولى من جواب القاضى عياض رحمه الله بان الذى بين كتفيه هو أثر ذلك الختم الذى كان فى صدره اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفى وفيه السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن أن يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر وأولى من جواب الحافظ بن حجر رحمه الله أيضا بانه يجوز أن يكون الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لان القلب فى ذلك الجانب لما علمت وفيها ان الذى عند الأيسر خاتم النبوة الذى هو علامة على النبوة الذى ولد صلى الله عليه وسلم به على ماهو الصحيح وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء كلهم كان الخاتم فى يمينهم أى فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة فى يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم أقف على بيان تلك الشامات التى كانت للانبياء ماهى وكتب الشهاب القسطلانى على هامش الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الخ مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول لقلوب الانبياء غير نبينا لم يختم ولا يخفى مافيه من المحظور فما أشنعها من عبارة وأخطأها من اشارة هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره فى قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر فى النفوس من عصمة الأنبياء من الشيطان واختص نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالختم فى المحل المذكور مبالغة فى حفظه من الشيطان وقطع اطماعه فليتأمل لا يقال كل من جواب القاضى والحافظ ابن حجر يجوز أن يكون مبنيا على ان خاتم النبوة هو أثر هذا الختم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم النبوة لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعن أبى نعيم فى الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه فى الماء الذى أنبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس أثرا لهذا الخاتم وكلام السهيلى يقتضى انه هو حيث قال ان هذا الحديث الذى في شق صدره فى الرضاعة فيه فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه خلق به أو وضع فيه بعد ماولد اوحين نبىء فبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله تعالى علما وأوزعنا شكرا ماعلم هذا كلامه ثم رأيت عن الحافظ بن حجر مايوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التى فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان أول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به أو حين وضع هذا كلامه

حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها قبل والآن علمني جبريل أو كما قال فقال اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك
والآن تحقق عندي انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى
الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان
يتكلم بالعربي الفصيح وهذا الذى قدمه سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم صرح فى بعض الروايات بانه سأل سيده ان يهب له شيئا فوهبه
له فجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم  فلا يشكل ذلك بانه مملوك لا ملك له ثم أسلم سلمان وصحب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال له صلى الله عليه وسلم
كاتب يا سلمان صاحبك
قال فكاتبت صاحبي على
ثلثمائة نخلة ودية وهي
الصغيرة احييها له بالتفقير
بالفاء ثم القاف أى الحفر
أى احفر لها واغرسها
بتلك الحفر وتصير حية
وأتعهدها الى أن تثمر
وعلى أربعين أوقية من
ذهب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعينوا أخاكم
فاعانوني بالنخل الرجل
بستين والرجل بعشرين
ودية فقال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفقر
أى احفر لها فاذا فرغت
فائتني أكن أنا أضعها
بيدي قال ففقرت لها
وأعانني أصحابي حتى اذا
فرغت جئته صلى الله عليه
وسلم فخرج معي اليها فجعلنا
نقرب اليه الودي فيضعها
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده فما مات
منها ودية واحدة وفى
رواية فغرس رسول الله
صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله عنه فاطعم النخل كله بين
الا تلك النخلة التى غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فاطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان بيده قال الحلبي يحتمل ان كلا من عمر وسلمان غرس هذه النخلة احدهما قبل الآخر
أو اشتركا فى غرسها قال سلمان فاديت النخل وبقى على المال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة أى بيضة الدجاج أو الحمام
من الذهب فقال ما فعل الفارسى فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما على فقلبها على لسانه

ولا يخفى أن ما قلناه من أن هذا الخاتم غير خاتم النبوة أولى لانه يجتمع القولان وتندفع المخالفة
والجمع أولى من التضعيف لما صحح من أنه صلى الله عليه وسلم ولد به وعلى انه هو يلزم أن يكون خاتم
النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفى صدره وفى قلبه لا يقال قد أشير الى الجواب عن ذلك بان
الموجود بين كتفيه انما هو أثر ما فى صدره وقلبه * لانا نقول يبطله ما تقدم عن الدلائل لأبي نعيم وما
تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفى يده خاتم فوضعه بين كتفيه وثدييه وأيضا يلزم عليه أن
يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا فى قصة المبعث وثالثا فى قصة الاسراء ففى قصة المبعث
فاكفاني كما يكفا الاناء ثم ختم فى ظهرى وفى قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما
يبطل كون ما فى ظهره أو بين كتفيه أثر ذلك الختم الذى وجد فى صدره أو قلبه الا أن يقال ما فى قصة
المبعث وقصة الاسراء غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الأثر الحاصل من ختم صدره وقلبه
فى قصة الرضاعة وانه تكرر الختم على ذلك الأثر فى المبعث وفى قصة الاسراء وفيه انه لا معنى لتكرر
الختم فى محل واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة فى الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم
لا عند اعادته ثانيا وثالثا فى محل واحد وأيضا هو خلاف ظاهر كلامهم من انه فى الحال الثلاثة
خاتم النبوة ويؤيده ان المتبادر من القول فى قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل
خاتم النبوة بين كتفيه والا فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع أى خاتم النبوة فان قلت على دعوى
الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع
وانما وقعت تلك العبارة عن بعضهم ويجوز أن يكون الباء فى كلامهم بمعنى مع أى مع خاتم النبوة
فتأمل والله أعلم (قال صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيدى فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول
للذى شق صدرى زنه بعشرين من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمتى فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم كلهم ثم ضموني
الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير
لقرت عيناك) * أقول فى بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففى هذه الرواية طى ذكر وزنه
بعشرين وفى تلك الرواية طى ذكر وزنه بعشرة والله أعلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينا
نحن كذلك اذا بالحى قد أقبلوا بحذافيرهم أى باجمعهم واذا بظئرى أى مرضعتى امام الحى تهتف أى
تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا على يعنى الملائكة الذين هم أولئك الرهط الثلاثة وضموني
الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئرى يا وحيداه
فاكبوا على فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت
بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من اهل الارض ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من

صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء

كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء أفلا تعذرون سلمان لما * أن عرته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل أن يعتق أى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل شغل عما قبله بالرق ووقع  فى بعض الروايات فى قصة سلمان زيادة ونقص والذى تقدم هو أصح الروايات قال الحلبى فى السيرة ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال فى كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجرى عليك رزقك فقال انى أحب أن آكل من عمل يدى وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه * وأما اخبار الكهان لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم فى ليلة ولادته وفى أيام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معد يكرب رضى الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا فى أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج أن هذا الامر آج ولقاح ذات نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهر نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن الامور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد * ومنها خبر قس بن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو

بين أصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا على وضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعنى الحى الى شفير الوادى فلما ابصرتنى أمى وهى ظئرى قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت على ثم ضمتنى الى صدرها فوالذى نفسى بيده انى لفى حجرها قد ضمتنى اليها ويدى فى أيديهم يعنى الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم أى لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول أن هذا الغلام قد أصابه لمم أى طرف من الجنون أو طائف من الجن أى وهى اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت ياهذا ما بى مما تذكران آرابى أى أعضائى سليمة وفؤادى صحيح ليس بى قلبة أى علة يقلب بها الى من ينظر فيها فقال أبى وهو زوج ظئرى ألا ترون كلامه صحيحا انى لارجو ان لا يكون بابنى باس واتفقوا على أن يذهبوا بى اليه أى الى الكاهن فلما انصرفوا بى اليه فقصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بامره منكم فسألنى فقصصت عليه امرى من أوله الى آخره فوثب قائما الى وضمنى الى صدره ثم نادى باعلى صوته ياللعرب ياللعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفى رواية ليسفهن احلامكم أى عقولكم وليكذبن أوثانكم وليدعونكم الى رب لم تعرفوه ودين تنكرونه فعمدت ظئرى وانتزعتنى من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت أن هذا قولك ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلى هذا الغلام ثم احتملونى الى اهلهم وأصبحت مفزعا مما فعلوا يعنى الملائكة بى أى من حملى من بين أترابى والقائى الى الارض لا من خصوص الشق لما تقدم وأصبح أثر الشق ما بين صدرى الى منتهى عانتى أى أثر التئام الشق الناشئ عن امر اريد للملك كانه الشراك اهـ أقول الشراك أحد سيور النعل الذى هو المداس الذى يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق واعلم أنه حيث كانت قصة شق صدره الشريف فى زمن الرضاع عند حليمة واحدة يكون هذه الروايات المراد منها واحدا وان بعضها وقع فيها الاختصار عما وقعت به الاطالة فى بعضها وأن اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة لا ينافى اخباره بأنهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن أو الصدر الى الثلاثة أو الى الاثنين لا ينافى أن متعاطى ذلك واحد منهم كما اخبر به اخوه رجاء التصريح به فى بعض الروايات وأن التعبير فى بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة فى بعضها وانه ليس المراد بشق البطن أو شق الصدر شق القلب لما تقدم فى الرواية واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج قلبى فصدعه الحديث وانه يجوز ان يكون الطست كان متعددا واحدا من زمردة خضراء وواحدا من ذهب وان

سيف هند الخطبة * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا اهلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل احمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور أقسم قس قسما حاتما لئن كان الأمر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى  الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أم تركوا فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروى قوله فانشدوه

في الذاهبين الاوليـ ـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس بها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر
أيقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله من وانا كنت بين يدي القوم اقفوا اثره كان من اسباط العرب عمره سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أول من ترك عبادة الاصنام من العرب وأول من قال أما بعد واول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود وكأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليـــل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على * الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي

---

الأول كان فارغا معدا لان يلقى فيه ماء يغسل به باطنه اي مع احشائه ومنها أي من جملة الاحشاء ظاهر قلبه من الابريق الفضة وان الثاني كان مملوءا ثلجا معدا لان يغسل به قلبه أي داخل قلبه وحينئذ يكون في بعض الروايات اقتصر على القلب وفي بعضها جمع بينه وبين الاحشاء في ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق في ذروة الجبل وكونه في شفير الوادي وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز أن تكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادي وانه عبر عن الذي اخرجه وألقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفى أن هذه العلقة يحتمل انها غير حبة القلب التي أخذت منها المحبة وهي علقة سوداء في صميمه المسماة بسويداء القلب ويحتمل أنها هي والله اعلم وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جدّه وقد فصلته … وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله … فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد … لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها … ثاويا لايمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه … مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الأمين وقد أو … دع ما لم يذع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض … ملم به ولا الافضاء

أي وأتت حليمة به جده والحال انها فطمته والحال انه لحق بها من أجل فطامه ورده التألم الزائد وردها لاجل أنه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شياطين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذي بها لهب تحترق الاحشاء به وهي ما تحويه الضلوع وفارقته بعد ردها له كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه وأخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء ختمت على ذلك القلب يمين الأمين جبريل بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف قد أودع من الاسرار الالهية مالم تنشره أخبار لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام اسراره التي اودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك التختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار * أقول قد علمت ان صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجيء الوحي ومرة عند المعراج وزاد بعضهم انه شق عند بلوغه عشر سنين كما في مسلم ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة أي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب وروى خامسة ولم تثبت وسيأتي تلك الخامسة عن الدر المنثور وسيأتي ما فيها والله اعلم قال وفي المرة التي كان ابن عشر سنين أي وأشهر قال صلى الله عليه وسلم جاءني رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعني لحلاوة القفا ثم شقا بطني فكان أحدهما يختلف بالماء في طست

صلى الله عليه وسلم على رسلك ياجارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر رضى الله عنه فانى احفظه يارسول الله كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته ياأيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا امن عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وامهات واحياء واموات وجمع وأشتات وآيات بعد آيات أن فى السماء لخبرا وفى الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا  هناك فناموا أقسم قس قسما حاتما لاحانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من طغى وتمرد وبغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى ألم يكونوا اكثر منكم اموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم التراب بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشا يقول الابيات المتقدمة وفى رواية زيادة أن الصعب ذا القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلمحة عين وفى رواية قال فى خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وماهذا قال رجل ابلج احور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لاينفذ فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت أنى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة يقوى بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا الالتفات لقول ابن الجوزى ببطلان هذا الحديث ثم أن بعض طرقه يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حافظا لكلامه وبعضها على انه نسى فيحتمل انه كان ناسيا



من ذهب والآخر يغسل جوفى ثم شق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج منه العلقة والمتبادر أن ال فى العلقة للعهد وهى العلقة السوداء التى تقدم أنها حظ الشيطان وأنها مغمزه فهى محل الغل والحسد وفيه أنه تقدم أيضا أن تلك العلقة اخرجت وألقيت قبل هذه المرة وتكرر نبذها مستحيل الا أن تحمل العلقة على جزء بقى من اجزائها بناء على جواز انها تجزأت اكثر من جزءين المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات علقتين سوداوين الا أن يقال المراد بقوله فاخرج منه العلقة أى اخرج ماهو كالعلقة أى شيئا يشبه العلقة كما سيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه أى على شق القلب ليلتحم به ثم نقر ابهامى ثم قال اغد واسلم * اقول لم يذكر فى هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية أن الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم فى قصة الرضاع أن ذلك كان من امر اريد الملك واستمر أثر التئام الشق يشاهد كالشراك وفى الدر المنثور عن زوائد مسند الامام احمد عن أبى بن كعب عن ابى هريرة قال يارسول الله ما أول مارأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سالت ياأباهريرة انى لفى صحراء ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلا الى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لاخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فاضجعانى بلا قصر ولا هصر أى من غير اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له ادخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذى اخرج أى ليدخله شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلى اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت اغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر فى هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم ولكن قول الرجل للآخر اهو هو يدل على أن الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد فعلا به ذلك فى قصة الرضاع وقد يدعى أن هذه الرواية هى عين الرواية قبلها وذكر عشرين سنة غلط من الراوى وانما هى عشر سنين ثم رأيت مايصرح بذلك وهو كان سنه عشر حجج وقد تحمل هذه المرة أى كونه ابن عشرين سنة على ان ذلك كان فى المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم فى المرة التى هى عند ابتداء الوحى جاءنى جبريل وميكائيل فاخذنى جبريل وألقانى لحلاوة القفا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ماشاء الله أن يستخرج ولم يبين ذلك ماهو ثم غسله فى طست من ماء زمزم ثم عاده مكانه ثم لامه أى بذلك الذرور او بامر اريده أو بهما جميعا ثم اكفانى كما يكفى الاناء ثم ختم فى ظهرى يحتمل ان يكون المراد فى غير المحل الذى ختمه فى قصة الرضاع وهو بين كتفيه ويحتمل أن المراد بظهره المحل الذى ختمه فى قصة الرضاع وفيه انه لامعنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن أن تكون الحكمة فى الجمع

بين جبريل وميكائيل أن ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي هي عند المعراج سيأتي الكلام عليها وفيها ان الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت أن شق الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما في بعض الآثار ان التابوت أي تابوت بني اسرائيل كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لأن القلب من جملة الاحشاء التي غسلت بغسل الصدر أو البطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر انه أثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع في قصة المعراج ثم أتي بطست ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ في صدره ومنه قول الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى أن شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من القولين أي شق قلبه وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على المعراج بما هو أبسط مما هنا وعن حليمة رضي الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا أي عنها فغفلت عنه صلى الله عليه وسلم يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته أي من الرضاعة وهي الشيماء وكانت تحضنه مع أمها أي ولذلك تدعى أم النبي أيضا () أي وكانت ترقصه بقولها

هذا أخ لي لم تلده أمي * وليس من نسل أبي وعمي * فأنمه اللهم فيما تنمي

فقالت في هذا الحر أي لا ينبغي أن يكون في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد اخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول أحقا يا بنية قالت أي والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني أي وفي كلام بعضهم ورأيت يعني حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الرؤية في حق حليمة علمية وفي حق أخته بصرية فلا مخالفة او انها أبصرتها بعد الاخبار بها كما يدل على ذلك القول بانه أفزعها ذلك من امره أي وفي كونها فزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شيء فقدمت به على أمه (أقول عن الواقدي أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لترده لامه رأت غمامة تظله في الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذه الرواية يقتضي أنها ردته الى أمه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره ففي القدمة الأولى كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وفي هذه القدمة كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين واشهر او تكون هذه المرة الثانية محمل قول حليمة فوالله انه بعد مقدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين أو ثلاثة وأما في القدمة الثالثة وهي التي بعد شق صدره وتركها له صلى الله عليه وسلم عند امه

ثم لما ذكره أبو بكر رضي الله عنه أو غيره تذكره فرواه بعد ذلك واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس ففي كل مرة ذكر شيئا وقد جاء في الحديث رحم الله قسا انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل انه ادرك الحواريين وكان على دين عيسى عليه السلام ومن شعره

الحمد لله الذي * لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا * خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلبا في الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله

شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فابلغ رسول الله عني رسالة * بأني حنيف حيث كنت من الارض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة * ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير وتسمى به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاءوا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل * وألحق بعضهم بهذا الباب ما نقل كان عن تبع من ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم في اشعاره يروى أن الانصار شكوا الى تبع ما يلقون من اليهود من الاذى فاراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود الملك أجل من أن يطرقه فرق أو يستخفه غضب وامره أعظم من أن يضيق حلمه أو ينخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله

شهدت على احمد انه * نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره *

لكنت وزيرا له وابن عم وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم له أمة سميت في الزبور * وأمته هي خير الأمم
* ومن ذلك قوله أيضا ويأتي بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام يسمى أحمدا ياليت إني * أعمر بعد مبعثه بعام
وهذا الذي منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع في رواية أيها الملك إن هذه البلد مهاجر نبي من
بني اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه هجرته وأن منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع
ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال وإذا قوتل لمن  تكون النصر قال له مرة وعليه أخرى
ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها ولما قال له شامول ماذكر وقص القصة كان معه أحبار قالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فأعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا بالمدينة وأعد دارا للنبي صلى الله عليه وسلم قيل هي دار أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه التي نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فما نزل إلا في داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبي صلى الله عليه وسلم فصاروا يتوارثونه ويستحفظونه عليه حتى بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فأخرجوه إليه والقصة مبسوطة في الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودي رحمه الله وسيأتي التعرض لها مع زيادة على ماهنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في دار أبي
أيوب الأنصاري رضي الله عنه * وألحق بذلك بعضهم أخبار كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يخطب الناس يوم
العروبة أعني يوم الجمعة ويذكر في خطبته النبي صلى الله عليه وسلم ويبشر به * فمن ذلك قوله أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا
ليل داج ونهار وهاج والأرض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام إلى أن قال حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم
وسيخرج منه نبي كريم وأنشد نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها منونان بالأحداث حين تناوبا *
وبالنعم الضافي علينا سرورها على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها * ومن ذلك خبر سفيان بن مجاشع

كان سنه أربع سنين وفيها كانت وفاتها على ما يأتي وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الأمر وظن أن هذه القدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم فلزم الاشكال فتأمل ذلك تأملا جيدا ولا تكن ممن يفهم تقليدا والله أعلم (ووفدت عليه صلى الله عليه وسلم حليمة بعد تزويجه خديجة تشكو إليه ضيق العيش فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الثنية من الابل أي وفي رواية أربعين شاة وبعيرا اهـ ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه أي فقد قال بعضهم لم تره بعد أن ردته الا مرتين إحداها بعد تزويجه خديجة أي وعليه تكون هذه المرة هي التي تقدمت فيها مع زوجها وولدها وأجلسهم على ردائه أي ثوبه الذي كان جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية يوم حنين) وفي كلام القاضي عياض ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك أي بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل كذلك () وفي كلام ابن كثير أن حديث مجيء أمه صلى الله عليه وسلم إليه في حنين غريب وإن كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لأن من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجعرانة أي بعد رجوعه من حنين أزيد من ستين سنة وأقل ما كان عمرها حين أرضعته عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنة وكونها وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تزيد المدة على المائة وعن أبي الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة أي بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وأنا غلام شاب فأقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل أمه التي أرضعته صلى الله عليه وسلم وفي رواية استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمي أمي وعمد إلى ردائه فبسطها فقعدت عليه اهـ وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر أن من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها) وفي الأصل (ومن الناس من ينكر إسلامها) أشار بذلك إلى شيخه الحافظ الدمياطي فإنه من جملة المنكرين حيث قال أي في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا إسلام وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء وكان الأنسب أن يقول ذكروا إسلامها وليس بشيء ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر أن حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال إسلامها لا شك فيه عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتأخرين أنه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا دالا على إسلامها وأنكر الحافظ الدمياطي وفودها عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك إنما هي أخته من الرضاعة وهي الشيماء * أقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم أمي أمي لأنه كان يقال لأخته الشيماء أم النبي صلى الله عليه وسلم لأنها كانت تحضنه مع أمها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة أمه التي أرضعته لأنه يجوز أنه لما قيل أمه حملها على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن

التميمي جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحي من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والدليل من لاحاه والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤوس ورابض شموس وماحن بؤس وماهد غوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو قالت نبي مؤيد قد آن حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله أبوك أعربي أم عجمي فقالت أما  والسماء ذات العنان والشجر ذات الأفنان انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء أن يكون هو النبي المذكور وهو أحد من تسمى باسم النبي عليه الصلاة والسلام قبيل مبعثه وتقدمت قصة سيف بن ذي يزن أحد ملوك اليمن وتكلمه مع عبد المطلب وبشارته بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبد المطلب أيضا اشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية * ومن ذلك خبر زيد بن عمرو بن نفيل انه لقي راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في أرضك وهو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه فصدقه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فقال يا عم مالي أرى قومك قد أبغضوك فقال أما والله ان ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم انه هو النبي الموعود به * ومن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سافرت إلى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخا كبيرا وكنت انزل عليه اذا جئت اليمن فسألني مرة من مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه

قوله

موت أمه من النسب وعلى كون الوافدة عليه في حنين أخته اقتصر في الهدى والله أعلم * اقول قال الحافظ ابن حجر بعد أن أورد عدة آثار في مجيء أمه من الرضاعة اليه صلى الله عليه وسلم في حنين وفي تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها أصلا أصيلا وفي اتفاق الطرق على انها أمه رد على من زعم أن التي قدمت عليه اخته اه * أقول لا رد في ذلك لانه علم ان أخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم ووصف بعض الصحابة لها بانها أمه من الرضاعة تقدم انه يجوز أن يكون بحسب ما فهم * ومما يعين انها اخته ما سيأتي انها لما أخذت في حنين من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يارسول الله أنا أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضيتنيها في ظهري وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه الى آخر ما يأتي * وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى كانت فيها أمه من الرضاعة حيث قال وقد روى ان خيلا له صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني اخته من الرضاعة التي هي الشيماء فقالت أنا اخت صاحبكم الى أن قال فبسط لها رداءه وأجلسها عليها فاسلمت ثم قال وجاءته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها وجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي أغارت على هوازن التي كانت فيها اخته لم تكن في حنين وان امه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة وان سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم أن يكون جاء اليه يوم حنين كل من أمه وأخته من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداءه وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله ابن جعفر ثم قال حذافة اخت النبي عليه الصلاة والسلام من الرضاعة يقال لها الشيماء أغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها فيما أخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله ابن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها الا بعد الهجرة بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع أبيه الذي هو جعفر بن أبي طالب في خيبر سنة سبع وتبعد حياتها وبقاؤها الى ذلك الزمن وفيه ان حنينا بعد خيبر وأبعد من ذلك وقوفها على أبي بكر وعمر وقد تقدم ما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذي يتجه ان الوافدة عليه في حنين أخته لا أمه كما يقول الحافظ الدمياطي والله أعلم قال (قال ابو الفرج بن الجوزي ثم قدمت أي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت) أي فلا يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه أي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها * أقول كان من حقه أن يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد

بمكانى فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لى انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة ألا ابشرك ببشارة هى خير لك من التجارة قلت بلى قال أنبئك وأبشرك ان الله قد بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرف ولا تباله هو من بنى هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن اخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات  أشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصبح

انك ذو السر من قريش
يا ابن الفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين
يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى
انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعى الى مليك
يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضى الله عنها رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من اخوانى حقا * ومن ذلك خبر مخيريق اليهودى كان عالما حبرا بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلب عليه إلف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يا معشر يهود انكم تعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فاموالى لمحمد يصنع بها ما اراه ثم اسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل النبى صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود * ومن ذلك ما رواه كعب الاحبار فى صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من احبار اليهود فاسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه

---

قوله قدمت عليه بعد النبوة لأنه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفى كون قول ابن الجوزى فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هى دعوى تحتاج الى دليل الا ان يقال قول ابن الجوزى فاسلمت دليل لنا على اسلامها والله أعلم وذكر الذهبى ان التى وفدت عليه صلى الله عليه وسلم فى الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة ونظر فيه بأن ثويبة توفيت سنة سبع اى من الهجرة اى مرجعه من خيبر على ما تقدم * أقول ذكر فى النور أن الحافظ مغلطاى له مؤلف فى اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة (وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم ترضعه مرضعة الا وأسلمت لكن هذا البعض قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة وأم أيمن ايضا وهو يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة وأما اسلام امه آمنة فسنذكره وكون ام ايمن أرضعته صلى الله عليه وسلم تقدم ما فيه والله سبحانه وتعالى أعلم)

(باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه)

اى اختصاصه بذلك (ذكر ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت امه لما بلغ ست سنين) وقيل كان سنه اربع سنين وبه صدر فى المواهب اى وهو يرد القول بأن حليمة لما ردته الى أمه كان عمره خمس اوست سنين قال وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتى عشرة وشهرا وعشرة أيام اه (ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة اى وهو إلى المدينة اقرب وسمى بذلك لان السيول تتبوأه اى تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء فى عمرة الحديبية قال ان الله أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم وقيل له فى ذلك فقال ادركتنى رحمتها فبكيت وكان موتها وهى راجعة به صلى الله عليه وسلم من المدينة من زيارة أخواله اى اخوال جده عبد المطلب لان أم عبد المطلب من بنى عدى بن النجار كما تقدم بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت فى الطريق ومعها أم ايمن بركة الحبشية التى ورثها من أبيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب اى بعد خمسة أيام من موت أمه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا وفى كلام بعضهم وبقى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه بالابواء حتى أتاه الخبر الى مكة وجاءت أم ايمن مولاة ابيه عبد الله فاحتملته وذلك الخامسة من موت امه فليتامل وكون موت أمه صلى الله عليه وسلم كان فى حياة عبد المطلب هو المشهور الذى لا يكاد يعرف غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت امه صلى الله عليه وسلم بسنتين اى (وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن انت امى بعد امى ويقول ام ايمن امى بعد امى) وفى القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن امه صلى الله عليه وسلم ولم اقف على محل تلك الدار من مكة قال (وقيل توفيت أى دفنت بالحجون بشعب ابى ذؤيب وغلط قائله

سنة ثنتين وثلاثة من الهجرة وكان يذكر أخبارا كثيرة فى صفات النبي صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وساله عمر رضى الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادى المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بها ثم يقبض ويدفن بها * ومن ذلك خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عنده هرقل أدخلني عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما انا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي قال دحية فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره انى اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانى قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان اعظم عندهم مني * واخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما انكر ذلك منهم من انكره الاحسدا وبغيا والله الهادى الى سواء السبيل * وأما أخبار الكهان واذا على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد بن قارب رضى الله عنه وكان من دوس قوم أبى هريرة رضى الله عنه كان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فمن محمد بن كعب القرظى قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى أتاه رئيه اى تابعه من الجن الذى يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضى الله عنه بعد أن قال وهو على المنبر أى منبر النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس فيكم سواد

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق أى شرع يقول يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بأبى أنت وأمى يا رسول الله نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الى وأنت فرح متبسم فمم ذاك قال ذهبت لقبر أمى فسألت ربى أن يحييها فاحياها فآمنت وردها الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر الدين والجوزقانى وابن الجوزى والذهبى فى الميزان وأقره على ذلك الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان جعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا لاحاديث النهى عن الاستغفار أى لها * منها ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اى ولعله فى عمرة القضاء لأنه لم يقدم مكة نهارا مع أصحابه قبل حجة الوداع الا فى ذلك أتى رسم قبر أمه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال ابن مسعود فبكينا لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم قام ثم دعانا فقال ما أبكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنة الحديث (وفى رواية أتى قبر أمه فجلس اليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وفى رواية ان جبريل عليه السلام ضرب فى صدره صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما رؤى باكيا أكثر منه يومئذ وفى رواية استأذنته فى الدعاء لها اى بالاستغفار فلم يأذن لى وأنزل على ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى فاخذنى ما يأخذ الولد للوالد قال القاضى عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك أيامه والايمان به اى النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهى عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان فى صحيحيهما (ونص مسلم استأذنت ربى أن استغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة * وفى لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث اى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها على تسليم ضعفه اى دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة * (اقول ذكر الواحدى فى أسباب النزول ان آيتى ما كان للنبي والذين آمنوا وما كان استغفار ابراهيم لأبيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب بعد موته فقال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذى قرابتنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم لأبيه اى فنزولهما كان عقب موت أبى طالب) لا يقال جاز أن تكون آية ما كان للنبي تكرر نزولها لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ولما استغفر لامه لانا نقول كونه يعود للاستغفار بعد أن نهى عنه فيه ما فيه أو المراد بالنسخ المعارضة يعنى قول ابن شاهين انه ناسخ أحاديث النهى عن الاستغفار أى معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا (على انه لا معارضة لان النهى عن الاستغفار لها كان قبل أن تؤمن

ابن قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال أيها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر رضى الله عنه هذا سواد فارسل اليه عمر رضى الله عنه فجاء فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال أنت أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم أى ما كنا عليه من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك وفى (١٢٧) رواية أن عمر رضى الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وفى كلام السهيلى أن عمر رضى الله عنه مازح سوادا رضى الله عنه فقال ما فعلت كهانتك ياسواد فغضب وقال له سواد قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرنى بامر قد تبت منه فقال عمر رضى الله عنه اللهم غفرا ثم قال ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتانى رئيى وضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها فارحل الى الصفوة من هاشم ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وسدها العيس باكوارها تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

فقلت دعنى انام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى

---

واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء اختصر الحافظ الدمياطى فى سيرته وكذا ابن هشام فى سيرته وفي الوفاء عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء وقد يقال على تقدير صحة الحديثين أى أنها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز انها تكون دفنت اولا بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل أن يحييها الله له وتؤمن به ومن ثم قال الحافظ السيوطى ان هذا الحديث أى حديث عائشة قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز أن يكون قوله للشخصين أمى وأمكما فى النار على تقدير صحته التى ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل احيائها وايمانها به كما تقدم نظير ذلك فى أبيه صلى الله عليه وسلم وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر فى علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح فى المستدرك لما عرف من تساهله فيه فى التصحيح وقد بين الذهبي ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على أن هذا أى منع الاستغفار لها انما يأتى على القول بان من بدل أو غير أو عبد الاصنام من أهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبنى على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر أن العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وأن غيروا أو بدلوا أو عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر أى من غير أو بدل أو عبد الاصنام مؤولة أو خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رأيت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده أى بعدم عبادة الاصنام يكفى فيه وجود رسول دعا الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك أو أمكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من أن يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله بعبادة الاصنام لانه على فرض ان لا تبلغه دعوة أحد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة فى الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط أى حسبي بعزتك

فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي وأعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها تهوى الى مكة تبغي الهدى * ماخير الجن كانجاسها فارحل الى الصفوة من هاشم * وأوم بعينيك الى رأسها فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي حتى اتيت مكة وفي رواية المدينة قال البيهقي والرواية الاولى اصح فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله فلما رآني قال مرحبا بك ياسواد بن قارب (١٢٨) قد علمنا ما جاء بك قلت يارسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي فقال هات فانشأت اقول

اتاني رئيي بعد ليل وهجعة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت
بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره
وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فرنا بما يأتيك ياخير مرسل
وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة
سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى يعني الفرح في وجوههم وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت ياسواد قال البراء فرأيت عمر رضي الله عنه التزمه وقال لقد كنت اشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا وقال يامعشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن

وكرمه واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا أنهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله تعالى عنهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء النهي عن ذلك على ألسنة الرسل السابقين ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك أن الشرائع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه قيل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الآية استواء الشرائع كلها في أصل التوحيد أي ومن ثم قال في تمام الآية ولا تتفرقوا فيه وقال لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره وقال والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان والتوحيد لازما لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم في الاستعداد والقابلية والدليل على ان الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ماجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أولاد علات أي أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرائعهم لان العلات الضرائر فاولادهم اخوة من الاب وأمهاتهم مختلفة وقد جاء هذا التفسير في نفس الحديث ففي بعض الروايات الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث ذكر ان الحق الواضح الذي لاغبار عليه أن أهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم بالايمان بالله عز وجل فالعرب حتى في زمن أنبياء بني اسرائيل أهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم الى الله تعالى وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بانه من أهل النار فان أمكن تأويله فذاك والا لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه قال وأما قول الفخر الرازي لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه أن كل رسول انما أرسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجواب ماصح من تعذيب أهل فترة انها أخبار آحاد فلا تعارض القطع أو يقصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه اى حيث لايقبل التاويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جاء انهم أي أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد أخرج البزار عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان امرتكم بان تطيعوني فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم

شقاوتهم أن لا يتعظوا الا بانفسهم وان من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغى لاهل البلاء الا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ولست أدرى لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة * ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال له انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله  عليه وسلم * وأماما سمع من جوف الاصنام فكثير أيضا فنها خبر ابن عباس بن مرداس رضى الله عنه قال كان لأبيه مرداس السلمى وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها الف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أى بنى اعبد ضمارا فانه ينفعك ولا يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها
أودى ضمار وعاش أهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفى لفظ ان عباس بن مرداس كان فى لقاح له نصف النهار اذا طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال يا عباس ألم تر الى السماء قد تعب حراسها وان الحرب قد حرقت أنفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذى نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوى قال العباس فراعنى ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنت حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال عباس فخرجت مع قومى بنى حارثة الى رسول الله

---

يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه ويرجو ان يدخل عبد المطلب الجنة فى جماعة من يدخلها طائعا الا اباطالب فانه أدرك البعثة ولم يؤمن به أى بعد ان طلب منه الايمان﴾ ومما استدل به الحافظ السيوطى على أن أبويه صلى الله عليه وسلم ليسا فى النار قال لانهما لو كانا فى النار لكانا أهون عذابا من أبى طالب لانهما أقرب منه وأبسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف ابى طالب وقد أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه أهون أهل النار عذابا فليسا أبواه صلى الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يسمى عند أهل الاصول دلالة الاشارة﴾ وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من أهل بيته أى ولا أحد من أشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر أى شديد قوى حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى أى علم ذلك منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعوا ابنى يجلس فانه يحس من نفسه بشىء اى بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه به عربى قبله ولا بعده وفى رواية دعوا ابنى انه ليؤنس ملكا اى يعلم من نفسه أن له ملكا وفى لفظ ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت أبى يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعدما كف بصره مالابنى يبكى قالوا أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابنى يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف أى يتيقن فى نفسه شرفا وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده أى فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب﴾ اى ولعل هذا كان فى آخر الأمر فلا ينافى ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب والا فيحتمل أن اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم من بنى مدلج اى وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم التى فى المقام منه اى وهى قدم ابراهيم عليه السلام * أقول أى فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أثرت قدماه في المقام وهو الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتى وهو الذى يزار الآن بالمكان الذى يقال له مقام ابراهيم أى وقد أشار الى ذلك عمه ابو طالب فى قصيدته بقوله منقسما

وبالحجر المسود أذ يلثمونه * اذا اكتنفوه فى الضحى والاصائل

صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما رآنى صلى الله عليه وسلم تبسم وقال ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت وأسلمت أنا وقومى * ومن ذلك خبر مازن بن القصوية قال كنت أسدن أى أخدم صنما بقرب عمان يدعى سمائل وسمال يقال له بادر وفى لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهى الذبيحة مطلقا وقيل فى رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر بعث نبى من مضر * بدين الله الأعز الأكبر فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر نار سقر قال مازن



ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتا منه يقول اقبل الى اقبل * تسمع مالا تجهل هذا نبى مرسل جاء بحق منزل آمن به كى تعدل عن حر نار تشعل وقودها الجندل فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بى قال مازن فبينما نحن كذلك أذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتى وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وقلت

كسرت بادرا جذاذا وكان لنا ربا نطيف به ملا بتضلال بالهاشمى هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه شيئا على بال يارا كبا بلغا عمرا واخوتها انى لما قال ربى بادر تالى قال مازن فقلت يارسول الله انى مولع بالطرب أى مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التى تتمايل لذلك وتنثنى عند جماعها وألحت أى دامت علينا السنون أى أعوام القحط والجدب فذهبن بالأموال وهزلن الدرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ويأتينى بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أى الزنا العفة وائته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عنى ما كنت أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصب عمان يعنى قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لى حبان يعنى ولده

---

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ بن كثير يعنى ان رجله الكريمة غاصت فى الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة * وعن أنس رضى الله تعالى عنه رأيت فى المقام أثر أصابع ابراهيم وعقبيه وأخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم أذهب ذلك أى ومشابهة قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم تدل على أن تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم فى قول مجزز المدلجى فى زيد بن أسامة رضى الله عنهما وقد ناما وغطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك صلى الله عليه وسلم لان فى ذلك ردا على من كان يطعن فى نسب أسامة بن زيد كما تقدم وذكر بعضهم أن نبينا صلى الله عليه وسلم أثر قدمه فى الحجر أيضا فقد أثر فى صخرة بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الآن وذكر الجلال السيوطى أنه لم يقف لذلك أى لتأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجر على أصل ولا سند قال ولا رأيت من خرجه فى شىء من كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الألسنة من أن مرفقه الشريف لما ألصقه بالحائط غاص فى الحجر وأثر فيه وبه يسمى ذلك المحل بمكة بزقاق المرتق ومن العجب ان الجلال السيوطى مع قوله المذكور قال فى الخصائص الصغرى ولا وطىء على صخر الا وأثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى أنه صلى الله عليه وسلم ما وطىء على صخر الا وأثر فيه قد يتوقف فيه ثم رأيت الامام السبكى ذكر تأثير قدمه الشريف فى الأحجار حيث قال فى تائيته

وأثر فى الأحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل أو ببطحاء رطبة

قال شارحها ولعل عدم تأثير قدمه الشريف فى الرمل كان ليلة ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الغار أى فليس هذا كان شأنه فى كل رمل مشى عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لأبى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم أراد به اخفاء أثر سيره ليتحير المشركون فى طلبه. وفيه ان هذا التعليل مقتض لتأثير قدمه الشريف فى الرمل لا لعدم تأثيره فى ذلك ويؤيد ذلك انه سيأتى انهم قصوا أثره الى أن انقطع الاثر عند الغار أى وقال لهم القاص هذا أثر قدم ابن أبى قحافة وأما القدم الآخر فلا اعرفه الا أنه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شىء أى محل كما سيأتى وفيه أن هذا أى تميز قدمه الشريف من قدم سيدنا ابى بكر ربما ينافيه قوله لأبى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكن قدم أبى بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم ولا يضر فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز أن يكون المراد لا يظهر فيه قدمى ظهورا بينا فصح قول القائف هذا أثر قدم ابن أبى قحافة وأما القدم الآخر الى آخره ولم يعترض هذا الشارح على تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة بل أبدى

وأنشات أقول    اليك رسول الله حنت مطيتى * تجوب الفيافي من عمان إلى العرج    لتشفع لى ياخير من وطىء الحصى * فيغفرلى ذنبي وأرجع بالفلج    إلى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا رأيهم رأيي ولا نهجهم نهجى    وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابى حتى آذن الجسم بالنهج    فبدلنى بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى    فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى * فلله ماصومى ولله ماحجى    قال مازن فلما رجعت إلى قومى أنبونى أى عنفونى وشتمونى ولامونى وأمروا شاعرهم فهجانى فقلت أن هجوتهم فانما أهجو نفسى فتنحيت عنهم وبنيت مسجدا أتعبد فيه فكان لا يأتى هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه إلا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره إلا عوفى ثم أن القوم قدموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فأسلموا كلهم ذكره الحلبي فى السيرة * وأما ما سمع من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا يقول يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لأنه ملطخ بالدم الأحمر يقال أحمر ذريحى أى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لأنه قد جلح جلده أى كشف عنه جلده * وأما ما سمع من الهواتف ولم يجىء على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الأصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى إذا عسعس الليل أى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا أيها الراقدون فى الليل الاحم * قد بعث الله نبيا بالحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

فأدرت طرفى فما رأيت شخصا فأنشأت أقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلام * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

---

لذلك حكما لا بأس بها فلتراجع وقوله فى الاحجار يدل له على أنه تكرر تأثير قدمه الشريف فى الاحجار ولكن لم يكن ذلك شأنه صلى الله عليه وسلم فى كل حجر مشى عليه كما دلت عليه عبارة الجلال السيوطى والله أعلم * (قال وبينا عبد المطلب يوما فى الحجر وعنده أسقف نجران والأسقف رئيس النصارى فى دينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لأنه يتخاشع أى يظهر الخشوع وذلك الأسقف يحادثه ويقول له انا نجد صفة نبي بقى من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا وأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه وقال هو هذا ما هذا منك قال هذا ابنى قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه انتهى) وعن أم ايمن كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أى أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر إلا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابنى قلت لا أدرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان اهل الكتاب أى ومنهم سيف بن ذى يزن كما سيأتى يزعمون أنه نبى هذه الأمة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا يأكل يعنى عبد المطلب طعاما إلا يقول على بابنى أى احضروه قال وكان عبد المطلب إذا أتى بطعام أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه وربما أقعده على فخذه فيؤثره باطيب طعامه انتهى * وعن بعضهم أى وهو حيدة بن معاوية العامرى كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم قال بعضهم مات وهو عم ألف رجل وامرأة قال حججت فى الجاهلية فبينا أنا أطوف بالبيت اذا رجل وفى رواية شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول * رد إلى راكبى محمدا * وفى رواية

يارب رد راكبى محمداً * اردده ربى واصطنع عندى يداً

فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه في طلب إبل له ضلت وما بعثه فى شىء إلا جاء به قال وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له إبل كثيرة فاذا ضل منها شىء بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة إلا أنجح فيها وقد بعثه فى حاجة أعيا عنها بنوه وقد أبطأ عليه انتهى فما برحت أى ما زلت عن مكانى حتى جاء بالابل معه فقال له يا بنى حزنت عليك حزنا لا يفارقنى بعده أبدا وتقدم عن بعض المفسرين ما لا يحتاج إلى إعادته هنا * وعن رقيقة بنت أبى صيفى أى ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات * أقول وقال أبو نعيم لا أراها أدركت الاسلام وقال ابن حبان يقال إن لها صحبة والله أعلم قالت تتابعت على قريش سنون أى أزمنة قحط وجدب ذهبت بالأموال واشفين أى أشرفن على الأنفس قالت فسمعت قائلا يقول فى المنام يا معشر قريش أن هذا النبي المبعوث منكم هذا إبان أى وقت خروجه وبه يأتيكم

فاذا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور * وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج الاقر
والطرف الاحور صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر ثم انشأ يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث
ارسل فينا احمدا * خير نبي قد بعث
عليه صلى الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

قال فلاح الصباح وإذا بالفنيق أي الفحل الكريم من الابل يشقشق  أي يهدر الى النوق فامسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب أي تعب فنزلت في روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به في الارض وهو يقول

يا ناعي الموت والملحود في جدث * عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا الحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ما هذان القبران قال هذان قبران أى لاخوين لى كانا يعبدان الله عز وجل في هذا المكان لا يشركان بالله شيئا اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى ارجو ان يبعثه الله أمة وحده أي يقوم مقام جماعة ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أم روحين من اعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ما ذكره الواقدى باسناده قال كان ابو هريرة رضي الله عنه يحدث أن

---

الحيا أي بالقصر المطر العام والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أى اشرافكم نسبا طوالا اعظاما أى طويلا عظيما ابيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار أى طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أى لا نتوء بهما رقيق العرنين أى الانف وقيل أوله فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا اليه واخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على ابي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أى الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فاشفت على الانفس أى أشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفي رواية أخرى عن رقيقة قالت تتابعت على قريش سنون جدبة اقحلت أى ايبست الجلد وادقت العظم فبينا أنا نائمة أو مهمومة أى بين اليقظانة والنائمة اذا هاتف هو الذى يسمع صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل أى فيه بحوحة وهي خشونة الصوت وغلظه يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه أى قربت منكم وهذا ابان مخرجه فحيهلا بالحيا والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما أبيض بضا أى شديد البياض أوطف الاهداب أى كثير شعر العينين أسهل الخدين أشم العرنين أى مرتفع الانف له فخر يكظم عليه أى يسكت عليه ولا يظهره وسنن يهتدى اليها أى يرشد اليها فليخلص هو وولده وولد ولده وليدلف أى يتقدم اليه من كل بطن رجل فليسنوا من الماء أى يفرغوه على أجسادهم أى يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم يلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ماشئتم أى جاءكم الغيث على ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة قد اقشعر جلدي ووله أى ذهب عقلي واقتصيت رؤياي أى ذكرتها على وجهها فنمت أى فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقى ابطحى الا قال هذا شيبة الحمد يعني عبد المطلب وتامت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قبيس فطفق القوم يدنون حوله ما ان يدركه بعضهم مهلة وهي التؤدة والتأني ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع أي ارتفع أو كرب أى قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة انت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك أى افنيته يشكون اليك سنتهم التى اقحلت أى أيبست الظلف والخف أى الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا مريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي

قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينما هم عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يقول

ياأيها الناس ذو والاحكام * ومسند والحكم الى الاصنام    أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام

ذاك نبي سيد الانام * من هاشم فى ذروة السنام    مستعلن بالبلد الحرام * جاء بهدم الكفر بالاسلام

قال أبو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجاءهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة أى جاءهم ذلك بغتة * وأما خبر زميل بن عمر العذرى فهو انه قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون أى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يابنى هند ابن حرام ظهر الحق وأودى خمام أى هلك ودفع منا الشرك الاسلام قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول ياطارق ياطارق بعث النبي الصادق بوحي ناطق صدع صدعه بأرض تهامه لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع منى الى يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها * أكلفها حزنا وقوزا من الرمل    لانصر خير الناس نصرا مؤزرا * واعقد حبلا من حبالك فى حبلى

وأشهد أن الله لا شئ غيره * أدين له ما أثقلت قدمى نعلى

* ومن هذا النوع خبر تميم الدارى الآتى ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وقد روى له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثنى تميم الدارى الخ القصة المذكورة فى غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ماذكر أن أبا بكر رضى الله عنه مر يوما على ابنته عائشة رضى الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى بن مريم

---

أى ضاق بتجيجه أى بسيله فاسمعت شيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب هنيئا لك ياأبا البطحاء بك عاش اهل البطحاء انتهى اى والظاهر ان القصة واحدة فليتأمل الجمع وقد يدعى ان الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى * وفى سقيا الناس بعبد المطلب وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا    وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر

أى امتد زمن تأخره * فجاد بالماء جونى له سبل * دان أى مطر هاطل كثير الهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر * منا من الله بالميمون طائره * اى المبارك حظه * وخير من بشرت يوما به مضر *

مبارك الاسم يستسقى الغمام به    مافى الانام له عدل ولا خطر

أى لا معادل ولا مماثل له * ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا فى جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسأل الله تعالى فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والأموال اللهم فاتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة دكناء لها دوى وقصدت نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يامعاشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا * وذكر بعضهم انهم كانوا فى الجاهلية يستسقون اذا أجدبوا فاذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهى سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوا بها على ظهر ثور صعب وأضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيستقون * وفى حياة الحيوان كانت العرب اذا أرادت الاستسقاء جعلت النيران فى أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء فان الله يرحمها بسبب ذلك قال (وذكر ابن الجوزى انه صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال ياعبد المطلب ان هذا الغلام نبى هذه الامة ولو لم أخرج

عليهما السلام كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان على احدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك قال ابو بكر رضي الله عنه فكان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته * رجعنا الى خبر تميم الداري قال رضي الله عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذ مناد ينادي عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله قال فقلت أيما أي أي شيء تقول فقال قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير أيوب فسالت راهبه واخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم اى مكة ومهاجره الحرم اى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ما ذكر غلط وان مسيره انما كان الى المدينة بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله اعلم * ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها ونمت وتعوذت قائله قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيئا فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذ بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في منامي وبيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينماهما يتنازعان اذ اطلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فداء لناقة جاري الانسي فقام الفتى فاخذ

---

اليك لخر على ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه ما يعالجه به (هذا ورأيت في كتاب سماه مؤلفه كريم الندماء ونديم الكرماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث أياما يشكو فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير فاخذه جده وذهب به الى ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس ثيابه ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هذا أرمد قال نعم قال ان دواءه معه يا عبد المطلب خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وتالله هذا هو الذي أقسم على الله به فأبرئ المرضى واشفي الأعين من الرمد فليتامل فان تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد والله أعلم)

## ﴿باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم﴾

(ثم لما كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أي بناء على الراجح من الاقوال المتكثرة ويرجحه ما ياتي (توفى عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة) وقيل مائة وعشرون وقيل وأربعون أي ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي لعبد المطلب في المعمرين قال وقيل اثنان وثمانون أي وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي قال وقيل مائة واربعة واربعون اه (وقد قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أتذكر موت عبد المطلب قال نعم وأنا يومئذ ابن ثمان سنين * وعن أم ايمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصي) * وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف * (ولما حضرته الوفاة أوصى به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق ابيه ابي طالب أي وكان ابو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه عبد المطلب) كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد اخطؤا في ذلك خطأ كبيرا ولم يتاملوا القرآن قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا (وحين أوصى به جده لابي طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه لاحد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام أي وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت القرعة لابي طالب) وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت عبد المطلب فسيأتي انه كان مشاركا له في كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله ابو طالب أي بعد موت الزبير وغلط

منها ثور وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتى اذا نزلت وادمن الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومامحمد قال نبي عربي لاشرقي ولا غربي قلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيئا مما وقع لي ودعاني الى الاسلام فاسلمت * ونظير هذا ماحدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي فادركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت اعوذ بعزيز (١٣٥) هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عُذْ بالله ذي الجلال
ومنزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالي
ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاحوال
وفي سهول الأرض والجبال
قد صار كيد الجن في سفال
الا التقي وصالح الاعمال

فقلت له

ياأيها القائل ماتقول
أرشد عندك أم تضليل

فقال

جاء رسول الله ذو الخيرات
جاء بيسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات
يامر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن مناة
قد كن في الاسلام منكرات

فقلت أما انه لو كان لي من يؤدي ابلي هذه الى اهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينا أنا أنيخ راحلتي اذ خرج الي أبو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال فمافعل الرجال وفي رواية مافعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي ابلك اما انه قد أداها سالمة وقد قص الله على نبيه ماكان عليه الناس قبل بعثته من أن الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن أي حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أي زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن * ومن ذلك ماحكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى

---

قائله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة كذا في اسد الغابة مقدما للاقتراع على ماقبله وفي كون عمره صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة نظر لما سيأتي أن عمره اذذاك كان أربع عشرة سنة وفي كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا ابيه الزبير وأبو طالب ثم مات عمه الزبير وله من العمر أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب (وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ففي خبر سيف بن ذي يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه) أي وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحق أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهي أم الزبير بن العوام وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء أي وهي جدة عثمان بن عفان لامه واميمة واروى فقال لهن ابكين علي حتى اسمع ماتقلن في قبل أن اموت فقالت كل واحدة منهن شعرا في وصفه مذكور في تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك أشار برأسه ان هكذا فابكينني ويقال انه انما أشار بذلك لما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه وكان من قولها

أعيني جودا بدمع درر * على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد واري الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات * وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات * كثير المفاخر جم الفخر
له فضل مجد على قومه * متين يلوح كضوء القمر

قال ابن هشام رحمه الله لم أر احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه أي ابن اسحق لما رآه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم ولم يبك أحد بعد موته ما بكى عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق أياما كثيرة (وروى أبو نعيم والبيهقي ان سيف بن ذي يزن الحميري لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئته أي بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم أي لأن مُلْك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم أن سيف بن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على عادة آبائه وجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب وجهائهم) أي كعبد الله بن جُدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمي وهو ابن عم عائشة رضي الله تعالى عنها وكاسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار (فاخبر بمكانهم أي وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفي الوفاء وجدوه جالسا على

أباهنيدة كان ابوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عز وجل وفى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية ابناء الملوك قال وائل فما القينى أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وادنانى من نفسه وقرب مجلسى وبسط لى رداءه فاجلسنى عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر (١٣٦) أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يارسول الله بلغنى ظهورك وانا فى ملك عظيم فمن الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لى صنم من العقيق فبينا انا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر
يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر
ليس بذى نفع ولا ذى ضر
لو كان ذا حجر اطاع امرى

قال فقلت اسمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تأمرنى قال

ارحل الى يثرب ذات النخل
تدين دين الصائم المصلى
محمد النبى خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى فقد أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث * واما ماسمع من بعض الوحوش فنه ماحدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعى بين الذئب وبين الشاة فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى واعجبا من ذئب يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب الا أخبرك باعجب منى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفى رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ماقد سبق وفى رواية يخبركم بما مضى وماهو كائن بعدكم فساق الراعى

سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله عز وجل احلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا (أى مرتفعا باذخا أى عاليا منيعا) وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته (أى والارومة والجرثومة هما الأصل) وثبت أصله وبسق (أى طال فرعه فى اطيب موضع واكرم معدن) وأنت أبيت اللعن (أى ابيت ان تأتى من الامور ما يلعن عليه) ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من انت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا (أى احضرنا اليك) الذى ابهجنا من كشف الكرب الذى فدحنا (أى اثقلنا) فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة (أى التعزية) فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا (بالتاء المثناة فوق) لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا (اى كثير العطاء يعطى عطاء جزلا) قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء (أى العطاء) اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال له يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى أمرا لو غيرك يكون لم ابح له به ولكن رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه (أى عليه) فليكن عندك مخبا حتى يأذن الله عز وجل فيه انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه (اى كتمناه دون غيرنا) خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة (أى السيادة) الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أيها الملك أبت (أى رجعت) بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من مساره (أى من مساررته اياى) بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذى قد يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض (أى جميعا) ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض (اى يزجر) الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح

شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها وعذبة سوطه اى طرفه ويخبره بما فعل أهله وفي لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى الصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم فاخبرهم وفى رواية ان راعى الغنم كان يهوديا وفى رواية أن الذئب قال له أنت أعجب منى واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب الجنة واشرف اهلها على أصحابه



فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب اى الطرق انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رقيقا وانى زوّجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب وهذا يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف بن ذى يزن كان بعد موت امه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينافى ذلك ما تقدم أن عمره صلى الله عليه وسلم كان سنتين لأن ذلك كان سنه صلى الله عليه وسلم حين ولى سيف بن ذى يزن على الحبشة وتأخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت أمه صلى الله عليه وسلم ويدل على ان أبا طالب كان مشاركا لعبد المطلب فى كفالته صلى الله عليه وسلم فى حياة عبد المطلب ثم اختص هو بذلك بعد موته اى وعبارة سيف بن ذى يزن صادقة بالحالين (فقال له ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ على ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء وان يجعل الله لهم عليه سبيلا أى لحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال واطو ماذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن أن تداخلهم النفاسة من ان تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ولولا أعلم ان الموت مجتاحى اى مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار ملكه واستحكام أمره وأجل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لأعلنت عن حداثة سنه أمره وأعليت على أسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشر اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فائتنى بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول عليه الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل له ماهو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين) اه وهذا القصر الذى كان فيه الملك سيف بن ذى يزن يقال له بيت عمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تعبد فيه الزهرة وكان سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يقول لا افلحت العرب مادام فيها عمدانها فلما ولى عثمان رضى الله تعالى عنه الخلافة هدمه (وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا جميعا اوفرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتى ابنى فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله

ينظرون قتالهم مابينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعى من لى بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح الذئب منها شاة

﴿ وأما ماسمع من بعض الاشجار فكثير ﴾

فمن ذلك ماروى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيئا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد فى ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر اليه وأقول ماهذا فسمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبي يخرج من وقت كذا وكذا فكن



انت أسعد الناس به ﴿ وأما أخبار تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع وماجاء عن العرب فيه فكثير ﴾ فمن ذلك خبر اسحق قال لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لأمر حدث من الله فى العباد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وأنا لمسنا السماء أى طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أى ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع أى صالحة للسمع لخلوها عن الحرس

والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي ارصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل أن يلقيها للكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل شبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وأن أمر رسالته صلى الله عليه وسلم ثم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان أول العرب فزعا من الرمي بالنجوم (١٣٨) حين رمى بها ثقيف وانهم جاءوا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا أي أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا عمرو ألم تر أي تعلم ماحدث في السماء من الرمي بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لأمر أراده الله لهذا الخلق ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك وقوله معالم النجوم أي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء والصيف * لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطىء ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث صلى الله عليه وسلم أي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا ان عبد ياليل بن عمرو الثقفي وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا ارقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا نجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التي تعرف الخ يؤيد هذا

صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تتناول العيال القعب اى القدح الذى من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم اى جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم ليشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك * أقول وفي الامتاع وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان بصبحهم أول البكرة فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة هذا كلامه ولا ينافى ماقبله لأنه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذى يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المقدم والله أعلم (وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا قالت أم أيمن مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان صلى الله عليه وسلم يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان اى في بعض الأوقات فلا ينافى ماسبق وكان يوضع لأبي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخي ليخبر بنعيم أي بشرف عظيم () قال واستسقى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون أي كيف تصرفون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل عليهما السلام أي فكيف تعدلون عنه الى مالا يجدى قالوا كانك عنيت أبا طالب قال إيها فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثاروا أي قاموا اليه فقالوا يا أباطالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كانه شمس دجنة بدال مهملة فجيم مضمومتين أي ظلمة وفي رواية كانه شمس دجن اى ظلام تجلت عنه سحابة قتماء أي من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله غيلمة جمع غلام فأخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ أي طاف بأصبعه الغلام زاد في بعض الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله أي فتحت اعينها ومافي السماء قزعة أي قطعة من سحاب فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا واغدودق أي كثر مطره وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي) وفي ذلك يقول أبو طالب من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم أكثر من ثمانين بيتا

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

أي ملجأ وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النساء والرجال وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالا * أقول وأخذت الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام أبي طالب أي لأنه صنفها بعد البعثة وسيأتي الكلام في اسلامه وأما مانقله الدميري في شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد

ماجاء في الحديث مما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لأصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ولا منافاة في سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل وأن كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وسماه بعضهم عبد ياليل بن عمرو وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم أي الوقت الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من



خبر السماء بالشهب * ومن ذلك خبر أبي لهب أو لهيب بن مالك وكان من بني لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك أنا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أي قبيل الفجر أخبركم الخبر لخير أم ضرر أولا من أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن امسكوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه أصابه وخامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا ثم قال يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان قد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذي سلطان لأجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الأوثان فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فما ترى لقومك قال أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خير الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث بمكة دار الحمس بمحكم التنزيل غير اللبس قلنا له يا خطر ومن هو

---

أن هذه القصيدة التي منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما درج عليه أئمة السير أن المنشىء لها هو أبو طالب واحتمال توارد كل من أبي طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لأبي طالب والله أعلم قال وعن أبي طالب قال كنت بذي المجاز أي وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن أخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأدركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن أخي قد عطشت وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئا إلا الجزع أي لم يحملني على ذلك إلا الجزع وعدم الصبر قال فثنى وركه أي نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فأهوى بعقبه إلى الأرض وفي رواية إلى صخرة فركضها برجله وقال شيء فاذا أنا بالماء لم ار مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال أرويت قلت نعم فركضها ثانية فعادت كما كانت وسافر أي وقد أتت عليه صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق أبيه كما تقدم إلى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك الأرض بكلكله أي صدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله عز وجل الماء فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس إن لهذا الغلام لشأنا اه أي وفي السيرة الهشامية أن رجلا من لهب كان قائفا وكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم ثم شغل عنه بشيء فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به والله أعلم

## ﴿ باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب الى الشام ﴾

(عن ابن اسحق لما تهيأ أبو طالب للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء الموحدة والصبابة رقة الشوق قاله في الأصل قال وعند بعض الرواة فضبث به أي بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه يقال ضبثت على الشيء اذا قبضت عليه فقد جاء أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل للملأ من بني اسرائيل لا يدعوني والخطايا بين أضباثهم أي قبضاتهم أي وهم يحملون الأوزار غير مقلعين عنها أي وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطي فلفظه لما تهيأ يعني أبا طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرق له أبو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا) * أقول رأيت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطي وضبث به أبو طالب ضباثة لم يضبث مثلها لشيء قط وأنه ضبط ضبث بالضاد المعجمة والباء

الموحدة والثاء المثلثة قال وهو القبض على الشيء وهذا لايناسب قوله ضبائة لم يضبث مثلها شيء قط لأن ذلك إنما يناسب صب بالصاد المهملة أى الذى هو الرقة كما لا يخفى على أن مصدر ضبث إنما هو الضبث ومن ثم لم أجد ذلك فى السيرة المذكورة والذى رأيته فيها ما قدمته عنها (وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة ابى طالب وقال ياعم إلى من تكلنى لا أب لى ولا أم وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين) على الراجح وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام أى وهذا القيل صدر به فى الامتاع وقال أنه أثبت أى ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبرى وذكر أنه لما سار به أردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وماينبغى ان يكون له أب حى هذا نبى أى لأن من كانت هذه الصفة صفته فهو نبى أى النبي المنتظر ومن علامة ذلك النبى فى الكتب القديمة أن يموت أبوه وأمه حامل به كما تقدم وسيأتى أو بعد وضعه بقليل من الزمن أى ومن علامته أيضا فى تلك الكتب موت أبيه وهو صغير كما تقدم فى خبر سيف بن ذى يزن ولا ينافى ذلك الاقتصار من بعض أهل الكتب القديمة على الأول الذى هو موت أبيه وهو حمل (قال ابو طالب لأصحاب الدير وما النبي قال الذى يأتى اليه الخبر من السماء فينبيء أهل الأرض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال له ماهذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وماينبغى أن يكون له أب حى قال ولم قال لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبى أى النبى الذى يبعث لهذه الأمة الأخيرة لأن ما ذكر علامته فى الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ألا تسمع مايقول قال أى عم لا تنكر لله قدرة والله أعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة واسمه جرجيس وقيل سرجيس وحينئذ يكون بحيرا لقبا (فى صومعة له وكان انتهى عليه علم النصرانية أى لأن تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه الصلاة والسلام فى تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا) وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود يهوديا () أقول لامنافاة لأنه يجوز أن يكون تنصر بعد أن كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتى هذا (وقال ابن عساكر أن بحيرا كان يسكن قرية يقال الكفر بينها وبين بصرى ستة أميال) وقيل كان يسكن البلقاء من أرض الشام بقرية يقال لها ميفعة ويحتاج الى الجمع وقد يقال أنه يجوز أنه كان يسكن فى كل من القريتين كل واحدة يسكن فيها زمنا وكان فى بعض الأحايين يأتى لتلك الصومعة فليتأمل (وقد سمع مناد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادى ويقول ألا ان خير أهل الأرض ثلاثة رباب بن البراء وبحير الراهب وآخر لم يأت بعد وفى لفظ والثالث المنتظر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى.

قال والحياة والعيش أنه لمن قريش مافى حكمه طيش ولا فى خلقه هيش فقلنا بين لنا من أى قريش فقال والبيت ذى الدعائم والركن ذى الأحائم أنه لمن نسل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق فظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثلاثة أيام فقال لا إله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أى وحى وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أى يقوم مقام جماعة كما تقدم نظيره وقوله الحمس بضم (١٤٠) الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهى الشدة سموا بذلك لتشددهم فى دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الأموال والفروج ومالوا للتجارة * ومن ذلك مارواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن نفر من الأنصار قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رمى بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به فى الجاهلية أى قبل المبعث قالوا يارسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك ولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للامر الذى يكون فى الأرض فيهبط به من سماء إلى سماء أى يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا وفى البخارى اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرى

بهافى الجاهلية صريح فى انه كان يرمى بالنجوم للحراسة فى زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم و بين عيسى عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ماروى عن ابى كعب رضى الله عنه لم يرم بالنجوم بعد رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها فلما رأت قريش امرا لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث عليكم بالارض المقدسة اى لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس

يرى عندها طش وهو المطر الخفيف والله أعلم (وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلايكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقدكان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا فى ظل شجرة نظر الى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصرت أى مالت () أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية واخضلت أى كثرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها أى وقد كان صلى الله عليه وسلم وجدهم سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم إنى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال لهم رجل منهم لم أقف على اسم هذا الرجل يابحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فماشأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم أى تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة أى لم ير فى أحد منهم الصفة التى هى علامة للنبى المبعوث آخر الزمان التى يجدها عنده أى ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى فقالوا يابحيرا ماتخلف عن طعامك أحد ينبغى له أن يأتيك الاغلام وهو أحدث القوم سنا قال لاتفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم أى وقال فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع انى أراه من انفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخى هذا الرجل يعنون أباطالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه أى وجاء به () وأجلسه مع القوم) أى وذلك الرجل هو عمه الحرث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن أخى مع كونه أسن من ابى طالب لان أباطالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحرث مع كون أبى طالب هو المقدم فى الركب وقيل الذى جاء به صلى الله عليه وسلم ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقدمه ابن المحدث على ماقبله فليتأمل (ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه صلى الله عليه وسلم. فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه صلى الله عليه وسلم بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما أى وفى الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسالنى باللات والعزى شيأ فوالله ما أبغض شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه فقال له سلنى عما بدالك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره

لطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفى رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر السماء قال ان هذا لحدث حدث في الأرض فاتونى من تربة كل أرض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فمضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث واجيب بان الرمى قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثر أرهاصا وتخويفا وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفا للرمى به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذى أراده أبى بن كعب رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبل وهو الذى اراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وصار الرمى بعد المبعث لايخطىء

ابدا فنهم من يقتله ومن يحرق وجهه ومنهم من يخبله أى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى فكان ذلك سببا لفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطىء فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقى ما يسترقه الى كاهنه فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتى انقطعت الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب

البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى اسرعوا فى اتلاف اموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم كما تقدم أيها الناس
أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من في السماء ألست ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذلك والمحققون على أن الذي يرمى
بشعلة نار تنقض من الكواكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله    بعث الله عند مبعثه الشهـ
ب حراسا وضاق عنها الفضاء    تطرد الجن عن مقاعد للسمـ * ع كما تطرد الذئاب الرعاء    فمحت آية الكهانة آيا *
ت من الوحي مالهن انمحاء (فائدة) (١٤٢) وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت وتطايرت
تطاير الجراد ودام ذلك
الى الفجر وفزع الخلق
فلجؤا الى الله بالدعاء ولم
يعهد ذلك الا عند ظهور
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الحلبي فى السيرة
أقول وقد وقع نظير ذلك
فى سنة احدى واربعين من
القرن الثالث ماجت النجوم
فى السماء وتناثرت الكواكب
كالجراد أكثر الليل فكان
امرا عجيبا لم ير مثله ووقع فى
سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا
عجيبا الى ناحية المشرق والله
اعلم * وأما ما جاء من ذكره
صلى الله عليه وسلم أي ذكر
اسمه وصفته وصفة أمته فى
الكتب القديمة كالتوراة
المنزلة على موسى والانجيل
المنزل على عيسى عليهما
الصلاة والسلام وغيرهما
قال تعالى وانه لفي زبر
الاولين وقال الامام
السبكي في تائيته
وفى كل كتب الله نعتك قد
اتى * يقص علينا ملة بعد ملة
وقال آخر
من قبل مبعثه جاءت مبشرة
* به زبور وتوراة وانجيل    فمن ذلك انه قد جاء ان اسمه فى التوراة احمد يحمده أهل السماء    على
والأرض وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه دعا ابنى اخيه
سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى
ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية واسمه فى التوراة ايضا حمياطا أي يحمى الحرم من الحرام
وقدوميا أي الاول السابق واحيد وقيل اريد أي يمنع نار جهنم عن امته وطاب طاب أي طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن

ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته أي صفة النبي المبعوث آخر
الزمان التى عنده أي ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التى عنده فقبل موضع الخاتم
فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا
الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل
ابوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت أي ثم قال ما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع
بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا فانه كائن
لابن أخيك هذا شأن عظيم أي نجده فى كتبنا وروينا عن آبائنا واعلم انى قد اديت اليك النصيحة
فاسرع به الى بلده وفي لفظ لما قال انه ابن أخي قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم فوالله لئن قدمت
به الى الشام أي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذى هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع
به الى مكة ويقال أنه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو فى حصن من الله عز وجل وقد يقال
لا مخالفة لأن ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقي فخرج به عمه ابو طالب حتى
أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفي الهدى فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتأمل وذكر
ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى بحيرا وأرادوا به سوءا
فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان أجمعوا لما أرادوا
لا يخلصون اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفى رواية اخرى خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه
النبي صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون
عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ
من قريش ما علمك فقال أنكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد
الا لنبي أي وان الغمامة صارت تظلله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل
التفاحة أي والغضروف تقدم أنه رأس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان
النبي صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم
قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا الى فىء هذه الشجرة
مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يعاهدهم ان لا يذهبوا به الى أرض الروم اى داخل الشام فانهم ان
عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبي الذى
هو خارج فى هذا الشهر أي مسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد أخبرنا خبره بطريقك
هذا قال أفرأيتم امرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوه أي بايعوا بحيرا

ووصفه فيها بالضحوك أي طيب النفس وفيها أيضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة كلمة
عبرية مأخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض لأن أكثرها تعاريض من غير تصريح واسمه الانجيل المنحمنا ومعناه
بالسريانية محمد * وعن سهل مولى خثعمة وكنت يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقرأته حتى مرت بي ورقة ملصقة بغراء
ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت
فيها وصف النبي احمد فقال انه لم يأت بعد الى الآن * وفي الانجيل أيضا اسمه خبط (١٤٣) أي يفرق بين الحق والباطل

ووصفه بانه صاحب المدرعة
ويركب الحمار والبعير
وفي الانجيل ان اجبتموني
فاحفظوا وصيتي وأنا
أطلب ربي فيعطيكم
بارقليط والبارقليط
لا يجيئكم مالم أذهب فاذا
جاء وبخ العالم على الخطيئة
ولا يقول من تلقاء نفسه
ولكنه مايسمع يكلمهم به
ويأتيهم بالحق ويخبرهم
بالحوادث والغيوب أي وما
جاء بذلك وأخبر بالحوادث
والغيوب الا محمد صلى الله
عليه وسلم * ومن ذلك ما
جاء عن عطاء بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما
فقلت أخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم في التوراة قال أجل
والله انه لموصوف في
التوراة ببعض صفته في
القرآن يا أيها النبي انا
أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين
أنت عبدي ورسولي
سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به
الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما أخطأ في حرف
وفي رواية عن كعب وأعطي المفاتيح ليبصرن به أعينا عورا ويسمعن به آذانا صما ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما * وعن بعض أحبار اليهود انه قال وقفت على جميع ما وصف به في التوراة الا هذين الوصفين وكنت
أشتهي الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له انه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به

على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته على حسب ما أرسلوا فيه وأقاموا عنده ذلك
الراهب خوفا على أنفسهم ممن أرسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا لقريش أنشدكم الله أي أسألكم بالله
أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه بلالا وفي لفظ وبعث معه أبو بكر
رضي الله تعالى عنه بلالا وزوده بحيرا من الكعك والزيت أي واذا كانت القصة واحدة فالاختلاف في
ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره فبعث الرواة قدم في هذه الرواية وأخر على انه في الهدى قال في كتاب
الترمذي وغيره ان عمه أي وأبا بكر رضي الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا إذ ذاك
لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر وذكر في الأصل ان في هذه الرواية أمورا
منكرة حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك أي مع صحة
سنده ففي متنه نكارة أي أمور منكرة وهي ارسال أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فان بلالا لم
ينقل لأبي بكر الا بعد هذه السفرة باكثر من ثلاثين عاما ولأن أبا بكر لم يبلغ العشر سنين حينئذ لأنه
صلى الله عليه وسلم اسن منه بما يزيد من عامين بقليل أي بشهر ولا ينافي ما يأتي وتقدم ان سنه صلى الله
عليه وسلم حينئذ تسع سنين على الراجح أي فيكون سن أبي بكر نحو سبع سنين وكان بلال أصغر من
أبي بكر رضي الله عنهما فلا يتجه هذا بحال أي لأن أبا بكر حينئذ لم يكن أهلا للارسال عادة وكذا بلال
لم يكن أهلا لأن يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر هو ما عليه الجمهور من أهل العلم
بالأخبار والسير والآثار وما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر فقال له من الاكبر انا او أنت
فقال له أبو بكر أنت أكرم وأكبر وأنا أسن قيل فيه انه وهم وان ذلك انما يعرف عن عمه العباس رضي
الله تعالى عنه وكون بلال أصغر من أبي بكر ينازعه قول ابن حبان بلال كان تربا لأبي بكر أي قرينه في
السن وبه يرد قول الذهبي بلال لم يكن خلق قال وذكر الحافظ بن حجر أن ارسال ابي بكر معه بلالا وهم
من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث آخر أدرجه ذلك الراوي في هذا الحديث انتهى أقول ولاجل
هذا الوهم قال الذهبي في الحديث أظنه موضوعا بعضه باطل أي لم يوافق الواقع أي فمع كون الحديث
موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه لم يوافق الواقع وحينئذ فمراد الاصل بالنكارة في قوله في متنه
نكارة البطلان كما أشرت اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذي هو من أقسام
الضعيف وهو يرجع الى الفردية ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال
الحافظ الدمياطي في هذا الحديث وهمان احدهما قوله فبايعوه وأقاموا معه والوهم الثاني قوله
وبعث معه ابو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر وفيه ان الحافظ الدمياطي
فهم ان الضمير في بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثاني
بعدم وجود أبي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا يرد به

فقلت هذه دنانير تدفعها لى وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث فاخذت بمجامع قميصه ورداءه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ألا تقضيني يا محمد حتى انكم يا بني عبد المطلب أهل مطل فقال لى عمر أى عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهو بى فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتامره بحسن الطلب اذهب وفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ماروعته فاسلم اليهودى وذكر القصة * وفى التوراة لا يزال الملك فى يهودا الى أن يجيء الذى (١٤٤) اياه تنتظره الامم أى لا يزال امرهم ظاهرا الى أن يجيء الذى تنتظره الامم أى المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى التوراة أيضا سوف اتيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمى فى فيه وايما انسان لم يطع كلامه انتقم منه وفى قوله من اخوتهم رد على النصارى الزاعمين ان الرسول المذكور فى التوراة هو المسيح عليه السلام ووجه الرد أن المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود ومثل هذا يرد على بعض اليهود الزاعمين أن النبي المذكور فى التوراة هو يوشع بن نون عليه السلام وقد قيل فى تفسير قوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يامرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهى الشحوم التى حرمت على بنى اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى التى حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التى كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابه البول * ومن ذلك ماجاء عن النعمان السبائي رضى الله عنه وكان من احبار يهود اليمن قال سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له أن أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير

الاثبات وحينئذ لا حاجة معه الى ذكر ما بعده من أن بلالا لم يكن أسلم ولا ملكه أبو بكر الا أن يقال هو على تسليم وجود أبى بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال أبى بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك أبى بكر له جاز ان يكون سيد بلال وهو أمية بن خلف ارسله فى ذلك العير لامر فاذن أبو بكر لبلال فى العود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما ويستانس ويأمن به اعتمادا على رضا سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله أن يكون مملوكا له وكون ابى بكر لم يكن فى سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله أعلم * قال وروى ابن منده بسند ضعيف عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة اى فالنبي صلى الله عليه وسلم أسن من أبى بكر بعامين أى وشهر كما تقدم ولقلة هذه الزيادة على العامين التى هى الشهر الواردة مبهمة (فى الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام فى تجارتهم حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصرى من أرض الشام وفى ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال من الرجل الذى فى ظل السدرة قال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم عليه السلام الا محمد عليه الصلاة والسلام أى وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى الا النبي الامى الهاشمى) كما سيأتى فى بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون أى سفر أبى بكر معه صلى الله عليه وسلم فى سفرة اخرى بعد سفرة أبى طالب انتهى * اقول وهى سفرته مع ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام اكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوى وهم يريدون الشام فى تجاراتهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا فى تلك السفرة وسيأتى ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابى بكر الا ان يقال لا مانع أن يكون قال ذلك لميسرة ولابى بكر لكن ربما يبعده ما سيأتى ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشر سنين وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب نسطورا لا عند صومعة الراهب بحيرا (وذكر بحيرا موضع نسطورا وهو ما وقع فى شرف المصطفى للنيسابورى وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى) الا ان يقال يجوز أن يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا فى تلك الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة بحيرا وواحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكر او من دعوى اتحادها وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذى كان فيه ابو طالب نزل جهة صومعة بحيرا والعير الذى كان فيه أبو بكر وميسرة نزل جهة صومعة نسطورا وسيأتى ان بحيرا او نسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة من أهل الفترة لا من اهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة أى الرسالة بناء على

اقترانها

الامم واسمك احمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه فاذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم

فقال أشهد أني رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة  وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي أحرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب اوابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر أصحابه فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل *وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل في جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشرة واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول

 اى بجلس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن * وروى الامام احمد وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى اني باعث بعدك أمة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ماذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان الحلم والعلم الذي قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم قل ودق جدا نصيب هذه الامة منه فلم

---

اقترانها بالنبوة وان المراد بها النبوة اى لم يدرك النبوة : ضلا عن الرسالة بناء على تاخرها عن النبوة ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال في بحيرا ما أدري ادرك البعثة أم لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فعنه رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذ شرب الرجل كاسا من خمر الحديث ومن قال ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والله أعلم

## ﴿باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية﴾

اى من اقذارهم ومعايبهم أي بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأصدقهم حديثا واعظمهم امانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكريما اي حتى كان صلى الله عليه وسلم افضل من قومه مروءة واحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله عز وجل فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة (فمن ذلك ماذكره ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني أي رأيت نفسي في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم أي من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين أصحابي أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أي نقل الحجارة عاريا عند اصلاح أبي طالب لزمزم فعن ابن اسحق وصححه ابو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفي الخصائص الصغرى ونهي صلى الله عليه وسلم عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أي نهيه عن التعري عند بنيان الكعبة كما سيأتي وسيأتي ما فيه (ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماهممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية اي ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما أي من فعلهما قلت لفتى كان معي من قريش باعلى مكة في غنم لاهله يرعاها اي وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم اهلنا () لم أقف على اسم هذا

تدرك الا اليسير مع قصر اعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلماء وعلماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله امة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد * وفي صحف شعيا اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام



رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعيتهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه ابشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب في حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه للجمل فلا ينافي ذلك وصفه ايضا بانه يركب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاطحاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق أي يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط أو بارقليط وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر أتدري من أنا انا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا

---

الفتى ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان قد تزوج بفلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني الا مس الشمس أي وفي لفظ فجلست أنظر أي أسمع وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا حر الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك * اقول المناسب لقوله عصمني الله ما في الرواية الثانية لا ما ذكر في الليلة الاولى الا أن يحمل قوله في الرواية الاولى فلهوت على أردت ان الهو والله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بغيرهما بسوء مما تعمله اهل الجاهلية أي ما هممت بسوء مما تعمله وأهل الجاهلية غيرهما وفي لفظ فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك أي مما تعمله أهل الجاهلية ولا هممت به (حتى أكرمني الله تعالى بنبوته * (ومن ذلك ماجاء عن أم أيمن رضي الله عنها انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها الف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك حتى قالت رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن انا لنخاف عليك مما تصنع اجتناب آلهتنا ويقلن ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ما دهاك قال اني أخشى أن يكون بي لمم اى لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها اى من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل أبيض طويل أي وذلك من الملائكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم *أقول ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان) وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهي المس من الشيطان كما قدمناه فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة الرضاع قد اصابه لمم او طائف من الجن اذ هو يدل على أن اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون وأصاب فلانا من الجن لمة وهي المس فقد غاير بينهما والله أعلم *ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله تعالى أي فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله عز وجل وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله (فما ذقت شيئا ذبح على النصب أي الاصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته) أي وزيد بن عمرو وكان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم

اسمي في التوراة احيدوفى الانجيل البارقليطوفى الزبور حمناطوفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء فى الزبور انى انا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولى ووصف بأنه يقوى الضعيف الذى لا ناصرله ويرحم المسكين ويبارك عليه فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار ففى الزبور تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار * أجيب بأن الاول هو الذى يجبب الخلق الى الحق والثانى هو المتكبر وفى الزبور أيضا ياداود سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يغضبنى أبدا وقد غفرت له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور (١٤٧) الانبياء وقوله وقد غفرت له الخ أى على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الأولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أى مايعد حسنة بالنسبة لمقام الأبرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم * وفي بعض ما جاء عن داود عليه السلام أن الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث أخو ناخ ومعناه صحيح الاسلام وفى بعض الكتب المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أشدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة وأهدى به من الضلالة وأؤلف بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل أمته خير الامم * وأما ماجاء مما يدل على وجود اسمه الشريف أعنى لفظ محمد مكتوبا على الأحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير * ومن ذلك ماجاء عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام كان سماويا أى من السماء ألقى اليه فوضعه فى خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى فعلى هذا يكون ماتقدم عن جابر رضى الله عنه رواه بالمعنى وكان

ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وتقدم انه كان يحييها إذا أراد أحد ذلك أخذ الموءودة من أبيها وتكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا وصدقا وقيل ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم أنه يبعث أمة وحده أى يقوم مقام جماعة انتهى أى فان ولده سعيدا قال يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وفى البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحى وقد قدمت إلى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة أى فيها شاة ذبحت لغير الله عز وجل أو قدمها النبى صلى الله عليه وسلم اليه فابى ان يأكل منها وقال انى لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ماتقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان هو السبب فى ذلك قال الامام السهيلى وفيه سؤال كيف وفق الله عز وجل زيدا الى ترك ماذبح على النصب ومالم يذكر اسم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له أى فكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا تبعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذى أشرنا اليه بقولنا وأجاب أى السهيلى بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم أكل من تلك السفرة أى ولا من غيرها سلمنا أنه أكل قبل ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم وانما كان تحريم ذلك فى الاسلام والأصل فى الأشياء قبل ورود الشرع على الاباحة هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم يبطل عد الشمس الشامى ذلك من أمر الجاهلية التى حفظه الله تعالى منه فى صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من أن زيد بن عمرو وهذا هو رابع أربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الأوثان والميتة ومايذبح للاوثان كانوا يوما فى عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ماقومكم على شىء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم فما حجر تطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وظاهر هذا السياق ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسيأتى عن ابن الجوزى أنهم لم يعبدوها وهؤلاء الثلاثة الذين زيد بن عمرو رابعهم ورقة بن نوفل وعبيدالله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان ابن الحويرث وزاد ابن الجوزى على هؤلاء الأربعة جماعة آخرين سيأتى الكلام عليهم عند الكلام على أول من أسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن أخى الخطاب والد سيدنا عمر اخاه لامه فاما ورقة فلم يدرك البعثة على ماسيأتى وكان ممن دخل فى النصرانية أى بعد دخوله فى اليهودية كما سيأتى وأما عبيدالله بن جحش فادرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك

سليمان عليه السلام ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه
ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقي مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار اخبرنا
عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا
عليه أربعة اسطر الاول أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني والثاني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا
الله لا اله الا أنا الحرم لي والكعبة بيتي  من دخل بيتي أمن من عذابي قال الحلبي ولينظر الرابع ثم نقل عن بعضهم ان

في سنة أربع وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس أن القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا واذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا اله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد ازفت أي قربت * وقد جاء ان آدم عليه السلام قال طفت السموات فلم أر في السموات

موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عايه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في الجنة قصرا ولا غرفة لانها
الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى
وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة قيل أن أول شيء كتبه القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني أنا الله لا اله
الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين
وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية

كما سيأتي وكان يمر على المسلمين ويقول لهم فتحنا وصاصا تم أي ابصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم
تبصروا ومات النصرانية واما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم
وتنصر عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول اللهم والذي نفس زيد بن عمرو بيده
ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل
به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل
الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم
أهل النصرانية فسأله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن
قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه
مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان
يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء هذا وفي كلام الواقدي عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة
وانا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا أرى أن ادركه وانا أدين به واصدقه وأشهد انه نبي فان طالت
بك مدة فرأيته فسلم مني عليه قال عامر فلما أسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم عن زيد السلام قال فرد عليه
السلام وترحم عليه وتقدم أن ولده سعيدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لابيه زيد فقال
نعم استغفر له الحديث قال وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أي شجرتين عظيمتين قال الحافظ بن كثير اسناده
جيد قوي أي وقال الا انه ليس في شيء من الكتب وفي رواية رايته في الجنة يسحب ذيولا * وعن الزهري
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم واما ما قيل عند ذبحه بسم
الله واسم محمد فحلال أكله وان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة
من قوله تعالى له لا أذكر الا وتذكر معي فقد جاء اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول لك اتدري كيف
رفعت ذكرك أي على اي حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور وذلك في قوله تعالى ألم نشرح لك
صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله اعلم قال لا أذكر الا وتذكر معي أي في غالب المواطن وجوبا
او ندبا الا من ذلك ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط
قال لا قالوا اهل شربت خمرا قط قال لا ومازلت أعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب
ولا الايمان انتهى * أقول تحريم شرب الخمر في الجاهلية ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل
حرمها على نفسه في الجاهلية جماعة كثيرون سيأتي ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب
الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغي ان يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه
صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك المبالغة في الزجر عنها والتباعد منها

لانها أم الخبائث وقد كانت نفوس غالبهم ألفتها وهذا محمل ما جاء أتاني جبريل فقال بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا أي مصدقا بما جئت به دخل الجنة أي لا بد وان يدخل الجنة وان دخل النار قلت يا جبريل وان زنى وان سرق قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها على الناس والا ففي الخصائص الصغرى للسيوطي وحرمت عليه الخمر من قبل ما يبعث قبل أن تحرم على الناس بعشرين سنة والله أعلم قال وأما ما رواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر أنكره الناس أي فقد قال الامام احمد كما في الشفاء انه موضوع أو يشبه الموضوع وقال الدارقطني ان ابن أبي شيبة وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر فيه قول الملك عهده باستلام الاصنام قيل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا أبدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم اى لشهوده بعض مشاهدهم التي تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التي شهدها اى التي كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات الآتي بيانها لا مشاهد استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عن أم أيمن انتهى اى من قولها ان (بوانة كان صنما لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الى الليل في كل سنة) الى آخره أي ويرده أيضا ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لا تسألني بهما فاني والله ما أبغضت شيئا قط بغضهما الان مثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام في ذلك وما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيئا قط وما جاء (انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر والله سبحانه وتعالى أعلم)

## باب رعيته صلى الله عليه وسلم

قال رعيته بكسر الراء المراد الهيئة انتهى * (اقول المبين في هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذي هو رعيه للغنم لا بيان هيئة رعيه للغنم فرعيته بفتح الراء لا بكسرها والله اعلم) (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يا رسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط اى وهي اجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة قال سويد بن سعيد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة فقد قال ابراهيم الحربي قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة اى والذهب قال وأيد هذا الثاني بأن العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الذهب والفضة بدليل انه جاء في الصحيح ستفتحون أرضا يذكر فيها

---

لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها أيضا قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت أي من السماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضا ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه  الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا ولله در القائل

لولاه ما كان فلك ولا فلك
كلا ولا بان تحريم وتحليل

* ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقفت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر الأول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد شيء كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرأينا وردا أحمر ذكي الرائحة مكتوبا عليه بالأصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله * ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا

منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه فى أقرب زمن فاذابوا الرصاص وجعلوه فى أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب * ومن ذلك انه وجد فى سنة سبع أوتسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب



عليها بخط بارع بلون اسود محمد ومنه ماذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوبا على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها فى النهر احتراما لها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها فى البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فاذا مكتوب بالاسود على احدى أذنيها لا اله الا الله وعلى الأخرى محمد رسول الله فقذفناها فى البحر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر فى فمه لؤلؤة خضراء فالقاها فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوبا عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي فى السيرة * ومنه أيضا ماحكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان فى يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان فى البلد من اليهود والنصارى * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بلغنى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوح من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت اى بأنه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أى بأنه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف

وذلك

القيراط ولأنه جاء فى بعض لا هلى ولا يرعى لأهله بأجرة أى كما قضت بذلك العادة وأيضا جاء فى بعض الروايات بدل بالقراريط باجياد فدل ذلك على أن القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد بأن أهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ يكون أراد بأهله أهل مكة لا أقاربه التى تقضى العادة بأنه لا يرعى لهم بالاجرة والاضافة تأتى لادنى ملابسة ويدل لذلك ماجاء فى رواية البخارى كنت أرعاها اى الغنم على قراريط لاهل مكة وذكره البخارى كذلك فى باب الاجارة وذلك يبعد أن المراد بالقراريط المحل وجعل على بمعنى الباء ويرد القول بأن العرب لم تكن تعرف القراريط التى هى قطع الدراهم والدنانير أى ويمنع دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط على ذلك لجواز أن يكون المراد يذكر فيها القيراط كثير الكثرة التعامل به فيها أو ان المراد بالقيراط مايذكر فى المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بأنه رعى لأهله أى أقاربه بغير أجرة ولغيرهم بأجرة والمراد بقوله لأهلى أهل مكة اى الشامل لاقاربه ولغيرهم قال فيتجه الخبران ويكون فى احد الحديثين بين الاجرة أى التى هى القراريط وفى الآخر بين المكان أى الذى هو أجياد فلا تنافى فى ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضى وقوع الامرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل فى ذلك قال ابن الجوزى كان موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحق برعايته صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها فى بنى سعد مع أخيه من الرضاع أى وقد يتوقف فى كون قول ابن الجوزى هذا بمجرده يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما يأتى وفى الهدى انه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة فى رعية الغنم * ومن حكمة الله عز وجل فى ذلك أن الرجل اذا استرعى الغنم التى هى أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم اى عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وانا راعى غنم أهلى باجياد أى وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير همز ولعل المراد بقوله راعى غنم اى وكذا قوله وأنا راعى غنم اى وقد رعى الغنم وقد رعيت الغنم اذ الأخذ بظاهر الحالية بعيد ولتنظر حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبياء مع قوله السابق ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم وما يأتى من قوله وما من نبى الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال فى الغنم سمنها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية سمنها معاش وصوفها رياش اى وفى الحديث الفخر والخيلاء فى أصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم ولعل هذا لا ينافى ما جاء فى الامثال قالوا أحمق وفى لفظ اجهل من راعى ضان لما بين لان الضأن تنفر من كل شىء فيحتاج راعيها الى جمعها أى

يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقي وغيره عن علي رضي الله عنه ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي *قال الحلبي أقول قد يقال يجوز ان يكون ما ذكر أولا في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانيا في الوجه الثاني وان بعض الرواة زاد بعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لأجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال  محمد بن المنكدر ان الله يحفظ

وذلك سبب لحقه فليتأمل وفي رواية الفخر والخيلاء وفي لفظ والرياء في اهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب قبل هذا من أمر السمر دليل على ذلك أي على رعايته للغنم أيضا وما رواه جابر رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة أي وهو النضيج من ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه اطيبه فاني كنت اجتنيه اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكيف ترعى الغنم يارسول الله قال نعم وهل من نبي الا وقد رعاها اهـ *أقول وحينئذ لا ينبغي لاحد غير برعاية الغنم ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لأن ذلك كما علمت كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري في ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا يؤدب والله اعلم )

## باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

أي بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاض معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعني الحرب المذكور مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما أحب اني لم أكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة أي وهذا الفجار الرابع واما الفجار الأول فكان عمره صلى الله عليه سلم حينئذ عشر سنين وسببه أي هذا الفجار الأول أن بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال انا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاندرها أي اسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثاني أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسألها أن تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا وابا السلاح ونادى الشاب يابني كنانة فاقتتلوا وقوله فسألها أن تكشف وجهها فابت يدل على أن النساء في الجاهلية كن يأبين كشف وجوههن وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به أي مطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان وقد ذكر أن عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار البراض وعليه اقتصر في الوفاء أي لم يرم فيه باسهم بل قال كنت امبل على أعمامي اي أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لانه ليس في هذه العبارة أنه لم يرم بل فيها أنه كان ينبل ويجوز أن يكون أغلب احوالهصلى الله عليه وسلم ذلك أي انه كان ينبل أي يرد النبل فلا ينافي أنه رمى في بعض الاوقات بأسهم أي وفي كلام بعضهم كان

بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره ويذكر أن هرون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه قال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح ابيهما احفظني منه لصلاح آبائي رضي الله عنهم * ومن ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال مكتوب بين كتفي آدم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد ببعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوبا لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله * ومنه ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام أربع وسبعين وتسعمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم ايضا قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا مكتوب في بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق احمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية قال وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من اعلام النبوة وذلك أن شخصا أتاني براس خروف شواها وأكلها وأراني مكتوبا فيها بخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله ارسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو المجانب للضلالة والغواية

* وعن الزهرى قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت مكتوبا على حجر بالعبرانى فارشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليك باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ﴿باب سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة﴾ عن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ابعث وانى لاعرفه الآن قيل انه الحجر الاسود وقيل انه الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر * روى أن (١٥٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته ابعد حتى يفضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا ولله در القائل

لم يبق من حجر صلب ولا شجر ... الا وسلم بل هناه ماوهبا

وقال فى الهمزية

والجمادات أفصحت بالذى أخـ ... ـرس عنه لاحمد الفصحاء

* وعن على رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله والى ذلك أشار السبكى فى تائيته بقوله

وماجزت بالاحجار الا وسلمت ... عليك بنطق شاهد قبل بعثة

* وفى كلام السبكى يحتمل أن يكون نطق الشجر والحجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتا مجردا غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من اعلام النبوة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار فى جميع العالم وقد ورد ان كل شئ سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال فى بيان ذلك وقال وقد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها

---

أبو طالب يحضر أيام الفجار أى فجار البراض وكانت أربعة أيام ومعه رسول صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت قيس ولعل المراد قيس هو هوازن فلا ينافى ما يأتى من الاقتصار على هوازن واذا لم يجىء هو أى فى يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا لا أبا لك لا تغب عنا ففعل ذكره فى الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن أبا براء ملاعب الاسنة فى تلك الحروب أى فى بعض تلك الايام وأبو براء هذا كان رئيس بنى قيس وحامل رايتهم فى تلك الحرب والطعن ظاهر فى الرمح محتمل للنبل وظاهر كلامهم انه لم يقاتل فيه بغير الرمى للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد أن يكون رمى ولم يصب أحدا اذ لو صاب أحدا لنقل لانه مما توفر الدواعى على نقله الا أن يقال بجواز أن يكون أصاب ثم لم تذكر فليتامل قال وسميت الفجار لأن العرب فجرت فيه لانه وقع فى الشهر الحرام اهـ

* أقول ظاهره حروب الفجار الاربعة أى التى هى فجار البراض وغيرها وظاهر كلامه صلى الله عليه وسلم انه لم يحضر الا فى الفجار الرابع الذى هو فجار البراض ثم رأيت التصريح بذلك فى الوفاء وسأذكره وسيأتى فى الباب الذى يلى هذا ان حرب الفجار لم يكن فى شهر حرام وسيأتى فى هذا الباب ما يدل على ذلك أى أن القتال فى ذلك لم يكن فى الشهر الحرام وانما سببه كان فى الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال أن عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من أهل هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة أى فان المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع فى سوق عكاظ ويشترى له بثمن ذلك أدم من أدم الطائف ويرسل تلك اللطيمة فى جوار رجل من اشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان فيهم البراض وهو من بنى كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض أنا أجيرها على بنى كنانة يعنى قومه فقال له النعمان ما أريد الا من يجيرها على اهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال أنا أجيرها لك فقالت له البراض أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى اهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله أى فانه شرب الخمر وغنته القينات فسكر ونام فجاءه البراض وايقظه فقال له الرحال انا شدتك الله لا تقتلنى فانها كانت منى زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك فى الشهر الحرام فاتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة أن البراض قد قتل عروة الرحال وهو فى الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبيل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى أن فى هذا تصريحا بان القتال لم يكن فى الشهر الحرام لانهم اذا كانوا فى الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا أى وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم له فى اليوم الثانى دليل على أن قتالهم لم يكن فى الشهر الحرام ومكث القتال

بينهم

عيانا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ماعنده من العظمة ماتدكدك والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم ﴾ قال ابن اسحق لما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق لله والنصر على من خالفه وأن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم فهم وأممهم من أمته صلى الله عليه وسلم وأول مابدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد (١٥٣) به الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفى لفظ فكان لايرى شيئا فى المنام إلا كان أى وجده فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وانما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالنبوة أى الرسالة فلا تتحملها القوى البشرية لان القوى البشرية لاتحمل رؤيا الملك وان لم يكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على مايجئ به لاسيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيساً له والمراد بالملك جبريل عليه السلام ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التى خلقوا عليها لانهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم وعن علقمة بن قيس قال أول مايؤتى به الأنبياء فى المنام أى مايكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى فى اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحى وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخييل من الشيطان إذ لا سبيل له عليهم لأن قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع فى عالم مثالهم لا يكون إلا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر ثم أوحى اليه فى اليقظة وفى البخارى الرؤيا الحسنة أى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة قال بعضهم معناه أن النبى صلى الله عليه

بينهم أربعة أيام أى كما تقدم * أقول قال السهيلى الصواب ستة أيام والله أعلم قال وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الأيام أخرجه أعمامه معهم أى ويدل له ماتقدم من أنه كان إذا حضر غلبت كنانة وإذا لم يحضر هزمت وفى بعض تلك الأيام وهو أشدها أى وهو اليوم الثالث قيد امية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أى الأسود اه أى وحرب والد أبى سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتى ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاءوا للوعد أى وكان امر قريش وكنانة إلى عبد الله ابن جدعان وقيل كان إلى حرب بن أمية والد أبى سفيان لأنه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن أخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما فى حجره فضن أى بخل به حرب وأشفق أى خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر أى يعلم به إلا وهو على بعير بين الصفين ينادى يامعشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ماتدعو اليه قال الصلح الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا أى فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا أى وذلك لاينافى انهزامهم فى بعض الأيام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا إلى أن نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن أنت قال أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما رأت هوازن الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفى رواية وودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية بوادر بردت التزمت أن تديها فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو أبو هند زوج أبى سفيان أم معاوية رضى الله عنها وعن زوجها وولدها المذكور وكان يقال لم يسد مملق أى فقير إلا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال أى وفى كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبى المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وأبو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذى فى الوفاء الاقتصار على أن حرب الفجار كان مرتين المرة الأولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات المرة الأولى سببها قضية بدر بن معشر الغفارى والمرة الثانية كان سببها قضية المرأة والثالثة سببها قضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات وأما المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لاخلاف فى المعنى

﴿ باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول ﴾

(وهو أشرف حلف فى العرب والحلف فى الأصل اليمين والعهد وسمى العهد حلفا لأنهم يحلفون عند

وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحي إليه فمدة الوحي اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه فى المنام التى هى الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا وحينئذ يكون المعنى ورؤيتي جزء من ستة وأربعين جزءا من نبوتي ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وانما هى اصل جعل غيرها مقيسا عليها وشبيها بها والحديث فيه روايات كثيرة أصحها رواية ستة وأربعين جزءا وحملوا الروايات الأخر على اعتبار الأشخاص لتفاوتهم فى مراتب (١٥٤) الرؤيا ففى بعضها جزء من خمسين وفى بعضها تسعة وأربعين أو ستة وسبعين وغير ذلك * وجاء عن عمرو ابن شرحبيل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفى رواية أرى نورا أى يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر وفى رواية والله ما ابغضت بغضى هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان وانى لاخشى ان اكون كاهنا فيكون الذى ينادينى تابعا من الجن لأن الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية وأخشى أن يكون بى جنون أى لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفى رواية ان خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضى الله عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به إلا خيرا لأنه من كان كذلك لا يجزى إلا خيرا ونقل الماوردى عن الشعبى ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فعلمه الشىء بعد الشىء ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة بشرى بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفى رواية انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا فلا يرى شخصه وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيئا غير ذلك وان المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر من تلك المدة التى هي اثنتان وعشرون سنة

عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لأن حرب الفجار كان فى شوال أى وقيل فى شعبان لا فى الشهر الحرام () أى وان كان سببه هو قتل البراض لعروة الرحال كان فى الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر فى انه كان بعد انقضاء الحرب وقبل مجيء الفريقين الموعد من قابل لأن عند مجيئهم من قابل للموعد لم يقع حرب إلا أن يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان فى ذى القعدة وأول من دعى اليه الزبير بن عبد المطلب أى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه كما تقدم () فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حياته كاهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج فيطعمه قريشا أى وسبب ذلك انه كان أولا يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق ان أمية بن أبى الصلت مر على بنى عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنى المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادى مناد ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبى الصلت فى ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أحجره الشتاء

(وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية () أى بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا وممن حرمها على نفسه فى الجاهلية عثمان ابن مظعون رضى الله تعالى عنه وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على ان أنكح كريمتى من لا أريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة أى الابد) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لأنه لم يقل يوما وفى رواية انه لم يقل ساعة من ليل أو نهار رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لأن القول المذكور لا يصدر إلا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث

* وبعدذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة قال الابوصيرى رحمه الله فى الهمزية ألف النسك والعبادة والخلـ * ـوة طفلا وهكذا النجباء واذاحلت الهداية قلبا * نشطت فى العبادة الاعضاء وقوله طفلا أى حين كان عند حليمة رضى الله عنها فقدقالت لماترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم ولماقرب الزمن الذى أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة فى الخلوة لأن الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفرغ القلب عن اشغال الدنيا الدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو  وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أى يتعبد الليالى ذوات العدد أى مع أيامها وغلب الليالى لأنها أنسب بالخلوة وابهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهرا رمضان أو غيره فالليالى ذوات العدد محمولة على القدر الذى يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها وكانت خديجة رضى الله عنها تزوده الكعك والزيت لأنه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لأن اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبى أمية بن المغيرة قال السراج البلقينى فى شرح البخارى لم يجىء فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش فى ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين مع الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كانوا على باطل لأن فى الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة فى البيئة البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا انه أتم فيه من التفكر فى غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه

الحديث انه لو قال ذلك لنفعه ماذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا لانه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن وحينئذ يسأل عن الحكمة عن عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن بى أو لم يكن مسلما أى وكان يكنى ابازهير وقد قال صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر لو كان أبو زهير أو مطعم بن عدى حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير أى وسيأتى فى غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم ذكر أنه ازدحم هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع أباجهل لعنه الله فوقع على ركبته فجرحت جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى صكة عمي اى فى الهاجرة وسميت الهاجر بذلك لأن عمى تصغير اعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد فى وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول ابن عباس رضى الله عنهما عجلنا الرواح للمسجد صكة الأعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالى أية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء امره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى ابغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يأويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب اى رجع عنه فلازال كذلك حتى غلب على ظنه أن هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيئا فشيئا ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام فيه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله ابن جدعان الى ابيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف قال (وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يقر ظالم على مظلوم أى وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما) قيل ان هذا أى رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم على ما بل بحر صوفة ومارسا حراء وثبير مكانيهما اه أى والمراد الابد كما تقدم (وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار بنى جدعان حمر النعم أى الابل وأنى أغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة أى

السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفى كلام الشيخ محيي الدين بن العربى رضى الله عنه تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى فجاءه الوحى وجاءته الرسالة فالولى الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له فى قلبه عين الفهم عنه فيلهم معانى القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك أول مايبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أوماشاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذى اراد به ماأراد من كرامته وذلك الشهر  رمضان وقيل ربيع الأول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر اعنى شهر رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل السابع والعشرين من رجب أتاه جبريل مناما ليلة السبت أوليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله عليه وسلم فقلت ماأنا بقارىء أى انا أمى لاأحسن القراءة وكنت نائما بنمط وهو نوع من البسط فغطنى به أى غمنى بذلك النمط بأن جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ماذا أقرأ وفى رواية فقلت والله ما قرأت شيئا قط وما أدرى شيئا اقرؤه قال اقرأ باسم ربك وفى رواية انه فعل ذلك به ثلاثا ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها وانصرف عنى وقد استقر ذلك رقى
فى قلبى وفى رواية فكأنما كتب فى قلبى كتابا أى حفظته فرجع الى خديجة فاخبرها وقال قد خشيت على نفسى فقالت كلا فوالله لا يخزيك أبدا قال الحافظ الشامى ومن اللطائف ان هذه الكلمة اى كلمة كلا التى ابتدأت خديجة النطق بها عقب ماذكرها عن القصة هى التى وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقا لأنها لم تنزل الا بعد فى قصة أبى جهل على المشهور وفى بعض الروايات انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل عليه السلام فى الافق ورآه وهو يقول له يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل فاخبر

لاأحب الغدر به وان أعطيت حمر النعم فى ذلك قال وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ماأحب أن لى به حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لاجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لأن الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه أن الاسلام قد رفع ماكان من دعوى الجاهلية من قولهم يالفلان عند الحرب والتعصب وأجيب بأن هذا مستثنى فالدعوى به جائزة وفى أخرى ماشهدت حلفا لقريش الاحلاف المطيبين شهدته مع عمومتى وماأحب ان لى به حمر النعم وانى كنت نقضته اى لاأحب نقضه وان دفع لى حمر الابل فى مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة أى بنو زهرة بن كلاب وأمية ومخزوم قال البيهقى كذا روى هذا التفسير أى ان المطيبين هاشم وزهرة وأمية ومخزوم مدرجا ولاأدرى من قاله وعبارته فى السنن الكبرى لاأدرى هذا التفسير من قول أبى هريرة أومن دونه هذا كلامه فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين أى لأنه كما تقدم وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو الحرث بن فهر وهم المطيبون وبين بنى عمهم عبد الدار بن قصى واحلافهم بنى مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بمن ذكر لا ان المدرج تفسيره فقط بمن ذكر كما يقتضيه كلام البيهقى وحينئذ تكون الرواية ماشهدت حلفا لقريش الاحلافا مع عمومتى الى آخره ظن الراوى ان حلف الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين وبنيهم وقد يقال ذكر ابن اسحق انه لما قام عبد الله بن جدعان هو والزبير بن عبد المطلب فى الدعوى للتحالف أجابهما بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى أن هؤلاء أجل المطيبين أطلق على هذا الحلف الذى هو حلف الفضول حلف المطيبين لأنهم العاقدون له فليتأمل وسمى بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها وقيل لأنه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعضهم لأن الداعى اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحرث والضمير فى اشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لأنهم اى هؤلاء الذين تحالفوا كانوا أخرجوا فضول أموالهم للاضياف وقيل لأن قريشا قالوا عن هؤلاء الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء فى فضول من الأمر والسبب فى هذا الحلف والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب فابوا أن يعينوا على العاص وانتهروه أى الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر

خديجة رضى الله عنها فجمعت عليها ثيابها التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس والذى نفسى بيده لئن كنت صدقت ياخديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى يعنى جبريل وأنه لنبى هذه الأمة فقولى له يثبت وفى رواية قال وما لجبريل يذكر فى هذه الأرض التى تعبد فيها الاوثان جبريل امين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت ياخديجة الخ فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة وفى رواية أن ورقة بعد أن أخبرته خديجة بذلك لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقال (١٥٧) له ياابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى عليه السلام ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه ولئن أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه أى وسط رأسه ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى منزله * وقد جاء أن أبا بكر رضى الله عنه دخل على خديجة رضى الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ياعتيق اذهب بمحمد الى ورقة أى بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل وذهب به الى ورقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة اذا خلوت

رقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى انديتهم حول الكعبة فقال باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * ياللرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولاحرام لثوب الفاجر الغدر

والحرام بمعنى الاحترام فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب أى مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه شريفا او وضيعا ثم مشوا الى العاص ابن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه) اه * أقول (ذكر السهيلى ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أوحاجا ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى ياحلف الفضول فاذاهم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم أى جردوها يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فانتزعها منى قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وماتعاهدنا عليه فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحه أى مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم) وفى سيرة الحافظ الدمياطى أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وبين الوليد بن عتبة ابن أبى سفيان منازعة فى مال متعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى او لآخذن سيفى ثم لاقومن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول أى لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لانه كان اذ ذاك فى المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضى والله أعلم

## ﴿ باب سفره صلى الله عليه وسلم إلى الشام ثانيا ﴾

(وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة أى على الراجح من أقوال ستة وعليه جمهور العلماء وتلك أقوال ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق) (وليس له صلى الله عليه وسلم اسم بمكة إلا الأمين لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم وسبب ذلك أن عمه صلى الله عليه وسلم أباطالب قال له ياابن أخى أنا رجل لامال لى وقد اشتد الزمان أى القحط () وألحت علينا أى أقبلت ودامت ()سنون منكرة أى شديدة الجدب وليس لنا مادة أى ما يمدنا ويقومنا ولاتجارة وهذه عير قومك وتقدم أنها الابل التى تحمل الميرة وفى رواية عيرات جمع عير () قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى

وحدى سمعت نداء يامحمد فانطلق هاربا فقال له لاتفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع مايقول ثم ائتنى أى وهذا كان قبل أن يرى جبريل ويجتمع به ويجىء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة فلا تنافى بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذى على يد أبى بكر رضى الله عنه على انه كان قبل ان يرى جبريل والذى وقع فى المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجىء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبى صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فكل راو أقتصر على شىء وقد اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهي ان يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ماسبق الكلام لاجله فانها

اشتملت على الأمر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله إلى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل أنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثاً للمبالغة وأخذ منه القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وذكر السهيلي أن في ذلك الغط أشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله (١٥٨) والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم في الكلام على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع وفي رواية يرجف بها فؤاده اى قلبه ولا مانع من الامرين حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملوني زملوني أي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا أي لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أي الشيء الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق أي على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى أي هذا صاحب الوحي وهو جبريل عليه السلام ياليتني فيها جذعا أي ياليتني أكون في زمن الدعوة الى الله أي اظهارها شابا حتى ابالغ في نصرتها ياليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قال صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودي أي فتكون المعاداة سببا للاخراج وقد جاء ان كل نبي برسالته

عيرا تها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلوجئتها فوضعت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لا كره أن تاتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا تجد لك من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ان ترسل الى في ذلك فقال أبو طالب انى اخاف أن تولى غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة رضى الله تعالى عنها ما كان من محاورة عمه ابى طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم أرسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت انى دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم أخلاقك وانا اعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقى عمه اباطالب فذكر له ذلك فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة أي يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير أي ومن حين سيره صلى الله عليه وسلم أظلته الغمامة () فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال نسطورا أي بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه فقال ياميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب مانزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي اى صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبي ثم قال له أفي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء وياليت انى ادركه حين يؤمر بالخروج اي يبعث فوعى ذلك ميسرة أي والحمرة كانت في بياض عينيه وهى الشكلة ومن ثم قيل في وصفه صلى الله عليه وسلم أشكل العينين فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة أي وقد تقدم ذلك قال وفي الشرف للنيسابوري فلما رأى الراهب الغمامة تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما أنتم عليه أي أي شيء أنتم عليه قال ميسرة غلام خديجة رضى الله تعالى عنها فدنا الى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدمه وقال آمنت بك وانا أشهد انك الذى ذكره الله في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها أي العلامات الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لي عن كتفك فاوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فاقبل عليه يقبله ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامى الذي بشر بك عيسى بن مريم فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمى الهاشمي العربي المكى صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد اه أقول قال في النور ولم أجد أحداً عد هذا الراهب الذى هو نسطورا في الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما عد بعضهم فيها بحيراً الراهب وينبغي أن يكون هذا مثله هذا كلامه وقد قدمنا انه سيأتى أن بحيراً ونسطوراً ونحوهما ممن صدق بأنه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الأمة من أهل الفترة لا من أهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا الآن المسلم من أقر

إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عزوجل حتى يموت وفى رواية قال ورقة وان ادركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفى رواية قالت خديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى ان لا تتحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا الأولو العزم من الرسل وفى كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشر قولا (١٥٩) وأولاها بالصواب وأسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض او دوام المرض وقال الحافظ الاسماعيلى ان هذه الخشية كانت قبل أن يحصل له العلم الضرورى بان الذى جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء فى بعض الروايات أن خديجة رضى الله عنها قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس أذكرك الله الا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب فقال عداس قدوس قدوس ماشان جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل أوثان فقالت اخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الطائف وأسلم على يديه يروى أن خديجة رضى الله عنها حين جاءت عداسا قالت له انعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال ادنى منى فقد ثقل مسمعى فدنت منه ثم قالت له ما تقدم يروى انه قال لها حين اخبرته بالخبر يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه أمورا فخذى كتابى هذا وانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله

---

برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها الى آخر ما يأتى ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر فى الاصابة ان بحيرا ممن ذكر فى كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابى لا ينطبق عليه وهو مسلم لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقولى مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل أن يبعث كهذا الرجل يعنى بحيرا هذا كلامه ومراده ماذكرنا ولعل نسطورا هذا هو الذى تنسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله عزوجل هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه وزاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وامه اله والله اله هذا وفى القاموس النسطورية بالضم ويفتح امة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطورا الحكيم الذى ظهر فى أيام المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرائية وربانية وسامرية ولا يخفى أن بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسى الذى دلت عليه الرواية الاولى والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى فى العادة هذا الزمن الطويل ويبعد فى العادة أن تكون شجرة تخلو عن أن ينزل تحتها أحد غير الانبياء لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارق للعادة والانبياء لهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلى يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبى ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد بالانبياء عليهم السلام قبل ذلك وان كان فى لفظ الخبر قط أى كما تقدم فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفى والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى او غيره من الانبياء ويبعد فى العادة ايضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها احد حتى يجىء نبى هذا كلامه وقد يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة على ان فى بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة نخر عودها فلما اطمان تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها واينع ثمرها وتدلت أغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من أهل السنة ان كل ما جاز وقوعه للانبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدى لان المعجزة يعتبر فيها التحدى وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان رحمه الله انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد ماتت تورق ويخرج ثمرها فى الحال على أنه سيأتى فى الكلام على غزاة الخندق ان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولما رأى الراهب ماذكر لم يتمالك الراهب

صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك أجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك أبي وأمي امض معي الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا بقوله قدوس قدوس أنت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى قال بعضهم الصواب ان هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لأن اقرأ سابقة في النزول على نون والحاصل ان خديجة رضى الله عنها كانت في بدء الوحي تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتثبت في الأمر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتثبتها في أمره صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلبه وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وذكر ابن دحية أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي أخبرني بانه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترىء أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه * وفي أسباب النزول للواحدي عن علي رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه قال لما سمع النداء صلى الله عليه وسلم يا محمد قال لبيك قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين كما هو رواية وكيع وابن أبي شيبة فأتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة ابشر فاني أشهد انك الذي بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام وأنك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لاجاهدن معك وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل قال في الكشاف وعليه أكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل أن المعنى أنها من أول ما نزل لانها أول على الاطلاق فعجبن

---

أن انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك أمك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك أقبل يسعى الى صومعته فدخلها وأغلق عليه بابها ثم أشرف عليهم فقال ياقوم ما الذي راعكم مني فو الذي رفع السموات بغير عمد اني لأجد في هذه الصحيفة أن النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يبعثه الله بالسيف المسلول وبالريح الأكبر وهو خاتم النبيين فمن أطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى قال ولم أقف على تعيين ما باعه وما اشتراه انتهى وكان بينه صلى الله عليه وسلم وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده أحبارنا منعوتا أي في الكتب فوعى ميسرة ذلك أي وقبل أن يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على أخفافهما وعوذهما فانطلقا في أول الركب ولهما رغاء قال وفي الشرف أنهم باعوا امتاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما ربحنا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك انتهى وأقول لا يخفى ما في قول ميسرة اتجرنا لخديجة أربعين سنة ولعلها مصحفة عن سفرة أو هو على المبالغة والله أعلم ثم انصرف أهل العير جميعا راجعين مكة وكان ميسرة يرى ملكين يظللانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باظلال الملائكة له في سفره (ويحتمل أن المراد في كل سفر سافره) لكن لم أقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم في غير هذه السفرة وقد ألقى الله تعالى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران أي وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الآن بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك أن تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك أي وفي رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية أي في غرفة مع نساء فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظللان عليه فارته نساءها

وأما ما روى من أنها نزلت بالمدينة فيحتمل تكرر نزولها مبالغة في شرفها لا أن ذلك أول نزولها إذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضا فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة قال الجلال السيوطي لم يحفظ أنه كانت صلاة في الاسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من أول القرآن نزولا وأن الأول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الأحاديث وفي الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفي حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن * ثم لم يلبث أن توفي ورقة قال سبط بن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها والراجح عند المحققين أنه لم يعد من الصحابة لعدم إدراكه الرسالة ولما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفي رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة أو جنتين لأنه آمن بي وصدقني وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الأئمة بناء على أنه أدرك الدعوة إلى الله تعالى التي هي الرسالة فقد روى أنه مات في السنة الرابعة من المبعث ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأنه آمن بي وصدقني وفي فتح الباري أن في سيرة ابن اسحق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة وإلى أن دخل بعض الناس في الاسلام يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شيء من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبي إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه فتراءى له جبريل يوما وهو في بيت خديجة وكانت قد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه

فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت أين ميسرة قال خلفته في البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وإنما أرادت أن تعلم أهو الذي رأت أم غيره (فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الأولى فاستيقنت أنه هو فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام) والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

وميسرة قد عاين الملكين إذ * أظلاك لما سرت ثاني سفرة

(وأخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا) وقول الآخر الذي حالفه أي استحلفه في البيع أي (وقصة البعيرين وحينئذ أعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له) أي وما سمته له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم (وقول ميسرة له صلى الله عليه وسلم فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة إلى بكرتيك يدل على أنها سمت له بكرتين وكانت تسمي لغيره بكرة * وفي كلام بعضهم وفي الروض الباسم استأجرته على أربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه آجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين ثم رأيت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه وأجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين وفي السفرة الاولى أرسلته مع عبدها ميسرة إلى سوق حباشة أي وهو مكان بأرض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا يبتاعون فيه ثلاثة أيام من أول رجب في كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية أرسلته مع عبدها ميسرة الى الشام وفيه أن سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة فعن مستدرك الحاكم وصححه وأقره الذهبي عن جابر أن خديجة استأجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين إلى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد أنه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لازم أن يكون صلى الله عليه وسلم سافر لها خمس سفرات أربعة الى اليمن وواحدة الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من أنها استأجرته في سفرة الى الشام بأربع بكرات لا يناسب ما تقدم عن ميسرة * وقد جاء في بعض الروايات أن أباطالب جاء لخديجة وقال لها هل لك أن تستأجري محمدا فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا ببكرتين وليس نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت خديجة لو سالت لبعيد بغيض فكيف وقد سالت لحبيب قريب * ثم لا يخفى أن كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه أبي طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجة ما علمت أنه يريد هذا وإنما قلنا ظاهر لأنه يجوز أن يكون بعد قول أبي طالب وقولها المذكور أرسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب مسافته وقصر زمنه ثم أرسلته مع ميسرة الى الشام أو كانت خديجة لا تجوز أن أباطالب يرضى

بسفره إلى الشام وأنه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتأمل (و تقدم أنه صلى الله عليه وسلم من حين سيره أي من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب والملكان يظلانه في العود) ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه أنه لم يفطن لها مثلا ولكن سيأتي في كلام صاحب الهمزية ما يدل على أن الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسيأتي رؤية جمع من الصحابة لجبريل وفي المنقذ من الضلال للغزالي أن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال وإقبالهم على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله أعلم قال ولم أقف على إسم الرجل الذي حالفه أي استحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على رواية صحيحة صريحة فيه بأنه أي ميسرة بقي إلى البعثة انتهى (ثم ان خديجة ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانيا أي بعد أن كان يهوديا على ما يأتي قد تتبع الكتب فقال لها إن كان هذا حقا يا خديجة أن محمدا نبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي منتظر هذا زمانه أي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل أن يتجر لخديجة وكان شريكا للسائب بن أبي السائب صيفي) ولما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري أي لا يرائي ولا يماري أي يخاصم صاحبه وهذا يدل على أن قوله كان لا يداري الخ من مقوله صلى الله عليه وسلم وقد قال فقهاؤنا والأصل في الشركة خبر السائب بن يزيد أنه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث أي قال كان صلى الله عليه وسلم نعم الشريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشاراة المشاحة في الأمر واللجاج فيه وهو يدل على أن ذلك كان من مقول السائب ولا مانع ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسائب قال في حق الآخر كان لا يداري ولا يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلف الروايات في هذا الكلام الذي هو كان خير شريك كان لا يشاري ولا يماري فمنهم من يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم في السائب ومنهم من يجعله من قول السائب في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن أن لا يكون مخالفة بين السائب بن أبي السائب صيفي وبين السائب بن يزيد لأنه لا يجوز ان يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد * وفي الاستيعاب وقع اضطراب هل الشريك كان أبا السائب أو ولده السائب بن أبي السائب أو ولد السائب وهو قيس بن السائب بن أبي السائب لا أخا السائب وهو عبد الله بن أبي السائب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن أبي السائب من المؤلفة أعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين وبه يرد قول بعضهم أن السائب بن أبي السائب قتل يوم بدر كافرا * ومما يدل على أن الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي

وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله وأتاه في بيتها جبرائيل * ولذي اللب في الأمور ارتياء فأماطت عنها الخمار لتدري * (١٦٢) أهو الوحي ام هو الاغماء فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ * ـل فما عاد أو أعيد الغطاء فاستبانت خديجة أنه الكنـ * ـز الذي حاولته والكيمياء وفي السيرة الحلبية روى ابن اسحق عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على أنه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تأنيسا ليتحمل اعباء الوحي حين نزوله عليه وإنما كانت خديجة رضي الله عنها تفعل هذه الأشياء لتتثبت في الأمر ويصير عندها ضروريا وأما هو صلى الله عليه وسلم فكان الأمر ملتبسا عليه قبل ظهور الملك وأما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضروري بأنه جبريل وأن الله أرسله اليه وانه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم * ثم بعد نزول اقرأ أي نزول أول السورة كما تقدم فتر الوحي ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق إلى العود فحزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما وافى ذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا وافى لذروة جبل تبدى له مثل ذلك وفي فتح الباري جزم ابن اسحق بأن مدة

فترة الوحي كانت ثلاث سنين وجزم السهيلي بأنها كانت سنتين ونصفا وقيل خمسة عشر يوما وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم في مدة فترة الوحي يتردد إلى غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحي وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ابتداء الوحي أي بعد فترته فقال لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فنظرت عن شمالي فلم أر شيئا فنظرت من خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا ما بين السماء والأرض وفي رواية فاذا الملك الذي  جاءني بحراء جالس على كرسي فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وفي رواية زملوني زملوني وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أي المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فانذر وبشر مع انه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لأن البشارة إنما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعني انه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما أمر باظهار الدعوة إلا بنزول يا أيها المدثر فبها حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثير انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلي أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فانذر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي

شريكي فكان خير شريك كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي وأقره عليه وذكر في الامتاع ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سببا لارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتريا لها بزا وفي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه أكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع إلا ثلاث مرات وأما شراؤه فكثير وأجر واستأجر والاستئجار أغلب ووكل وتوكل وكان توكله أكثر

## باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي فهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر وهي من أقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة هذا كلامه (وعن نفيسة بنت منية رضي الله تعالى عنها) أي وهي أخت يعلى ابن منية ففي الامتاع منية أخت يعلى ابن منية وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية لا لنفيسة قالت (كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة) أي ضابطة (جلدة) أي قوية (شريفة) أي مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا أي وأحسنهم جمالا وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ كان يقال لها سيدة قريش لأن الوسط في ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل يقال فلان أوسط القبيلة أعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وذكروا لها الأموال فلم تقبل فارسلتني دسيسا أي خفية إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لأنه خطاب لنفيسة قالت بلى وأنا أفعل فذهبت فأخبرتها فارسلت اليه أن ائت لساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه أحدهم أي وهو أبو طالب على ما يأتي وقال في خطبته وابن أخي له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن أسد هذا الفحل لا يقدع أنفه أي بالقاف والدال المهملة أي لا يضرب أنفه لكونه كريما لأن غير الكريم اذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب أنفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن اسد قال بعضهم هو المجمع عليه وقيل المزوج لها أخوها عمرو ابن خويلد * (وعن الزهري ان المزوج لها أبوها خويلد بن أسد) وكان سكران من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهي ثوب فوق ثوب لأن الأعلى يحل فوق الأسفل وضمخته بخلوق أي لطخته بطيب مخلوط بزعفران () فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك انكحت محمدا خديجة

الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الى الاسفار قم يانومان

﴿باب في مراتب الوحي واقسامه﴾ قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم مراتب الوحي وانواعه * فاحدى تلك المراتب الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح روى ابن اسحق ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ مناما ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى انه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه شيء يقظة الا وقد اريه قبل ذلك في منامه وفي  كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحي من

وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وأمضاه أي لان خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن أن يزوجها له فصنعت له طعاما وشرابا ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر أبوها قالت له إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلقته وألبسته لان ذلك أي الباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج بنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني من محمد بن عبد الله قال أنا أزوج يتيم أبي طالب لا لعمري فقالت له خديجة الا تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكران فلم تزل به حتى رضي أي وهذا مما يدل على أن شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من يأتي وفي رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فزوجها أقول قال في النور ولعل الثلاثة أي أباها وأخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفي كون المزوج لها أبوها خويلدا وكونه حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن أهل العلم ان خويلد ابن أسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها قال بعضهم وهو الذي نازع تبعا أي حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ما ردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له عمه حمزة اقتصر ابن هشام في سيرته وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقها عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها منه ففعل وحضره ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله القصة والله أعلم قال وعن ابن اسحق انها قالت له يا محمد ألا تتزوج قال ومن قالت أنا قال ومن لي بك أنت أيم قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث أي وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف أي الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ ممن مات ابوه الحقيقي وعن بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على اخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا اخا خديجة حلة الحديث وفي الامتاع بعد ان ذكر أن السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز أن يكون كل ممن ذكر كان سفيرا * وفي الشرف ان خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول

الله

الانبياء كان إذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم أن الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى اصله وهو لصوقه بالارض * الثانية ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير ان يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم به انه وحي لا لمجرد الهام * الثالثة خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت انه كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان جميلا وسيما أي حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقيني يجوز أن الآتي جبريل بشكله الاول الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال في فتح الباري والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وقال العلامة القونوي يجوز ان الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الأصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر أي أن جسم الملك الاصلي باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد وقد قيل انما سمي الابدال ابدالا

لأنهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بأنه كان يندمج الى أن يصغر حجمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الأولى تكلف وماذكره الصوفية أحسن * الرابعة كان يأتيه مخاطباله بصوت فى مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذى يعلقه الجهال فى رؤوس الدواب والصلصلة المذكورة (١٦٥) قيل صوت الملك بالوحى وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يقرع سمعه الوحى وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع أشده عليه لأنه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ولأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحى كله شديد وهذا أشد وفائدة هذه الشدة مايترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ولأن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفى حديث لابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لايقال ان صوت الجرس مذموم منهى عنه فكيف يشبه الوحى به لأنا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوى المشبه به والمشبه فى الصفات كلها بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما ولما كان الوحى من المسائل العويصة التى لايماط نقاب الثغور عن وجهها لكل أحد ضرب لها مثلا فى الشاهد فمثلت بالصوت الذى يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على أن الوحى يرد على القلب فى هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقى من ثقل القول مالا علم له به مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على مارواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى

---

الله صلى الله عليه وسلم قالت له ياأباطالب تدخل على عمى فكلمه يزوجنى من ابن أخيك محمد بن عبدالله فقال أبو طالب ياخديجة لاتستهزئى فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه الى عمها الحديث أى وفى رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز أن يكون المراد ببنى هاشم أولئك العشرة وأنهم كانوا هم المراد برؤساء مضر فى ذلك الوقت وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره ان أباطالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضىء معد أى معدنه وعنصر مضر أى أصله وجعلنا حضنة بيته أى المتكفلين بشأنه وسواس حرمه أى القائمين بخدمته وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ماعاجله وآجله اثنتى عشرة أوقية ونشا أى وهو عشرون درهما والأوقية أربعون درهما أى وكانت الاواقى والنش من ذهب كما قال المحب الطبرى أى فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى وقيل أصدقها عشرين بكرة أى كما تقدم * أقول لامنافاة لجواز أن تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور * وقال بعضهم يجوز أن يكون أبو طالب أصدقها ماذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات فى صداقها فكان الكل صداقا والله أعلم قال وماقيل ان عليا رضى الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الأقوال فى مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون على ضمن المهر غلط لأن عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين اى لأنه ولد فى الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فاكثر وسنه حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ماتقدم أو زيادة بشهرين وعشرة أيام وقيل خمسة عشر يوما على مايأتى وقيل الذى ولد فى الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لامانع من ولادة كليهما فى الكعبة لكن فى النور حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره وأما ماروى أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء قال النووى وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد هو الفحل لايقدع أنفه وأنكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة بن نوفل أى فانه بعد أن خطب أبو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لاينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله وذكر المهر فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا على معاشر قريش انى قد أنكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد وأولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين وأطعم الناس وأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف وفرح

السماء امر اضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وقد روى الامام احمد والحاكم وصححه والترمذى والنسائى عن عمر رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فافهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لأن سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضى الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم بان سماعه كدوى  النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك

أبو طالب فرحا شديدا) وقال الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم وهى أول وليمة أولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم *أقول ولا ينافى هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا خديجة حلة لجواز أن يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافى ذلك ما تقدم من قوله وقد ابتنى بها لأن تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافى كون المزوج له عمه ابو طالب ما تقدم ان المزوج له عمه حمزة لجواز أن يكون حضر مع أبى طالب فنسب التزويج اليه أيضا والله أعلم (والسبب فى ذلك أى فى عرض خديجة رضى الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم أيضا مع ما أراد الله تعالى بها من الخير ماذكره ابن اسحق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى وقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبى قرب وجوده فايتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبته النساء أى رمينه بالحصباء وقبحنه واغلظن له واغضت خديجة على قوله ووقع ذلك فى نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هى أى وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان ما قاله اليهودى حقا ما ذاك الا هذا) وذكر الفاكهى عن أنس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أبى طالب فاستأذن أبا طالب فى أن يتوجه الى خديجة أى ولعله بعد أن طلبت منه صلى الله عليه وسلم الحضور اليها وذلك قبل أن يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها تبعة فقال انظرى ما تقول له خديجة فخرجت خلفه فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى خديجة أخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ثم قالت بأبى أنت وأمى والله ما أفعل هذا الشىء ولكنى أرجو أن تكون أنت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندى ما لا أضيعه أبدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا فرجعت تقعة وأخبرت أبا طالب بذلك (وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين أو خمسة عشر يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة على ما هو الصحيح الذى عليه الجمهور كما تقدم) زاد بعضهم على الخمسة والعشرون سنة شهرين وعشرة أيام وقد أشار الى ما تقدم صاحب الهمزية بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء
وأتاها ان الغمامة والسرح أظلته منهما أفياء
وأحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكياء

أى وعلمته خديجة رضى الله تعالى عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الظاهر والحسب الفاخر والحال ان التقى والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة وأتاها الخبر بأن الغمامة والشجر أظلته

الصوت وجاء في بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بأن جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقا أى يسيل عرقا مبالغة في كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من اعباء النبوة ويحصل ذلك له فى اليوم الشديد البرد فضلا عن غيره وان راحلته اذا أوحى عليه وهو عليها لتبرك به فى الارض ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى لم يستطع أحدمنا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفى لفظ كان اذا نزل عليه الوحى استقبلته

الرعدة وفى رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة اخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة اصابه من ذلك على قدر لينها * الخامسة أن يرى جبريل فى صورته التى خلقها الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى فى السماء شىء فيوحى اليه ماشاء الله أن يوحيه اليه وهذا وقع له مرتين احداهما فى الأرض حين سأله أن يريه نفسه في الافق وكانت هذه فى أوائل البعثة بعد فترة الوحى والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج

* السادسة ماأوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلى الذى ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة * السابعة ماأوحاه الله اليه بلا واسطة أيضا بل بسماع الكلام الأزلى لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجىء جبريل عليه السلام فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشىء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن وبعضهم نازع فى هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الأحكام لا بواسطة  ملك وبذلك فارق النفث فى الروع وزاد بعضهم عاشرة وهى مجىء جبريل فى صورة رجل غير دحية كما فى الحديث الذى فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق أن هذه داخلة فى المرتبة الثالثة لان القصد منها التمثل فى صورة رجل وان كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافى انه قد يأتى بصورة غيره كما فى الحديث المذكور فانه ذكر فيه انه جاءهم فى صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان معروفا عندهم وبالغ بعضهم فى تعديد أنواع الوحى حتى أوصلها الى ستة وأربعين نوعا والتحقيق انها تعود الى ماذكر وقد روى ان جبريل ظهر له صلى الله عليه وسلم فى أول ماأوحى اليه فى أحسن صورة واطيب رائحة وهو باعلى مكة وفى رواية بجبل حراء فقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انك رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا إله إلا الله أى ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ثم قام جبريل يصلى مستقبلا نحو الكعبة وأمره أن يصلى معه فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله فسار صلى الله عليه وسلم حتى أتى خديجة رضى الله عنها فاخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ثم

اظلته افياء اى ظلال حالة كون تلك الافياء من الغمامة والشجر وفيه ان هذا يدل على ان الملكين هما الغمامة * قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة وأتى خديجة الأحاديث والأخبار من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق قرب الوفاء به منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما أحسن بلوغ الأذكياء ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بنت أربعين سنة قال وقيل خمس وأربعين سنة وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين اه أى وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم برجلين أولهما عتيق بن عابد أى بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة ()فولدت له بنتا اسمها هند وهى أم محمد بن صيفى المخزومى وثانيهما أبو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هند أيضا فهو هند بن هند أى وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه زوج أمه وأمى خديجة وأخى القاسم وأختى فاطمة قتل هند هذا مع على يوم الجمل رضى الله تعالى عنه وفى كلام السهيلى انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات فى ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على أطراف الأصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفى المواهب انها كانت تحت أبى هالة أولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وستأتى بقية ترجمتها رضى الله عنها فى أزواجه صلى الله عليه وسلم

## ﴿ باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى ﴾

(لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ماهو الصحيح جاء سيل حتى أتى من فوق الردم الذى صنعوه لمنعه السيل فاخربه أى ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذى أصابها وذلك ان امرأة بخرتها فطارت شرارة فى ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا أن تفسدها السيول أى تذهبها بالمرة) قيل تبخير المرأة لها كان فى زمن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولا مانع من التعدد (وكان ارتفاعها تسعة أذرع من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يكن لها سقف أى وكان الناس يلقون الحلى والمتاع كالطيب أى الذى يهدى اليها فى بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه أعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سيأتى ذلك فاراد شخص فى أيام جرهم أن يسرق من ذلك شيئا فوقع على رأسه وانهار البئر عليه فهلك) * وفى كلام بعضهم فسقط عليه حجر فحبسه فى تلك البئر حتى أخرج منها وانتزع المال منه فليتأمل الجمع وقد يقال على بعد جاز أن يكون هذا الرجل تكرر منه السرقة وكان هلاكه فى المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية بيضاء

امرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام فكانت أول من صلى وفى رواية انها قالت حين شاهدت ذلك أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم توضأت وصلت فكان ذلك أول فرض الصلاة من حيث هى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى واليها الاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لأصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وانه (١٦٨) قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال

﴿ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم﴾

قال فى المواهب اللدنية أول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة رضى الله عنها فقامت باعباء الصديقية وكانت تقول للنبى صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل وعرفت ان من كان كذلك لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها رضى الله عنها قال ابن اسحق وآزرته صلى الله عليه وسلم على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يارسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها رضى الله تعالى عنها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وأبدى السهيلى لنفى النصب لطيفة هى أنه صلى الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل تعب

سوداء الرأس والذنب رأسها كرأس الجدى فاسكنها تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالقاف أى تبرز للشمس عن جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فتصير رأسها عند ذنبها فلا يدنو منها أحد الا كشت أى صوتت وفتحت فاها معطوف على كشت ففى حياة الحيوان قال الجوهرى كشيش الأفعى صوتها من جلدها الا من فيها لحرست بئره وخزانة البيت خمسمائة عام لا يقرب به أحد أى لا يقرب بئره وخزانته الا أهلكته أى ولعل المراد لو قرب منه أحد أهلكته اذلو أهلكت أحدا قرب من تلك البئر لنقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجدهذا السيل والحريق أرادوا اهدمها واعادة بنائها وأن يشيدوا بنيانها أى يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاءوا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة وأعدوا لذلك نفقة أى طيبة ليس فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس () أى بعد أن قام ابو وهب عمرو بن عابد فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يامعشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث اى وفى لفظ أنه قال لهم لا تدخلوا فى نفقة هذا البيت مهر بغى أى زانية ولا بيع ربا وفى لفظ لا تجعلوا فى نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه حرمة أو ذمة بينكم وبين أحد من الناس وأبو وهب هذا خال عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم وكان شريفا فى قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة أى كبقية القوم فانهم كانوا يضعون ازارهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الأرض فطمحت عيناه الى السماء أى ونودى عورتك فقال ازارى ازارى أى شدوا على ازارى فشد عليه وفى رواية سقط فغشى عليه فضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فاخبره أنه نودى من السماء أن شد عليك ازارك وهذا يبعد ما جاء فى رواية قال له العباس أى بعد أن أمر بستر عورته وسترها يا ابن أخى اجعل ازارك على رأسك فقال ما أصابنى ما أصابنى الا من التعرى وفى رواية بينا النبى صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودى يا محمد خمر عورتك أى غطها فلم ير عريانا أى مكشوف العورة بعد ذلك أى وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس رضى الله تعالى عنه لانه يجوز أن يكون ذلك صدر من العباس حينئذ وغايته انه سمى النمرة ازارا له قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك أى وقوع هذا مع ما تقدم من نهيه عن ذلك أى الذى تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابى طالب لزمزم قبل هذا قال لأنه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن شئ مرة لا يعود اليه

وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت أيضا بانها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه مالم تبلغه امرأة قط من زوجاته وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبدالله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنها وعنهن

وأول ذكرآمن بعدها صديق الأمة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضي الله  عنه وكان رضي الله عنه صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت أنا وأبو بكر على هذا الأمر كفرسي رهان فسبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته ففيه اشارة الى أن كلا منهما مجبول على التوحيد ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تصديقا له أبو بكر رضي الله عنه روى الطبراني برجال ثقات ان عليا رضي الله عنه كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم الى عبد الله وقيل كان اسمه عبدالله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لأنه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمي عتيقا لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار وقيل لأنه ليس في نسبه مايعاب به وقيل لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام وكني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة قال الزرقاني ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره فلما أسلم آزر النبي صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه أول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان رضي الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا

---

اليه ثانيا بوجه من الوجوه اه أي وقد عاد الى ذلك * أقول يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان أمره بستر عورته أولا عزيمة بل جواز الترك وفي الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتي على ربي ان أحدا لم ير عورتي وتقدم أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ففي الخصائص الصغرى أنه صلى الله عليه وسلم لم ترعورته قط ولو رآها أحد طمست عيناه لأنه لا يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم رؤيتها كما لم يلزم من حضانته وتربيته ومجامعة زوجاته ذلك فعن عائشة رضي الله تعالى عنها مارأيت منه صلى الله عليه وسلم والظاهر أن بقية زوجاته كذلك والله أعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر أي خوف من أن يمنعهم الله تعالى ماأرادوا أي بان يوقع بهم البلاء قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ماوقع لعمرو بن عائذ أي قال وعند ابن اسحق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه أي خافوا من انه يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان الله لا يهلك المصلحين قالوا من الذي يعلوها فيهدمها قال أنا أعلوها وأنا أبدؤكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع أي بالراء والعين المهملتين والضمير في ترع للكعبة أي لا تفزع الكعبة لا نريد إلا الخير أي وفي رواية لم نزغ بالنون والزاي المعجمة أي لم نحل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء هدمناها فقد رضي الله ماصنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة أي اسنمة الابل وفي لفظ كالأسنة * قال السهيلي وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق هذا كلامه أي وقد يقال هي كالأسنة في الخضرة وكالأسنمة في العظم لا يقال الاسنة زرق لأنا نقول شديد الزرقة يرى أخضر أخذ بعضها ببعض فادخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منهما ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت مكة أي تحركت باسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الأساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدر ماهو حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزول اخشباها أي جبلاها وهما أبو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة ووجهه الى أبي قبيس يبارك لأهلها في الماء واللبن ووجدوا في المقام أي محله كتابا آخر مكتوب فيه مكة بلد الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا آخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة أي مايغبط أي يحسد حسدا محمودا عليه ومن يزرع شرا يحصد ندامة أي مايندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل أي نعم كما يجنى من الشوك العنب أي الثمر * أي وفي السيرة الشامية

والثانى التالى المحمود مشهده * واول الناس قد ماصدق الرسلا          وقوله والثانى التالى أى الثانى للنبي صلى الله عليه وسلم فى الغار ففيه تلميح إلى قوله تعالى ثانى اثنين إذهما فى الغار وقوله التالى أى التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله ورياسته فى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التى لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندى يداً من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وقال ان أعظم الناس علينا أمنا أبو بكر زوجنى ابنته وواسانى بماله      (١٧٠)      قال الشعبي عاقبَ الله أهل الأرض جميعا فى هذه الآية أى آية إلا تنصروه غير أبى بكر وقد جوزى بصحبة الغار الصحبة على الحوض كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي فى الغار فيا نعم الجزاء وقوله المحمود مشهده أى الممدوح مكان حضوره من الناس لأنه كان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش واعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجراً وفى السيرة الحلبية كان أبو بكر رضي الله عنه صدراً معظما فى قريش على سعة من المال وكرم الأخلاق وكان من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من أعف الناس رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا فى قومه حسن المجالسة وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الأنساب وكذا عقيل بن أبي طالب إلا أن أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا يعد          يقال مساويهم فلذا كان محببا اليهم بخلاف عقيل فانه كان يعد مساويهم وكان أبو بكر رضى الله عنه ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فلما أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وسلم وآزره وشد عضده فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فأسلم بدعائه فضلاء الصحابة رضى الله عنه وعنهم وسيأتى ذكر بعض من أسلم بدعائه وكان رضي الله عنه يتوقع ظهور نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه من ورقة ومن غيره من الأحبار والرهبان والكهان حتى أنه

ان ذلك وجد مكتوبا فى حجر فى الكعبة وفى كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة أسطر الأول أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى آخره وفى الثانى أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها إسما من إسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفى الثالث أنا الله ذو بكة خلقت والخير الشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه قال ابن المحدث رأيت فى مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه أنا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعرى تارك الصلاة أرخصها والأقوات فارغة وأغلبها والأقوات ملآنة أى فارغ محلها وملآن محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع من أن يكون ذلك حجرا آخر أو يكون هو ذلك الحجر وما ذكر مكتوب فى محل آخر منه أى وفى الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن أبيه أنهم وجدوا كتابا بأسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال إن فيه لحرفا لو حدثتكموه لقتلتمونى قال وظننا أن فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جدة أي الذى به جدة الآن وكان ساحل مكة قبل ذلك الذى يرمى به السفن يقال له الشعيبية بضم الشين فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبية ساحل مكة انكسرت وفى لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم إلى الكنيسة التى خرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبية بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها أى كسرها فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها فأعدوه لسقف الكعبة وقيل هابوا هدمها من أجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما أرادوا القرب منه أى البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينا هى ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله طائراً أعظم من النسر فاختطفها وألقاها في الحجون فالتقمتها الأرض قيل وهى الدابة التى تكلم الناس يوم القيامة وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب أجياد وفى حديث أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه الدابة التى تكلم الناس فأخرجها له من الأرض فرأى منظراً هاله وأفزعه فقال أى رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا أى بعد أن اجتمعوا عند المقام وعجوا إلى الله تعالى ربنا لن نراع أردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فأتمه واشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية وإلا فما بدا لك فافعل فسمعوا فى السماء صوتا ووجبة وإذا بالطائر المذكور أخذها وذهب بها الى اجياد فقالوا اما ذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا أخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومى الذى كان بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاؤا به معهم إلى مكة أو هو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان نجاراً وتلك الأخشاب هى التى اشتروها من تلك السفينة التى كسرت * أقول مع أخذ الطائر لتلك الحية يجوز أن

اول من بادر الى التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر رضى الله عنه كان يوما عند حكيم بن حزام إذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم فى هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى عليه السلام فانسل ابو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له واخبره بان الله ارسله فقال صدقت بابى وامى أنت واهل الصدق أنت أنا أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله ولما سمعت خديجة رضى الله عنها مقالة أبى بكر رضى الله عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذى هداك يا ابن ابى قحافة  وقد جاء فى تفسير قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ان الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه قال ابن اسحق بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مادعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وترددا الا ما كان من أبى بكر رضى الله عنه ماعكم عنه حين ذكرته له أى انه بادر به قال السهيلى وكان من اسباب توفيق الله له انه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بان النبى المنتظر الذى قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير فى أسد الغابة عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه خرج الى اليمن قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال احسبك حرميا قلت نعم قال واحسبك قرشيا قلت نعم قال واحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة قلت وما هى قال تكشف لى عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرني لم ذاك قال اجد فى العلم الصحيح الصادق ان نبيا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل أما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة وما عليك ان تريني ما سالتك فقد تكاملت لى فيك الصفة الا ما خفى على قال فكشفت له بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال انت هو ورب الكعبة

---

يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحق وبين هذا الظاهر فى انهم هدموها عند أخذ الطائر لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله أعلم أى ثم لما أرادوا بنيانها تجزأتها قريش أى بعد أن أشار عليهم بذلك أبو وهب وعمر بن عائذ فقال لهم إنى أرى ان تقسموا أربعة أرباع فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم بنى عمرو وكان شق الحجر أى الجانب الذى فيه الحجر الآن لبنى عبد الدار ولبنى أسد ولبنى عدي والذى فى كلام المقريزى كان لبنى عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر أى وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله أى الجانب الذى فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليمانى الى الركن الاسود هذا كلامه فليتأمل وفى كلام بعضهم وسمى الركن اليمانى باليمانى لان رجلا من اليمن بناه وكان البانى لها باقوم النجار أى الذى هو مولى سعيد بن العاص *أقول وكان المناسب أن يكون الذى بناها باقوم الرومى الذى كان صحبة السفينة التى كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وسيأتى التصريح بذلك وأما باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه كان نجارا الا أن يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بناء واشتهر بالوصف الاول فكان البانى لها وفيه يحتمل أن يكون باقوم الرومى البناء كان نجارا أيضا واشتهر بالوصف الاول ثم رأيت فى كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان أى باقوم الرومى نجارا بناء فقول القائل وكان البانى لها باقوم النجار مراده باقوم الرومى لا مولى سعيد * ثم رأيت فى بعض الروايات ما يؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومى بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتأخذ خشبها أى السفينة التى كسرت فوجدوا الرومى الذى فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت الروايتان على انه موصوفا بالوصفين ويحتمل أن يكون أحدهما بناها والآخر عمل سقفها أو انهما اشتركا فيها لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رأيت عن ابن اسحق وكان بمكة قبطى يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم أى الرومى فالقبطى هو مولى سعيد بن العاص وحينئذ ففى هذه الرواية وصف باقوم الرومى بانه كان نجارا كالرواية التى قبلها وسيأتى فى الرواية التى تلى هذه انه الذى بناها وهى فى الاصابة اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان فى سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فاخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومى أسلم ثم مات فلم يدع وارثا فدفع النبى صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو ثم لما بنوها جعلوها مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من أسفلها الى أعلاها وزادوا فيها تسعة أدرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا فى درج وضاقت بهم النفقة على بنيانها على تلك القواعد

وانى أوصيك بماهو فى أمره قلت وماهو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن اربى ثم أتيت الشيخ لأودعه فقال أحامل أنت منى أبياتا الى ذلك النبي قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش فقلت نابكم أوظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم ابى طالب يزعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شىء وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى فقلت يامحمد قد حت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال (١٧٢) انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذى لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذى افادك الابيات قلت ومن اخبرك بهذا ياحبيبى قال الملك المعظم الذى يأتى الانبياء قبلى قلت مديدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى وفى رواية فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا منى باسلامى ولا اشد سرورا باسلامى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزرقانى يمكن الجمع بينه وبين ماتقدم من انه بلغه امر النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماعه بحكيم ابن حزام بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه بعد اسلام خديجة وتحقق الامر عندها فلقى صناديد قريش عند وصوله ثم اجتمع بحكيم ابن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر اسلامه بين يديه ولما أسلم أظهر اسلامه للناس ودعا الى الله ورسوله وفي السيرة الحلبية أن أبا بكر رضى الله عنه لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه رضى الله عنه نعم القادر الله وخاتم عمر كفى بالموت واعظا ياعمر وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وخاتم على الملك لله وخاتم ابو عبيدة الحمد لله وفى المراهب وشرحها روى عن الحسن ان على بن أبي طالب رضى الله عنه جاءه رجل فقال ياأمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وأنت أسبق سابقة الى الاسلام وأورى منه منقبة فقال له على رضى الله عنه ويلك ان أبا بكر رضى الله عنه

فاخرجوا منها الحجر * وفى لفظ اخرجوا من عرضها أذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة *ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى اعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى أى تحالفوا على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم فى حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم أربع أو خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وكان أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة أسن قريش كلها يومئذ أى وهو والد أم سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفى كل من سافر معه الزاد أى وذكر بعضهم ان ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا ومسافر بن أبي عمرو بن أمية وأبو أمية بن المغيرة وهو أشهرهم بذلك وفى كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا امية بن المغيرة وحده يحتمل ان المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وأبو أمية هذا مات على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم اى وهو باب بنى شيبة وكان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبد شمس الذى يقال له الآن باب السلام *وفى لفظ أول من يدخل من باب الصفا اى وهو المقابل لما بين الركنين اليمانى والاسود ففعلوا أى وفى كلام البلاذرى ان الذى أشار على قريش بأن يضع الركن أول من يدخل من باب بنى شيبة مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى بأبى حذيفة كما يكنى بأبى أمية ومهشم لقبه وان الراوى عنه اختلف كلامه فتارة قيل عنه يقضى بينكم وتارة قيل عنه بضع الركن والمشهور الاول ويدل له ما يأتى فكان أول داخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد أى لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية لانه كان لا يدارى ولا يمارى فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به أى وفى رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه فى الارض أى ويقال انه كساء أبيض من متاع الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فاخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب اى بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة وكان فى الربع الثانى زمعة وكان فى الربع الثالث ابو حذيفة بن المغيرة وكان فى الربع الرابع قيس بن عدى حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم أى ولما مات أبو أمية بن المغيرة رثاه ابو طالب بقصيدة طويلة ورثاه أبو جيجة بقوله

ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حامد

ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن أى الحجر ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشد به الركن فغضب النجدى وقال واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عمدوا الى رجل أصغرهم سنا وأقلهم مالا فرأسوه عليهم فى مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له أما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا فكاد يثير شرا فيما بينهم ولعل هذا النجدى هو ابليس فقد ذكر السهيلي أن ابليس تمثل فى صورة شيخ نجدى حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن من يرفعه وصاح يامعشر قريش أرضيتم أن يلى هذا الغلام دون اشرافكم وذوى أنسابكم اه وانما تصور بصورة نجدى لأن في الحديث نجد طلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا وفى يمننا قالوا وفى نجدنا فأعاد الاول والثانى قال هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان * أقول سيأتى انه تصور بهذه الصورة أيضا عند دخول قريش دار الندوة ليتشاوروا فى كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسيأتى ثم فى حكمة تصوره بذلك غير ماذكر ولا مانع أن يكون حكمة لما هنا ولما يأتى وأعادوا الصور التى كانت فى حيطانها الا انه كان فى حيطانها صور الانبياء بأنواع الأصباغ ومن جملتهم صورة ابراهيم وفى يده الازلام أى واسمعيل وفى يده الازلام وصورة الملائكة وصورة مريم كما سيأتى فى فتح مكة وكساها زعماؤهم أرديتهم وكانت من الوصائل ولم يكسها أحد بعد ذلك حتى كساها صلى الله عليه وسلم الحبرات فى حجة الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة أى من بناء الكعبة بناء على أن أول من بناها الملائكة * ففى بعض الآثار ان الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق السموات والارض كان عرشه على الماء أى العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن فلما أراد أن يخلق السموات والارض أرسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم أزال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس وفى لفظ أرسل على الماء ريحا هفافة فصفق الريح الماء أى ضرب بعضه بعضا فأبرز عنه خشفة الحديث وبسط الله سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهى أصل الارض وسرتها وقد يخالفه ما فى أنس الجليل كذا روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال وسط الدنيا بيت المقدس وأرفع الارضين كلها الى السماء بيت المقدس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومعاذ بن جبل أنه أقرب الى السماء باثنى عشر ميلا ثم بين ذلك فى أنس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال فكان أول جبل وضع عليها أبو قبيس وحينئذ كان ينبغى أن يسمى أبا الجبال وأن يكون أفضلها مع أن أفضلها كما قال الجلال السيوطى استنباطا أحد لقوله صلى الله عليه وسلم أحد يحبنا ونحبه ولما ورد انه

سبقنى إلى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشئ سبقنى إلى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته فى الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرنى قريش وتستوفيه والله لو أنا أبا بكر زال عن مزيته ما أبلغ الدين العبرين أى الجانبين ولكان الناس كرعة كرعة طالوت ويلك أن الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وقوله سبقنى الى افشاء الاسلام يدل على أسبقية اسلام على رضى الله عنه وان أبا بكر رضى الله عنه انما سبقه الى الافشاء والتحقيق ان كلا من أبى بكر وعلى رضى الله عنهما بادر بالتصديق والاسلام وعلى رضى الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وفى بيته فيحتمل أنه أسلم مع اسلام خديجة رضى الله عنها ويحتمل انه قارن اسلامه اسلام أبى بكر رضى الله عنه ومثل ذلك زيد بن حارثة رضى الله عنه فانه كان مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان من السابقين فى الاسلام وكذا بلال رضى الله عنه كان من السابقين فى الاسلام ففى بعض الاحاديث أن أول الناس اسلاما خديجة رضى الله عنها وفى بعضها أبو بكر رضى الله عنه وفى بعضها على رضى الله عنه وفى بعضها زيد بن حارثة رضى الله عنه وفي بعضها بلال رضى الله عنه قال الحافظ ابن الصلاح والاورع أن لا يطلق القول فى تعيين أول المسلمين بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الأحرار ابو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وقال المحب الطبرى الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين واول ذكر اسلم على بن ابى طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم كان مستخفيا باسلامه واول رجل عربى بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر واول من اسلم من الموالى زيد بن حارثة الكلبي وروى ابن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابا بكر رضى الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وهم يريدون الشام فى تجارة فسمع ابو بكر رضى الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال

من هذا الذي تحت الشجرة فاجابوه بانه محمد بن عبدالله فقال هذا نبي الخ ماتقدم فوقع في قلب ابي بكر اليقين حينئذ وفي رواية لقد آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوي وهو اليقين بصدقه وهو ماوقر وثبت في قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي انه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة كما تقدم قال الحلبي في السيرة وبنات النبي صلى الله عليه وسلم كن موجودات عند البعثة فيبعد تأخر ايمانهم فهي من أول الناس ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن اشراك فلم يذكرن مع أول من آمن اكتفاء بذلك ولايمان  أمهن ولذلك قال الحافظ بن كثير ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل كل احد خديجة وبناتها وزيد وزوجته وعلى رضي الله عنهم * وأما فاطمة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة فلا يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة اسلمت خديجة وبناته صلى الله عليه وسلم وكان ابو العاص زوج زينب عظيما في قريش فكلمته قريش في فراقها على أن يتزوج من احب نسائهم فأبى ولا يشكل تزويجه لزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لأن تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية وقد كفاه الله ولده ابي لهب فطلقاها قبل الدخول ثم تزوجتا بعثمان رضي الله عنه ولقد واحدة بعد واحدة واما ابو العاص فاسلم وهاجر وبقيت زينب رضي الله عنها عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت احدا الا راجعني في الكلام وابى على الا ابن قحافة فاني لم أكلمه في شيء الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان اسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر اتاني جبريل فقال ان الله امرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفي عمر رضي الله عنهما وشاورهم في الامر فكان ابو بكر رضي الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها وقد جاء ان الله ايدني باربعة وزراء واثنين من أهل السماء

على باب من أبواب الجنة قال ولانه من جملة أرض المدينة التي هي أفضل البقاع أي عنده تبعا لجمع ولانه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ اذ تصعدون ولا تلوون على أحد أي بضم الهمزة والحاء ثم فتق الارض فجعلها سبع ارضين وقد جاء بدأ الله خلق الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا يظهر التوقف في قول مغلطاي ان لفظه بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت ان الارض خلقت قبل السماء غير مدحوة ثم بعد خلق السماء دحى الارض ثم رأيت بعضهم سأل ابن عباس عن ذلك حيث قال له ياامام اختلف على من القرآن آيات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الاخرى أم السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أما قوله خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض وأما قوله والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وبه يرد قول بعضهم خلق السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتأمل وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة أي لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه أي وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل ولما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ماحاذاها الذي هو محل البيت المعمور * وعن كعب الاحبار رضي الله عنه لما أراد الله تعالى أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة لها شعاع عظيم * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما أجاب من الارض الا تلك الطينة أي وقد ذكر الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق رضي الله عنه اتعرف يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يارسول الله سألتني عن يوم المقادير يعني يوم ألست بربكم

جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر وفى حديث صحيح ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده فى الصحابة وجعله أول من أسلم وبعضهم قال انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام وبعضهم جعله من أهل الفترة * وأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسيأتى ذكر اسلامه فى باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتى أيضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الأولى وقبل الثانية فى السنة السادسة من المبعث * واما عثمان بن عفان رضى الله عنه فيأتى ذكر اسلامه قريبا فى عداد من أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه * وأما حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فسيأتى ذكر قصة اسلامه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الاذايا لأن بعض تلك الاذايا كان سبب اسلامه رضى الله عنه وسيأتى أيضا ان اسلامه كان فى السنة الثانية من النبوة وقيل فى السادسة ثم أسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه وتقدم أن بعضهم جعل اسلامه اسبق من اسلام أبى بكر رضى الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بأنه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أول من أسلم من الاحرار البالغين وعن سلمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول الناس ورودا على الحوض أولها اسلاما على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما زوجه النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها قال لها زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه لأول أصحابى اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمانى سنين وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لأن قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ انت واحدا فجاآ اليه وقالا له انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه

ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد سئل الشيخ على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاته لم لم تتكلم الأنبياء بلسان الباطن الذى تكلم به الصوفية فأجاب بأنه انما لم تتكلم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك لأجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الافهم العامة دون فهم الخاصة الابعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله تعالى عنه أتعرف يوم يوم فقال نعم يارسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى بها من مكة الى محل تربته صلى الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون أصل طينته صلى الله عليه وسلم بمكة أن يكون مدفنه بها لأن تربة الشخص تكون فى محل دفنه ثم عجنها بطينة آدم ولعل هذه الطينة هى المعبر عنها بالنور فى قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له جابر يارسول الله اخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال ياجابر ان الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ولم يكن فى ذلك الوقت لا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث * وجاء أول ما خلق الله نورى وفى رواية أول ما خلق الله العقل قال الشيخ على الخواص ومعناها واحد لأن حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الأنبياء والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية فى الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا لا يناسبه قوله ولم يكن فى ذلك الوقت لا سماء ولا أرض اذ كيف يأتى ذلك مع قول كعب الاحبار أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض الى آخره ومع قول ابن عباس أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا أن يقال ان ذلك النور بعد ايجاده أودع تلك الطينة التى هى قلب الارض وسرتها وحينئذ لا يخالف ذلك ما جاء ان الله خلق آدم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالى لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس هذا وقد جاء فى حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة وجاء خلق الله آدم من تربة دجنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودجنا محل قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره وجعل نوره فى ظهر آدم ولما خلق الله آدم وقبل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور من ظهره وأخذ عليه العهد ألست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه من بنى آدم فان بنى آدم ما أخرجوا من ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح فى آدم ونقل بعضهم ان الله تعالى لما أخرج الذر وأعاده فى صلب آدم أمسك روح عيسى الى أن آتى وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان أخذ العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح فى آدم وأخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ

أليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسمية علي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وغذاه أياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها انها قالت لما ولدته سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ماشاء الله تعالى وعنها رضي الله عنها انها أرادت في الجاهلية أن تسجد لهبل وهي حامل بعلي رضي الله عنه فتقوس



في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي رضي الله عنه أصغر اخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب كذلك فكل واحد أكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم اسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل رضي الله عنه أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت أعلم من حب عمي اياك * وسبب اسلام علي رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سواء فقال ماهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي رضي الله عنه هذا أمر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى أحدث أباطالب وكره رسول الله بنت
صلى الله عليه وسلم ان يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له ياعلي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم على يديه وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضي الله عنها وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي لان صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضي الله عنها كانت آخر يوم الاثنين وكان علي رضي الله عنه يخفي اسلامه خوفا من أبيه الى ان اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فاظهره حينئذ وفي أسد الغابة

فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم أتعرف يوم يوم وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أي حين أخذ العهد على بني آدم لا حين أخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر فليتأمل ثم لما نفخت الروح في آدم صار ذلك النور في ظهر آدم فصارت الملائكة تقف صفوفا خلف آدم يتعجبون من ظهور ذلك النور فقال آدم يارب مابال هؤلاء ينظرون الى ظهري قال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء الذي أخرجه من ظهرك فسأل الله تعالى أن يجعله في مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله الله في جبهته ثم سأل الله تعالى أن يجعله في محل يراه فكان في سبابته فلما أهبط آدم الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يارب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء قال نعم نور اخصاء أصحابه فقال يارب اجعله في بقية أصابعي فكان نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الابهام فلما أكل من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره كذا في بحر العلوم عن ابن عباس ثم انتقل ذلك النور من آدم الى ولده شيث ولما قال تعالى للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها يعنون الجن الذين أفسدوا فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملائكة أي علمت ان ماقالوا ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من فوقهم فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة أطواف يسترضون ربهم فرضي عليهم وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا لي بيتا في الأرض يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم أي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فارضى عنهم فبنوا الكعبة وفي هذه الرواية اختصار بدليل ماقيل وضع الله تحت العرش البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت أي لارضى عنكم ثم قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره اي ففعلوا وقدره عطف تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر وفي لفظ لما قال تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا أن يكون الله تعالى عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتا وفي كل أرض بيتا قال مجاهد هي أربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور في السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة في الارض واسم البيت الذي في السماء الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل سماء بيت تعمره الملائكة بالعبادة كما يعمر أهل الارض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف في كل أوان ولينظر مامعنى بناء الملائكة للبيوت في السموات واذا لم يصح ان الملائكة

لابن الأثير أن أباطالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصل على يساره فاسلم جعفر رضى الله عنه وكان اسلامه بعد اسلام أخيه على رضى الله عنه بقليل وكان اسلام على رضى الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمشى * يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكني وعرسى * مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا احمد ابناى منها (١٧٧) * فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى هذا الشعر مما يجب على كل متوان فى على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام وزعم المازنى وصوبه الزمخشرى أن عليا رضى الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ذكره فى القاموس قال الزرقانى وهو مردود بما فى مسلم فى غزوة خيبر من قول على رضى الله عنه مجيبا لمرحب اليهود

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار فى عمارة المسجد النبوى

﴿ ٢٣ ـ حل ـ أول ﴾ عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت قال على رضى الله عنه لا يستوى من يعمر المساجد يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا ولم يتقدم من على رضى الله عنه شرك أبدا لأنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كفالته كاحد اولاده تبعه فى جميع أموره وفى الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب وآسية امرأة فرعون وفى حديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان أبا بكر رضى الله عنه كذلك ولما علم

بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش هى المرة الثالثة بناء على ان أول من بناها آدم صلى الله عليه وسلم أى أو ولده شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الآثر ين الدالين على أن أول من بناها الملائكة لم يصح واحد منها وكانت قبل ذلك أى وكان محلها قبل بناء آدم لها خيمة من ياقوتة حمراء نزلت لآدم من الجنة أى لها بابان باب من زمرد أخضر شرقى وباب غربى من ذهب منظومان من در الجنة فكان آدم يطوف بها ويانس اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا أربعين حجة ويجوز أن تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وعبر عنها بحمراء لأن سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمراء قال وذكر أن آدم لما اهبط الى الأرض كان رجلاه بها ورأسه فى السماء وفى لفظ كان رأسه يمسح السحاب فصلع فاورث ولده الصلع أى بعض ولده فسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستأنس بذلك فهابته الملائكة أى صارت تنفر منه فشكا الى الله تعالى فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع آدم فلما فقد أصوات الملائكة حزن وشكا الى الله تعالى فقال يا آدم انى قد اهبطت بيتا يطاف به أى تطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى أى كان ذلك أى الطواف بالعرش والصلاة عنده شأن الملائكة أولا فلا ينافى ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه أى طف به وصل عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التى أنزلت لأجله وقد علمت انه يجوز أن تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وقيل اهبط آدم وطوله ستون ذراعا أى على الصفة التى خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى آدم على صورته وطوله ستون ذراعا أى أوجده الله تعالى على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة أحوالا بل خلقه كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح فالضمير فى صورته يرجع لآدم وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته أى حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته تخرج على سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضربه على وجهه فان الله تعالى خلق آدم على صورته أى صورة هذا الرجل فهو ينتقل أطوارا ولا يخفى انه هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله أوجده وهذا القيل المتقدم من انه اهبط آدم وطوله ستون ذراعا يوافقه ما جاء فى الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا فى سبعة أذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ بن حجر اما روى ان آدم لما أهبط كانت رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا أى الذى تقدم ظاهر الخبر الصحيح يخالفه وهو انه خلق فى ابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان آدم أمرد وفى الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وقد جاء فى صفة أهل الجنة جرد مرد على صورة آدم * وفى بعض الاخبار ان آدم لما كثر بكاؤه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح

أبو طالب بإسلام علي رضي الله عنه وصلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه أي بني ما هذا الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه لم يدعك إلا الى الخير فالزمه ويذكر عنه انه كان يقول اني لاعلم ان ما يقوله ابن أخي لحق ولولا اني أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجع كذلك ثم ان



أبا طالب عثر أي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني الى الله تعالى وأعانني عليه فقال له أبو طالب اني لا أستطيع ان افارق دين آبائي وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من باس ولكن والله لا تعلوني استي أبدا وهذا ينبغي ان يكون صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر صِلْ جناح ابن عمك وصَلِّ على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى عن علي رضي الله عنه انه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الفعل الذي أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا لأني لا أحب أن تعلوني استي فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على أبي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله رضي الله عنه أفردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل * ثم أسلم بعد اسلام علي رضي الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضي الله عنها لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد ممن سباه من الجاهلية لأن عمته خديجة رضي الله عنها أمرته أن يبتاع لها

---

ولم تنبت اللحية إلا لولده وكان مهبطه بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدمي آدم وذروة هذا الجبل أقرب ذرا جبال الأرض الى السماء ولعل هذا وجه النظر الذي أبداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان أصل الطيب بالهند وعن عطاء بن أبي رباح أن آدم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيب الناس بها وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما أمر آدم بالخروج لتلك الخيمة خرج اليها ومد له في خطوه قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام فقد قيل لمجاهد هل كان آدم يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وفيه ان هذا يقتضي ان آدم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الأنبياء كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم وقيض الله تعالى له ما كان في الأرض من مخاض أو بحر فلم يكن يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا وصار بين كل خطوة مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا خيمة في موضع الكعبة أي الموضع الذي به الكعبة الآن وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة مجوفة أي ولها أربعة أركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها ما بين السماء والأرض كذا في بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافي ما تقدم انه يجوز أن تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور ووصف بأنه ياقوتة حمراء لأن سقفه كان ياقوتة حمراء لأن التعدد بعيد فليتأمل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من أرض الجنة وكان كرسيا لآدم يجلس عليه أي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة * أقول وهذا السياق يدل على ان آدم اهبط من الجنة الى أرض الهند ابتداء وذكر في مثير الغرام عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى أهبط آدم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بأرض الهند فمكث هنالك ما شاء الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخط فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور أيضا يدل على ان الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج آدم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه ما في مثير الغرام وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كانه لؤلؤة بيضاء فاخذه آدم فضمه اليه استئناسا به هذا كلامه * وفي رواية عنه أنزل الركن والمقام مع آدم ليلة نزل آدم من الجنة فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وأنس بهما فليتامل الجمع * وفي رواية ان آدم نزل بتلك الياقوتة أي فعن كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف

حول

حول عرشي ويصلي حوله كما يصلي حول عرشي أي على ما تقدم ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت أي تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال في الجمع يجوز أن تكون المعية ليست حقيقية والمراد انه نزل بعده قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافي ما تقدم من قوله يا آدم اني قد أهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجاء ان آدم نزل من الجنة ومعه الحجر الأسود متأبطه أي تحت أبطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس ضوءه ما استطاع أحد ان ينظر اليه وكون آدم نزل بالحجر الأسود متأبطا له يخالف الرواية المتقدمة أنه نزل مع تلك الخيمة التي هي الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وأيضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ما روي عن وهب بن منبه رحمه الله ان آدم لما أمره الله تعالى بالخروج من الجنة أخذ جوهرة من الجنة أي التي هي الحجر الاسود فمسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت أمره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل وفي بهجة الأنوار ان الحجر الاسود كان في الابتداء ملكا صالحا ولما خلق الله تعالى آدم أباح له الجنة كلها الا الشجرة التي نهاه عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على آدم أن لا يأكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى ان آدم يأكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الى ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا ألا ترى انه جاء في الاحاديث الحجر الاسود يأتي يوم القيامة وله يد ولسان وأذن وعين لأنه كان في الابتداء ملكا *أقول ورأيت في ترجمة كلام الشيخ كمال الدين الاخميمي انه لما جاور بمكة رأى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان ورجلان أو وجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد جاء أكثروا من استلام هذا الحجر فانكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة اذ أصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا يترك شيئا من الجنة في الارض الا أعاده فيها قبل يوم القيامة أي فقد جاء ليس في الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى وجاء استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة والله أعلم * وجاء ان آدم أتى ذلك أي تلك الخيمة أي التي هي البيت المعمور على ما تقدم الف مرة من الهند ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة وأول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة وقال يا آدم بر نسكك أما انا قد طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين الف سنة وفي رواية لما حج آدم استقبلته الملائكة بالردم أي ردم بني جمح الذي هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام *أقول وفي تاريخ مكة للازرقي ان آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملائكة لقيته

غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع وعمره ثمان سنين وقد أسر من أخواله طيء قال السهيلي ان أمه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة رضي الله عنها أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أي اشتراه لها فلما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجبه فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي وقيل ان الذي اشتراه لخديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضي الله عنها  فقال رأيت غلاما بالبطحاء أوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لأعتقته قالت هو لك فأعتقه قال أبو عبيدة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو اسم جده قصي ثم انه خرج بابل لأبي طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربي أنت أم عجمي قال عربي قال ممن أهلك قال من كلب قال من أي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت قال في أخوالي قال من أخوالك قال طيء قال ما اسم أمك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على أهله وولده وزرقت منه حبا فلا أصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفي رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه قال الحلبي وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس فلما جاء أهله في طلبه ليفدوه خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لما قدم أبوه وعمه في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن

عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقال وماذاك قالوا زيد بن حارثة قال أوغير ذلك قالوا وماهو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على الذى اختارنى فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال أتعرف هؤلاء قال نعم أبى وعمى ولم يذكر أخاه لاستصغاره ولان الخطاب كان معهما وفى رواية ذكرها السهيلى ان زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم  من هذان قال هذا أبى حارثة بن شرحبيل وهذا عمى كعب بن شرحبيل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنا من علمت وقد رأيت صحبتى فاخترنى أو اخترهما فقال زيد ما أنا بالذى اختار عليك أحدا أنت منى مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما أنا بالذى أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى أخرجه الى الحجر الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابنى ارثه ويرثنى فطابت أنفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه حين تبناه النبى صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابنى وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وأرثك تطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر أمر الاسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث *وفى أسد الغابة ان حارثة أسلم وقيل لم يثبت اسلامه الا المنذرى ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر فى القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو رضى الله عنه فى قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا قال ابن الجوزى الامايروى فى بعض التفاسير أن السجل الذى فى قوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أبدى السهيلى حكمة لذكر

بالمازمين فقالوا برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام والمازمان موضع بين عرفة والمزدلفة قال الطبرى ودون منى أيضا مازمان والله أعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجاء انه وجد الملائكة بذى طوى وقالوا له يا آدم مازلنا ننتظرك ههنا منذ الفى سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم وكونها لقيته بالمازمين وكونه وجدهم بذى طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بألف عام وكونهم حجوا قبله بالفى عام وبخمسين الف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة أم خلقوا اجيالا بعد جيل * ومما يدل على أنهم جيلا بعد جيل ماجاء من نحو من قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها الى يوم القيامة وماجاء أن جبريل فى كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن فى سفر السعادة الحديث المنسوب الى أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله تعالى جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور ينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شىء ولم يثبت فى هذا المعنى حديث هذا لفظه والله أعلم وعند ذلك قال آدم للملائكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله فكان آدم إذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار أى ولما فرغ عن الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم أتى الملتزم أى محله فقال اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنبى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى الحديث * أقول قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن أن يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعنية بقوله تعالى لآدم قد أهبطت بيتا الى آخر ما تقدم أو كونها أهبطت مع آدم بل المراد محل ذلك البيت الذى هو الخيمة قبل أن تنزل ويجوز أن يكون المراد تلك الخيمة او نفس تلك الخيمة بناء على أنها البيت المعمور وان الملائكة طافوا بها قبل نزولها الى الأرض كما تقدم قال وعن وهب ابن منبه قرأت فى كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الأرض الأمره بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلى فى جوفه ركعتين ثم يصعد * أقول يجوز أن يكون المراد باحرامه بنية الطوف بالبيت لا احرامه بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى آخره ويجوز أن يكون المراد بالبيت فى كلام وهب محل تلك الخيمة ما يعم من وجد من الملائكة وبمن بعث بعد ذلك ولا يخفى ان الاول يبعده قوله حتى يستلم الحجر وعلى الثانى يكون فيه دلالة على ان الحجر الأسود كان فى تلك الخيمة يبتدأ الطواف بها منه وجاء عن عطاء وسعيد ابن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل أوحى الى آدم أن اهبط إلى الارض ابن لى بيتا ثم احفف به كما

رأيت

زيد باسمه فى القرآن وهى انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه فى القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر فى القرآن امرأة باسمها إلا مريم رضى الله عنها ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم رضى الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر منى وأنا ولدت قبله أى لأن زيداً أفضل منه لسبقه إلى الاسلام * وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضى الله عنها أم الفضل زوج العباس وهى لبابة بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة رضى الله عنها * ومن السابقات إلى الاسلام أسماء بنت أبى بكر



وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنها وأم أيمن بل ينبغى أن تكون سابقة على أم الفضل

﴿ بيان من أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه ﴾

لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه دعا إلى الله فأسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه قال عثمان رضى الله عنه أخبرتنى خالتى سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية رضى الله عنها أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم وحثنى على أتباعه وكان لى مجلس من الصديق رضى الله عنه فجئته فاصبته وحده وصرت متفكراً فسألنى عن تفكرى فأخبرته بما سمعت من خالتى فحثنى أبو بكر رضى الله عنه ورغبنى فى الاسلام قال فما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على رضى الله عنه يحمل له ثوبا فقام أبو بكر رضى الله عنه فسار النبى صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل على فقال أجب الله تعالى إلى جنته فانى رسول الله اليك وإلى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته أن قلت أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله ثم لم ألبث أن زوجنى رقية رضى الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضى الله عنه كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل قال رضى الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن أبى لهب بنته رقية فدخلتنى حسرة ان لا أكون سبقت اليها فانصرفت إلى منزلى فوجدت خالتى سعدى بنت كريز فأخبرتنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم وذكر قصة إسلامه ثم لم ألبث أن تزوجت رقية أى بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها كما يأتى

---

رأيت الملائكة تحف ببيتى الذى فى السماء * وفى رواية وطف به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى أى على ما تقدم وهذا السياق بظاهره يوافق ما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن هبوط آدم كان من الجنة إلى موضع الكعبة ابتداء والله أعلم قال وجاء أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيا أى قال لهما أن الله تعالى يقول لكما ابنيا لى بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اجابه الماء ونودى من تحته حسبك يا آدم * وفى رواية حتى إذا بلغ الأرض السابعة فقذفت فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا اه وفيه أنه ان كان أمر آدم ببناء البيت بعد مجيئه إلى تلك الخيمة من الهند ماشيا خالف ظاهر ما تقدم عن عطاء وسعيد بن المسيب أوحى الله تعالى إلى آدم ان اهبط إلى الأرض ابن لى بيتا إذ ظاهره أنه أوحي اليه بذلك وهو فى الجنة الا أن يقال المراد بالأرض فى قوله اهبط الى الأرض أرض الحرم أى اذهب الى أرض الحرم ابن لى بيتا ثم لا يخفى أن قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضى أن إلقاء الملائكة الصخر كان بعد حفر آدم وهو لا يخالف ما تقدم عن كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال يا آدم هذا بيتى أنزلته معك ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون إلقاء الملائكة للصخر بعد حفر آدم فلما تم ذلك الاس جعل ذلك البيت فوق تلك الصخور ويكون المراد بقوله ونزل معه الملائكة أى صحبوه من أرض الهند إلى أرض الحرم * وجاء فى بعض الروايات أن آدم وحواء لما اسماه نزل البيت من السماء من ذهب أحمر وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل الركن فوضع موضعه اليوم من البيت فطاف به آدم أى كما كان يطوف به قبل ذلك وبهذا تجتمع الروايات وحينئذ لا مانع أن ينسب بناء هذا الأساس الذى وضعت الملائكة عليه تلك الخيمة لآدم وأن ينسب للملائكة أما نسبته للملائكة فواضح وأما نسبته لآدم فلأنه السبب فيه أو لأنه كان إذا ألقت الملائكة الصخر يضع آدم بعضه على بعض وعلى نسبة بناء ذلك الاس للملائكة ولآدم يحتمل القول بأن أول من بنى الكعبة الملائكة والقول بأن أول من بنى الكعبة آدم فليتأمل وقد جاء أن آدم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا جبل بين مصر وإيليا * وفى كلام بعضهم أنه جبل بالشام وهو الذى نودى منه موسى عليه الصلاة والسلام ومن جودى وهو جبل بالجزيرة ومن حرا حتى استوى على وجه الأرض * أقول وفى رواية بناه من ستة أجبل من أبى قبيس ومن رضوى ومن أحد فالمتحصل من الروايتين أنه بناه من ثمانية أجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذى هو الخيمة إلى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الغرق بعث الله تعالى سبعين ألف ملك فرفعوه الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور كما فى الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه الماء النجس وبقيت قواعده التى هى الاس وفى العرائس ثم طافت

ثم بعد ان توفيت تزوج باختها أم كلثوم ولذا لقب بذى النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره رضى الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة فى الوتر وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان رضى الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا احلك ابدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضى الله عنه ليرجع عن الاسلام ولا مانع من تعداد ذلك * وممن أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه الزبير بن العوام بن خويلد ابن اسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن ثمان سنين او اثنتى عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا * واسلم بدعاية أبى بكر رضى الله الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال كان أمية ابن خلف صديقا لى فقال لى يوما أرغبت عن اسم سماك به ابوك فقلت نعم فقال أنا لا أعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله فكان ينادينى بذلك *وسبب اسلام عبد الرحمن ابن عوف الزهرى المذكور رضى الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان ابن عواكن الحميرى فكان يسألنى هل ظهر فيكم رجل له نباله ذكر هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم فاقول لا حتى كانت السنة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لى بذلك قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها فى اخبار الكهان التى ليست على ألسنة الجان وفى آخرها فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاته فلما أتيت بيت خديجة رضى الله عنها رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من اخوانى

---

السفينة باهلها الارض كلها فى ستة أشهر لا تستقر على شىء حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور أى وكون حواء أسست البيت مع آدم يخالف ما جاء ان حواء اهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة آدم والى شىء من مكة لاجل خطيئتها وانها أرادت أن تدخل مع آدم الى مكة فقال لها اليك عنى قد خرجت من الجنة بسببك فتريدين ان احرم هذا فكان آدم اذا أراد أن يلقاها ليلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله اهبط آدم على جبل سرنديب بالهند أى وتقدم ما فيه وحواء بجدة بالحاء المهملة وقيل بالجيم فجاء آدم فى طلبها فتعارفا بالمحل الذى قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا بالمحل الذى قيل بسبب له ذلك جمع وزلفت اليه فى المحل الذى قيل له بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على أن جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من أن جمع هو مزدلفة الا أن يقال كل من المحلين من جملة البقعة واطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة وقيل سمى المحل عرفة لان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام المناسك وانتهى الى عرفة وقال له أعرفت مناسكك قال فسمى عرفة أى والمراد مناسكه الذى قبل عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتأمل * وفى الخصائص الصغرى عن رزين انه روى ان آدم عليه السلام قال ان الله أعطى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتى بمكة واحدهم يتوب فى كل مكان الحديث وهو يدل على أن توبته كانت بسبب طوافه بالبيت ويذكر ان حواء عاشت بعد آدم سنة وجاء ان آدم لما فرغ من بناء البيت أمره الله تعالى بالمسير الى ان يبنى بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له أى مسجد وضع فى الارض اولا المسجد الحرام قيل ثم أى قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعون سنة وحينئذ لا حاجة لجواب الامام البلقينى ان المراد ان المدة المذكورة بين ارضيهما فى الدحو أى دحيت أرض المسجد الحرام ثم بعد مضى مقدار اربعين سنة دحيت ارض بيت المقدس وفيه ان الامام البلقينى انما اجاب بذلك بناء على أن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو البانى للمسجد الحرام والبانى لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فان بينهما كما قيل اكثر من الف عام وكذا الاشكال اذا كان البانى للمسجد الحرام آدم والبانى لمسجد بيت المقدس أحد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم أجاب بعضهم بان سليمان انما كان مجدد البناء بيت المقدس وأما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن اسحق بعد بناء جده ابراهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكورة واما على البانى لهما آدم فلا اشكال وفى رواية ان اول من بنى الكعبة أى كلها بعد أن رفعت تلك الخيمة بعد موت آدم شيث ولد آدم بناها بالطين والحجارة أى فهى اولية اضافية ثم لما جاء الطوفان انهدم وبقى محله وقيل انه استمر ولم يبنه احد الى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام *ففى رواية

حقا وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنت أمين في أهل الارض أمين في أهل السماء وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار * وممن أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا سعد بن أبي وقاص الزهري احد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه لقيه أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الاسلام ورغبه فيه وحثه عليه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن أمره فاخبره به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالي فليرني امرؤ خاله وفي كلام السهيلي انه (١٨٣) عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت أليست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس اسافة ونائلة وكانوا يفتحون فاها اعني أم سعد في مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فابى أن يمتثل قولها وفيه انزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله ياأمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ماتركت دين محمد فكلي ان شئت أولا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت وفي الانساب للبلاذري عن سعد رضي الله عنه قال أخبرت أمي اني كنت اصلي العصر يعني الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها على باب تصيح ألا اعوان يعينوني عليه من عشيرتي أو عشيرته فاحبسه واطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الي ان عد الى منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني بأخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقي منها مالم يلق أحد من الصياح والأذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون على

رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد بناء الكعبة جاء جبريل فضرب بجناحه الارض فابرز عن أس ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد أي كما تقدم وهذا الاس كما علمت لآدم وللملائكة أولها وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ماجاء في بعض الروايات عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت أي بسبب الطوفان بدليل ماجاء في رواية قد درس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه اكمة حمراء وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض ومادعا عنده أحد الا استجيب له وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يحجه هود ولا صالح عليهما الصلاة والسلام لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجاء ان حول الكعبة لقبور ثلثمائة نبي وان ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي من الانبياء اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم وأتى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وجاء ما بين الركن اليماني والحجر الاسود روضة من رياض الجنة وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل في تلك البقعة * أقول ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسمعيل دفن حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لكن جاء ان قبر اسمعيل في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة الخضراء التي بالحجر قبر اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد يقال لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت فجيء بهما ودفنا في تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما لم يحجا أي ويدل له انه قد جاء حجه هود وصالح ومن آمن معهما * وفي بعض الروايات لم يحجه بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء ويحتاج الى الجمع بينه وبين ماتقدم من ان كل نبي اذا كذبه قومه الى آخره على تقدير صحتها وقد يقال لا يحتاج الى الجمع الا ان يثبت ان بين نوح وابراهيم أحدا من الانبياء كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول بأنهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجاء في حديث راويه مبروك ان نوحا حجت به السفينة فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به أي بالحرم كما تقدم أن السفينة لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعي بين الصفا والمروة الا ان يراد بالسعي نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفي أنس الجليل ورد حديث شريف ان السفينة طافت ببيت المقدس أسبوعا واستوت على الجودي اى وجاء ان نوحا قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم الله وحول بيته لا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا ويذكر ان ولده حاما تعدى ووطيء زوجته فدعا عليه بأن يسود الله لون بنيه فأجاب الله دعاءه في أولاده فجاء ولده أسود وهو أبو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسواده غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش في فضائل

أمي وعلى أخي عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا الا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صباته فقلت لها والله ياأمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار * وممن اسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا طلحة بن عبيدالله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة لقيه أبوبكر رضي الله عنه فدعاه الى الله تعالى ورغبه في الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وله قصة كانت هي السبب الأول في اسلامه رضي الله عنه قال حضرت  سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبدالله ابن عبدالمطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبدالله الامين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فاخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر به فاسلمت ولما تظاهر أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى أسد قريش فشدهما في حبل يريد أن يفتنتا ويرجعا عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم أبيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيدالله التيمي فالاول أحد العشرة المبشرين بالجنة وهذا ليس كذلك وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال لئن مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ

الحبوش والله أعلم وقبر آدم وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس أي بعد نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جاء أن الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم أي رب أين ابنيه فاوحى الله تعالى اليه أن اتبع السكينة أي وهي ريح لها وجه كوجه الانسان أي وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به أي وفي الكشاف في تفسير السكينة التي كانت في التابوت الذي هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وعن علي رضي الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشف لابراهيم واسمعيل صلى الله عليهما وسلم ما حول البيت من أساس البيت الأول * وفي رواية أرسل الله سحابة فيها رأس فقال الرأس يا ابراهيم ان ربك يأمرك ان تأخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الرأس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز عن أس الى آخره وجاء ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطائر المعروف أي وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها الا انه صفيرا مختلفا يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه الى القرب منه فاذا قرب منه قصمه من ساعته واكله ويقال له الصوام لانه ورد أنه أول طائر صام عاشوراء فعن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدي صرد فقال هذا أول طير صام عاشوراء لكن قال الذهبي هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد بن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذي ادعى النبوة في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوى أمره بعد موته صلى الله عليه وسلم قال خالد لبعض أصحابه ممن أسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحي فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وقد سمع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يامذنبين * وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع أن يكون ذلك صياحهما وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول لامن لا يرحم لا يرحم ويجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله يامذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله ياغافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد عن الناس أنس * وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه ليس من

الطيور

السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة أجل مقاما أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه نقله عن الحلبي في السيرة والحاصل انه أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ثم دخل الناس في  الاسلام ارسالا من الرجال والنساء * ومن السابقين الى الاسلام سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر رضي الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية زوج العباس رضي الله عنهما ومن السابقات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وأما عائشة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة بن الحرث ابن المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم اسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله والارقم ابن أبي الارقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الارقم * ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه وسبب اسلامه ماحدث به قال كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينزل عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص وهي التي لا ضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما

الطيور انصح لبني آدم واشفق عليهم من البومة تقول اذا وقفت عند خربة أين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد تزودوا يا غافلون وتهيئوا لسفركم * وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا طيرا أعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدري مايقول فقلت الله ورسوله أعلم فقال انه يقول اللهم انت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت جراءة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام أتدري مايقول قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لأعذبنك عذابا شديدا قال له الهدهد أذكر يانبي الله وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان صلوات الله وسلامه عليه ذلك ارتعد فرقا وعفا عنه أي فان الهدهد كان دليلا له على الماء فان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فلما افتقد سليمان الماء تفقد الهدهد فلم يجده فارسل خلفه العقاب فرآه مقبلا من جهة اليمن فلما رآه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من اقدرك على الامار حمتني قيل لابن عباس ياسبحان الله الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضاء عمي البصر قيل عني سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بالعذاب الشديد الذي يعذب به الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل الزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل أضيق السجون عشرة الاضداد وقيل الزوجة العجوز قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق الطير قال بعضهم عبر عن أصواتها بالمنطق لما يتخيل منها من المعاني التي تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه مهما سمع من صوت طائر علم بقوته القدسية الغرض الذي أراده ذلك الطائر وهذا في طائر لم يفصح بالعبارة والا فقد يسمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرأ سورة السجدة واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض أصحابنا وفيه درة لم أرها فاذا هي تقول لي مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان عليه السلام يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جاء ان سليمان عليه السلام سمع النملة وقد أحست بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك أمر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جاء سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم أرد حطم النفوس اي اهلاكها انما أردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح أي فيمتن فقد جاء مرفوعا آجال البها ثم كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها ويروى مامن صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية

كأن والى ذلك أشار السبكي فى تائيته بقوله ورب عناق ما أزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يارسول الله علمنى فمسح رأسه وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشى امامه صلى الله عليه وسلم ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا عند الصحابة أيضا بأنه صاحب سر رسول الله صلى  الله عليه وسلم ويشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد. * ومن السابقين الى الاسلام أبو ذر الغفارى رضى الله عنه واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ماحدث به قال صليت قبل أن ألقى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث يوجهنى ربى فبلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم انه نبى فقلت لأخى أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتنى بخبره فلما رجع أنيس قلت له ماعندك قال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفنى حتى أذهب فأنظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا حتى اقبلت وأتيت مكة فجعلت لا اعرفه واكره أن أسال عنه فمكثت فى المسجد ولم ثلاثين ليلة ويوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على شحنة جوع والشحنة بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما تمت صلاته أتيته فقلت السلام عليك يارسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل فقلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى من طعام

ان النملة قالت له انما خشيت أن تنظر الى ما أنعم الله به عليك فتكفر نعم الله عليها فقال له عظينى قالت هل تدرى لما جعل ملكك فى فص خاتمك قال لا قالت أعلمك أن الدنيا لا تساوى قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تغتذى بشم الطعام لأنها لا جوف لها يكون به الطعام ويذكر أن هذه النملة التى خاطبت سيدنا سليمان أهدت له نبقة فوضعتها فى كفه ويحكى عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفى فتاوى الجلال السيوطى قال الثعالبى فى زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه الصلاة والسلام الملك جاءه جميع الحيوانات يهنئونه الا نملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل فى ذلك فقالت كيف أهنيه وقد علمت أن الله تعالى اذا أحب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الآخرة وقد شغل سليمن بأمر لا يدرى ماعاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة وجاءه فى بعض الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا القنفذ فانه قال لا تشربه فان الموت فى عز خير من البقاء فى سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب فى البحر قال وصار ابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما يتبعان الصرد حتى وصلا الى محل البيت صارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم خذ قدر ظلى فابن عليه أى وفى لفظ لما أمر ابراهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا فارسل اليه السكينة وهى ريح خجوج ملتوية فى هبوبها لها رأس الحديث فحفر ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فابرز أى الحفر عن أس ثابت فى الارض فبنى ابراهيم واسمعيل يناول الحجارة أى التى تأتى بها الملائكة كما سيأتى حتى ارتفع البناء اه * أقول يحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أوحى الله اليه بذلك كان فى مكة عند اسمعيل وانهما كانا بمحل بعيد عن محل البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جاء وقد قيل فى قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله الآية أى قائما مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى فى أرضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله سواه والله أعلم قال ثم لما ارتفع البناء جاء بالمقام أى وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبنى وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وصار كلما ارتفع البناء ارتفع به المقام فى الهواء فاثر قدم ابراهيم فى ذلك الحجر وقيل انما أثر فى صخرة اعتمد عليها وهو قائم حين غسلت زوجة اسمعيل له رأسه لان سارة كانت أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر فحلف لها انه لا ينزل عن دابته أى التى هى البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله تعالى فيها أثر قدمه آية وفيه كيف يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب دابته الا أن يقال لما مال بشقه اعتمد عليها باحدى رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود فى المقام أثر قدمه لا قدميه ووقوفه عليه فى حال البناء يدل على ان الموجود فيه أثر قدميه فلينظر وجعل ارتفاع البيت تسعة أذرع قبل وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف المعروف ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا أى منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها

ولم ينصب عليه بابا أى يقفل وانما جعله تبع الحميرى بعد ذلك وحفر له بئرا داخله عند بابه أى على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم ولما أراد ان يجعل حجرا يجعله علما للناس أى يبتدئون الطواف منه ويختمون به ذهب اسمعيل عليه الصلاة والسلام الى الوادى يطلب حجرا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالحجر الاسود يتلألأ نورا أى فكان نوره يضىء الى منتهى ابواب الحرم من كل ناحية وفى الكشاف انه اسود لما لمسته الحيض فى الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح آدم به دموعه وجاء أن خطايا بنى آدم سودته واما اشد سواده فبسبب اصابة الحريق له اولا فى زمن قريش وثانيا فى زمن عبد الله بن الزبير وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض زمن نوح بناء على انه كان موجودا فى تلك الخيمة كما تقدم وفى رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لاسمعيل يا بنى اطلب لى حجرا احسنا اضعه ههنا قال يا ابتى انى كسلان لغب أى تعب قال على بذلك فانطلق يأتيه بحجر فجاءه جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذى خرج به آدم من الجنة أى كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم وجاء اسمعيل بحجر من الوادى فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر أى وبنى عليه فقال من أين هذا الحجر من جاءك به قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من لا يكلنى اليك ولا الى حجرك أى وفى لفظ جاءنى به من هو أنشط منك وفى لفظ أن اسمعيل جاءه بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما يأتيه به وجاء ان الله تعالى استودع الحجر اباقبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقال اذا رأيت خليلى يبنى بيتى فاخرجه له اى فلما انتهى ابراهيم صلى الله عليه وسلم لمحل الحجر نادى ابو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجاء فحفر عنه فجعله فى البيت وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه * اقول وفى لفظ قال يا ابراهيم يا خليل الرحمن ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان ابو قبيس يسمى فى الجاهلية الامين لحفظه ما استودع ويسمى اباقبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك وقيل باسم رجل من مذحج بنى فيه فقال ابو قبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمى بذلك ويحتاج الى الجمع بين ما ذكر على تقدير صحته وما ذكر فى ترجمة الياس أحد اجداده صلى الله عليه وسلم انه أول من وضع الركن اى الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح فكان أول من سقط عليه أى أول من علم به فوضعه فى زاوية البيت فليتأمل ذلك والله أعلم أى وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال عند المقام اشهد بالله يكررها لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لاضاء ما بين المشرق والمغرب أى من نورهما ولعل طمس نور الحجر كان سببه ما تقدم فلا مخالفة وجاء انهما يقفان يوم القيامة وهما فى العظم مثل ابى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء وعن

الاماءزمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما أجد على بطنى شحنة جوع قال مبارك انها طعام طعم وشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته لتقطع ظماك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقاية الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان أباذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التى هى تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا تأخذه فى الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا ومن  ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أى السماء ولا اقلت الغبراء أى الارض أصدق من ابى ذر رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه أبو ذر يمشى فى الارض على هد عيسى ابن مريم عليه السلام وفى الحديث أبو ذر ازهد أمتى واصدقها وقد هاجر أبو ذر رضى الله عنه الى الشام بعد وفاة ابى بكر رضى الله عنه واستمر بها الى ان ولى عثمان رضى الله عنه فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية رضى الله عنه وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات وذلك ان اباذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن وعن ابى عباس رضى الله عنهما أنّ لقيا أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بدلالة على رضى الله عنه وانه قال له ما أقدمك هذا البلد فقال له ابو ذر ان كتمت على اخبرتك وفى رواية ان اعطيتنى عهدا وميثاقا ان ترشدنى اخبرتك ففعل فقال ابو ذر فاخبرته فارشدنى واوصلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت وفى رواية ان عليا رضى الله عنه استضافه أبو ذر رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يسأله عن شىء وهو لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما امرك وما اقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على اخبرتك قال فانى افعل قال بلغنا انه خرج ههنا رجل يزعم أنه نبى فارسلت اليه اخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فاردت ان ألقاه فقال اما انك قد رشدت هذا وجهى أى خروجى اليه فاتبعنى أُدخل حيث أَدخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كانى اصلح نعلى وفى رواية كانى اريق الماء فامض انت قال ابو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى

صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فاعرضه على فاسلمت مكانى الحديث ثم أن أبا بكر قال يارسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة قال ابو ذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح ابو بكر رضى الله عنه بابا فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته اى من الزبيب فلا ينافى اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه فاسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فاسلم بان يكون أبو ذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله ففي ليلة لم يطف بالبيت احد الخ والا فيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف فى مدة ثلاثين يوما وقوله مَنِ الرجل زيادة فى الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن انه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فاقبل قلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بهذا بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفى روايه رابعا أى من الاعراب فلا ينافى زيادة من أسلم غيره على خمسة قال ابو ذر فلما اجتمت قريش فى المسجد ناديت بأعلى صوتى أشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابىء فقام أهل الوادى بكل مكدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بى مثل ماصنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت أنيسا فقال ماصنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد اسلمت وصدقت فاتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فقد أسلمت وصدقت فاتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم (بعضهم) وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

ابن عباس رضى الله عنهما لولا مامسهما من أهل الشرك مامسهما ذو عاهة الاشفاه الله تعالى وعن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه لما خلق الله الخلق قال لبنى آدم ألست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم القم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على اقرارهم الذى كانوا أقروا به قال رضى الله تعالى عنه وكان أبو على يقول اذا استلم الحجر اللهم أمانتى اديتها وميثاقى وفيت ليشهد لى عندك بالوفاء وفي كلام السهيلى ان العهد الذى أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين مسح ظهره ان لايشركوا به شيئا كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وقد جاء الحجر الاسود يمين الله فى الارض قال الامام بن فورك وكان ذلك سببا لاشتغالى بعلم الكلام فانى لما سمعت ذلك سألت فقيها كنت اختلف اليه عن معناه فلم يحر جوابا فقيل لى سل عن ذلك فلانا من المتكلمين فسألته فاجاب جواب شاف فقلت لابد لى من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذى قاله السهيلى يروى عن على بن طالب رضى الله عنه فعن سيدنا عمر رضى الله عنه انه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله انى لاعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولو لا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك فقال له على رضى الله تعالى عنه بلى ياأمير المؤمنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذاك بكتاب الله قال وأين من كتاب الله قلت قال الله تعالى واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الآية وكتب ذلك فى رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فالقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضى الله عنه أعوذ بالله ان أعيش فى قوم لست فيهم ياأبا الحسن وعن قتادة قال ذكر لنا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنى البيت من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتاء ولبنان والجودى وحراء وذكر لنا أن قواعده من حراء التى وضعها آدم مع الملائكة * أقول تقدم ان تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن طور سيناء ومن طور زيتا ومن الجودى ومن حراء الا أن يقال يجوز أن يكون معظم ذلك كان من حراء فلتأمل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانان أى لم يجعل له ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين بنته أربعة أركان وذكر الحافظ ابن حجر ان ذا القرنين الاول وهو المذكور فى القرآن في قصة موسى عليه السلام وهو اسكندر الرومى قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش شهدت أى قلن نشهد ان ابراهيم واسمعيل عبدان مأموران بالبناء فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم بمكة وأقبل ذو القرنين عليهما فلما كان بالابطح قيل له فى هذه البلدة ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ماينبغى الى ان أركب فى بلدة فيها ابراهيم

خليل

اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم نصفهم الثانى لأنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر انى قد وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم وقد ذكر ان أباذر رضى الله عنه وقف يوما عند الكعبة فى حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن احدكم أراد سفرا أليس يعذر اذا فقالوا ابلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون خذوا مايصلحكم فقالوا ومايصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور * ومن السابقين للاسلام خالد بن سعيد بن العاص وهو أول من اسلم من اخوته فيحمل عليه  قول ابنته أم خالد أول من

اسلم ابى أى من اخوته وسبب اسلامه انه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريد ان يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال له أبو بكر رضى الله عنه اريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يا محمد ما تدعو اليه قال ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفى الوفاء السيد السمهودى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن سعيد

ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبيناهو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فاضاء البيت ثم أصاب مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاصابها حتى انى لأنظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا أخى ان هذا الامر فى بنى عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال يا خالد انا ذلك النور وأنا رسول الله وقص عليه مابعثه الله به فاسلم خالد وعلم بذلك أبوه وهو سعيد ابو أحيحة وكان من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن

خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه ابراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عند السلام قال الفاكهى وأظن ان الاكبش المذكورة أى التى شهدت أحجارا ويحتمل أن تكون غنما ووصف ذى القرنين بالاكبر احترازا من ذى القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليونانى فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وبين عيسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام أكثر من ألفى سنة وكان كافرا والله أعلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال يارب قد فرغت قال أذن فى الناس بالحج قال أى رب ومن يبلغ صوتى قال الله جل ثناؤه أذن وعلى البلاغ قال أى رب كيف أقول قال قل يأيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام وارتفع به حتى كان اطول الجبال فنادى وادخل اصبعيه فى أذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا ينادى بذلك ثلاث مرات أى وزويت الأرض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وبرها وانسها وجنها حتى اسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدأ بشق اليمين وحينئذ يكون أول من أجاب أهل اليمن وسيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان أهل اليمن اكثر اجابة ومن ثم جاء فى الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم فى حق أهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم ويأبى الله إلا ان يرفعهم وروى الطبرانى باسناده عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أهل اليمن فقد احبنى ومن ابغضهم فقد أبغضنى ومما يؤثر عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه من علم ان كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وقد ذكر فى تفسير قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم هو نداء ابراهيم على المقام بما ذكر وقيل له البيت العتيق لأنه اعتق من الجبابرة لم يدعه أى يحيث ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة مع العمالقة وجرهم وقال القاضى تبعا للكشاف لأنه اعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال وأما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط عليه كذا قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر انه قال انما سميت بكة أى بالموحدة لأنها كانت تبك اعناق الجبابرة واينظر من قصده ليهدمه من الجبابرة غير ابرهة ثم رأيت فى المشرف ان ثلاثة غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلتهما خزاعة ومنعتهما والثالث كان فى أول زمان قريش أراد هدمه مسندا على شرف الذكر لقريش به وان يبنى عنده بيتا يصرف حجاج العرب اليه فلما قارب مكة اظلمت الأرض وايقن بالهلاك فاقلع عن تلك النية ونوى أن يكسو البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه ان هذا الذى حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه أرسلت عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه واصابته وقومه ظلمة شديدة وفى رواية اصابه داء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا أى يثج ثجا حتى لا يستطيع أحد ان يدنو منه فدعا بالأطباء فسألهم عن دائه فهالهم مارأوا

ثم قال فيه القائل أبا أحيحة من يعتم عمته * يوما وان كان ذا مال وذا عدد وعند اسلام ولده خالد أرسل في طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يالكع حيث شئت وقال والله لأمنعنك القوت قال ان منعتني فالله يرزقني ما أعيش به فاخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا الا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه (١٩٠) ويغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فكان خالد أول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو ابن سعيد بن العاص قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت له نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤية وقعت لأخيه خالد وكانت سببا لاسلامه وانه قصها على أخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا أن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما واسلم من بني سعيد ابان بن سعيد والحكم بن سعيد الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * ومن السابقين للاسلام صهيب رضي الله عنه كان أبوه عاملا لكسرى فاغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر أين تريد يا صهيب قال أريد ان أدخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا أريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعلك هممت بشيء في حق هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقال له تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وأمره بتعظيم حرمته ففعل فبرأ من دائه وقيل لأنه أول بيت وضع في الأرض وقيل لأنه أعتق من الغرق بسبب الطوفان في زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا في الكشاف وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الأرض فوقفت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها الا أن يقال ان معنى اعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقي أثره وفي الخميس عن ابن هشام ان ماء الطوفان لم يصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هي في هواء السماء أي بناء على ان الكعبة هي الخيمة التي كانت على زمن آدم عليه الصلاة والسلام وتقدم عن الكشاف انها رفعت الى السماء الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على ان المراد بالكعبة الخيمة التي كانت لآدم وقوله قام حولها يريد انه لم يعل محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم في قصة نوح فليتأمل وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج وفي لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان تحجوه فأجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من كان سبق في علم الله انه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى ان تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن لبى تلبية واحدة حج حجة واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا وفي لفظ نادى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شيء من المطيعين له الا أجاب لبيك اللهم لبيك * أقول لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وسيأتي ومعلوم ان اجابة غير العقلاء اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لأنه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة وقيل التاسعة وقيل العاشرة كما سيأتي وأما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم أقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتأخرين من أصحابنا أن الصحيح انه لم يجب الحج الا على هذه الامة واستغرب وفي الخصائص الصغرى وافترض عليهم أي على هذه الامة ما افترض على الأنبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبياء والرسل وفيه ان الاصل ان ما وجب في حق نبي وجب في حق أمته إلا ان يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سيأتي ما في الوضوء والله أعلم أي ثم أمر بالمقام فوضعه قبله أي ملصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلي اليه مستقبل الباب أي جهته وأول من أخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير * أقول وقيل ان أول من وضعه موضعه الآن النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وسيأتي الجمع بين هذين القولين

وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفين فدخل عمار على أمه وأبيه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فأعجبهما فأسلما على يده وكان إسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا * ومن السابقين للاسلام حصين والد عمران بن حصين رضى الله عنهما وكان إسلامه بعد إسلام ابنه عمران وسبب إسلامه أن قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم  فدخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من إله قال سبعة فى الأرض وواحدا في السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذى فى السماء قال فاذا هلك المال قال الذى فى السماء قال يستجيب لك وحده وتشركهم معه أرضيته فى الشرك يا حصين أسلم تسلم فأسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم وفى بحقه فدخلنى من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه شيعوه إلى منزله فلما خرج من سدة الباب أى عتبته رأته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه * ولما دخل الناس فى الاسلام ارسالا أى جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله أن يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن فى الصلاة وأنزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردوا عليه بل كانوا كما قال الزهرى غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك أنه دخل عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للأصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم إبراهيم فقالوا إنما نسجد لها لتقربنا إلى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك فى

القولين ويأتى ما فيه وذكر الطبرى أن محله أولا المنخفض الذى تسميه العامة المعجنة أى محل عجن الطين للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى اليومين كما سيأتى ونازع فى ذلك العز بن جماعة وقال لو كان ذلك لشهر عليه بالكتابة فى الحفرة ورد بأن ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من ينقل وذكر ابن حجر الهيتمى أن فى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس وقيل صعد ثبيرا وأذن وان أول من أجابه أهل اليمن أى لما تقدم أنه بدأ بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك أى وقوفه على تلك الأماكن التى هى المقام وأبو قبيس وثبير ويجوز أن يكون قال فى بعض تلك الأماكن ما لم يقله فى غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى به إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجاء أنه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وحدود الحرام وأمره أن ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك أى اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ففى العرائس خرج جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم باتا بها حتى أصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس الآن فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا اسفر أفاض بهما الى منى فأراهما كيف رمى الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فليتأمل ذلك فان فيه التصريح بأن إبراهيم واسمعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر وتأخيرا بين المغرب والعشاء للنسك وهو مخالف لأئمتنا لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففى الخصائص الصغرى وخص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجتمع لأحد وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالجماعة فى الصلاة الا ان يدعى أن المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز أن يكونا إبراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى وفى الوفاء عن وهب قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أنا الله ذو بكة أهلها جيرتى وزوارها وفدى وفى كنفى أعمره بأهل السماء وأهل الأرض يأتونه أفواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية ترجيجا وينجون بالبكاء نجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد الى ونزل بى وحق لى أن أتحفه بكرامتى أجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه لنبى من ولدك يقال له إبراهيم ارفع له قواعده واقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الأمم والقرون حتى ينتهى الى نبى من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته

سنة أربع من النبوة وقيل في سنة خمس فاجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال أي عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه حاجزا بينه وبينهم فاشتد الأمر وتضارب القوم وأظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ماعدا أبا لهب منهم وبني المطلب بن عبد مناف أخي هاشم وكانوا معهم بطلب من أبي طالب بخلاف بني أخويهم نوفل وعبد شمس ابني عبد مناف فانهم كانوا من اشد الناس عليه صلى



الله عليه وسلم * قال ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم اذا أراد الصلاة أي صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين فبينما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو أول دم أهرق في الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم واشتد الأمر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه مستخفين في دار الارقم المعروفة الآن بدار الخيزران لأن المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدي العباسي فوهبها المهدي المذكور لجاريته الخيزران وهي أم ولديه موسى الهادي وهرون الرشيد وفي فوقفتها مسجدا او قدروت الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شيء فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم ويعبدون الله تعالى واختلفوا في مدة استخفائه فقيل أربع سنين وقيل أقاموا في تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا أربعين باسلام عمر وحمزة رضي الله عنهما * ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف اشتد

فمن سال عني يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وارزقهم من الثمرات أي دعا بذلك وهو على ثنية كداء بالمد فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلي وعند ذلك نقل له الطائف من فلسطين من أرض الشام أي وببركة دعائه عليه الصلاة والسلام يوجد بمكة الفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ذكره في الكشاف ثم لما فرغ أي من بناء البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم ماتقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام زيدوا فيها العلي العظيم فقالت الملائكة ذلك وكان بناء ابراهيم للبيت بعد ما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقد يتوقف في بناء العماليق له أما في الأول فلان أول من نزل مكة مع هاجر وولدها اسمعيل جرهم وأنهم بعد اسمعيل وبعض ولده كانوا ولاة البيت وأما في الثاني فلان ولاية البيت كانت لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الا أن يقال لامانع أن يكونوا حينئذ أهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رأيت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن العماليق كانوا في عز وكانت لهم أموال كثيرة وأن الله سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصي وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر في النمل كالزنبور في النحل وفي تاريخ مكة للفاكهي أن العماليق قدموا مكة لما قدم وفد عاد للاستسقاء بالبيت وقيل كانوا بعرفة ولما أخرج الله تعالى زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل ففي ربيع الأبرار أن جبريل أخرج ماء زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل وعند ذلك تحولوا الى مكة قال المقريزي لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم ولا يصح ذلك ثم رأيت المقريزي قال وفي كتاب أخبار مكة للفاكهي مايدل على تقدم بناء جرهم على بناء العمالقة ولا يصح ذلك لاتفاقهم على أن ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم إلا خزاعة ولا يخفى أن هذا صريح في أن العمالقة بنته ولا بد وأن بناءهم له كان قبل بناء جرهم له والعماليق من ولد عملاق أو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو أول من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ثم بناه قصي جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الروم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أي ويكنى أبا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وكني بأبي خبيب لأن خبيبا كان رجلا بالمدينة من النساك طويل الصلاة قليل الكلام أي وعبد الله رضي الله تعالى عنه كان مشابها له في ذلك فكني به هذا

ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا أى عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا في بيته حتى ظن عماته انه شاك أى مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيئا لكن الله أمرنى بقوله وانذر عشيرتك الاقربين فاريد أن أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله فقلن له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه أبا لهب قيل كنى بابى لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ماتدعو اليه وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله عليه أسمعه أبو لهب ما يكره فقال تبالك ألهذا (١٩٣) جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به وقال مارأيت أحدا جاء بنى أبيه وقومه باشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن فى اول الامر انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى مايحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم أنه ليس للعرب بقولك طاقة وان أحق من أخذك وحبسك اسرتك وبنو ابيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه باشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبي صلى الله عليه وسلم قال تبالك ألهذا جمعتنا فانزل الله تبت يدا أبى لهب وتب بمعنى خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازا ولما سمع أبو لهب تبت يدا أبى لهب وتب قال ان كان مايقول محمد حقا أفتديت منه بمالى وولدى فنزل ما أغنى عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفى رواية الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يابنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار يابنى زهرة انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذى نفسك من النار ياصفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا وفى لفظ فانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله أى لا تبقوا على الكفر اتكالا على

* وفي كلام ابن الجوزى انه كان لعبد الله بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله ابن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط فمات لأنه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابى العاص أربعين رجلا وفى رواية ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله تعالى خولا أى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفى رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث أى ذكر بنى أمية وذكر الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ماذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة أن يضرب خبيبا هذا مائة سوط ففعل ثم برد ماء فى جرة وصبه أى فى يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على مافعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق أى عائق لى * وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية ابن أبى سفيان ومعه ابن عباس على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض حاجتى ياأمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله تعالى عنهما اشهدك بالله ياابن عباس اما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله تعالى خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعه وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية فكلمه فيها فلما أدبر عبد الملك قال معاوية انشدك الله ياابن عباس اماتعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان اربعة من ولده ولوا الخلافة فليتأمل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة . هذا وقد رأيت عن بعض حواشى الكشاف ان اعداء عبد الله ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما هم الذين كانوا يكنونه بابى خبيب لان خبيبا كان من أخس أولاده ويرده قول بعضهم يغاب للشرف كالخبيبين لخبيب بن عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وذكر ابن الجوزى أيضا فيمن ضرب بالسياط من العلماء سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب أن يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ماء في يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك أى كما فعل بخبيب * ثم رأيت فى تاريخ الحافظ بن كثير لما عهد عبد الملك لولده الوليد فى حياته وانتهت البيعة الى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع فضربه نائب المدينة ستين سوطا وألبسه ثيابا من شعر

القرابة فهو حث لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك الاتكال قال بعضهم انذكر فاطمة رضي الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الا أن تقولوا لا اله الا الله وانما ذكرت في حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن لا أغني عنكن من الله شيئا حثا لهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي (١٩٤) لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة أبدا ولنار أبدا يابني عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبي لهب فانه قال يابني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه أي اقبضوه وامنعوه عن هذا الامر بحبس أو غيره قبل أن ياخذ على يده غيركم فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وهي أم الزبير رضي الله عنه أي أخي أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضىء أي أصل عبد المطلب نبي فهو هو قال أبو لهب هذا والله الباطل والاماني وكلام النساء في الحجال فاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها بالكلاب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا اكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني قالوا والله ما جربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أغني عنكم من الله شيئا اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد وفي رواية ان مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه اتيتم اتيتم أنا النذير العريان اى الذي

---

وأركبه جملا وطاف به في المدينة ثم أودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك أرسل يعنف والي المدينة على ذلك ويامره باخراجه من الحبس هذا كلامه * وفي كلام البلاذري وكان جابر بن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطا اذ لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا أن يقال لا مانع أن يكون سعيد فعل به الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك ووالد الوليد ثم رأيت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد بن المسيب ضرب بالسياط المذكورة وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به ذلك أيضا لما امتنع من البيعة للوليد وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في ترجمة سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من مبايعته وألبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليه يقول له قم لا تجالسني فانهم قد جلدوني ومنعوا الناس عن مجالستي هذا كلامه الا أن يقال المراد امتنع من قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع سعيد بن المسيب من المبايعة للوليد لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد فهو شر لامتي من فرعون لقومه وفي رواية هو أضر على أمتي من فرعون على قومه زاد في رواية يسد به ركن من أركان جهنم وفي لفظ زاوية من زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد بن عبد الملك الذي هو عمه وكان سعيد بن المسيب أعبر الناس للرؤيا قال له رجل رأيت كاني أبول في يدي فقال تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امرأته رضاعة وأخذ سعيد تعبير الرؤيا عن أسماء بنت أبي بكر وهي أخذت ذلك عن والدها أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وعن سعيد أخذ ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان أبو بكر أعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي حضرته وعن الزهري رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال رأيت كاني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يارسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كما عبر فقد عاش بعده صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة أشهر وقال له رأيتني اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما ترى السود فيها فقال أبو بكر يارسول الله أما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحيرا * وسبب بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان يزيد بن معاوية لما وجه الجيش عشرين ألف فارس وسبعة آلاف راجل وأميرهم مسلم بن قتيبة لقتال أهل المدينة لما علم انهم خرجوا عن طاعته أي واظهروا شتمه واعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب

ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقيل الذي جرده العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو فانه لا يتهم بخلاف الذي لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى أنا النذير الذى لا أتهم وفى رواية انه وقف على الصفا وفى اخرى على أبى قبيس وفى أخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا يهتف يا صباحاه قالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يأتى أرسل رسولا الحديث وفى رواية صاح يا آل عبد مناف انى نذير وفى أخرى جمع بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب وهم أربعون وفى رواية خمسة وأربعون وامرأتان فصنع لهم طعاما وهى شاة مع مد من البر (١٩٥) وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا أى رووا وفى رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشر عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من الشراب في مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقدرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره ابو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفى رواية سحركم محمد وفى رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا على عدلنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال على رضى الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا فقال لهم يا بنى عبد المطلب ان الله قد بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله فمن يجيبنى الى هذا الامر ويوازرنى أى يعاوننى على القيام به قال على رضى الله عنه أنا يا رسول الله وكان أحدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام على وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه أحد منهم فقام على وقال انا يا رسول الله قال اجلس فانت اخى قال الامام ابو العباس بن تيمية زاد فى الحديث بعض أهل الضلال زيادات لا أصل لها وهى كذب باطل قالوا قال فمن يجيبنى الى هذا الامر يكن

بالكلاب أى فقد ذكر بعض ثقات المؤرخين انه كان له قرد يحضره مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كأسه واتخذ له أتانا وحشية قد ربضت له وصنع لها سرجا من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل فى بعض الايام وكان يلبس عليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتى الكيا الهراسى من أكابر أئمتنا معاشر الشافعية كان من رؤس تلامذة امام الحرمين نظير الغزالى عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فاجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد فى أيام عمر بن الخطاب وللامام أحمد قولان أى فى لعنه تلويح وتصريح وكذلك الامام مالك وكذا لابى حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره فى الخمر معلوم هذا كلامه وسئل الغزالى هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب بأن من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم فقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله وما لم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية وأما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل فى المؤمنين فى قولنا فى كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه وكان على ما أفتى الكيا الهرسى من جواز التصريح بلعنة استاذنا الاعظم الشيخ محمد البكرى تبعا لوالده الاستاذ الشيخ ابى الحسن وقد رأيت فى كلام بعض اتباع استاذنا المذكور فى حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعه وفى اسفل سجين وضعه * وفى كلام ابن الجوزى أجاز العلماء الورعون لعنه وصنف فى اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازانى انى لا اشك فى اسلامه بل فى إيمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما خلعوا أى اهل المدينة بيعة يزيد ولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأخرجوا والى يزيد من المدينة وهو مروان بن الحكم وبنى أمية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا أن نرمى بحجارة من السماء فكانت وقعة الحرة المشهورة التى كادت تبيد أهل المدينة عن آخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذراء أى ولم تقم الجماعة ولا الاذان فى المسجد النبوى مدة المقاتلة وهى ثلاثة أيام * وفى كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذى وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلثمائة وستة رجال ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس وفى التنوير لابن دحية

أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ وزادوا في آخر الحديث قال اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على أهل السنة والقدح في خلافة الخلفاء قبل علي رضي الله عنه وفي رواية عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت طعاما ثم قال ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون علي فعل ذلك عند خديجة رضي الله عنهما وجاء به الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم (١٩٦) هذا كان متأخرا عن جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا أي عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا اما ان تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله * وفي الكفر نجدة واباء
أمما اشربت قلوبهم الكف * ر فداء الضلال فيهم عياء

من ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أي اضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وحض بعضهم بعضا على حربه وعداوته ومقاطعته ثم مشوا الى أبي طالب مرة اخرى فقالوا يا أباطالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا أي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه

---

وقتل من وجوه المهاجرين والانصار ألف وسبعمائة ومن حملة القرآن سبعمائة وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختلفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول اي عبيد له ان شاء باع وان شاء اعتق حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه * وروى البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لما أرجف أهل المدينة يزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان التنصل بيني وبينه ثم لزم بيته ولزم أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه بيته أيضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من أنت أيها الشيخ فقال انا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال لقد أخذه الذين دخلوا قبلكم علي وما عندي شيء فقالوا كذبت ونتفوا لحيته * واما جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه فخرج في يوم من تلك الايام وهو أعمى يمشي في بعض أزقة المدينة وصار يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من الجيش من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي فحمل عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلي وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم الف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان فقد ذكر ان امرأة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع صبيها وقد أخذ ما وجده عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت له ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الصبي من حجرها وثديها في فمه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الارض فاخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وسار مثلة في الناس قال السهيلي وأحسب هذه المرأة جدة للصبي لا أما له اذ يبعد في العادة أن تبايع امرأة وتكون يوم الحرة في سن من ترضع أي ولدا صغيرا لها ووقعة الحرة هذه من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي * وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه انه قال لقد وجدت قصة هذه الوقعة في كتاب يهوذ ابن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد أعذر أهل المدينة قبل هذه الوقعة فيما ذكروه وبذل لهم

وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي ان قومك جاءوني فقالوا الى كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وانه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن انزل عن هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال اقبل يا ابن أخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول (١٩٧)

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة انه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى لأن الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير المحو واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور قال الله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره فلما ان عرفت قريش ان أبا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أي أشد وأقوى فتى في قريش وأجمله فخذه لك ولدا بان تبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فقال لهم أبو طالب بئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدي والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل شيئا منهم فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكن

---

من العطاء أضعاف ما يعطي الناس رغبة في استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يأبى الله إلا ما أراد وفي التنوير ان الله ابتلى أمير هذا الجيش الذي هو مسلم بن قتيبة بعد ثلاثة أيام من أخذه البيعة بمرض صار ينبح منه كالكلب الى أن مات وولى أمر الجيش بعده الحصين بن نمير بامر يزيد فانه وصى مسلم بن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا أشرفت على الموت أي لانه كان مريضا بالاستسقاء فول أمر الجيش للحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يسلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد وقد جاء عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لقد رأيتني ليالي الحرة ومافي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما يأتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة في تلك الوقعة مغفل بن سنان الاشجعي رضي الله تعالى عنه روى علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام مغفل بن سنان قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرح ابن مسعود وسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما لانه امتنع من المبايعة ليزيد أيضا هو والحسين رضي الله تعالى عنهما لما أرسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه أي لان الحسين أرسل اليه أهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه فأراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن رضي الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم فابى الا أن يذهب فبكى ابن عباس رضي الله عنهما وقال وا حبيباه وقال ابن عمر استودعك الله من قتيل وكان اخوه الحسن قال له اياك وسفهاء الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ليلة قتله فترحم على اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنى عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب يزيد وهو عبد الله بن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل على الخير الآجل فلما وصلوا اليه ورأى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث اما أن يرجع من حيث جاء او يذهب الى بعض الثغور او يذهب الى يزيد يفعل فيه ما أراد فأبوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع ذلك الراس بين يدي عبد الله بن زياد ولما جاء خبر قتل الحسين رضي الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضي الله

قد أجمعت أى قصدت خذلانى ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع ما بدالك وعمارة بن الوليد هذا قدمات على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار فى البرارى والقفار ومات المطعم بن عدى على كفره أيضا فعند عدم قبول أبى طالب اشتد الامر ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بنى هاشم وبنى المطلب الى ماهو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير أبى لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم  معه * فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ماحدث به عمه العباس رضى الله عنه قال كنت يوما فى المسجد فاقبل أبو جهل فقال لله على أن رأيت محمدا ساجدا أن اطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول أبى جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك .الذى خلق خلق الانسان من علق الى ان بلغ آخر السورة فسجد فقال انسان لابى جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له فى ذلك فقال أبو جهل الا ترون ما أرى وفى رواية رأيت بينى وبينه خندقا من نار وسيأتى ان قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل فى ابى جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر لنا ان ابا جهل قال يوما لقريش ان محمدا قد أتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم وانى اعاهد الله لاجلس له يعنى النبى صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشىء ابدا فامض لما تريد فلما اصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلى بين الركن اليمانى والحجر الاسود وقريش جلوس فى انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل

تعالى عنهما فى الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوى بنى أمية ويطنب فى ذلك ولما بلغ يزيد ذلك أقسم أن لا يؤتى به الا مغلولا فجاء اليه رجل من أهل الشام فى خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وأقسم ان لا يؤتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبته واجمل بك وبه فقال له أنظر فى أمرى ثم دخل على أمه أسماء رضى الله تعالى عنها واستشارها فقالت يا بنى عش كريما ومت كريما ولا تمكن بنى أمية من نفسك فتلاعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا ثم أظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز ولحق به من انهزم من وقعة الحرة فلما جاء الجيش إلى مكة حاصر عبد الله وضرب بالمنجنيق نصبه على أبى قبيس قيل وعلى الاقمر وهما أخشبا مكة فاصاب الكعبة من ناره ماحرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت فى زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة كما تقدم وذكر فى الشرف ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من أهل الشام ثم عملوا منجنيقا آخر فنصبوه على أبى قبيس ويذكر ان النار لما أصابت الكعبة أنت بحيث يسمع انينها كانين المريض آه آه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء انذاره صلى الله عليه وسلم بتحريق الكعبة فعن ميمونة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق وفى العرائس ان أول يوم تكلم الناس فى القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينئذ قيل أبو معبد الجهنى وقيل أبو الاسود الدؤلى وقيل غير ذلك وقوله أول يوم تكلم الناس فى القدر لعل المراد أول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس فى القدر فلا يخالف ما حكى ان شخصا قال لعلى رضى الله تعالى عنه وهو بصفين يا أمير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا هذا أكان بقضاء الله وقدره فقال نعم والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضائه وقدره والتكلم فى القدر ليس من خصائص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففى الحديث ما بعث الله نبيا الا فى أمته قدرية يشوشون عليه أمر أمته الا وان الله تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا وقد جاء فى ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجاء اتقوا القدر فانه شعبة من النصرانية وجاء أخاف على أمتى التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية مجوس هذه الامة لان طائفة من القدرية تقول يأتى الخير من الله والشر من العبد وهؤلاء الطائفة أشبه بالمجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية

الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه اى متغيراً بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكمنها فلم يقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا امالك ياأبا الحكم قال قمت اليه لأفعل ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل مارأيت مثله قط هم أن يقتلنى فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لأخذه وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العلقاء وفى رواية أن أبا جهل قال رأيت بينى وبينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الأمرين معا (١٩٩) وذكروا فى سبب نزول قوله تعالى إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون أى رافعون رؤسهم لايستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الأولى نزلت فى أبى جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه أثبتت يداه إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده إلا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت فى آخر لما رأى ماوقع لأبى جهل قال أنا ألقى هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم بذلك وعن الحكم ابن أبى العاص وهو أبو مروان بن الحكم أن ابنته قالت له مارأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يابنى أمية فقال لاتلومينا يابنية إنى لأحدثك إلا مارأيت لقد أجمعنا ليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلى ليلا جئناه من خلفه فسمعنا صوتا ظننا أنه مابقى بتهامة جبل إلا تفتت علينا أى ظننا أنه يفتت ويقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت إحداهما بالأخرى فحالتا بيننا وبينه وفى رواية كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فجاءه أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى إلى آخر السورة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره أبو جهل أى انتهره

النصرانية لأن أكثر القدرية على أن ما ليس من أفعال العبد من خير أو شر ناشئا عن اقدار الله تعالى له على ذلك بل هو ناشىء عن قدرة العبد واختياره فقد أثبتوا لله تعالى شريكا كما أن النصارى أثبتوا الشريك لله تعالى فهذه الفرقة من القدرية أشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا الاعتبار وقد أوضحت ذلك فى تعليقى المسمى بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه آخر الكلام على القدر لشرار أمتى فى آخر الزمان فان الحق إسناد الفعل إلى الله تعالى إيجادا وللعبد اكتسابا وقيل أن سبب بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما الكعبة أن امرأة بخرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع أيضا احتراقها بتبخير المرأة فى زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعد بعضهم أن من البدع تجمير المسجد وأن مالكا كرهه وقد روى أن مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يجمر المسجد النبوى إذا جلس عمر رضى الله تعالى عنه على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذى فدى به اسمعيل فانهما كانا معلقين بالسقف * أقول ولعل تعليقهما فى السقف كان بعد تعليقهما فى الميزاب فقد ذكر بعضهم جاء الاسلام ورأس الكبش معلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما فى السقف ماجاء عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى رأيت قرنى الكبش فى البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما خمرهما فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل مصليا * وذكر الجلال المحلى فى قطعة التفسير أن الكبش المذكور هو الذى قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكبرا أى وحينئذ تكون النار التى أنزلت فى زمن هابيل لم تأكله بل رفعته إلى السماء وحينئذ يكون قول بعضهم فنزلت النار فأكلته على التسمح ويدل لما ذكر الجلال ماجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ماكان ذبح إبراهيم أى مذبوحه قال الذى قرب ابن آدم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بأنه عظيم لأنه رعى فى الجنة أربعين عاما وقيل كان الكبش اختراعا اخترعه الله هناك فى ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدى من الموت بصورة الموت وهذا كله بناء على أن الذى قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر القاضى فلينظر الجمع على تقدير صحة كل وانصدع الحجر من تلك النار من ثلاثة أماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد ويقال أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أن يعلم الجيش وهم أهل الشام فنادى فيهم ياأهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم يعنى يزيد فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب أن يرجع إلى شأنه فليفعل فانفل الجيش وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا فى طاعته ظاهرا ويقال أن أمير الجيش طلب من ابن الزبير أن يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلفت رءوس فرسيهما وجعل فرس أمير الجيش ينفر

وقال انك لتعلم ان ما بها أكثر ناديا مني فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله وقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فأنزل الله فيه ذق انك أنت العزيز الكريم قال الواحدي أي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ماذكر توبيخا له * ومن ذلك انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل قال بعضهم الأولى بها أم قبيح واسمها العوراء وقيل اروى بنت حرب أخت أبي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر يملأ الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يارسول الله انها امرأة بذية أي تاتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت ياأبا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا والله وما يقول الشعر أي ينشيه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي شاعر أي لا يحسن انشاءه فقالت له أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش أني بنت سيدها تعني عبد مناف جد أبيها أي ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لأحد أن يتجاسر على ذمه قال أبو بكر رضي الله عنه قلت يارسول الله لم تراك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فسألها أبو بكر فقالت أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحدا وفي رواية انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد حين ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فاقبلت على أبي بكر رضي الله عنه فقالت له أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر فقال عمر رضي الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا أكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر رضي الله عنه لما تعلمه من لينه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لأهجونه وانصرفت

---

ويكفيها فقال له ابن الزبير مالك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطأ حمام الحرم فقال تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين فقال له تأذن لنا أن نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن لهم فطافوا وقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فانت أحق الناس بهذا الأمر يعني الخلافة فارحل معي الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير وأغلظ عليه القول فكر راجعا وهو يقول أعده بالملك وهو يعدني بالقتل ومن ثم قيل كان في ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير جميع أهل البلدان إلا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فان معاوية هذا مكث في الخلافة أربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولى أخاه نائبا عنه بالمدينة أمره باجلاء بني أمية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام فلما أراد مروان أن يبايع ابن الزبير بدمشق ثنى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له أنت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل فأنت أحق بهذا الأمر فوافقهم ومكث تسعة أشهر في الخلافة فهو الرابع من خلفاء بني أمية وقام بالأمر بعده ولده عبد الملك وهو أول من سمي عبد الملك في الاسلام ثم عهد عبد الملك لأولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد أن مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا واستعجل أمر عمرو بدمشق فلم يزل عبد الملك حتى قتله وفي كلام ابن ظفر أن عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطاعيته في نقل الخلافة فلما ساروا عن دمشق أياما تمارض عمرو بن سعيد واستأذن عبد الملك في العود الى دمشق فأذن له فلما عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة قال فيها من عبد الملك ودعا الناس الى خلعه فأجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وبذل الرغائب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير فأشير على عبد الملك أن يرجع الى دمشق ويترك ابن الزبير لأن ابن الزبير لم يعطه طاعة ولا ثب له على مملكة فهو في صورة ظالم له وقصده لعمرو بن سعيد في صورة مظلوم لأنه نكث بيعته وخان أمانته وأفسد رعيته فرجع الى دمشق فظفر بعمرو بن سعيد ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه للكعبة انه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله رضي الله تعالى عنه يطوف سباحة أي ولا مانع من وجود الأمرين الحرق والسيل فلما رأى عبد الله ما وقع في الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما في هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى أن يصلح ما وهي ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم أحرق لم يرض له إلا بأكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها إلا بهدمها وقد حدثته خالته عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لها ألم تري قومك يعني قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام

فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم تترك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية أقبلت ومعها فهر أي وهي تقول * مذمما أبينا * ودينه قلينا * وامره عصينا فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربنه بهذين الفهرين قال ابو بكر يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد  تكرر فلا منافاة بين الروايات وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كيف صرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد * وفي الدر المنثور للجلال السيوطي انها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملأ فقالت يا محمد علام تهجوني قال والله اني ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت ارأيتني احمل حطبا اورأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم بها على

حين عجزت بهم النفقة لولا حدثان قومك بالجاهلية أي قرب عهدهم بها أي وفي لفظ لولا الناس حديثو عهد بالجاهلية اى قريب عهدهم بها أي وفي لفظ لولا الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا أي بابا من خلفها أي وفي لفظ لجعلت لها بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس منه وفي لفظ وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض أي كما كان عليه في زمن ابراهيم ولادخلت الحجر فيها أي وفي رواية لادخلت نحو ستة أذرع وفي رواية ستة أذرع وشيأ وفي رواية وشبرا وفي رواية قريبا من سبعة أذرع فقد اضطربت الروايات في القدر الذي أخرجته قريش وفي لفظ لادخلت فيها ما أخرج منها وفي لفظ لجعلتها على أساس ابراهيم وأزيد اى بان أزيد في الكعبة من الحجر أي ذلك ما اخرجته قريش خشي صلى الله عليه وسلم أن تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذي يعدونه من أكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة اى الحلال الحديث وهذا بناء على ان من بعد ابراهيم وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه أبقاها على ذلك قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناء وأحجارا اسلم عليها المسلمون وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم أي فانه يوشك ان يأتي بعدك من يهدمها فلا يزال يهدم ويبني فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارفعها أي رمها فقال عبد الله اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على امري فلما مضى الثلاث اجمع امره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان ينزل بأول الناس يقصدها امر من السماء حتى صعدها رجل فالقى منها حجارة فلم ير الناس اصابه شيء فتتابعوه اه اى وقيل اول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير نفسه رضي الله عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وامر ابن الزبير جماعة من الحبشة بهدمها رجاء ان يكون فيهم الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه ان الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يهدمها ذكر صفته حيث قال كاني انظر اليه أسود افحج ينقضها حجرا حجرا وجاء في وصفه انه مع كونه أفحج الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير البطن ووصف ايضا بأنه اصلع وفي لفظ اجلح وهو من ذهب شعر مقدم راسه ووصف بأنه اصعل اى صغير الراس وبأنه اصمع اى صغير الاذنين معه اصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر اى وقوله ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ورفع القرآن من الصدور والمصاحف اى وورد ان اول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام والقرآن وأول نعمة ترفع من الارض العسل وقيل يكون



عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء    يوم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من احمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كانها الورقاء يعني انها جاءت وهي في غاية السرعة والعجلة كانها

في شدة السرعة والعجلة الحمامة الشديدة الاسراع يروى انها لما بلغتها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى أخيها أبي سفيان أي بناء على أن امرأة أبي لهب هي أروى بنت حرب كما تقدم فدخلت في بيته وهي مضطرمة أي محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس أي شجاع اما تغضب ان هجا بي محمد فقال سأكفيك إياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا اختي أيسرك أن رأس أخيك في فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعبانا لو قرب أبو سفيان من النبي صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت  السورة التي هي تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير

هدمها في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وجمع بانه يهدم بعضها في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكلوا اهدمها فهدمها عبد الله الى أن انتهى الهدم الى القاعد اي التي هي الاساس قال وفي رواية كشف له عن اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا في الحجر ستة اذرع وشبرا وأحجار ذلك الاساس كأنها أعناق الابل حجارة حمراء آخذ بعضها في بعض مشبكة كتشبك الاصابع واصاب فيه قبر ام اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهذا رعا يدل على أنه لم يصب فيه قبر اسمعيل وهو يؤيد القول بأن قبره في حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لا في الحجر كما ذكره الطبري وانه تحت البلاطة الخضراء التي بالحجر كما تقدم فدعا عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك الاساس وأدخل عبد الله بن المطيع العدوي عتلة كانت بيده في ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج جوانب البيت ورجفت مكة بأسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا اه * أقول تقدم في بناء قريش انهم افضوا إلى حجارة خضر كالاسنمة آخذ بعضها ببعض وان رجلا أدخل عتلته بين حجرين منها لحصل نحو ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضراء وبين كونها حمراء لانه يجوز أن تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هي قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر كما أن الاخضر غير الصافي يقال له أسود والصافي يقال له ازرق والله أعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا فطاف الناس بتلك الستور حتى بني عليها وارتفع البناء وزاد في ارتفاعها على ما كانت عليه في بناء قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا زاد بعضهم وربع ذراع وبناها على مقتضى ما حدثته به خالته عائشة رضي الله تعالى عنها فادخل فيه الحجر اي لانه يجوز أن يكون ادخال الحجر هو الذي سمعه من عائشة فعمل به دون غير ذلك من الروايات المتقدمة الدال على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة أذرع وشبرا وقريب من سبعة اذرع وفيه ان هذا اي قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من أن قريشا اخرجت منها الحجر وهو واضح إن كان وجد الأساس خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا عن جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبني عليه اعتمادا على ما حدثته به خالته عائشة رضي الله تعالى عنها على انه سيأتي عن نص حديث عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها فان بدا لقومك من بعد ان يبنوا فهلمي لأريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع فليتامل وجعل لها خلفا اي بابا من خلفها وألصقه بالاس كالمقابل له قال ولما ارتفع البناء إلى مكان الحجر الاسود وكان في وقت الهدم وجد متصدعا بسبب الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم جعله في ديباجة وادخله في تابوت واقفل عليه وادخله دار الندوة فحين وصل البناء إلى محله امر ابنه حمزة وشخصا آخر ان يحملاه ويضعاه محله وقال

وقد أسلم عام الفتح مع اخيه معتب رضي الله عنهما رأسك من رأسي حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوها عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها أيضا وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع في صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وبقوله تعالى في صلح الحديبية فلا ترجعوهن إلى الكفار الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب إلى الشام لآتين محمدا فلاوذينه في ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفي رواية برب النجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته أي طلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها اذا

ابو طالب وقال ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فاخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال ابو لهب لأصحابه انكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا اجمالهم وأناخوها واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية

فضخ رأسه وفى رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة نخدشه فمات مكانه وفى رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والاسد يسمى كلبا فى اللغة * ومما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلى وقد نحر بعض الناس جزورا وبقى فرثه أى روثه وكرشه فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد وفى رواية ألا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور بنى فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية أيكم يأخذ سلا جزور بنى فلان لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفى لفظ أشقى القوم وهو عقبة ابن أبي معيط وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة الضحك قال ابن مسعود رضى الله عنه فهبنا أى خفنا أن نلقيه عنه وفى لفظ وانا قائم أنظر لو كانت فى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد وطاتك أى عقابك الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اللهم عليك بأبى الحكم بن هشام يعنى أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وأمية بن خلف وفى رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم وفي رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بأبى جهل بن هشام الحديث قال ابن مسعود

اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتى اسمعكما فاخفف صلاتى فانه صلى بالناس بالمسجد اغتناما لشغلهم عن وضعه لما أحس منهم بالتناقض فى ذلك أى ان كل واحد يريد أن يضعه وخاف الخلاف فلما كبر تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد مصدعا بسبب الحريق وكون ابن الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من ان أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من الجنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى أذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده أبى طاهر فان ولده أبى طاهر بنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت أتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير ما مرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم أبو طالب يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا وألقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره ثم اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان أقام بها أحد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عند القرامطة أكثر من عشرين سنة أى والناس يضعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فابوا حتى أعيد فى خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس فاعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاث آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره أسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللت وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك وجعل طول الباب أحد عشر ذراعا والباب الآخر بازائه كذلك فلما فرغ من بنائها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق أى الطيب والزعفران وكساها القباطى أى وهى ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وفى كلام بعضهم أول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير * أقول وبناء عبد الله للكعبة من جملة اعلام النبوة لأنه من الاخبار بالمغيبات ففى نص حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فان بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فاراها قريبا من سته أذرع وتقدم ان هذا يرده قول بعضهم ان ابن الزبير أدخل فى بنائه جميع الحجر قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن فى أن يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم

والله لقد رأيتهم وفى رواية لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القلب قليب بدر والمراد انه رأى أكثرهم لأن عمارة ابن الوليد مات بارض الحبشة كافراً مسحوراً مجنوناً وعقبة بن أبى معيط أخذ أسيراً يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم يطرح فى القليب بل أهالوا التراب عليه فى مكانه لانتفاخه وتقطعه ولا مانع أن يكرر النبى صلى الله عليه وسلم كرر هذا الدعاء وأتى به وهو قائم يصلى وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والمراد بسنى يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود (٢٠٤) والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أى يخلط الدم بأوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت السماء عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اى لا نعود لما كنا فيه فلما كشف عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع راسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وربما وقيل فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الأخيرة من العشاء قال البيهقى قد روى فى قصة أبى سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين وفى البخارى لما استعصت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفى رواية فى البخارى أيضا لما أبطئوا على النبى صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شىء وفى رواية اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم

عند القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبرى وهذا الحديث يعنى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها يدل تصريحاً وتلويحاً على جواز التغيير فى البيت اذا كان لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة قال الشهاب ابن حجر الهيثمى ومن الواضح البين ان ما وهى وتشقق منها فى حكم المنهدم أو المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه وفى شعبان سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس لعشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامى بوجهيه وانحدر معه فى الجدار الشرقى الى حد الباب ومن الجدار الغربى من الوجهين نحو السدس وهدم أكثر بيوت مكة واغرق فى المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى أن سد الأبواب وعند مجىء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشاه وهو الوزير الاعظم الآن أى فى سنة ثلاث وأربعين وألف جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت الاشارة بالمبادرة للعمارة وقد جعلت للوزير المذكور فى ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا كبيراً واعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وأرسل بها لحضرة مولانا السلطان مراد أعز الله أنصاره وذكرت فيها أن الحق أن الكعبة لم تبن جميعها الا ثلاث مرات المرة الاولى بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام والثانية بناء قريش وكان بينهما ألف سنة وسبعمائة سنة وخمس وسبعون سنه والثالثة بناء عبد الله بن الزبير أى وكان بينهما نحو اثنتين وثمانين سنة أى وأما بناء الملائكة وبناء آدم وبناء شيث لم يصح وأما بناء جرهم والعمالقة وقصى فانما كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وحينئذ يكون ما جاء فى الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع فى الهدم الثالث من الدنيا * وذكر الامام البلقينى ان كون ابن الزبير أول من كسا الكعبة الديباج أشهر من القول بان أول من كساها الديباج أم العباس بن عبد المطلب كما سيأتى وجاز أن يكون عبد الله بن الزبير كساها اولا القباطى ثم كساها الديباج والله أعلم وكان كسوتها أى فى زمن الجاهلية المسوح والانطاع فان أول من كساها تبع الحميرى كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحميرية أى وفى رواية كساها الوصائل وهى برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفى كلام الامام البلقينى ويروى أن تبعا اليمانى لما كساها الخسف انتفضت فزال ذلك عنها فكساها المسوح والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة من ثياب اليمن * وفى الكشاف كان تبع الحميرى مؤمنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى اكان تبع نبيا او غير نبى هذا وقد نقل الشمس الحموى فى كتابه المناهج الزهية والمباهج المرضية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان نبيا

قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعنى يوم بدر ومن ذلك ماحدث به عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر رضى الله عنه وفى الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي معيط وابو جهل



ابن هشام وأمية بن خلف فر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم اسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه ووسطته أى جعلته وسطا فكان بينى وبين ابى بكر فادخل أصابعه فى اصابعى وطفنا فلما حاذاهم قال ابو جهل والله لا نصالحك ما بلّ بحر صوفة وأنت تنهى ان نعبد مايعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به فى الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب ابو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعت فى صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر امية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه أى ينزل عليكم عاجلا قال عثمان رضى الله عنه فوالله مامنهم رجل الا وقد اخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال ابشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر أى بايدى الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر بالنظر الى غالبهم فلا ينافى كون عثمان رضى الله عنه تأخر بالمدينة لاجل مرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لانه فى حاجة الله وسوله صلى

وقيل أول من كساها عدنان بن أدد وكانت قريش تشترك فى كسوة الكعبة حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش أنا أكسوا الكعبة سنة وحدى وجميع قريش سنة أى وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة فى كل سنة ففعل ذلك الى أن مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها لاتنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفى كلام بعضهم أول من كسا الكعبة القباطى النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان القباطى وكساها معاوية الديباج والقباطى والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر رمضان والاقتصار على ذلك ربما يفيد ان عطف الحبرات على القباطى من عطف التفسير فليتأمل وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطى فكانت تكسى الاحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى فى زمن المتوكل العباسى ثم فى زمن الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الآن فى كل سنة وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس وسنديس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة نيف وخمسين وسبعمائة أى والآن زادت القرى على هاتين القريتين والحاصل ان أول من كساها على الاطلاق تبع الحميرى كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعمائة سنة قيل وسبب كسوة أم عمه صلى الله عليه وسلم لها الديباج ان العباس ضل وهو صبى فنذرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج أى وكانت من بيت مملكة وقيل أول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان أى وهو المراد بقول ابن اسحق أول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من أمراء عبد الملك وقد سئل الامام البلقينى هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها فى دوران المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التى ترجى بكسوتها الخلع السنية فى الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها فى دوران المحمل الشريف فان فى ذلك المناسبة للحال المنيف هذا كلامه أى وأول من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل فى ذلك الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليته الكعبة على ماتقدم وأول من ذهب الكعبة فى الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على أساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه ارسل لعامله بمكة ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التى داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر ان الامين بن هرون الرشيد ارسل الى عامله بمكة بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها

الله عليه وسلم ولا ينافي أيضا كون عقبة بن أبي معيط حمل اسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا أي ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا ان عقبة بن أبي معيط وطىء على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفي رواية دخل عقبة بن أبي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (٢٠٦) وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه سلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن أبي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر واخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال ما رأيت قريشا أصابت مني عداوة احد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبرائهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لامر قط كصبرنا لامر هذا الرجل ولقد سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبيناهم كذلك اذ طالع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يامعشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم لذبح فارتعبوا لكلمته تلك ومابقي رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى اذا ناداكم بما تكرهون

---

صفائح الذهب على باب الكعبة فقطع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي الباب والعتب من الذهب وان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلاما لها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل * وقال عبد الله بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر وأخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على بناء عبد الله بن الزبير تستلم أركانها الاربعة أي لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى قتل أي قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمسجد لأن الحجاج كان أميرا على الجيش الذي ارسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أن اهدم مازاده ابن الزبير فيها أي يهدم البناء الذي جعله على آخر الزيادة التي ادخلها في الكعبة وكانت قريش أخرجتها بدليل قوله وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح أي وان يرفع الباب الاصلي الى ما كان عليه زمن قريش واترك سائرها أي لانه اعتقد ان ابن الزبير فعل ذلك من تلقاء نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بان عبد الله بن الزبير وضع البناء على أس قد نظر اليه العدول من أهل مكة أي وهم خمسون رجلا من وجوه الناس واشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير في شيء فنقض الحجاج ما ادخل من الحجر وسد الباب الثاني اي الذي في ظهر الكعبة عند الركن اليماني ونقص من الباب الأول خمسة أذرع أي ورفعه الى ما كان عليه في زمن قريش فبنى تحته أربعة أذرع وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة اليوم * وفي لفظ ان الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير زاد في الكعبة ماليس فيها واحدث فيها بابا آخر واستأذن في رد ذلك على ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك أن يسد بابها الغربي ويهدم مازاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فسائرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف وبنيانه على بنيان ابن الزبير الا الحجاج الذي يلي الحجر فانه من بنيان الحجاج أي والبناء الذي تحت العتبة وهو أربعة أذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العمالق وجرهم وابراهيم عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وماسد به الباب الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل أرض الكعبة أي التي وضعها عبد الله بن الزبير أي ولعله انما وضع في ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبناء فلا ينافي ما أخبرني به بعض الثقات أن بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي اخرجت من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير ويقال أن ذلك البيت الذي كان فيه تلك الحجارة كان بيتا لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وبناء الحجاج كان في السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وهي سنة ثلاث وسبعين * قيل ولما دخل عبد الله بن الزبير رضي الله

تركتمو دفبينماهم كذلك إذطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوا ثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذى أقول ذلك فأخذ رجل بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر رضى الله عنه وهو يبكى ويقولون أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فأطلقه الرجل منهم ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ إلى أبى بكر رضى الله عنه فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر رضى الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر رضى الله عنه يضربونه وقالت بنته أسماء رضى الله عنها فرجع الينا فجعل لايمس شيئا من غدائره الاجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاء أنهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم ياأبا بكر فو الذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه * وعن فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركو اقريش فى الحجر يوما فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله فسمعتهم فدخلت على أبى وأنا أبكى فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذاهم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال يابنية اسكتى وفى لفظ لاتبكى ثم خرج بعد أن توضأ ودخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم أصابه ذلك الاقتل ببدر * وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبى العاص وأمية والدمروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه الأذى فى

---

الله تعالى عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة أشهر وقيل سبعة أشهر وسبع عشرة ليلة على أمه أسماء رضى الله تعالى عنهما قبل قتله بعشرة أيام وهى شاكية أى مريضة فقال لها كيف تجدينك ياأمه قالت ماأجدنى إلا شاكية فقال لها إن فى الموت لراحة فقالت لعلك تبغيه لى ماأحب أن أموت حتى يأتى على أحد طرفيك أماقتلت وأماظفرت بعدوك فقرت عينى ولما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها فى المسجد فقالت له يابنى لاتقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذى تخافه القتل فوالله لضربة بالسيف فى عز خير من ضربة بسوط فى ذل ويقال أن الناس لازالوا ينتقلون عن ابن الزبير إلى الحجاج لطلب الأمان وهو يؤمنهم حتى خرج اليه قريب من عشرة آلاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير وأخذ الأنفسهما أمانا من الحجاج فأمنهما ودخل عبد الله على أمه فشكا اليها خذلان الناس له وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله وأنه لم يبق معه إلا اليسير والقوم يعطوننى ماشئت من الدنيا فمارأيك فقالت يابنى أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل أصحابك عليه ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك كم خلودك فى الدنيا فدنا منها وقبل رأسها وقال والله ماركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ومادعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته وبعد ان قتل وصلب على الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة أيام جاءت أمه أسماء رضى الله تعالى عنها تقاد لأن بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينها دمعة وقالت للحجاج اما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها الحجاج المنافق رأيت كيف نصر الله الحق وأظهر أن ابنك ألحد فى هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم * وفي كلام سبط بن الجوزى أن ابن الزبير لما قال لعثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر أن عندى نجائب أعددتها لك فهل لك أن تنجو إلى مكة فانهم لايستحلونك بها قال لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل في الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا * وفى رواية قال لا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف أوزار الناس هذا كلامه وعندى أن المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع أن يكون الحجاج من قريش على أن الذى فى الصواعق لابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى أن القائل لعثمان ذلك المغيرة بن شعبة ولما سمعت سيدتنا أسماء رضى الله تعالى عنها الحجاج يقول فى ولدها المنافق قالت له كذبت والله ماكان منافقا ولكنه كان صواما قواما برا كان أول مولود ولد فى الاسلام بالمدينة وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض أن يعصى الله عز وجل قال انصرفى

داره فاذا اطرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول يابنى عبد مناف أى جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم إلا الحكم وكان فى اسلامه شىء ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى مما تزيده رفعة وهى دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله (٢٠٨) لا تخل جانب النبي مضاما * حين مسته منهم الاسواء كل أمر ناب النبيين فالشد * ة فيه محمودة والرخاء لو يمس النضار هون من النا ر لما اختير للنضار الصلاء *ومما وقع لأبى بكر رضى الله عنه من الاذية ماذكره بعضهم كما فى السيرة الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سرا أى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الخ أبو بكر رضى الله عنه فى الظهور أى الخروج الى المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياأبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبى بكر رضى الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطىء أبو بكر رضي الله عنه بالأرجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة بعد لعنه الله يضرب أبا بكر رضى الله عنه بنعلين مخصوفتين أى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبى بكر رضى الله عنه الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته أى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال اذهبي الى

فانك عجوز قد خرفت قالت والله ماخرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار بن أبى عبيد الثقفى والى العراق فانه لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه اتفق مع طائفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قتل الحسين من أهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك ثم قالت وأما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك ماقاله الحجاج لاسماء كتب اليه يلومه على ذلك أى ومن ثم أرسل اليها الحجاج فابت أن تأتيه فاعاد اليها الرسول وقال اما أن تأتينى أو لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فابت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبنى بقرونى فعند ذلك أخذ نعليه ومشى حتى دخل عليها فقال ياأمه ان أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بأم ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية ومالى من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فانت فقال الحجاج مبير المنافقين ومن كذب المختار انه ادعى النبوة وانه يأتيه الوحي ويسر ذلك لأحبابه *وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعضهم قال كنت أقوم بالسيف على رأس المختار بن أبى عبيد فسمعته يوما يقول قام جبريل عن هذه النمرقة وفي رواية من على هذا الكرسى فاردت أن أضرب عنقه فتذكرت حديثا حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل هذا مستند ما نقل عن كتاب الاملاء لامامنا الشافعي رضى الله تعالى عنه من القول بان المسلم يقتل بالمستأمن وقد كتب المختار للاحنف بن قيس وجماعته وقد بلغنى انكم تسمونى الكذاب وقد كذب الأنبياء من قبلى ولست بخير منهم وقد كان يقع منه أمور تشبه الكهانة منها أنه لما جهز جيشا لقتال عبيد الله بن زياد المجهز للجيش لمقاتلة الحسين رضى الله تعالى عنه كما تقدم قال لاصحابه فى غد يأتى اليكم خبر النفير وقتل ابن زياد فكان كما أخبر وجىء برأس ابن زياد وألقيت بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشوراء اليوم الذى قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب بن الزبير برأس المختار بين يدى مصعب لما ولى العراق من جانب أخيه لأبيه عبد الله بن الزبير * ومما يؤثر عن مصعب العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى فى مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت رأسه ووضعت بين يدى عبد الملك بن مروان وعن بعضهم انه حدث عبد الملك فقال له ياأمير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا رأس الحسين على ترس بين يدى عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر

أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضى الله عنه أى فانها كانت أسلمت وهى تخفى أسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضى الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وانى لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضى الله عنه مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك  تسمع قال فلا عين عليك منها أى انها لاتفشى سرك قالت سالم قال أين هو قالت فى دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فامهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكىء على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله واكب عليه المسلمون كذلك فقال بابى أنت وأمى يارسول الله مابى من بأس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت * وذكر الزمخشرى فى كتاب خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابى بكر رضى الله عنه لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد (ومما وقع لعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه

بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ومصعب بن الزبير على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك وأنت على السرير فقال عبد الملك لا أراك الله الخامسة ثم أمر بهدم ذلك (وعن امامنا الشافعي) رضى الله تعالى عنه ان أبا الحجاج لما دخل بأم الحجاج واقعها فنام فرأى قائلا يقول له فى المنام ماأسرع ما انجبت بالمبير (وفى كلام سبط ابن الجوزى) ان أم الحجاج كانت قبل أبيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب انه دخل عليها يوما فوجدها تتخلل حين انقلبت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك القذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت قالت والله مافرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا ولا هو شىء مما ظننت ولكنى استبكت فاردت ان أتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فخرج فلقى يوسف بن أبى عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شىء أدعوك اليه قال وماذاك قال انى نزلت عن سيدة نساء ثقيف وهى الفارعة فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج (وفى حياة الحيوان) انها كانت قبل أبى الحجاج عند أمية بن الصلت هذا كلامه وقد يقال لامانع انها تزوجت الثلاثة وان تزوجها لامية كان قبل المغيرة وكونها سيدة نساء ثقيف يبعد القول بأنها المتمنية التى مر بها سيدنا عمر رضى الله تعالى عنها وهى تنشد * هل من سبيل الى خمر فاشربها * الابيات وانه كان يعير بها فيقال له ابن المتمنية وفى مدة صلب عبد الله بن الزبير صارت أمه تقول اللهم لاتمتنى حتى تقر عينى بجثته وذهب أخوه عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان يسأل فى انزاله عن الخشبة فاجابه وأنزله قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من أعضائه الا جاء معنا فكنا نغسل العضو ونضعه فى أكفانه وقامت فصلت عليه أمه وماتت بعده بجمعة ذكر ذلك فى الاستيعاب وقيل بعده بمائة يوم قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا منهم من سال دمه فى جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحى قتل يوم قتل ابن الزبير وقطع رأسه وبعث الحجاج برأسه ورأس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما وصاروا يقربون رأس عبد الله بن صفوان الى رأس ابن الزبير كانه يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك بن مروان (ولما) وضعت رأس عبد الله بن الزبير بين يدى عبد الملك سجد وقال والله كان أحب الناس الى وأشدهم إلفا ومودة ولكن الملك عقيم أى فان الرجل يقتل ابنه أو أخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وستأتى مدحة عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ أمير الجيش الذى أرسله يزيد لمقاتلته وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان انى قد أقلتك بيعتى فاذهب حيث شئت فقال انما أقاتل عن دينى وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما آمنا ومما يدل لما تقدم من أن عبد الله بن الزبير كان عنده سوء خلق ماحكى انه جاء اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلبون العلم وان الناس على باب أخيه عبد الله يطلبون الطعام فاحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما أبقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال له انطلق الى ابن العباس رضى الله تعالى عنهم وقل

 من الاذية ﴿ أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ماسمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش فى انديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا مابال ابن أم عبد

فقال بعضهم يتلو بعض ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءتها حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد ادمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لاتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون (ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية) انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لأنهم تواصوا بذلك وقالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن اتى خفية واسترق السمع خوفا منهم (ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية) ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله عنه وهو ما حدث به ابن اسحق قال حدثني رجل من أسلم ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه وقيل انه صب التراب على رأسه والقى عليه فرثا ووطىء برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبوجهل الى نادى قريش أى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فاخبرته الخبر فقالت له يا أبا عمارة وهى كنية لحمزة رضى الله عنه ويكنى أيضا بأبى يعلى لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد وقيل التى أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه والقى عليه فرثا ووطىء برجله على عاتقه فقال لها حمزة انت رأيت هذا الذى تقولين قالت نعم وفى رواية لما رجع حمزة من

لهما يقول الكما أمير المؤمنين اخرجا عنى والافعلت وفعلت فخرجا الى الطائف أى وقيل ما خرج عبد الله من مكة الى الطائف الا لان الله تعالى يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فقد قال الشيخ محيى الدين بن العربى اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وكان هذا سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه لأنه ليس فى قدرة الانسان أن يدفع عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من أراد الفقه والجمال والسخاء فليأت دار العباس الجمال للفضل والسخاء لعبيد الله والفقه لعبد الله قال ولما حج عبد الملك أى وذلك فى سنة خمس وسبعين قال له الحرث انا أشهد لابن الزبير بالحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله تعالى عنها قال انت سمعته منها قال نعم فجعل ينكت بالمنساة فوق بقضيب كان فى يده الأرض ساعة ثم قال وددت انى كنت تركته يعنى ابن الزبير وما تحمل وفى رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهذا هو الموافق لما فى تاريخ الازرقى ان الحرث وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك ما أظن أبا خبيب يعنى ابن الزبير سمع من عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يزعم انه سمع منها فى بناء الكعبة قال الحرث أنا سمعته منها قال عبد الملك أنت سمعته منها الحديث وكون عائشة حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافى ما فى تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يقول حدثتنى أمى أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث وفى رواية ان عائشة رضى الله تعالى عنها أنذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلى فى البيت ركعتين فلما فتحت مكة أى وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يفتح لها باب الكعبة ليلا فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وأدخلها الحجرة وقال صلى ههنا فان الحطيم أى الحجرة من البيت الا ان قومك قصرت بهم النفقة أى الحلال فاخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء الكعبة وأظهرت قواعد الخليل وأدخلت الحطيم فى البيت وألصقت العتبة على الارض ولئن عشت الى قابل لافعلن ذلك ولم يعش عليه الصلاة والسلام ولم تتفرغ الخلفاء لذلك وبما ذكر يعلم ما فى قول الاصل فهدمها أى عبد الملك وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الحجاج لم يبن الا الجدار الذى يليه الحجر والبناء الذى تحت العتبة والدرجة التى فى باطنها وأما التراب الذى جعل فى باطنها فيحتمل أن يكون هو التراب الذى أخرجه عبد الله بن الزبير استمر باقيا فأعاده الحجاج ويحتمل انه غيره ولم أقف على بيان ذلك فى كلام أحد والشاذروان الذى أخرجه عبد الله بن الزبير من عرض الاساس الذى بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البناء وثباته من العجب ما حدث به بعضهم قال كنت أميرا على الجيش الذى بعث به يزيد بن معاوية الى عبد الله بن الزبير بمكة فدخلت المدينة فجلست بجانب عبد الملك بن مروان فقال لى

عبد الملك

صيده إذا امرأتان يمشيان خلفه فقالت إحداهما لو علم ماذا صنع ابو جهل بابن أخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليها فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الأخبار من الامرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه به فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك إن استطعت وفى لفظ أن حمزة لما قام على رأس أبى جهل بالقوس صار أبو جهل  يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم عشيرة أبى جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة ما نراك إلا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنه رسول الله والذى يقول حق والله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله قد أسمعت ابن أخيه شيأ وبقى حمزة على اسلامه بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان راشدا فاجعل تصديقى فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى أنى وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلى على ما لا أدرى أرشد هو أم غى شديدة فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله فى قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك لصادق فأظهر يا ابن أخى دينك فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنا على دينى الأول وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى حمزة كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها

عبد الملك أنت أمير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك أتدرى إلى من تسير تسير إلى أول مولود ولد فى الاسلام أى بالمدينة من أولاد المهاجرين والى ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين يعنى أسماء والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله ان جئته نهارا وجدته صائما وان جئته ليلا وجدته قائما فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لاكبهم الله فى النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه وذكر بعضهم أن عبد الملك بن مروان لما رأى جيش يزيد متوجها الى مكة قال أعوذ بالله اتبعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا وأسلم وكان يقرأ الكتب وقال جيشك اليه أعظم ويقال أن هذا اليهودى مر على دار مروان والده عبد الملك هذا فقال ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار أى لأن مروان كان سببا لقتل عثمان وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل عبد الله بن الزبير ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأمور الفظيعة (وسبب ولاية الحجاج) على الجيش أنه قال لعبد الملك بن مروان رأيت فى منامى أنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فولنى قتاله فولاه فارسله فى جيش كثيف من أهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به أرعدت السماء وأبرقت فخاف أهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وأنا ابنها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها أخرى حتى قتلت اثنى عشر رجلا فخاف أهل الشام زيادة قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم على الرمى بالمنجنيق ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت أستارها حتى صارت كالفحم أى وفيه أنه لو كانت هدمت أو حرقت لأعيد بناؤها أو صلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لأنه مما تتوفر الدواعى على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن أن الذى وقع من جيش يزيد واقع من الحجاج ﴿فان قيل﴾ هلا أهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما اهلك أبرهة (قلنا) لأن من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف أبرهة كما تقدم وفيه أنه قد يشكل كونه حرما آمنا وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير أى وأمر بأن يخرج إلى الطائف ويهدده على ما تقدم قلت أبوه الزبير وأمه أسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية وفى رواية عنه أنه قال أما أبوه فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر وأما أمه فذات النطاقين يريد أسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة وأما عمته فزوج النبى صلى الله عليه وسلم يريد خديجة وأما عمة النبى صلى الله عليه وسلم فجدته يريد صفية ثم عفيف فى الاسلام وقارىء القرآن ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال فى خطبته ألا ان ابن الزبير كان من أخيار هذه الأمة إلا أنه نازع الحق أهله أن الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنته فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم على الله من الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم (ومن أعلام نبوته) صلى الله عليه وسلم ما روى أن عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك أمه أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن

يعني ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان أعز فتى في قريش واشدهم شكيمة أي أعظمهم في عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه واقبلوا على بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم أي لا ناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من اسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب (٢١٢) والجوع والعطش وغير ذلك حتى ان الواحد منهم لا يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي كان به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا أسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى أن منهم من فتن عن دينه ورجع الى شرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وابي القيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن امية خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضي الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة وقال حمزة رضي الله عنه بعد أن أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها * بآيات مبينة الحروف قواما
وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
اله الناس شر جزاء قوم * ولا سقاهم صوب الخريف

وحين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وابو سفيان بن حرب ورجل من بني الدار وابو البختري والاسود بن

البيت أو ليقتلن دونه (وفي حياة الحيوان) العرب اذا أرادوا امدح الانسان قالوا كبش واذا أرادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في المحلل التيس المستعار ويقال أن الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام رأى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة فقال شر حال قتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله ورسله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رأيته قال نعم ولا اعرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فانكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الآن اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع من الجنون في كل يوم خمس مرات فقال الحجاج أذهب لا شفى الله الابعد من جنونه ولا عافاه وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه أمر لم ينقل مثله عن احد وكان يخبر عن نفسه ويقول ان أكبر لذاته سفك الدماء قال بعضهم والاصل في ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس في صورة الحرث بن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا أسود والعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدي أمه وذكر انه أتي اليه بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير وانت معرضة فقالت اني استحي أن انظر الى من لا ينظر الله اليه فامر بها فقتلت وقد احصى الذي قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة الف وعشرين الفا ولما عزى سيدتنا اسماء عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وأمرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وقد جاء ان هذه البغي أول من يدخل النار ويقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه يوم قتل يا امه اني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر لله فان ابنك لم يعمد لاتيان منكر ولا لعمل فاحشة وفي كون عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما تاخر موته عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة اشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك في الطواف فمرض من ذلك اياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل به ذلك وقال قتلني الله ان لم اقتله فقال له عبد الله لست بقاتل قال ولم قال لانك الذي امرته وقول عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول أبيه عمر رضي الله تعالى عنهما فانه لما بلغه ان أهل العراق حصبوا أميرهم أي رموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهى في صلاته فلما سلم قال اللهم أنهم قد لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل أن يولد الحجاج ثم رأيت في تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه عبد الله بن عمر ويوافقه ما في الدلائل للبيهقي ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك يا حبيب اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا والله لقد كنت ما علمت صواما

المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فأتوا منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يأمرهم بإزالة شكواهم وأن يجيبهم إلى أمر فيه الألفة والصلاح فأحضره وقال يا ابن أخي هذا الملأ من قومك فاشكهم أي أزل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت  الآلهة فما من قبيح إلا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الأمر الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب أي العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوا علي اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة وفي رواية أن عتبة قال يوما وكان جالسا في نادي قريش والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا قالوا بلى فقام حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم وفي رواية لقد فضحتنا في العرب حتى طار فيهم ان في قريش ساحرا

قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب مما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بني العباس كان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل انه يعرف أربعين لغة ويماري فيها وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما في كلام جرى بينهما لا أم لك فقال الي تقول هذا وأنا ابن عجائز الجنة يعني جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وأمه اسماء وقال الحجاج يوما لشخص ما تقول في عبد الملك بن مروان فقال الرجل ما أقول في رجل أنت سيئة من سيئاته وقد أطلق سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة من سجن الحجاج سبعين ألفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلا عن القتل وذكر أنه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت أخلية فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل فتبدو العورات وكان كل عشرة سلسلة ويطعمهم خبز الدخن مخلوط بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل له أهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا أقل من جمعة وآخر من قتله الحجاج التابعين سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه ولم يقتل بعد ابن جبير إلا رجلا واحدا وقال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من أخصاء الحجاج بعد موت الحجاج أبلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا أمير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك عبد الملك وبين أخيك هشام بن عبد الملك فضعه النار حيث شئت * ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا وقال نظرت بعيني هاتين وأهوى بيده الى عينه الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بأمعائهما ثم عاد ميتا كما كان والحجاج متأصل في الظلم فقد رأيت بعضهم حكى انه يقال في المثل اظلم من ابن الجلندي وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وانه من أجداده الحجاج بينه وبينه سبعون جدا واستحلف الحجاج رجلا في أمر فقال لا والذي أنت بين يديه غدا اذل مني بين يديك اليوم فقال والله اني يومئذ لذليل وأول من ضرب الدراهم في الاسلام الحجاج بأمر عبد الملك ابن مروان وكتب عليها قل هو الله أحد الله الصمد أي على احد وجهي الدراهم قل هو الله أحد وعلى وجهه الثاني الله الصمد ولم توجد الدراهم الاسلامية إلا في زمن عبد الملك بن مروان وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس ضرب دراهم وسماها البقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك في سنة أربع وعشرون وستمائة ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سأل هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أبو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه سأله وقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من عمران الى خراب فقال له وكيف القدوم على الله قال أما المحسن فكغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ياليت شعري مالنا عند الله قال أعرض عملك على كتاب الله تعالى فقال في أي مكان أجده فقال في قوله

وان في قريش كاهنا ما تريد إلا أن يقوم بعضنا البعض بالسيوف حتى تتفانى فاسمع اعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا أي فيصير الأمر لك والنهي وان كان هذا الذي  يأتيك رئيا من الجن يقرئك حتى لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت أبا الوليد فانت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا السلامة فذهبوا اليه وفي رواية رجع اليهم فقال لهم أبو جهل أرى الوليد رجع اليكم بوجه غير الذي ذهب به ثم قالوا له ما وراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فاطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم وفي رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان في
نصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا اسحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفي رواية لما أكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا ابدا وفي رواية أن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما أرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد

تعالى ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فاي عباد الله أكرم قال أولو المروءة * وجاء اعرابي الى سليمان بن عبد الملك هذا فقال يا أمير المؤمنين اني اكلمك بكلام فاحتمله فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابي فقال الاعرابي اني اطلق لساني بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله انه قد اكتنفك رجال قد أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخانوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يبالوا بالامانة وأنت مسئول عما اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عند الله عيبا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أنت ما أنت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك ولما حج بالناس قال لولد عمه وولي عهده عمر بن عبد العزيز ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم الا تعالى ولا يسع رزقهم غيره فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله أستعين وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه حين أعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا أمير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وفرح لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترن بآفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان رحمه الله حتى اخضلت دموعه لحيته وولاية عمر بن عبد العزيز بشر بها جده لامه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال ان من ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملأ الأرض عدلا كان ولده عبد الله يقول كثيرا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا وفي رواية عنه كان يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان أمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (ومما يؤثر عن سليمان رحمه الله تعالى) أنه لما ولي الخلافة وقام خطيبا قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء أعطى ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وقال في خطبة من خطبه أيضا أيها الناس أين الوليد وأبو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واسترد العواري واضمحل ما كان لم يكن اذهب عنهم ثابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا بلين الوطء خشن التراب فهم رهن فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا (ولما ولي الخلافة) أبو جعفر المنصور وأراد أن يبني الكعبة على ما بناها ابن الزبير وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك ابن أنس أنشدك الله أي بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أي أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه قال وذكر الطبري في مناسكه أن الذي أراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى (أقول) وكونه الرشيد هو الذي ذكره المقريزي واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونة لستة أيام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز أن يكون دخل المدينة قبل سيره الى مكة واستشار الناس

وأعجبك أمره فقص عليهم القصة وقال والله الذى نصبها بنية يعنى الكعبة مافهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمت ان محمدا إذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدرى ما قال فقال والله ماهو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيى فاصنعوا مابدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا له مرة عتبة بن ربيعة وحده وفى رواية لابن عباس رضى الله عنهما أن القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا ويكون فيهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسالهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشى فى الأسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن الا أن يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة أيضا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه فى دنياك وآخرتك وقالوا له مرة أيضا ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها اصلاح قال وما هى قالوا تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت فى الامر فان كان الذى نعبده خيرا مما تعبده انت كنت أخذت منه بحظك وان كان الذى تعبده أنت خيرا كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر ما ياتينى من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين * وعن جعفر

فى المدينة فقال له الامام مالك ماتقدم وأن الرشيد أيضا أراد ذلك واستشار الامام مالكا فاشار عليه بما ذكر ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير لما كان فى زمن المهدى بن المنصور أستشار الامام مالكا فى ردها أى الكعبة على الصفة التى بناها ابن الزبير فقال له انى أخشى ان تتخذها الملوك لعبة ورأيت فى كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه إلى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان فى حجة غير هذه التى مات فيها ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير ان المنصور حج وهو خليفة أربع حجات غير الحجة التى مات فيها وكذا فى القرى لقاصد ام القرى للطبرى وذكر انه مات فى الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين وأنه أحرم فى بعض حججه من بغداد وقد ذكر الشيخ الصفوى ان المنصور بلغه أن سفيان الثورى ينقم عليه فى عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه أن سفيان بمكة أرسل جماعة امامه وقال حيث ماوجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصب الخشب ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام ورأسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا عليه بالله لا تشمت بنا الاعداء قم فاختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعنى مكة المنصور وكان وصل إلى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال هذا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم انه مات ببئر ميمونة لانه يجوز أن يكون المراد بوصوله إلى الحجون وصول خيله وركبه فليتأمل ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير أن المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذى مات فيه وأفرط به الاسهال ودخل مكة فنزل بها وتوفى ولعل هذا لا يخالف ماسبق لأنه يجوز أنه طلق مكة على المحل القريب منها وانه مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه قيل وآخر ما تكلم به المنصور اللهم بارك لى فى لقائك ومما يؤثر عنه أولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله أعلم وتقدم أن قصيا لما أمر قريشا أن تبنى حول الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابو بكر رضى الله عنه فلما ولى عمر رضى الله تعالى عنه رأى أن يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدرا قصيرا على ذلك وجعل فيه أبوابا ثم وسعه عثمان ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك بن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقل ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدى أولا وثانيا حتى صارت الكعبة فى وسط المسجد وفى أيام المعتضد أدخلت دار الندوة فى المسجد وتسمى مكة فاران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها أو لأن الله سلط فيها النمل على العماليق لما أظهروا فيها الظلم حتى أخرجهم من الحرم كما تقدم ولها أسماء كثيرة قد أفردها صاحب القاموس بمؤلف (أقول) وسيأتى عن الامام النووى انه ليس في البلاد اكثر اسماء من مكة والمدينة والله أعلم قال وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه خلقت الكعبة أى موضعها قبل الأرض بالفى سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما أراد الله تعالى أن يخلق الارض دحاها منها فجعلها فى وسط الارض انتهى وسئل الجلال السيوطى رضى الله تعالى عنه

الصادق رضى الله عنه أن المشركين قالوا له اعبد معنا ا لهتنا يوما ونعبد معك إلهك عشرا واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك إلهك سنة فنزلت أى لاأعبد ما تعبدون يوما ولاأنتم عابدون ماأعبد عشرة ولا أنا عابد ماعبدتم شهرا ولاأنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضى الله عنه ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا فى القرآن لو قال امرؤ القيس *قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل* (٢١٦) وكرر ذلك مرتين أو أكثر فى نسق أما كان عيبا فكيف وقع فى القرآن قل ياأيها الكافرون الخ السورة وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولى دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم مافى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد أنزل الله ردا عليهم ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآيات وأنزل الله أيضا ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى الآية وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد ابن المغيرة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ما جئت به فقالوا بلى والله وفى لفظ هل ترون بما أقول بأسا فقالوا لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها وكان رجلا أعمى وهو ممن أسلم بمكة والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل باطل
باولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع فى اسلامهم فصار يقول يارسول الله علمنى مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن ام مكتوم ولم يكلمه وفى رواية أشار إلى قائد ابن أم مكتوم أن يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله فى ذلك بقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الأعمى الآيات فكان بعد ذلك إذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويبسط له رداءه وكان كفار قريش

عن قوله تعالى إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام هل كانت أيام ثم موجودة قبل خلق السموات والارض فأجاب بأن خلق السموات والارض وخلق الأيام كان دفعة واحدة من غير تقديم لاحدها على الآخر واستند فى ذلك لمـ ثور التفسير وفى الحديث ان الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة معناه أظهر حرمتها

﴿باب ماجاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وماسمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وماوجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته فى الكتب القديمة وماوجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها﴾

قال ابن اسحق وكانت الاخبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الاخبار من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءهم به الشياطين فيما تسترق به من السمع اذا كانت لاتحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والمبعث وكان الكهان والكهانة لايزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه تصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده فأما اخبار الاحبار من اليهود فمنها ماتقدم ذكره ومنها ماجاء عن سلمة بن سلامة وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الأشهل فذكر أى عند قوم أصحاب أوثان () القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يافلان أو ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به وليود أى الشخص ان له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر إلى وأنا من أحدثهم سنا فقال أن يستنفد أى يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو اى ذلك اليهودى بين اظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يافلان الست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به (ومن ذلك) ماجاء عن عمر بن عنيسة السلمى رضى الله تعالى عنه قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية أى ترك عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء أى وهى قرية بين المدينة والشام () فقلت انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم إله فيخرج الرجل منهم فيأتى بأربعة أحجار فيعين ثلاثة لقدره أى يستنجى بها ويجعل أحسنها إلها يعبده ثم لعله يجد ماهو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره وإذا نزل منزلا سواه ورأى ماهو أحسن منها تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت انه إله

يقترحون على النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة في اسلامهم رجاء أن يسلم الناس باسلامهم فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه في اعطائهم ما يسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله أنها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال الله تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرة في خلقه أن أقوام  الأنبياء إذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذو بعذاب الاستئصال وكان في علم الله ان هذه الأمة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا لها بنبيها صلى الله عليه وسلم فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم أن يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون أي فأخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لأخذوا كما أخذ الأولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقي على كفره وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن بعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل وفي رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقالوا له مرة سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا وفي لفظ قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا بأن الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلا بد أن

باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا قال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بأفضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك إلا مكة آتي فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها فشددت راحلتي ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أي شيء أنت قال نبي قلت من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدماء وبكسر الأوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان أمكث معك أو انصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث كن في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة فسرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله أتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي أتيتني بمكة * ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إنما دعانا إلى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وارم أي يستأصلكم بالقتل * فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآيات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس قط أفضل منه اي لا أظن أحدا من غير المسلمين لأن المسلمين يصلون الخمس فلا أصلية لا زائدة فاقام عندنا فكنا إذا قحط المطر أي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من محله حتى يمطر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر بالتحريك وباسكان الميم الشجر الملتف والخمير إلى أرض البؤس والجوع قلنا أنت أعلم قال فانما قدمت هذه الأرض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد ظل زمانه أي أقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم أي التي عليهم ظله وهذه البلد مهاجره وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه فقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الهاء وفتح الدال المهملة وقيل بسكونها إخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية ويقال أسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا اشبانا احداثا يا بني

تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشى فى الأسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم سل ربك أن يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا يروى أن كثيرا من هذه الأشياء خاطبوه بها فى آخر المجلس الذى كان مقبلا عليهم فيه حين جاء ابن أم مكتوم وابدلوا اللين الذى كان منهم فى أول المجلس بالغلظة فايس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا اسفا على ما فاته من هدايتهم التى طمع فيها* ومن آذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى أمية المخزومى وكان ابن عمته صلى الله عليه وسلم وهو ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب وكان من أشد الناس عليه وهذا كله قبل إسلامه ثم اسلم رضى الله عنه عام الفتح واستشهد فى غزوة الطائف قال للنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك أى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت إنى أصدقك فأنزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسراء فى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة إلى ان الله تعالى خيره بين أن يعطيهم جميع ما سألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب الامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سألوا

قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فاحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم كما سيأتى * قال ومن ذلك خبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال خرجت فى تجارة إلى اليمن فى ركب فيه أبو سفيان ابن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبى سفيان أن محمدا قائم فى أبطح مكة يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش إلا الأمين قال هل كتب بيده فاردت ان أقول نعم فخشيت من أبى سفيان أن يكذبنى ويرد على فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك ان تؤمن به قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل فى كداء أى بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمى الا انى أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان إلى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال أى والله إنى لاذكرها انتهى أى ومن ذلك ما جاء عن أمية بن أبى الصلت الثقفى قال لأبى سفيان انى لأجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت أظن انى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى انه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف باخلاقه إلا عتبة بن ربيعة إلا إنه قد جاوز الأربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لأمية فقال أمية أما انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت اخبرهن انى هو ثم أصير تبعا لفتى من بنى عبد مناف وسيأتى ذلك بأبسط مما هنا وأما الأحبار والرهبان من النصارى فمنها ما تقدم ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبد الله رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه أى الذى يبعث فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخلة وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر بذلك فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة رضى الله تعالى عنهما فشدهما فى حبل واحد فلذلك سميا القرينين اه * أقول يحتمل أن هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل أن يكون نسطورا لأن كلا منهما كان ببصرى كما تقدم فى سفره ويحتمل أن يكون غيرهما وهو أولى لما تقدم أن كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله أعلم * أى ومنها ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى ابان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجر إلى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شىء سأل عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمى عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه ثم صنع طعاما وأرسل إلى سراة بنى أمية أى اشرافهم فقال لهم إنى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكاء لم ينزل إلى الأرض منذ أربعين سنة أى من صومعته

فنزل

فيستصالوا بالعذاب لأن الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى الله تعالى فى كتابه العزيز كثيرا من مغالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى حكاية عنهم وقالوا امال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فأجاب الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ولما استعظموا أن يكون الرسول  بشرا وقالوا الله أعظم ان يكون رسوله بشرا منا ما انزل الله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وما أنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بأنهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الأمر عليهم ولو بقى على صورته لقضى الأمر عليهم باخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا لقالوا أن ذلك سحر أو قالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى أى فانهم لا يأمنون وقال تعالى فى الرد عليهم حين صاروا يسألون كتابا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالى حكاية عنهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله

فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت أن لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت أنى من قريش وأن رجلا هناك خرج يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ فى صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الأمة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لى اقرأ عليه السلام وكان ذلك فى يوم الحديبية أى والحديبية سيأتى أنها كانت سنة ست فالعشرون تغريب * أى ومنها ما حدث به حكيم بن حزام بالزاى رضى الله تعالى عنه قال دخلنا الشام للتجارة قبل أن أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أى العرب أنتم من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى فقال حكيم فقلت يجمعنى واياه الأب الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما اسألكم عنه فقلنا نعم فقال أنتم ممن أتبعه أو ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وأمر بفتحه وجاء إلى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل فقال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا فافتحها ويكشف عن صور الأنبياء ويقول أما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد ابن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ أكثر من ألف سنة قال صاحبكم نبى مرسل فاتبعوه ولوددت أنى عبده فأشرب ما يغسل من قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وأنه رأى صورة أبى بكر آخذة بعقب تلك الصورة واذا صورة عمر آخذة بعقب صورة أبى بكر فقال من ذا الذى آخذ بعقبه قلنا نعم هو ابن أبى قحافة قال فهل تعرف الذى آخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال أشهد أن هذا رسول الله وأن هذا هو الخليفة بعده وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا * ومنها ما حدث به سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال كنت رجلا فارسيا من أصل اصبهان من قرية يقال لها جى بفتح الجيم وتشديد الياء أى وفى لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفى لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبى فمن اصبهان وكان أبى دهقان قريته أى كبير أهل قريته أى وفى لفظ كنت من أبناء اساوة فارس وكنت أحب خلق الله تعالى الى أبى لم يزل حبه اياى حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن الدار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة ويروى بفتحها بمعنى قاطن اى خادمها الذى يوقدها لا يتركها تخبوا أى تطفأ ساعة وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له يوما فقال يا بنى أنى قد شغلت فى بنيان هذا اليوم فاذهب اليها وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا ادرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى وفى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت والله هذا خير من الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم اين اهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال اي بنى أين

وقال تعالى فى الرد عليهم فى قولهم أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ولما أنكروا عليه التزوج بالنساء وطلب الذرية كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية والحاصل ان الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة يوهمون أنها حجة لهم ردها الله عليهم بأحسن الرد كما قالوا لولا نزل عليه  القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا

أى نزلناه كذلك أى مفرقا بحسب الوقائع لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ومما قالوه له اسقط علينا السماء كسفا أى قطعا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون وقالوا مرة بلغنا ان الذى يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وأنا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى قل هو أى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال تعالى ردا لسؤالهم رؤية ربهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا

كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فاعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافنى أى خاف منى أن أهرب فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبرونى بهم عليهم تجار من النصارى فاخبرونى فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة أخبرونى بهم فقدم فاخبرونى بهم فالقيت الحديد من رجلى ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم فى الدين فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك فاخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه أشياء منها اكتنزها لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا فقالوا لى وما أعلمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نحو نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة أى ولم يصلوا عليه صلاتهم مع أن هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان تقيا من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع أهل كل ملة على أن هذا الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التى حذرنا الله تعالى منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة هذا كلامه *قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه ومن فوائد الرهبان أنهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا *قال ورأيت شخصا قال الراهب انظر الى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسالت عن ذلك فقالوا رأوا على عاتقه نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وعند ذلك جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس ارى أنه أفضل منه اى لا أظن احدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة وأدأب ليلا ونهارا منه فاحببته حبا شديدا لم أحبه شيا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصنى قال أى بنى والله أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب أى دفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال أقم عندى فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت يا فلان ان فلانا أوصى بى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد

لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وعن حضرك محمد بن كعب القرظى ان الملأ من قريش أقسموا للنبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل أنهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله ان يعطيهم ما سالوا فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكنى لم آتقوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا أمرت بعذابهم وفى رواية اتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذابا لا أعذبه احدا من العالمين وان شئت ان لا يصير لهم الصفا ذهبا فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفى رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب

تائبهم فقال بل حتى يتوب تائبهم وانما وافق صلى الله عليه وسلم على فتح باب التوبة والرحمة لانه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جعل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا اماسألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء  لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات وأخبار الامم السالفة كما قال تعالى أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الانعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان فى ذلك الآية وقال فى آخرها أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل وهم يعلمون ان الذى جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك الا بعد أن بلغ أربعين سنة قال تعالى ردا عليهم فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنه انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى فى قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى فى قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال في شأن آدم عليه السلام ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين ثم بين قصة الملأ الأعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم

حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبرى وما امرنى به صاحبي فقال أقم عندى فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما احتضر أى حضرته الملائكة لقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بى الى فلان ثم أن فلانا أوصى بى اليك فالى من توصى بى والى من تامرنى قال يا بنى والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك ان تاتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فأته فلما مات وغيب أى دفن لحقت بصاحب عمورته واخبرته خبرى فقال اقم عندى فاقمت عند خير رجل على هدى اصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان انى كنت مع فلان فاوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان إلى فلان ثم أوصى بى فلان اليك انى من توصى بى بم تأمرنى قال أى بنى والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظل أى أقبل وقرب زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتالك البلاد فافعل ثم مات وغيب * اقول وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى أربعة وفى كلام السهيلى انهم ثلاثون فى النور انهم بضعة عشر وان هذا أظهر والله اعلم قال سلمان ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب واعطيكم بقراتى هذه وغنمى هذه فقالوا نعم فاعطيتهموها أى اعطيتهم اياها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا بى وادى القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت ان تكون البلدة التى وصف لى صاحبي ولم يحق عندى أى لم أتحقق ذلك فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى عنه فحملنى الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها أى تحققتها بصفة صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق أى نخل لسيدى اعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قيلة أى وهما الاوس والخزرج لان قيلة امهما فقد جاء ان الله أمدنى باشد العرب السنا واذرعا بنى قيلة الاوس والخزرج والله انهم الآن المجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل قباة بتاء التأنيث والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبى فلما سمعتها اخذتنى العرواء وهى الحمى النافض أى الرعدة والبرجاء الحمى الصالب حتى ظننت انى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا اقبل على عملك فقلت لاشىء انما أردت ان اثبته فيما قال وقد كان عندى شىء جمعته أى وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما أمسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت انى قد بلغنى انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غرباء ذو حاجة وهذا شىء كان عندى

ومايجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من أخبار الانبياء والامم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الامر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا عليه خللا فى كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان ابو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن و بنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي  يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله تعالى

للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم يأكل فقلت فى نفسي هذه واحدة أى ومن ثم لما أخذ الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما وهو طفل تمرا من تمر الصدقة ووضعها فى فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ اما تعرف انا لا نأكل الصدقة رواه مسلم * وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال انى لانقلب الى أهلى فاجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فالقيها * ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا أن تكون من الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس وفى رواية ان هذه الصدقات انما هى أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على آله وقال الثورى تحل الصدقة لآل محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم منهم بذلك جاء الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وهو أيضا يحتمل لأن يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر اصحابه فاكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان أى ومن ثم روى مسلم كان اذا أتى بطعام سال عنه فان قيل هدية أكل منها وان قيل صدقة لم ياكل منه قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من اصحابه أى وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قبل وهو أول من دفن به وقيل أول من دفن به أسعد بن زرارة وقيل أول من دفن به عثمان ابن مظعون وجمع بان أول من دفن به من المهاجرين عثمان أى وقد مات فى ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة وأول من دفن به من الانصار كلثوم أو اسعد أى وفى الوفيات لابن زبر مات كلثوم ثم من بعده ابو أمامة اسعد بن زرارة فى شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفع بالبقيع هذا كلامه ولم يذكر الوقت الذى مات فيه كلثوم وفى النور عن الطبرى انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بالمدينة بايام قلائل وأول من مات من الانصار البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت اوصى أن يدفن ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو واصحابه وكبر اربعا ولم يقف على محل دفنه وقولهم ان اول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على أن البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت على القبر كان سلمان وكان عليه الصلاة والسلام عليه شملتان وهو جالس فى اصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذى وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك اصحابه أى وفى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتى بتاجر من اليهود

واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله والحاصل انها تحيرت عقولهم فيما جاء به صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم قال انه سحر وكهانة واساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبد النبي الحضرمي نصرانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى فيه للعقول اهتداء
والذى يسألون منه كتاب * منزل قد اتاهم وارتقاء
اولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس آية منه والجن * فهلا تاتى به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه * فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء
وارتنا فيه غوامض فصل * رقة من زلاله وصفاء كان
انما تجتلى الوجود اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منا * ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل * فلا يوهمنك الخطباء
كم ابانت آياته من علوم * عن حروف بان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى أعجب الزراع * منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريب * فقالوا اسحر وقالوا افتراء

واذا البينات لم تغن شيئا * فالتماس الهدى بهن عناء     واذا ضلت العقول على علم فماذاتقوله النصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفي وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعني مكة والطائف فانزل الله تعالى وقالوا لولا نزل أي ماذا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في (٢٢٣) الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (وفي رواية) قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر ابن الحرث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سالاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول أي التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا احبار اليهود وقالا لهم أتيناكم لامر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما انه رسول الله وفي لفظ رسول الرحمن قالوا اصفوا لنا صفاته فوصفوا فقالوا امن تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن على ماهي عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبي مرسل وان لم يفعل فتقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول يعنون بذلك أهل الكهف فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ماهي فاذا أخبركم بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئنا كم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبراهم الخبر فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أي لم

---

كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرف الترجمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفارسي جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم عن كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أي الذي ترجمه له جبريل لليهودي فعل اليهودي يامحمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها من قبل والآن علمني جبريل أو كما قال فقال اليهودي يامحمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندي أنك رسول الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك كان عند مجيئه في المرة الثالثة وحينئذ يشكل مجيئه أولا وثانيا وقوله ماتقدم بالعربية الا أن يقال ذلك لقلته مسهل عليه أن يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرته لم يحسن أن يعبر عنه بالعربية * قال وقد اختلفت الروايات عن سلمان في الشيء الذي جاء به للنبي صلى الله عليه وسلم أولا وثانيا فالرواية الاولى المتقدمة ظاهرها يقتضي انه تمر اه أي وفيه من أين ان ظاهرها ذلك بل هي محتملة وقد جاء التصريح بكونه تمرا في الاولى والثانية ففي بعض الروايات فسألت سيدي أن يهب لي يوما ففعل فعملت في ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدي أن يهب لي يوما آخر فعملت فيه على ذلك أي على صاع أو صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه أي والذي في كلام السهيلي قال سلمان كنت عبد الامرأة فسألت سيدتي أن تهب لي يوما الحديث وقد يقال لامخالفة لايجوز أن يكون عنى بسيدته زوجة سيده لانه يقال لها سيدة في المتعارف بين الناس أو ان المرأة هي التي اشترته ويؤيده ما يأتي وزوج تلك المرأة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال وقيل ان الذي جاء به أولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية جئت بمائدة عليها بط وفي رواية عليها رطب وجمع بأنه أولا قدم الخبز واللحم الذي هو البط والتمر ثم قدم الرطب فلم يتحد المقدم وفي مسند الامام احمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيها متحد اه (قول) تقديم الرطب في المرة الثانية يخالفه ماتقدم انه في المرة الثانية كان تمرا والله أعلم ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد فكان أول مشاهده الخندق كما سيأتي وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من اخصائه صلى الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب ياسلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أي ودية على وزن فعيله وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها الغسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أي الحفر أي ومن ثم قيل للبئر الفقير أي احفر لها واغرسها بتلك الحفرة وتصير حية بتلك الحفرة أي وأتعهدها ان تثمر والودية والغسيلة هي النخلة الصغيرة التي جرت العادة بأن تنقل من المحل الذي تنبت فيه الى محل آخر لكن في كلام بعضهم اذا اخرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال

يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحي وتكلم قريش في ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه أبي لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك أي تركك وابغضك وفي رواية قالت امرأة من قريش ابطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف (٢٢٤) وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور في سورة الاسراء وهو ان الروح من أمر الله قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي من علمه لا يعلمه الا هو وكان في كتب اهل الكتاب ان الروح من امر الله اي مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهي مما تكرر نزوله وعاتب الله النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وانزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وابغضه فكبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر على ذلك التكبير في بقية السور بعدها الى آخر القرآن ولما اجابهم صلى الله عليه وسلم عما سألوا ازدادوا بغيا وكفرا ونسبوه في ذلك الى السحر والكهانة ومن الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وسلم لهم وهي من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قصة الزبيدي قال الحلبي في السيرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد اخرى وهو يقول يامعشر قريش كيف تدخل عليكم الميرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل أي ينزل بساحتكم تاجر وانتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم ومازال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر انه قدم بثلاثة

للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها وعلى أربعين أوقية أي من ذهب كما سيأتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا اخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل يعين بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية قال وفي رواية انه كوتب على ان يغرس لهم خمسمائة فسيلة أي يحفر لها ويغرسها أي ويتعهدها الى ان تثمر وعلى أربعين أوقية قال سلمان فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان ففقر أي بالفاء وفي رواية فنقر أي بالنون أي احفر لها فاذا فرغت فائتني أنا أضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرتها وأعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه سلم فاخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الوادي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده مامات منها ودية واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة أي وفي رواية مثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة أي اكبر من بيضة الحمامة وأصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك ياسلمان أي تكون بعضا مما عليك وحينئذ قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت وأين تقع هذه يارسول الله مما علي لان النبي يؤديه بعضه وان قل ذلك البعض الا أن يقال العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع بالنسبة لكله وقد أشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن أن يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فاوفيتهم حقهم أي وبقي عندي مثل ما أعطيتهم قال وهذا أي سؤال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في ان الاواقي التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وقد جاء أي مما يدل على ذلك في بعض الروايات أن سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم وأين تقع هذه مما علي فقبلها صلى الله عليه وسلم على لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها وأيضا أي مما يدل على ذلك أيضا ان المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب يعدل أكثر من أربعين أوقية من الفضة اه أي فلا يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك أي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفاء فقالا على اربعين أوقية من ذهب والى القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار ... دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما ... أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما ... أن عرته من ذكره العرواء

أي ووفى قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون اوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفي دينه منها وبقي عنده منها قدر ما اعطاهم وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اي ارق بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك وعلى ان يغرس تلك النخيل

ويتعهدها

ويتعهدها إلى أن تثمر وأعتق بأداء هذا الدين حين أينعت العراجين من نخيله التي غرسها أي غرست له أفلا ترون لسلمان عذرا يمنعكم من إيذائه حين أن غشيته قوة الحمى من أجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى سلمان أي كان سببا لشرائه أي مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حين تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله إلا نخلة غرسها عمر رضي الله تعالى عنه فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأطعمت من عامها وذكر البخاري أن سلمان رضي الله تعالى عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها إلا التي غرسها سلمان قال ويجوز أن يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر انتهى * أقول وهذا الحائط الذي غرس فيه لسلمان من حوائط بني النضير وكان يقال له المنبت وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ولا يخفى أن قول صاحب الهمزية كان يدعى قنا أنه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك وفيه أنه لو لم يرق حقيقة لما أقره على الرق وأمره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة وادعى عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتأمل فان قيل إذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم أن يأمر أصحابه أن يأكلوا مما جاء به صدقة ويأكل هو وهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وإن ملكه سيده على الأصح عندنا معاشر الشافعية بل وعند باقي الأئمة قلنا يجوز أن يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ماملكه له سيده ثم نسخ ذلك على أن بعض أصحابنا ذهب إلى صحته وفي كلام السهيلي وذكر أبو عبيد أن حديث سلمان حجة على من قال أن العبد لا يملك هذا كلامه أو أنه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لأن الأصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجيء مكاتبته على قواعد أئمتنا لم يستدلوا على مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي أن في خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسأل والله أعلم وعن سلمان رضي الله تعالى عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بالقصة المتقدمة زاد أن صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصفه لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخلها الا منكبه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتسأل عن شيء مايسأل عنه الناس اليوم قد أظلك نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى

اجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث أثمانها لم يسمها لأجله سائم قال فاكسد على سلعتي فظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين اجمالك قال هذه هي بالجزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر الى اجماله فرأى جمالا حسنا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه واخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبي جهل إياك ياعمرو أن تعود لمثل ماصنعت بهذا الرجل فترى مني ماتكره فجعل يقول لاأعوذ يامحمد لاأعود يامحمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذلك في يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه وأما رعب دخلك منه فقال لهم لاأتبعه أبدا أن الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجلا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لأتوا على نفسي ونظير ذلك أن أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل بعد أن بعثه كفار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء مايخلصك من أبي الحكم الاهذا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لأبي جهل في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعنني ونظير ذلك بل أعجب منه قصة الاراشي وحاصلها أن أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الإراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبي جهل استهزاء منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لزعمهم أنه لاقدرة له على أبي جهل وكان ذلك بعد أن وقف على ناديهم وقال يامعاشر قريش من يعينني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على

على حتى فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع أبي جهل فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم ياعبد الله ان أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لى قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سالت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى بحقى منه فأشاروا اليك فخذ لى حتى منه يرحمك الله فقام النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى أبي جهل وضرب  عليه بابه فقال من هذا فقال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أى تغير وصار كلون النقع

الذى هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال اعط هذا حقه فقال نعم لاتبرح حتى اعطيه الذى له فدخل واخرج ماهو لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى وقف على اهل ذلك المجلس الذين بعثوه الى النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله اخذلى بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رايت فقال رايت عجبا من اعجب العجب والله ماهو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا مرعوبا وكانه ليس معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لاتبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه فعند ذلك قالوا لابي جهل مارايناك مثل ماصنعت فقال ويحكم والله ماهو الا

ابن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكاره فى متنه فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه الصلاة والسلام نزل بعد مارفع وأمه وامرأة أخرى اى كانت مجنونة فابرأها المسيح عند الجذع الذى فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما علام تبكيان فقالا عليك فقال انى لم أقتل ولم أصلب ولكن الله رفعنى وأكرمنى واخبرهما أن الله اوقع شبهه على الذى صلب وأرسل الى الحواريون أى قال لامه ولتلك المرأة أبلغا الحواريين أمرى أن يلقونى فى موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم أمرهم أن يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا لكن لا نعلم أنه هو أى حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح هذا كلامه وروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى أحدهما محمدا والآخر موسى ويمكث اربعين سنة وقيل خمسا واربعين وقيل سبع سنين كما فى مسلم وقيل ثمان سنين وقيل تسعا وقيل خمسا أى وجمع بين كون مدة مكثه أربعين سنة او خمسا واربعين سنة وبين كونها سبع سنين اى ومابعد ذلك بأن المراد بالاول مجموع لبثه فى الارض قبل الرفع وبعده والسبعة اى وما بعدها من الاقوال يكون بعد نزوله ويدفن اذا مات فى روضة النبي صلى الله عليه وسلم قال وقيل فى حجرته صلى الله عليه وسلم اى عند قبره الشريف وقيل فى بيت المقدس انتهى أى وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم فى قبره ويؤيده ماورد يدفن معى فى قبرى فاقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر * أقول وكما يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الخنزير يقتل الدجال فقد جاء ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلى خلف المهدى بعد أن يقول له المهدى تقدم ياروح الله فيقول تقدم فقد أقيمت لك وفى رواية ينزل بعد شروع المهدى فى الصلاة فيرجع المهدى القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة أخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقى وورد أن المهدى يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدى من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن امه ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن فى اذنه اليمنى وأقام فى اليسرى والباه اى اسقاه اللبا من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبى بابى الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدى اى الخليفة وهو ابو الرشيد بدليل قوله حتى يكون منهم من يصلى بعيسى بن مريم اى وهو المهدى الذى يأتى آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد وفى رواية الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد أن يكسف القمر فى أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه فان مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون

ان ضرب على بابى وسمعت صوته فلئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسى لفحلا من الابل مارأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لا كلنى والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله واقتضاه النبي دين الاراشى * وقد ساء بيعه والشراء ورأى المصطفى اتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء هوما قد رآه من قبل لكن * ماعلى مثله يعد الخطاء وقوله هوما قدرآه من قبل وذلك لما أراد عدو الله أن يلقى الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فيبس الحجر فى يده ورجع القهقرى

وهو منتقع اللون مما تقدم وأخبر بانه رأى عنق الفحل لو تقدم لاختطفه عضوا عضوا وأبو جهل كان من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم انا كفيناك المستهزئين وما تقدم بعض من استهزائه ومن استهزائه أيضا أنه سار في بعض الأوقات خلف النبي صلى الله عليه سلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك إلى أن مات قال ابن عبد البر كان المستهزئون الذين قال الله فيهم إنا كفيناك



المستهزئين خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم العاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدي السهمي بن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية قيل انه أسلم وهاجر إلى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث ابن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب ابن عبد العزى ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية أعني انا كفيناك المستهزئين لانه انما هلك كافرا يوم بدر وفي رواية انهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن ابي معيط ان كانا ليأتياني بالفروث فيطرحانها على بابي ومن استهزائه أيضا انه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا قال الحلبي في في السيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأكل وقال ما أنا بآكل طعامك

---

عشرون سنة وقيل أربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الأيمن خال أسود يخرج في زمان الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم وأما ما ورد لا مهدي الا عيسى بن مريم فلا ينافي ذلك لجواز أن يكون المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقد جاء لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها وعن العباس رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه الأمة بعددها من صلبك أي وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة أنجم وقيل تسعة وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولو غير حديد البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم وأما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى أحد عشر نجما وقيل اثني عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول على إذا لم يمعن النظر والثاني على ما إذا أمعن النظر وحينئذ يقتضي هذا أن تكون الخلفاء من بني العباس اثني عشر وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل أن المراد به أبو الرشيد ويحتمل أن يكون المنتظر وروى أبو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه العباس فقال الا أسرك يا أبا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا الأمر وبذريتك يختمه وفي رواية ويختمه بولدك وقد أفردت ترجمة المهدي المنتظر بالتأليف في مجلد حافل سماه مؤلفه القواصم عن الفتن القواصم وقد رويت قصة سلمان رضي الله عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم فعنه قال كان لي اخ أكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل ذلك غير مامرة متنكرا فقلت له أما إنك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك قال أنت غلام وأخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف قال إن في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى استأمرهم فاستأمرهم فقال جيء به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذاهم ستة أو سبعة وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فصعدنا اليهم فحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبياء حتى خلصوا إلى عيسى بن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من أحياء الموتى وخلق الطير وابرأ الأعمى والابرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وإن لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا اليها تصير وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك وأحسن فلزمتهم ثم اطلع عليهم الملك فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما أنا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم أتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم أين كنتم فاخبروه فقال ما هذا الغلام معكم فاثنوا عليه خيرا واخبروه باتباعي اياهم ولم أر مثل إعظامهم له فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر من أرسله الله من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر

حتى تشهد أن لا إله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم أن عقبة لقي النبي ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه وو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا في وجهه انه صار كالبرص وانزل الله في حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله يعض انه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الأخرى فتنبت الأولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن أبي العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخالج بأنفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لأبي جهل واستمر الحكم بن أبي العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه وبقي ذلك الاختلاج حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل عدي في يده والمدرى كالمسلة

---

عيسى بن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا يخالف بكم ثم أراد أن يقوم فقلت ما أنا بمفارقك يا غلام أنك لا تستطيع أن تكون معي اني لا أخرج من كهفي هذا الا كل يوم أحد قلت ما أنا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الأحد الآخر فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الأولى ثم رجع الى كهفه ورجعت معه فلبثت ما شاء الله أن يخرج في كل يوم أحد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج في أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال يا هؤلاء اني قد كبر سني ورق عظمي وقرب أجلي واني لا عهد لي بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لي من اتيانه فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى أتيت الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان فيما يقول لي يا سلمان أن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فأما أنا فشيخ كبير لا أحسبني أدركه فان أدركته أنت فصدقه واتبعه فقلت وان امرني بترك دينك وما أنت عليه قال وان أمرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولني يدك فناوله يده فقال له قم باسم الله فقام كأنما نشط من عقال فقال لي المقعد يا غلام احمل علي ثيابي حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت في أثره أطلبه كلما سألت عنه قالوا أمامك حتى لقيني ركب من كلب فسألتهم فلما سمعوا الفتى أناخ رجل بعيره وحملني عليه فجعلني خلفه حتى أتوا بي بلادهم فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار فجعلتني في حائط لها أي بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به فأخذت شيأ من تمر حائطي ثم أتيته فوجدت عنده أناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم يأكل هو ثم لبثت ما شاء الله ثم أخذت مثل ذلك ثم أتيته فوجدت عنده أناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا فقلت هدية قال باسم الله وأكل وأكل القوم فقلت في نفسي هذه من آياته ويحتاج للجمع بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير صحتهما وفي الدر المنثور أن امرأة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها بينما هو يوما يرعى اذ أتاه صاحب له فقال له أشعرت أنه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم أنه نبي فقال له سلمان أقم في الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة فاشترى بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه خبزا ثم أتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لي بها فأخرجها فأكلها أصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعد فأكلا جميعا منها قدرت خلفه ففطن بي فأرخى ثوبه فاذا الخاتم في ناحية كتفه الأيسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فليتأمل ولينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وأنت أمير وهو يجري عليك رزق فقال اني أحب أن آكل من عمل يدي وربما

اشترى

يفرق به شعر الرأس وقال من عذيري من الوزغة لو ادركته لفقات عينه ولعنه وماولد وبعد أن نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف بقي به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضى الله عنه فرده الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذى توفى فيه طاب عثمان رضى الله عنه وأخبره بأشياء تقع له وقال له أنهم يقمصونك قميصا ويريدون منك خلعه فاحذر أن تخلعه حتى تلقانى على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التى تصيبه وأمره بالصبر قيل انه فى ذلك المجلس استأذن من النبي صلى الله عليه وسلم فى ارجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الامر اليه فاذن له فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه سأل عثمان أبا بكر رضى الله عنه أن يرجعه وأخبره بان النبي صلى الله عليه وسلم وعده بذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سال عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة أبى بكر رضى الله عنه ولما أدخله عثمان رضى الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده وكان في رجوعه تأسيس للبلوى التى وقعت لعثمان رضى الله عنه فان منشاها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم فى أفعاله الذى لا يسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما فى بعض شراح الشفاء

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضى بما حكم الصديق فى الحكم

قال الشهاب الخفاجى بعد ان صح أن عثمان رضى الله عنه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم فلا وجه فى التشنيع عليه بذلك والطعن فى خلافته كما زعم الشيعة مع أن عثمان رضى الله عنه علم انه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضى الله عنه فى ذلك والامور الاجتهادية لا اعتراض بها عن ابن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا امعه وأول مشاهده الخندق كما تقدم وقيل وشهد بدرا واحدا قبل أن يعتق أى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه والله أعلم وأما أخبار الكهان لا عن السنة الجان فكثير منها ما تقدم فى ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفى أيام رضاعه قال ومنها أيضا خبر عمرو بن معديكرب رضى الله تعالى عنه قال والله علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا فى أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الابراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر آج لعله من أجيج النار وهو التهابها ولقاح ذى نتاج قالوا وما نتاجه قال نتاجه ظهور نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا وأين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل أمر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عن الخطبة وقيل ان أول من تكلم بان البينة على المدعى واليمين على من أنكر داود عليه الصلاة والسلام وان ذلك فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف القس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يارسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت أن فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور وأقسم قس قسما حاتما لان كان فى الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم أيكم يروى شعره فانشدوه عليه الصلاة والسلام

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا فى قومه وقيل له الجارود لانه أغار على قوم من بنى بكر بن وائل فجردهم أى أخذ جميع أموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا جارود هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يارسول الله قال الجارود وأنا بين يدى القوم كنت أقفوا

أي اتبع أثره كان من اسباط العرب أي من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة أي وقيل ستمائة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله أي تعبد من العرب أي ترك عبادة الاصنام وأول من قال أما بعد أي وقيل أول من قال ذلك كعب بن لؤي كما تقدم وقيل سحبان بن وائل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بأنه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته أي وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي أوتيه هو فصل الخصومة أي وهذا يؤيد ماتقدم عنه انه أول من قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر وتقدم مافيه وجمع بأن الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لؤي بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس أول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من جواه ادكار ... وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات ... وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل ... تراها في كل يوم تدار
والذي قدذكرت دل على الله ... نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك ياجارود والرسل بكسر الراء التؤدة فلست أنساه بسوق عكاظ أي وهو سوق بين بطن نخلة والطائف كان سوقا لثقيف وقيس غيلان كما تقدم على جمل أورق أي يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ماأظن اني أحفظه وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه الآن فقال أبو بكر يارسول الله فاني أحفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته ياأيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع واشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج أي مظلم وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما حاتما لاحنثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد هي قبيلة من اليمن أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد أي زين وطول وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله أي بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة أي وفي رواية لما قدم وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يامعشر وفد اياد مافعل قس بن ساعدة الايادي قالوا هلك يارسول الله قال لقد شهدته يوما

بسوق

مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدي استأذن الحكم بن ابي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق وكان لا يولد لأحد بالمدينة (٢٣٠) ولد الا أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفي كلام بعضهم أنه ولد بالطائف بعد أن نفى أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابي ومن ثم قال البخاري مروان بن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لمروان نزل في أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في أبيك وجدك أي الذي هو أبو العاص ابن أمية انهم الشجرة الملعون في القرآن وقد ولي مروان الخلافة تسعة أشهر ولما امتنع عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما من المبايعة ليزيد ابن معاوية قال له مروان أنت الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما أتعدانني أن أخرج فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له اما انت يامروان فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه تشير الى ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير ابن مطعم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر

بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب موفق لا آجدني احفظه الآن فقام امرؤ اعرابي من أقاصي القوم فقال انا احفظه يارسول الله فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يامعشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل شيء آت آت ليل داج وسماء ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وأنهار مجرية الحديث وفي رواية ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر الفين ثم كان ذلك كلمحة عين وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وماهذا الحق قال رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفد فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ بن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة وقال الحافظ بن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزي في موضوعاته حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل اه (أقول) ذكر في النور أن في قصة قس ما يرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ صلى الله عليه وسلم كلامه وكان قس على جمل احمر والثانية متى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل اورق قال لكن لا ادري أي المرتين كانت أولا هذا كلامه وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسى كلام قس بعد الاخبار به أولا ويدل لذلك قوله لا اظن أني احفظه الآن أو قبل الاخبار فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متأخرا عن خبر أبي بكر فلا دلالة في ذلك على التعدد ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه أورق لا يدل على التعدد لانه يجوز ان يكون شديد الحمرة وشدة الحمرة تميل الى السواد وهو الاورق فاخبر عنه مرة بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق يدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس مرة جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود وقد جاء رحم الله قسا انه كان على دين أبي اسمعيل بن ابراهيم والله أعلم * ومن ذلك خبر الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم اذ بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت عليهم الشمس فوقف له قائما متكئا على قوس فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم قال ايها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل * وأما اخبار الكهان على السنة الجان فكثيرة ايضا منها خبر سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه وكان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ذات يوم جالسا إذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد ابن قارب الذي اتاه رئيه أي تابعه من الجن الذي يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ان قال عمر رضي الله عنه على المنبر أي منبر النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس افيكم سواد بن قارب فلم يجبه احد فلما كان السنة المقبلة ولعل ذلك كان في زمن المجيء للزيارة من الآفاق قال ايها الناس

الحكم بن ابي العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا وعن عمر أي بن جابر الجعفي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني أمية ثلاث مرات وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر أولهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم اثنتين وثمانين سنة وهي الف شهر والاحاديث الواردة في ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان ومعاوية رضي الله عنهما لفضيلة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ماورد فيهما من الفضائل وايضا لم يصدر منهما شيء من الظلم وانما صدر ممن بعدهما ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضي الله عنه وبملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير لان الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وأوصى صلى الله عليه وسلم معاوية رضي الله عنه اذ تملك بالعدل والرفق قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فمازلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن معاوية رضي الله عنه قال ماحملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يامعاوية إذا ملكت فاحسن وروى انه رضي الله عنه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل فكان رضي الله عنه على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال ابو الدرداء رضي الله عنه ان معاوية سمع كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وأماذم بني امية من بعده فجاءت فيهم احاديث كثيرة منها مارواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا بلغ بنى ابي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا وهو مايتداول أي يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا

حقر قه فاسر فوا و بذر وا وضيعوا بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتى من فرعون لقومه قال الاوزاعى كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بانه رأى فى المنام بنى امية على منبره الشريف فاساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له سورة  الكوثر وسورة القدر لان ملك بنى أمية كان ألف شهر فاعطى الله أمته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب قال فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزى كان لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا أى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفى رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ماذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة أن يضرب حبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء فى جرة وصبه عليه فى يوم شات وحبسه فلما استدوجعه اخرجه وندم على مافعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر ابن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لى * وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما ومعه ابن عباس رضى الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض حاجتى ياأمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله عنهم اشهدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو

أفيكم سواد بن قارب قال بعضهم ياأمير المؤمنين ماسواد بن قارب قال ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال البراء فبينا نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فارسل اليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال أنت الذى آتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت ياأمير المؤمنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أى من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك أى وفى رواية ان عمر رضى الله تعالى عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام * أقول وفيه ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لاقبلها بدليل قوله ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت وجواب سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه وفى كلام السهيلى ان عمر رضى الله تعالى عنه مازح سواد رضى الله تعالى عنه فقال له ما فعلت كهانتك ياسواد فغضب وقال له سواد رضى الله تعالى عنه انا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرنى بامر قد تبت منه فقال عمر رضى الله تعالى عنه اللهم غفرا فليتامل والله أعلم ثم قال لسواد أخبرنى ما نبا رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم ياأمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتانى رئيى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب اسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدماها كاذنابها

فقلت دعنى انام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشا يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها

تهوى

تهوى إلى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كانجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم * وارم بعينيك إلى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة وفى رواية متى أتيت مكة وهى كما قال البيهقي أقرب إلى الصحة من الاولى اى لأن الجن إنما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله وفى لفظ والناس حوله وفي لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يا رسول الله فقال هات فانشأت أى ابتدأت أقول * أتاني نجيي بعد هدء ورقدة

وفي لفظ أتاني رئي بعد ليل وهجعة * ولم يكن فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليالى قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب

(فشمرت من ذيل الازار) وفى لفظ عن ساقى الازار ووسطت بى الذعلب الوجناء بين السباسب

فاشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فرنا بما ياتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب
وفى رواية وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

قال فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى وجوههم أى وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد فرأيت عمر رضى الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل ياتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن أى وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما مات صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيب فقال يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم أن لا يتعظوا الا بانفسهم وانه من لم تنفعه التجارب ضربه ولم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغى لأهل البلاء الا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية وست أدرى لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الا اناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة أى ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث بمكة نبى يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما ما سمع من جوف الاصنام فكثير أيضا فمنها أى غير ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال لعباس ولده أى بنى أعبد ضمار فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار

الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين واربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضى الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك إلى معاوية رضى الله عنه فكلمه فيها فلما أدبر قال معاوية رضى الله عنه أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الأربعة فقال ابن عباس رضى الله عنهما اللهم نعم وقد ولى الخلافة من ولده اربعة الوليد وسليمان  وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضى الله عنه فعمرو وابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والاحداث ومن استهزائه ان خباب بن الارث رضى الله عنه كان قينا بمكة أي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع العاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فانظرني إلى القيامة يا خباب حتى ارجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك أبر عند الله ولا أعظم حظا فى ذلك وفى لفظ أن العاص قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك إلهه ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فاقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا * ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن

وهب زهرة وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم انه كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول * ومن استهزاء الاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه  وسلم وبأصحابه ويصفرون اذا رأهم ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله

إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
أودى ضمار وكان بعيد مدة * قبل الكتاب إلى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أن عباس بن مرداس كان فى لقاح له نصف النهار إذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس الم تر ان السماء قد تعب احراسها وان الحرب قد حرقت أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها وإن الذى نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصواء فقال عباس فراعنى ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان بعد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قومى بنى حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف إسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت وأسلمت أنا وقومى * (ومن ذلك خبر مازن) بن الغضوبة قال كنت أسدن اى اخدم صنما بقرية بعمان أى بالتخفيف تدعى سمائل وسمال له نادر وفى لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة مطلقة وقيل فى رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد أيام عتيرة أى ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم يقول

اقبل إلى اقبل * تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل
آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بى (أقول) ورأيت فى بعض السير تقديم هذه الأبيات على ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا أبين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى آخره والله أعلم قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز قلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت إلى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتى وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لى الاسلام وأسلمت وقلت

كسرت بادرا جذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمى هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيا على بالى
يا راكبا بلغن عمرا واخوتها * انى لما قال ربى بادر قال

ابن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبى جهل وكان من عظماء قريش وكان فى سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثنى عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه أصابته الجوائح والآفات فى أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له فى أيام الحج ذكر وكان هو المقدم في قريش فصلحه وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أى فى الشرف والسؤدد والجاه والرياسة واياه عنى سبحانه بقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات فى سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد فى الكفر والخبث والعناد انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بأنه برىء من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفيرا للناس عنى عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقى باسناد جيد انه اجتمع فى بعض المواسم إلى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضرتم هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضا قالوا فانت أقم لنا رأيا

نقوله فيه قال بل أنتم فقولوا اسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا اشاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قال ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه  لجناة وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا اعرف انه باطل وان أقرب القول فيه ان تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجة وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون فى سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الاحذروه اياه وذكروا لهم امره فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها بل فى جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الأنصار وامر الهجرة ما كان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فاسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقانى فانظر هذا اللعين يعنى الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا فى قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم الايات. ولم قوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر * ومن استهزاء ابى لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر

---

عنى بعمرو واختها بنى حطامة وهى بطن من طىء وهذه الابيات ساقطة فى أسد الغابة قال مازن فقلت يارسول الله انى مولع بالطرب اى مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك اى الفاجرة من النساء التى تمايل وتتثنى عند جماعة وقيل الساقطة على الرجال أى لشدة سبقها والحت اى دامت علينا سنون اى اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله ان يذهب عنى ما اجد ويأتينى بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أى الزنا عفة الفرج واته بالحيا أى المطر وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عنى ما كنت اجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا واخصبت عمان يعنى قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لى حيان يعنى ولده وانشأت اقول

اليك رسول الله حنت مطيتى ... تجوب الفيافى من عمان الى العرج

لتشفع لى ياخير من وطىء الحصا ... فيغفر لى ذنبى وارجع بالفلج

أى بالفوز والظفر بالمطلوب

الى معشر خالفت فى الله دينهم ... ولا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى

أى بالشين والجيم اى لاشكلهم شكلى ولا طريقهم طريقى

وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا ... شبابى حتى اذن الجسم بالنهج

أى بالبلا فبدلنى بالخمر خوفا وخشية ... وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى

فاصبحت همى فى الجهاد ونيتى ... فلله ما صومى ولله ما حجى

قال مازن فلما رجعت الى قومى انبونى اى عنفونى ولامونى وشتمونى وامروا شاعرهم فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسى وتنحيت عنهم واتيت مسجدا اتعبد فيه وكان لا ياتى هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره الا عوفى ثم ان القوم ندموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث واما ما سمع من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال كنا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله أى والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم احمر ذريحى أى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا أى جلح أى كشف عنه جلده وأما ما سمع من الهواتف ولم يجىء على السنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره النبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله لقد رأيت من قس عجيب خرجت اطلب بعيرا الى حتى اذا عسعس الليل أى ادبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بى هاتف

يايها الراقد فى الليل الاحم يقول ... اى بالحاء المهملة الاسود

قد بعث الله نبيا بالحرم * من هاشم اهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يوم من الايام رآه أخوه حمزة رضى الله عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على رأسه فجعل ابو لهب ينفضه ويقول صابىء احمق ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى اول امره فى منازلهم يقول ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يتبعه اذا مشى يقول يا أيها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة الزرقانى فانظر هذا  الابتلاء فى الله فلو كان من غير قريب كان اسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما اوذى احد ما أوذيت لانه صلى الله عليه وسلم اصيب من قومه باكبر البلاء آذوه أشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة فى كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه وسلى الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا فى الايذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فاومأ الى ساق الوليد وقال قد كفيته فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم فعرضت شظية من نبل فلم ينعطف لاخذه تكبرا وتعاظما فاصاب عرقا فى عقبه فمرض فمات كافرا ثم مر العاص بن وائل السهمى فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاوما الى اخمصه وقال كفيته وحده فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى وفى رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحرث بن قيس السهمى فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى بطنه وقال قد كفيته وقيل اشار الى انفه فامتخط قيحا فمات وقيل اكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد

أى الظلمات والامور المشكلة فادر طرفى فما رأيت شخصا فانشأت أقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم    اهلا وسهلا بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلام    من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا انا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور أى السرور صاحب النجيب الاحمر أى الكريم من الابل والتاج والمغفر والوجه الازهر أى الابيض المشرب بالحمرة والحاجب أى الجبين الا قراى الابيض والطرف الاحور أى شديد سواده صاحب قول شهادتى ان لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر أى العجم والعرب ثم انشا يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث    أرسل فينا أحمدا * خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى    اطرب الانس منه ذاك الغناء

اى اظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة فى صورة الغناء الذى تألفه النفس ولا تصبر منها عند سماعه فتسمع لغيره حتى اطرب الانس ذاك الغناء الذى سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويشقشق بشينين معجمتين وقافين اى يهدر الى النوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والموحدة اى تعب فنزل فى روضة خضراء فاذا انا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث (اى قبر) عليهم من بقايا بزهم خرق

اى والبز الثياب

دعهم فان لهم يوما يصاح به    فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
اى خافوا حتى يعودوا بحال غير حالهم    خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم    منها الجديد ومنها المنهج الخلق

والمنهج من الثياب الذى اخذ فى البلا قال قد نوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة اى لمائها خرير أى صوت فى الارض خوراء اى ضعيفة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتتبعه الآخر يطرب الماء فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال ارجع ثكلتك امك اى فقدتك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعد فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا اخوين كانا لى يعبدان الله عز وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيئا اى اسم احدهما سمعون والآخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر اليهما وانشد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى ارجو ان يبعثه الله امة

سوء فاوماً الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره وقيل أشار جبريل الى بطنه بأصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج فى رأسه قروح فمات قال الزرقانى ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة وقيل خرج من عند أهله فاصابته السموم حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه فاغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع ذلك له ثم مر (٢٣٧) الاسود بن مطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رماه بورقة خضراء فعمى بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلنى رب محمد وفى رواية انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيئا وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له ما نرى شيئا وقيل أتى شجرة ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له وزاد بعضهم وهلك أبو لهب بالعدسة يعنى الجدرى وهى ميتة شنيعة وعقبة بن أبى معيط

وحده أى واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم وقد أشار الى ذلك صاحب الاصل بقوله

وعنه أخبر قس قومه فلقد حلى مسامعهم من ذكره شنفا

ولما مات قس قبر عندها وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها روحين من أعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ماذكره الواقدى باسناده قال كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينا الخثعميون عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول

يا أيها الناس ذو والاجسام ومسندو الحكم الى الاصنام
أما ترون ما أرى امامى من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبي سيد الانام من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام جاء يهد الكفر بالاسلام

اكرمه الرحمن من امام

قال أبو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اى جاءهم ذلك بغتة فأسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامهم ورأوا عبرا عند أصنامهم وأما خبر زمل بن عمرو العذرى قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام بالخاء المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام بالحاء المهملة المفتوحة والراء وكان سادنه أى خادمه رجلا يقال له طارق قال فى النور لا أعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون أى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بنى هند بن حرام ظهر الحق وأودى خمام أى هلك ورفع الشرك الاسلام قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا أى افزعنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق بوحى ناطق صدع صدعة بارض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع منى الى يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زمل فابتعت أى اشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وأنشدته * اليك رسول الله اعلمت نصها * النص هو الغاية فى السير اكلفها حزنا وقوزا من الرمل والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاى التل الصغير

لأنصر خير الناس نصرا موزرا * أى قويا * واعقد حبلا من حبالك فى حبلى *

والحبل العهد والميثاق

واشهد أن الله لاشىء غيره * أدين له أى اخضع وأطيع * ما أثقلت قدمى نعلى

ومن هذا النوع خبر تميم الدارى اى ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وروى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثنى تميم الدارى وذكر القصة قال بعضهم وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ماذكر أن أبا بكر رضى الله تعالى

قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر الى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا ء نبينا من قوله استهزاء

خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء فدهى الاسود بن مطلب * أى عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * ان سقاه كاس الردى استسقاء وأصاب الوليد خدشة سهم *
قصرت عنها الحية الرقطاء وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحرث القيوح وقدسا * ل بها رأسه وساء الوعاء    خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكر وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافى أن منبها ونبيها ابنى الحجاج منهم فقد قيل أنهما ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا (٢٣٨) يلقيانه فيقولان له اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فاتنا بملك يشهد لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به ولا ينافى أيضا عد ابى جهل وغيره كما تقدم وفي السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدة من استهزأ بمحمد واصحابه *ومن استهزاء ابى جهل أيضا بالنبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يامعشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يقذفونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم اكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم وفى رواية أن رجلا من قريش وكان شديدا قوى الباس بلغ من شدته أنه كان يقف على جلدة البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيمترق الجلد ولا يتزحزح قال له انا اكفيك سبعة عشر واكفونى انتم اثنين وقيل أن هذا الرجل دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال يامحمد ان صرعتنى آمنت بك    ويحك

فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفى رواية أن أباجهل قال لهم أنا أكفيكم عشرة فاكفونى تسعة فانزل الله تعالى وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والحكمة فى ذكره فيهم أى لا ينبغى أن تقولوا لم كانوا تسعة عشر ماذا اراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين حكما لذلك تراجع وقد جاء فى وصف تلك الملائكة

عنه مر يوما على ابنته عائشة رضى الله تعالى عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى بن مريم كان يعلمه أصحابه ويقول لوكان على أحدكم جبل دين ذهبا قضاه الله عنه قال نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال كان على دين وكنت له كارها فقلته فلم البث الا يسيرا حتى قضيته (قال تميم الدارى) رضى الله تعالى عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتى فادركنى الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعى اذا مناد ينادى لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا على الله فقلت ايم تقوله وايم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم فيهما أى أى شىء تقول فقال قد خرج رسول الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون أى وهو مقبرة مكة التى يقال لها المعلاة كما تقدم واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فاسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير أيوب فسالت راهبه واخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم أى مكة ومهاجره الحرم أى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص أى الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت * اقول وهذا يدل ظاهرا على أن تميما الدارى أسلم بمكة قبل الهجرة فهو مما الكلام فيه بل رأيت فى تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت النبى صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به ورأيت بعضهم قال وهذه الرواية غلط لان تميما الدارى انما اسلم سنة تسع من الهجرة والله أعلم (قال) ومن ذلك ماحدث به سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه أن رجلا من بنى تميم حدث عن بدء اسلامه قال انى لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى وانختها ونمت وتعوذت قبل نومى فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن فرأيت فى منامى رجلا بيده حربة يريد ان يضعها فى نحر ناقتى فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت هذا حلم ثم عدت فتعوذت فرأيت مثل ذلك واذا بناقتى ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب كالذى رايته فى منامى بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عن ناقتى وبينهما نزاع فبينماهما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فداء لناقة جارى الانسى فقام الفتى واخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل اعوذ بالله رب محمد هول هذا الوادى ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومن محمد قال نبى عربى لاشرقى ولا غربى فقلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتى وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنى قبل أن اذكر له شيئا ودعانى الى الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل على أن هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه (ونظير هذا) ماحدث به بعض الصحابة قال خرجت فى طلب ابل لى وكنا إذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادى فتوسدت ناقتى وقلت اعوذ بعزيز هذا الوادى فاذا هاتف يهتف بى ويقول

أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار وما من أحد في النار الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع لا يعلم عدتهم الا الله  تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة الف ملك أي والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها قال بعضهم أن عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله عنه بكل حرف منها واحدا ومن استهزاء أبي جهل أيضا انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة في النار مع أن النار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها اما علموا أن من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه لها من الاحتراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له ذفرة واخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار لافسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء أبي جهل قوله يا محمد لتتركن سب آلهتنا اولنسبن الهك الذي تعبد فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل وفي الدر المنثور للجلال السيوطي في تفسير انا كفيناك المستهزئين

---

ويحك عذ بالله ذي الجلال * منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال * وفي سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن في سفال * الا النبي وصالح الاعمال

فقلت له

يا أيها القائل ما تقول * أرشد عندك ام تضليل

فقال

هذا رسول الله ذي الخيرات * جاء بيس وحاميات
وسور بعد مفصلات * يامر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات * قد كن في الاسلام منكرات

فقلت اما لو كان لي من يؤدي ابلي هذه الى اهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (وفي رواية) فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي أبو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال ما فعل الرجل (وفي لفظ) ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي ابلك اما انه قد اداها سالمة وقد نص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثه من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال أي يستعيذون برجال من الجن اي حين ينزلون في اسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل اعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا اي زادوا الجن اي ساداتهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن اي (ومن ذلك) ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى ابا هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومي فقال يأتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابناء الملوك قال وائل فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وادناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فاجلسني عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامني بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يارسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله علي ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده * قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم من العقيق فبينا انا نائم في الظهيرة إذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذي نفع ولا ذي ضر

قيل نزلت فى جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون فى قفاه ويقول هذا الذى يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بإصبعه فى أجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا قال الحلبي فلينظر الجمع أى بين هذا وما تقدم وقد يدعى أنهم طائفة آخرون غير من ذكر لأنهم المستهزؤن ذلك الوقت أى فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم ومن استهزاء النضر بن (٢٤٠) الحرث أنه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله تعالى خلفه فى مجلسه ويقول لقريش هلموا فانى والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لأنه كان يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الأولين ويقال أنه قال سأنزل مثل ما أنزل الله لأنه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الأعاجم ثم قدم به مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال أن ذلك سبب نزول قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث والمشهور أنها فى شراء المغنيات ولا بعد أن تكون الآية نزلت فيهما معا لتحققه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ الأولين قال النضر بن الحرث لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الأولين فأنزل الله تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى معينا له وجاء أن جماعة من بنى مخزوم ومنهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبى صلى الله عليه وسلم قائم يصلى اذ سمعوا قراءته فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذى يصلى فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا

* لو كان ذا حجر أطاع أمرى *

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرنى فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلى * محمد النبي خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه أنه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولوائل هذا حديث مع معاوية تركناه لطوله وأما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ﴿قال﴾ بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعى بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه فقال ألا تتقى الله تحل بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى أعجب من ذئب يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب منى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين * وفى رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق * وفى لفظ يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعى شياهه فأتى المدينة فعد الرسول صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها كما تقدم وعذبة سوطه أى طرفه وقيل أحد سيوره ويخبره بما فعل أهله أى * وفى لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى اخبرهم فأخبرهم * وفى رواية أن راعى الغنم كان يهوديا وفى رواية أن الذئب قال له أنت أعجب منى واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه قدرا وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى فقال له الراعى من لى بغنمى فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم أو سلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وفيه أن هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه * قال فى النور هذا الراعى لا أعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد فانظرهم فى تعليق على البخارى * اقول ذكر فى حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع ووهبان بن أوس * وأما ما سمع من بعض الأشجار * فقد روى عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه أنه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد فى ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج فى وقت كذا وكذا فكن أنت من أسعد الناس به والله أعلم * وأما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف

الجن

الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها () فوجدناها ملئت حرسا شديدا أي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي ارصد له ليرمى به أي ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته يتبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم ثم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم () وقد حدث بعضهم (قال) ان أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا أي أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو الم تر أي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم أي النجوم المشهورة () التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر اراد الله بهذا الخلق أي والنوء بالنون والهمز هنا ما يحصل عند سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله في ساعته في كل ثلاثة عشر يوما حقيقة النوء سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكورة (وكانت) العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع منها فنقول مطرنا بنوء كذا وسيأتي الكلام على ذلك في غزوة الحديبية (وفي لفظ) فان اراد الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول المراد رجمت الآن باكثر مما كان قبل ذلك أو صارت نصيب لا تخطىء ومن ثم حدث بعضهم (قال) لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أي قرب زمن بعثه رجمت الشاطين بنجوم ولم تكن ترجم بها قبل فاتوا عبد ياليل بن عمرو وهو بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان أعمى فقالوا الناس قد نزعوا وقد أعتقوا ارقيقهم وسيبوا انعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف أي وهي التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء فهي عند فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث أي (وقد روى مسلم) انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما يوعدون وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (وفي لفظ) فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل (وهذا) قد يخالف ما يأتي عن ابن عمر لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب ولا مانع من تكرر

الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من امامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقيل في نزولها غير ذلك ولا مانع من أن تكون نزلت للكل وجاء ان النضر بن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل من ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى أسودا تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي أباجهل فقال من أين فاخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض بسحره ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار وقالوا لعبدالله بن الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى انا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه له فقال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزيز والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيزا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار



وفرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل يعني ما في قوله تعالى وما تعبدون وأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون كعيسى وعزير والملائكة وهذا الحديث ان صح كان نصا من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر قيل انهم سألوه آية غير معينة وهي انشقاق القمر فانشق القمر وجمع بين الروايتين بأنهم

سالوا اية غير معينة أو لانهم عينوها بانشقاق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهى ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قيعقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا



وفى رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفى رواية انه عاد بعد غروبه وفى رواية فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها أى جميع اهل الارض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أى مطرد وهذا الكلام صريح في ان رؤية الانشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق لانها مختصة باهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وستأتى ان شاء الله هذه القصة بابسط مما هنا عند ذكر المعجزات فى آخر الكتاب ومن الآيات التى ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم فى أول البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى الصحابى المكى اسلم رضى الله عنه عام الفتح وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولا يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه

سؤال ثقيف مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل بن عمرو وان كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف فى اسم الذى سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند المبعث وبه يعلم ما فى قول الماوردى الذى نقله عن شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطى فى معراجه وأقره وسببه أى رمى النجوم ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع أكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى عشر فان انقض منها شىء فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شىء فسيحدث فى الدنيا أمر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضى ان المراد ببعثه ولادته فكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا أى كثرة تساقط النجوم وانما كان عند بعثه ونبوته لا عند ولادته ومنه خبر أبى لهب أو لهيب بن مالك أى من بنى لهب فان بنى لهب فزعوا الفزع ثقيف (قال) حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبى وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ابن مالك (قال فى النور) لا أعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتان وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتونى بسحر أى قبيل الفجر أخبركم الخبر الخبر أم ضرر أم لامن أوحذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من الغد فى وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص فى السماء بعينه فناديناه يا خطر يا خطر فاومأ الينا ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته (اصابه أصابه) جمع وصيب كجمل وجمال فالهمزة بدل من الواو (خامره عقابه) عذابه أحرقه شابه * زايله جوابه أى زال عنه جوابه ياويله ما حاصله بلبله بلباله البلبال الغم عاوده خباله * تقطعت حباله * وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا ثم قال يامعشر بنى قحطان أخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدانات أى الخدام قد منع السمع عتاة الجان * بثاقب يكون ذا سلطان من أجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا ويلك ياخطر انك لتذكر أمر عظيم فماذا ترى لقومك فقال

أرى لقومى ما أرى لنفسى * ان يتبعوا خير نبي الانس * برهانه مثل شعاع الشمس

يبعث فى مكة دار الحمس * بمحكم التنزيل غير اللبس

والحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب الاعلى شرط أن يتحمس أولادهم فان قريشا من بين قبائل العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو ولما فى ذلك من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك لتشددهم فى دينهم لان الحماسة هى الشدة فقلنا له ياخطر ومن هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما فى حكمه طيش أى عدول عن الحق من قولهم طاش

صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادي وهو من أفقه الناس وأشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له انت الذي تشتم آلهتنا وتدعو الملك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن الملك ان ينجيك مني اليوم وأنا أدعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الملك وأدعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الملك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان اريتك آية تسلم فقال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويدى ركانة فقال اريتني امرا عظيما فرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال اكره ان يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها باني اجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له لا حاجة لي بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه ابو بكر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج لي هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم واخبر ابا بكر رضي الله عنه بالقصة فتعجب ابو بكر رضي الله عنه وتقدم انه لم يسلم ركانة الا عام الفتح رضي الله عنه

﴿باب في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين﴾ قال في المواهب وشرحها ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا هو

---

طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش أي ليس في طبيعته وسجينه قول قبيح يكون في جيش وأي جيش من آل قحطان وآل ايش وآل قحطان وهم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دائرة في ولد قحطان وآل ايش قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون الى ابيهم ايش شخص من كبير الجن وقيل اراد بهم المهاجرين اى ومن المهاجرين الذين يقال فيهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى اى شيء هو اى عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته (وروى) بدال ايش ريش فقلنا له بين لنا من اى قريش فقال (والبيت ذى الدعائم) يعني الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاحائم يعني بئر زمزم لان الاحائم جمع احوام والاحوام جمع احوم وهو الماء في البئر واراد بئر زمزم أو ان الاصل الحوائم ففيه قلب مكاني الاصل فواعل فصار افاعل والحوائم هي الطير التي تحوم على الماء والمراد حمام مكة لهو نجل اى نسل هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم يعني الحروب وقتل كل ظالم * ثم قال هذا هو لبيان اخبرني به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكن واغمي عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أي وحي وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أي مقام جماعة كما تقدم في نظيره (قال) ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية اى قبل البعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حتى رأينا يرمى بها مات مالك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى كان اذا قضى في خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي كان رأى يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء اى تقوله أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا أي (وفي البخاري) إذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقوا السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق أي ثم يذكرونه لما تقدم عن قولهم قضى الله في خلقه كذا وكذا ولما يأتي وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتي عن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء فقالوا يا رسول الله انهم يحدثونا احيانا بالشيء يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون

والمسلمون في دار الارقم حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوة وهي المدة التي اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الى ان أمره الله باظهاره فبادر قومه بالاسلام وكرر ذلك واكده وبالغ في اظهار الحجة حتى كانه صدع قلوبهم بما اورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل  قال الزهري كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال ابطلتم دين ابيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب اى عطف عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الامر بين القوم وضرب بعضهم بعضا واظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت أي تشاورت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكان ذلك باغراء من أبي جهل لعنه الله كان إذا سمع برجل اسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين ابيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه (فممن عذب في الله لاجل أن يفتتن يدل في دينه فثبت عمار بن ياسر رضي الله عنهما) كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف عني ظهر عمار فوجد اثر النار به ابيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بان النار تكون عليه بردا وسلاما وعن ام هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت ان عمار بن

بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة أي وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تتحدث في العنان أي الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن فيزيدون بها مائة كذبة (وعن أبي بن كعب) رضي الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل الحديث (اقول) وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم أي قبل قربه الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل أو يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهري الحجب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث في سالف الازمان أي في زمن الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاخبار يدل على أن الرجم للشياطين بالشهب كان في زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه أكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل واما في الزمن الذي ليس فيه رسول أي وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع في مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان أي لان الله تعالى ذكر فائدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها انها جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من أبعد البعيد وحيث كان الغرض من الرمي بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء رموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث أي لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة أي لانها محل الانبياء وهذا يدل على ان عند ابليس ان الرمي بالنجوم علامة على بعث الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس يطلبه بمكة اى لانها مظنة ذلك بعد محل الانبياء فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا معه جبريل فرجع الى اصحابه فقال بعث احمد ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما اخبره بانهم منعوا من خبر السماء ان هذا الحدث حدث في الارض فائتوني من تربة كل أرض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث (اقول) قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب أو ذهب بعد اخبارهم له بذلك للاستيقان وهذا يفيد ان الرمي بالنجوم انما كان عند مبعثه أي عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذي منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين علامة على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل على ذلك كما علمت وكلتا الروايتين

ياسر أباه وأخاه عبدالله وسمية أم عمار رضى الله عنهم كانوا يعذبون فى الله فربهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر صبرا
آل ياسر فان موعدكم الجنة وفى رواية صبراً يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية أم عمار
لأبى جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتن
فى دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها فى فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها ما آمنت  بمحمد إلا أنك عشقتيه لجماله
قيل أنها أول شهيد في الاسلام رضى الله عنها وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء أن عمارا رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبى صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار وكانت أمه سمية سابعة سبعة قتلت وهى عجوز كبيرة ورؤى مرة فى ظهر عمار رضى الله عنه أثر كالمخيط فسئل عنه فقال هذا ما كانت تعذبنى قريش فى رمضاء مكة وجاء أنهم بعد أن قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله أن الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى
من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وروى أنه كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة على رضى الله تعالى عنه وقتل بصفين ووردت فى فضائله أحاديث كثيرة رضى الله تعالى عنه ﴿ وممن كان يعذب فى الله خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه ﴾ ففى البخارى عن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه

---

يدل على أنه لم يعلم عينه ولا محله والله أعلم * وقد أشار صاحب الهمزية إلى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند الشهب حراسا … وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمع … كما يطرد الذئاب الرعاء
فمحت آية الكهانة آيا … ت من الوحى مالهن امحاء

أى أرسل الله زمن إرساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لأجل حراسة السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاقت عنها المفازات حال كون تلك الشهب تطرد الجن على أمكنة قريبة يقعدون فيها لأجل أن يسمعوا اشياء من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الأرض من المغيبات وطرد تلك الشهب لأولئك الشياطين فى الشدة كطرد الرعاء للذئاب عن الغنم إذا أرادت أن تعدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آيات من الوحى اى الكهانة التى هى الأخبار بالأمور المغيبة ما لتلك الآيات من الوحى امحاء أى ذهاب بل هى باقية إلى يوم القيامة وفيه انه لزم على كون الغرض من الرمى بالنجوم حفظ الوحى أن ذلك لا يكون إلا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذى منه وقت ولادته وأيضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر إلى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه وأجيب عن الأول بأنه يجوز أن يكون الغرض الأصلى من الرمى بها حفظ الوحى فلا ينافى وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته إرهاصا وتخريفا وكان هذا السؤال الثانى هو الحامل لأبى كعب على دعوى أنه لم يربالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها ومن ثم قال فلما رأت قريش أمر الم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل ويجاب بأنه يجوز أن يكون الرمى بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمى بها قبله أما لفرط كثرتها وأما لأن الرمى بها بعد المبعث كان من كل جانب وقيل كان من جنب واحد وأما لأن الرمى بها صار لا يخطىء أبدا وقبل ذلك كان يخطىء تارة ويصيب أخرى فنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى وكان ذلك سبب فزع العرب لأنه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطىء فيعود الشيطان إلى مكانه فيسترق السمع ويلقى ما يسترقه الى كاهنه أى فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه صلى الله عليه وسلم وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله على تسليم رواية ابن عباس أن النجوم رمى بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ الوحى بالرمى بالشهب لا يخالف ما حكاه فى الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل بالقرآن الى النبى صلى الله عليه وسلم الا ومعه أربعة من الملائكة حفظة وسيأتى عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحى قط إلا ونزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبى الذى يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك النبى من الغيب الذى يوحيه اليه فيبلغوه الى أوليائهم * وعن بعضهم قال سافرت عن زوجتى فخلفنى عليها شيطان على صورتى وكلامى وسائر حالاتى التى تعرفها منى فلما قدمت من السفر لم تفرح بى ولم تتهيأ لى وكانت اذا قدمت من سفر تتهيأ لى

وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يارسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت أيضا رضى الله عنه يحكى عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقد



لى نار ووضعوها على ظهرى فما أطفأها الا ودك ظهرى أى دهنه وكان خباب رضى الله عنه قينا أى حدادا وكان قد سُبِيَ من أهله فى الجاهلية فاشترته امرأة تسمى ام انمار فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تاخذ الحديدة وقد احمتها فى النار فتضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكانت تامر خبابا فيأخذ الحديد فيكوى به رأسها وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه واعتقه وهم كثيرون * منهم بلال رضى الله عنه وكان مولى لأمية بن خلف الجمحى واشترى حمامة أم بلال رضى الله عنها وعامر بن فهيرة رضى الله عنه وأبا فكيهة رضى الله عنه وجارية بنى المؤمل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وأمة بنى زهرة * فما كان يعذب به بلال رضى الله عنه مارواه ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره فى الرمضاء أى الرمل إذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيأبى ذلك وقيل أن بلالا رضى الله عنه كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم امر عبد الله بن جدعان بهم فاخرجوا من مكة

---

كما تهيأ العروس فقلت لها فى ذلك فقالت انك لم تغب فبينا أنا كذلك وقد ظهر لى ذلك الشيطان وقال لى أنا رجل من الجن عشقت امرأتك وكنت آتيها فى صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما أن يكون لك الليل ولى النهار أو لك النهار ولى الليل فراعنى ذلك ثم اخترت النهار فلما كان فى بعض الليالى جاءنى وقال بت الليلة عند أهلك فقد حضرت نوبتى فى استراق السمع من السماء فقلت أنت تسترق السمع فقال نعم هل لك أن تكون معى قلت نعم فلما جاء الليل أتانى وقال حول وجهك فحولت وجهى فاذا هو فى صورة خنزير له جناحان فحملنى على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لى استمسك بها فانك ترى أمورا واهوالا فلا تفارقنى تهلك ثم صعد حتى لصق بالسماء فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فهوى بى ووقع من وراء العمران فحفظت الكلمات فلما أصبحت أتيت أهلى فلما كان الليل جاء فقلتهن فاضطرب فلم أزل أقولهن حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك فى زمن الجاهلية وإلا كان كذبا لأنهم أجابوا عن ايراد أن القول بقدرة الجن على التصور يلزمه رفع الثقة بشىء فان من رأى نحو ولده وزوجته احتمل انه جنى فيشك بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن أن يقع فيها ما يؤدى إلى ما يترتب عليه ريبة فى الدين فليتامل وقد جاء فى فضل لاحول ولا قوة إلا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله والذى نفسى بيده أن لا حول ولا قوة إلا بالله شفاء من سبعين داء ادناها الهم والغم والحزن وفرق بين الغم والهم بان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم * وفى حكمة آل داود العافية ملك خفى وهم ساعة هرم سنة * وقال الأطباء الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما أن فى الحزن ذهاب البصر * وفى الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلم أن النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن المبعث تصيب تارة ولا تصيب أخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بدمع كثرتها وان الكثرة هى سبب الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على الفزع لأنه لا يظهر لكل أحد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة أو أنها قبل البعث كانت ترمى من جانب دون آخر وبعد البعث رميت من جميع الجوانب واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة وإلا فمجرد الرمى من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى أسرعوا فى أموالهم أى فى اتلافها فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب أيها الناس امسكوا على أموالكم فانه لم يمت من فى السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذا فى كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم ثقيف وانهم جاؤا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ولرجل آخر يقال له عبد ياليل لجواز أن يكون ماذكر هنا صدر من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد ياليل والله أعلم وظاهر القرآن والاخبار ان الذى يرمى به الشياطين المسترقون نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن

خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا رضى الله عنه فانه كان يرعى غنمه ويكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التى حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبدالله بن جدعان قالوا له أصبوت قال ومثلى يقال هذا فقالوا له ان اسود دك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال رضى الله عنه ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافى ماتقدم (٢٤٧) وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد احد فقال ورقة نعم أحد أحد والله يا بلال ثم أن ورقة بن نوفل قال لامية والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا أى لأتخذن قبره ملسكا ومترحما * يروى أن بلالا رضى الله عنه حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد فزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه فزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبى محمد الشقراطى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد * أحله الصبر فيها أكرم النزل

اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل القوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطلل ان قد ظهر ولى الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزى عدو الله امية بقد قلبه يوم بدر لانه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قد اسره يومئذ وارادا استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية

---

عن شعلة نار تنفصل من النجم اى كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما ينشأ عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هى أجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لاتمر بشىء الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قاله فى الكشاف ومما يؤيد أن الشعل منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أن النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السماء الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى ملائكة ويعضد هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت أن انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذا ثقب فى السماء وقد وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجأوا الى الله تعالى بالدعاء قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم * أقول وقد وقع نظير ذلك فى سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان امرا مزعجا لم يعهد مثله ووقع فى سنة ثلثمائة تناثرت النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم (وأما ماجاء من ذكره صلى الله عليه وسلم) أى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته فى الكتب القديمة أى كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام لثنتى عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل على داود عليه الصلاة والسلام لثنتى عشرة وقيل لثلاث عشر وقيل لثمان عشر وقيل فى ست خلت من رمضان وصحف شعياء ويقال له اشعياء أو مزامير داود وصحف شيث فقد انزلت عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون أول ليلة من رمضان اتفاقا وفى كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد انزلت عليه ثلاثون صحيفة وذكر بعضهم أن موسى عليه الصلاة والسلام انزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحائف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر به ان الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب وفى كلام بعضهم اتفقوا على أن القرآن انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن أبى قلابة انزلت الكتب كاملة ليلة اربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق فى التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا أو لم يعتد به فقد أشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم فى جميع الكتب المنزلة الامام السبكى رحمه الله تعالى تائيته بقوله

وفى كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

وهذا كما لا يخفى أبلغ من قول بعضهم

ومن قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما صلى الله عليه

فرآه بلال معه فصاح باعلى صوته يا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال عبد الرحمن رضى الله عنه فتسابقوا اليه فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم به يقتلونه دونه فقتلوه ثم تبعونا وكان أمية رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فالقيت نفسى عليه لامنعه فنهسوه باسيافهم حتى قتلوه أى ضربوه باسيافهم فشبه ضربهم بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم الاسنان فعلم ان النصر مع الصبر لما صبر بلال على تعذيبه وكان قتله على يديه تحقيقا لقول الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون ألا ان حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين قيل ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه هنأ بلالا بابيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا
لقد ادركت ثارك يا بلال

وأخرج الحاكم عن عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما قال قال أبو قحافة والد أبى بكر رضى الله عنهما اراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا ابت انما اريد ما عند الله تعالى فانزل الله تعالى فأما من اعطى واتقى الى آخر السورة قال فى السيرة الحلبية مر ابو بكر رضى الله عنه ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال أبو بكر لامية ابن خلف الا تتقى الله فى هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه بما ترى قال أبو بكر رضى الله عنه عندى غلام اسود اجلد منه واقوى على دينك اعطيكه به قال قبلت هو لك فاعطاه أبو بكر رضى الله عنه غلامه ذلك واخذ بلالا فاعتقه وفى تفسير البغوى قال سعيد بن المسيب بلغنى ان امية بن خلف قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه فى بلال حين قال اتبيعنيه قال نعم ابيعه بقسطاس يعنى عبد الابى بكر رضى الله عنه كان تحت يده لابى بكر رضى الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يابى الاسلام فاشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالا به وروى انه لما ساوم أبو بكر رضى الله عنه امية بن خلف فى بلال قال امية لاصحابه لالعبن بابى بكر لعبة ما لعبها أحد

لا يصيح

وسلم وأما الزبور فلا ندرى ولا نقول الا ما نعلم ويرده ماذكره الامام السبكى وسنده قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين أى كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل على العموم وسيأتى أيضا التصريح بوجود اسمه فى الزبور وقد جاء ان اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض كما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه دعى ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الإسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية وفيها أيضا محمد واسمه فيها أيضا حمياطا وقيل حمطايا أى يحمى الحرم من الحرام واسمه فى التوراة أيضا قدمايا أى الاول السابق واسمه فيها أيضا ينديند واسمه فيها أيضا احيد وقيل احيد اى يمنع نار جهنم عن امته واسمه فيها أيضا طاب طاب أى طيب واسمه فيها أيضا كما فى الشفاء محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك أى طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة أى على فرض ان تكون اسما عربيا ماخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه فى الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد أى وما جاء عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما فى حجر عمى فاخذت الانجيل فقرأته حتى مرت لى ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمى فلما رأى الورقة ضربنى وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبى أحمد فقال انه لم يأت بعد أى الآن أى وفى الانجيل أيضا اسمه حنبط أى يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة وهى الدرع وفيه أيضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير وسيأتى ان راكب الحمار عيسى عليه الصلاة والسلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتى الجواب وفى الانجيل ان اجبتمونى فاحفظوا وصيتى وأنا اطلب الى ربى فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب أى وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والبارقليط أو الفارقليط الحكيم والرسول قيل والانجيل أى على فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمى الولد نجلا لخروجه أو مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله اناجيله أى اصوله فسمى هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من النجلة وهى سعة العين لانه انزل وسعة لهم أى لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم * ومن ذلك ما جاء عن عطاء ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال اجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى أنا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك بالمتوكل ليس بفظ أى سيىء الخلق ولا غليظ اى شديد القول ولا صخاب بالسين والصاد فى الاسواق أى

باحد ثم تضاحك وقال اعطني عبدك قسطاس قال أبو بكر رضي الله عنه ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى تزيدني مائة دينار فقال أبو بكر رضي الله عنه أنت رجل لا تستحيي من الكذب قال واللات والعزى لئن أعطيتني لأفعلن قال هي لك فأخذها وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بلالا فأعتقه (٢٤٩) وقيل اشتراه بسبع أواق وقيل برطل من ذهب وقيل غير ذلك يروى أن سيده قال لأبي بكر رضي الله عنه بعد شرائه لو أبيت الا باوقية لبعناكه أي لو قلت لا اشتريه الا بأوقية لأخذته فقال له أبو بكر رضي الله عنه لو طلبت مائة أوقية لأخذتها به ولما قال المشركون ما أعتق أبو بكر بلالا الا ليد كانت له عنده فكافأه بها فأنزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى آخر السورة فقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فهو أبو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فهو أمية بن خلف وقوله لا يصلاها الا الأشقى هو أمية وقوله وسيجنبها الأتقى هو ابي بكر وفي قوله الأتقى تصريح بأنه أتقى البرية اذ التقدير الأتقى من كل أحد لأن الحذف يفيد العموم والمراد من كل أحد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه اشترى بلالا قال له الشرك يا أبا بكر قال قد أعتقته يا رسول الله أي لأن بلالا رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني وأن كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى فأعتقه ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضي الله عنه فاشتراه فبعث به الى أبي بكر رضي الله عنه أي ملكه له بثمنه فاعتقه فليتأمل الجمع بين هذه الأقوال ويمكن

لا يصيح فيها وفي الحديث أشد الناس عذابا كل جعار نعار سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم التي غيرتها العرب وأخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا أي لأنهم كانها في غلاف قال عطاء ثم لقيت كعب الأخبار رضي الله تعالى عنه فسألته فما أخطا في حرف * أقول لكن في رواية كعب وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا وليسمع به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة يعين المظلوم ويمنعه من أن يستضعف وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم بانه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض أحبار اليهود أنه قال على جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم في التوراة وقفت الا هذين الوصفين وكنت أشتهي الوقوف عليهما فجاء شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له أنه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئته قبل الأجل بيومين أو ثلاثة فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو أحوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة أي المطالبة اذهب وأوفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته أي خفته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفي التوراة لا يزال الملك في يهود الى أن يجيء الذي اياه تنتظر الامم أي لا يزال أمرهم ظاهرا الى أن يجيء الذي تنتظره الأمم أي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المرسل لجميع الأمم وما زعمه اليهود بأنه يوشع رد بنص التوراة في محل آخر أن الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال لي أنه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه انتقم منه لأن قوله مثلي أي رسولا بكتاب مشتمل على الأحكام والشرائع وذكر المبدأ والمعاد لأن يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل خاصة وأيضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعمه النصارى أنه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي منها أن الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لأن المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لأنه من نسل داود وفي زابور داود سيولد لك ولد ادعى له أبا ويدعى لي ابنا واخوة بني اسرائيل اعمامهم أولاد اسمعيل الذي هو أخو اسحق وبنو اسرائيل منه وأيضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ وفي الانجيل جاء الله من طور سينا ظهر بساعير وأعلن بفاران أي عرف الله بارساله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لأن ظهور نبوة موسى كان في طور سينا وتقدم أنه جبل بالشام قيل هو الذي بين مصر وايليا ونزلت التوراة عليه فيه وظهور نبوة عيسى كان في سامير وهو جبل القدس لأن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسكن بقربه بأرض الخليل فقال لها ناصرة وباسمها سمي من أتبعه وأنزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهي مكة وأنزل عليه القرآن بها وفي التوراة أن اسمعيل أقام بقرية فاران وانما عبر في جانب موسى بالمجيء لأنه أول المشرعين لأن كتابه الذي هو التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام

أن يقال أن العباس رضي الله تعالى عنه رغب أمية في بيع بلال فلما اظهر له الرضا ببيعه ارسل الى ابي بكر رضي الله عنه لعلمه برغبة أبي بكر شرائه وعتقه فاطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى اعلم * وقد اشترى ابو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة ام بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول وكان الرجل من بني تيم من قرابة ابي بكر رضي الله عنه (٢٥٠) ومنهم ابو فكيهة وكان عبدا لصفوان بن أمية أسلم حين أسلم ابو بكر رضي الله عنه فمر به ابو بكر رضي الله عنه وقد أخذه صفوان بن امية وأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فاخرج لسانه وابي ابن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه واعتقه * وممن كان يعذب فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه ام عنيس وكانت أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه واعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها لطيفة وقيل كانت بنتها للوليد بن المغيرة وكذا اشترى اخت عامر ابن فهيرة أو امه وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يسلم وكان يعذبها فمر ابو بكر رضي الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه ابو بكر رضي الله عنه ثم اشتراها واعتقها وكذا اشترى لبيبة جارية المؤمل بن حبيب واعتقها واشترى أيضا الزنيرة

عن

على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت امة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى الا الاسلام وكان ابو جهل لعنه الله يقول الا تعجبوا الى هؤلاء واتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون ايضا لو كان خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة اي ومن كان مثلها فانزل الله في شأنها وقال الذين

---

والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله تعالى وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى وبكتابه الذي هو الانجيل نوع ظهور عبر في جانبه بالظهور الذي هو أقوى من المجيء ثم لما زاد الظهور بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذي هو اقوى من مجرد الظهور وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابهم من البول والله أعلم * ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله تعالى عنه وكان من أحبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم وأمتك الحمادون أي يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ثم قال أشهد أني رسول الله * أقول والنعمان هذا قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار أي ولم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي أحرقه الاسود العنسي بالنار لم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا السفر يحتمل ان يكون ملخصا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على ان جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون أي امته عدوا الا وبين ايديهم ملائكة معهم رماح وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق يوضؤن اطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم وقد جاء ائتزروا كما رأيت الملائكة أي ليلة الاسراء تأتزر أي مؤتزرة عند ربها إلى أنصاف سوقها وقد جاء عليكم بالعمائم وارخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلاهما أي الائتزار وارخاء العذبة من خصائص هذه الامة وقد جاء أن العمائم تيجان المسلمين وفي رواية من سيما المسلمين أي علاماتهم المميزة لهم

كفر والذين آمنوا أى مشيرين اليهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى وجاءها أبو جهل لعنه الله وقال لها انما فعل بك ما ترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله ماهو كذلك ومايدرى اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على أن يرد على بصرى فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فاعتقها * وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحونهم فى الشمس لتؤثر حرارتها فيهم * وأما النبى صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبى طالب وبما كان يظهره الله لاعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث جبريل فى صورة فحل ليلتقم أبا جهل وأما أبو بكر رضى الله عنه فمنعه الله بقومه من توالى الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى وسيأتى أنه اراد الهجرة الى الحبشة روى ابن اسحق أن سبب الهجرة الى الحبشة انه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت اول هجرة فى الاسلام وذلك فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بنفسه وحده ومنهم من هاجر باهله فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وأبو سلمة بن عبد الاسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضى الله عنهما وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومع زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغما كل منهما لابيه فارا بدينهما فولدت له

عن غيرهم ويؤخذ من وصفهم بانهم يوضؤن اطرفهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضؤن ويوافقه قول الحافظ بن حجر ان الوضوء من خصائص الانبياء دون أممهم الا هذه الامة ويوافقه مارواه بن مسعود مرفوعا يقول الله تبارك وتعالى افترضت عليهم أن يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الانبياء أى ان يكونوا طاهرين أو ان هذا اى وجوب التطهر لكل صلاة كان فى صدر الاسلام ولم ينسخ الا فى فتح مكة كما سيأتى ويخالف كون الوضوء من خصائص هذه الامة مارواه الطبرانى فى الاوسط بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة فقال هذا الوضوء الذى لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ ثنتين ثنتين فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى فان هذا يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبياء أى كما اختصت هذه الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمى ان الوضوء من خصائص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيائهم وفى كلام ابن عبد البر قيل ان سائر الامم كانوا يتوضؤن ولا أعرفه من وجه صحيح وفى كلام ابن حجر والذى من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة أو الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد أن كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال ولا يخفى ان الاشارة فى قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل على الترتيب فقد استدل أئمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ الا مرتبا باتفاق أصحابه ولو كان جائز الترك فى بعض الاحايين وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه وصف وضوءه صلى الله عليه وسلم فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح رأسه أجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس نسى مسح الرأس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم أعاد غسل رجليه الراوى عن ابن عباس لم يقف على اعادة ابن عباس غسل رجليه وفى التوراة فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل وفى رواية أصواتهم بالليل فى جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول اى وهو التوراة او جنس الكتب السابقة والكتاب الآخر أى وهو القرآن وروى الامام احمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى ياعيسى انى باعث من بعدك نبيا امته ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك لهم ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمى وعلمى وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ماذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان العلم والحلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة الا يسير من ذلك مع قصر اعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء أنهم مسمون فى التوراة صفوة الرحمن وفى الانجيل حلماء علماء ابرار

سهلة بالحبشة محمد بن أبي حذيفة * وممن هاجر باهله عامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية رضي الله عنهما ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشانها لانها مولاة أبيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مذعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو والعامريان وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استاجروا سفينة



بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه مع امرأته رقية رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد نبي الله لوط عليه السلام ثم أبطا على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضي الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن أحسن شيء قد يرى انسان رقية وبعلها عثمان ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضي الله عنهما في حاجة وقيل بطعام ليحمله اليهما فابطا عليه الرسول فلما جاء قال صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذي بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول عليه آية الحجاب ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضي الله عنها فتاذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء في وصف عثمان رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان اردت ان تنظر في أهل الارض شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضي الله عنه وجاء في فضله رضي الله عنه أن لكل نبي رفيقا في الجنة ورفيقي

---

اتقياء كانهم من الفقه أنبياء (وفي الطبراني) ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم وزاد عن جواب السؤال قوله ثم الخليفة من بعدك يقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد وفي صحف شعياء اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها اني باعث نبيا أميا افتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجرته بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لو يسمع من تحت قدميه الى آخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى وشعياء هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام * ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وأدركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده أي موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة أي وهو المبشر بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر ياتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم أنه يركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة وهذا أخرى فليتامل ومن جملتهم أرمياء قيل وهو الخضر والله أعلم واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاخ الذي يمحق الله به الباطل وفارق وفاروق أي يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فارقليط أو بارقليط بالفاء في الاول والموحدة في الثاني وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية وفي الينبوع ومن الالفاظ التي رضوها لا نفسهم يعني النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال اني اسال الله ان يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شيء ويفسر لكم الاسرار وهو يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراءة والصدق في النبوة بعده الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله تعالى عنه يا عمر أتدري من أنا أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا أنا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حمياطا وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل بن سليمان قال وجدت مكتوبا في زبور داود اني أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولي ووصف في مزامير داود بانه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المساكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد بالجبار ففيها تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بان الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفيها يا داود سياتي بعدك نبي اسمه احمد ومحمد صادقا لا أغضب

فيهاعثمان بن عفان رضى الله عنه ولماوصلوا الحبشة أكرمهم النجاشى وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنابهاخير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فاراد أبو بكر رضى الله عنه الهجرة إلى الحبشة فخرج حتى بلغ برك العماد وهو موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهى قبيلة مشهورة من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبنى زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لأبى بكر رضى الله عنه أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضى الله عنه أخرجنى قومى فاريد ان أسيح فى الأرض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانالك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف فى أشراف قريش ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيأ من ذلك وأجازوا جواره وقالوا امر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لأبى بكر رضى الله عنه ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر رضى الله عنه يعبد ربه فى داره ولا يستعلن به مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه أى يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا بكاء إذا قرأ لا يملك عليه فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره وهو قد بنى له مسجدا

عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر أى على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيات المقربين أى بعد حسنة بالنسبة لمقام الأبرار تعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وفى بعض مزامير داود أن الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث اخو ناح ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على أن مزامير داود نسخه مختلفة بالزيادة والنقص وفى صحف ابراهيم اسمه يوذموذ وقيل ان ذلك فى التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم انه فى صحف ابراهيم أسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الأصفين فى تلك الصحف * وفى كتاب شعيب عليه السلام عبدى الذى يثبت شأنه أنزل عليه وحيى فيظهر فى الامم عدلى لا يضحك أى مع رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته فى الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيى القلوب الغلف وما أعطيته لا أعطيه أحدا وفيه أيضا مشقح بالشين المعجمة والقاف والحاء المهملة أى زاهى يحمد الله حمدا جديدا أى مخترعا لم يسبقه اليه أحد يأتى من أقصى الارض لعل المراد به مكة به تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفأ سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها الشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه على كتفه خاتم النبوة لأنه علامة وبرهان على نبوته أى وذكر ابن ظفر ان فى بعض كتب الله المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته أرفع به الوضيعة وأهدى به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة واجعل امته خير الامم وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف أعنى لفظ محمد مكتوبا فى الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير من ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله قال المراد فص خاتمه فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا أى من السماء التى اليه فوضعه فى خاتمه أى وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر وما يأتى يجوز أن يكون روى بالمعنى وكان ينزعه إذا دخل الخلاء وإذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه * وفى انس الجليل كان نقش خاتم سليمان لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوب تقى مصلح وسيد أمين وفى جامع مدينة قرطبة بالمغرب عمود أحمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت لى قال وكيف عرفت محمدا وفى لفظ كما فى الوفاء وما محمد ومن محمد قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت

وأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أي نغدرك فاتى ابن الدغنة إلى أبي بكر رضى الله عنه وقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترد على ذمتي وجوارى فانى لا أحب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر رضى الله عنه لابن الدغنة فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى أى حمايته

قال الحافظ بن حجر رحمه الله وفى الحديث من فضائل الصديق رضى الله عنه أشياء كثيرة وقد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تاملها كموافقة بن الدغنة فى وصف الصديق رضى الله عنه لخديجة رضى الله عنها فيهما وصفت به النبى صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحى عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضى الله عنه واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال وجاء فى بعض الأحاديث كنت أنا وأبو بكر كفرسى رهان فسبقته إلى النبوة فتبعنى ولو سبقنى لتبعته يعنى لو جاءته النبوة لتبعته * وجاء فى بعض الأحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم فى شهر شوال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة إلى مكة لانه بلغهم ان كفار قريش اسلموا اشيوع كلهم وسبب هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمحضر من قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد فى آخرها فلما الاسلام سجد سجد معه المشركون إلا رجلا واحدا وهو أمية بن خلف أخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من أن يسجد وقال يكفيني هذا والصحيح فى سبب سجودهم انهم توهموا انه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقيل ان الشيطان القى فى أسماعهم فى خلال القراءة بعد قوله أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان

انك لم تضف إلا اسمك الا أحب الخلق اليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد لما خلقتك اى وفى لفظ كما فى الشفاء قال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فاذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعتمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك وفي الوفاء عن ميسرة قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التى أسكنها آدم وحواء وكتب اسمى أى موصوفا بالنبوة أو بما هو أخص منها وهو الرسالة على ما هو المشهور على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد أى قبل أن تدخل الروح جسده فلما أحياه الله نظر الى العرش فرأى اسمى فاخبره الله تعالى انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه أى فقد وصف صلى الله عليه وسلم بالنبوة قبل وجود آدم وفيه أيضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد آدم أى الخلق أكرم على الله تعالى بعضهم آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وقال آخرون بل الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لآدم فقال لما نفخ فى الروح لم تبلغ قدمى حتى استويت جالسا فبرق لى العرش فنظرت فيه محمد رسول الله فذاك أكرم الخلق على الله عز وجل قيل وكان يكنى آدم بابى محمد وبابى البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك فى الدنيا وتقدم انه يكنى بابى محمد فى الجنة ومن ذلك ماجاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضى الله تعالى عنه قال لكعب الاحبار رضى الله تعالى عنه اخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم ياأمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر الأول أنا الله لا إله الا أنا فاعبدونى والثانى أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولى طوبى لمن أمن به واتبعه والثالث انا الله لا إله الا أنا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى أمن من عذابى ولينظر الرابع اى وذكر بعضهم ان فى سنة أربع وخمسين واربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس أن القيامة قد قامت وابتهلوا إلى الله تعالى فنظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هى منصرفة الى ذلك الجبل الذى سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدا به صخرة طولها ذراع فى عرض ثلاثة أصابع فيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا إله ألا أنا فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشى وسطر ثالث فيه احذروا واقعة المغرب فانها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد ازفت أى قربت وجاء ان آدم عليه الصلاة والسلام قال طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر فى الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوب عليه لقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق اجام اى ورق قصب اجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب بين أعين الملائكة وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه أى وقد قيل ان أول شىء كتب القلم فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم إنى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر على نعمائى ورضى بحكمى كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفى رواية مكتوب فى صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه

شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات أعني تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا أنها كذب لا أصل لها وطعنوا في الاحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم انما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها أنها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل الشيطان ألقاها الى أسماعهم ليفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهذا هو المراد من قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من (٢٥٥) رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الامر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآيات ولا اشكال حينئذ في الآية والله سبحانه وتعالى أعلم ولما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بأرض الحبشة وقالوا ان المسلمين قد آمنوا بمكة من الاذى فاقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا اذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أي تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهدا باهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع الى الحبشة وعن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة

الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله يتامل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما أمر أن يكتب ما ذكر كان أول شيء كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما أمر به على ذلك كما كتب أول ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما أمر به يلزم أن يكون القلم كتب ما كان وما يكون في اللوح وعلى سرادق العرش * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى أي وعلى ورق قصب آجام الجنة ومن ثم قال السيوطي في الخصائص الكبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما في الملكوت أي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصائص الصغرى له أيضا ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت * أقول ولا يخالف هذا أي ما تقدم عن آدم ما جاء على تقدير صحته ان آدم لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالآذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين قال آدم من محمد قال جبريل هو آخر ولدك من الانبياء لجواز أن يكون آدم عليه السلام أراد أن يستثبت هل هو محمد الذي رأى اسمه مكتوبا واخبر بانه آخر الانبياء من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به أو غيره فليتأمل وانما قلنا على تقدير صحته لانه سياتي في بدء الآذان ان في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت ارضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد على القائل في مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاه ما كان لا فلك ولا فلك    كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على ذلك فيقال له بل جاء في السنة ما يدل على ذلك والله أعلم * ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض آخر قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة تسودا طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت

المخزومي فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد رد على الوليد جواره وقال اكتفي بجوار الله فبينما هو في مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضي الله عنه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت فقال * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول (٢٥٦) فقال لبيد يامعشر قريش متى كان يؤذي جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان ابن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره وقال له قد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان ان عيني الاخرى الى ما أصاب اختها لفقيرة وقال الوليد عد إلى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر أسلام قريش أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة رضي الله عنها قبل أن يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل في جوار خاله ابي طالب فمشى الى أبي طالب رجال من مخزوم أي جاؤا اليه وقالوا ياأبا طالب أمنعت منا ابن اخيك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه فقال لهم ابو طالب انه استجار بي وانه ابن اختي وانا ان لم امنع ابن اختي ذكر

لم امنع ابن أخي وقام أبو لهب مع ابي طالب على أولئك الرجال وقال لهم يامعشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه لتنتهن أولا قومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد فقالوا انتصرف عما تكره ياابا عتبة واجازوا ذلك الجوار خوفا من ان يكون ابو لهب مع ابي طالب في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن أبا لهب كان مع قريش في منابذة النبي صلى الله

الى وردة كبيرة لم تفتح فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورق وفي البلد منها شيء كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرأينا فيها وردا أحمر ذكي الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله أي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشر اذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وفي مزيل الخفاء الاقتصار على لا اله الا الله أي وحينئذ لا يكون شاهدا على ماذكرناه أي ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويبقون أثرها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب وقت فاذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض إذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأجل الطيب * ومن ذلك انه وجد في سنة سبع او تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع بلون اسود محمد ومن ذلك ماذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراما لها * وعن بعض اخر قال ركبت بحر الغوب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على اذنها الواحدة لا اله الا الله وفي قفاها وخلف اذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر * وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضاء واذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة خضراء فالقاها فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله * ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن واسلم أكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى * ومن ذلك ماجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بلغني في قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت أي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي انه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء أي ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وروى البيهقي وغيره عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب أي يتعب عجبت لمن

عليه وسلم ومعاداته فكان أبو لهب لقريش وليا وناصرا خافوا من خروجه من بينهم ولما نصر أبو لهب أبا طالب في هذه القصة طمع أبو طالب في أن يكون أبو لهب معه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ أبياتا يحرضه فيها على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة ان قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر جماعة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين  رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير ابن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر زوجها هناك ثم مات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضي الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت رأيت في المنام آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فأمرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سيأتي ان شاء الله وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشي على أحسن مقام بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولكن المحققون على أن عبد الله بن أبي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وانما كان معه في سفرة أخرى وهي التي بعد وقعة بدر كما سيأتي وأما هذه السفرة فالرسولان



ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق أي ان الله رازقه كيف ينصب أي يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * أقول قد يقال يجوز أن يكون ما ذكر أولا في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانيا في الوجه الثاني أو أن بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره * ويذكر ان بعض العلوية هم هرون الرشيد بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله فقال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي كذا في العرائس والله أعلم * ومن ذلك ما جاء عن جابر رضي الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفي آدم محمد رسول الله خاتم النبيين أي وذكر بعضهم أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله أي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام أربعة وسبعين وسبعمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة وفيها مكتوب محمد بخط في غاية الحسن والبيان * وما حكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا ببياض عينه اليمنى من أسفل مكتوب بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله * وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركته في كتابه لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك ان شخصا أتاني برأس خروف شواها وأكلها وأراني فيها مكتوبا بالخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي من يشاء يهدي من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو هذا كلامه وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو المجانب لمقام الضلالة والغواية * وعن الزهري قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فأرشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

## ﴿ باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ﴾

عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لاعرفه الآن قال جاء في بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود أي وقيل غيره وانه هو الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر أي ولعله غير الحجر الذي به أثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه بمرفقه وهو الذي يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي به أثر الاصابع روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أي لحاجة الانسان

أبعد حتى لا يرى بيناء ويفضي الى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا اه والى ذلك يشير صاحب الأصل بقوله

لم يبق من حجر صلب ولا شجر * الا وسلم بل هنا ماوهبا

والى ذلك يشير أيضا صاحب الهمزية بقوله

والجمادات أفصحت بالذي أخرس عنه لأحمد الفصحاء

أي والجمادات التي لا روح فيها انطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه أي بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به أهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله أقول والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وما جزت بالأحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وأما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحى الي جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وما ذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من أنا فقالت رسول الله فليس من المترجم له وفي الخصائص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتهما له بالنبوة واجابتهما دعوته وفي كلام السهيلي يحتمل أن يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلم أو على كل هو علم من أعلام النبوة وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال في ذلك وقال قد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ماعنده من العظمة لما تدكدك والله أعلم

## ﴿ باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن اسحق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم أي فهم وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم كما سيأتي عن السبكي فعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الاربعين قال وهذا هو المشهور بل الجمهور من أهل السير والعلم بالأثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة أيام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ وأكثر منه شذوذا ما قيل انه

زيادة

---

فيها عمر وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذي أرادت قريش دفعه لأبي طالب يربيه بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع أولئك النفر هدية للنجاشي فرسا وجبة ديباج واهدوا اهدايا للعظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء مطلبهم وهو أن يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل أجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش ليردهم اليهم قال وأين هم قالوا بأرضك فأرسل في طلبهم وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم أعرف بحالهم فقال لا والله حتى أعلم على أي شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون لك وفي رواية لا يخرون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا له قال لهم جعفر رضي الله عنه انا خطيبكم اليوم وفي رواية لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر رضي الله عنه انا خطيبكم اليوم وانما نقول ما علمنا وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستاذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بأمان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك لا تسجدوا فقال عمرو لعمارة ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به الملك وفي رواية اخرى لم يذكر فيها ان الملك قال لهم لا تسجدوا وذكر بدله ان عمر بن العاص قال للنجاشي الا ترى ايها الملك أنهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود

فقال النجاشي ماسنعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيابها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عزوجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله عزوجل وأخبرنا أن تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيى به بعضنا بعضا وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لأن الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة اى مطلق الصدقة لأن زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص  للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم العذراء يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن الله قال النجاشي فما تقولون في ابن مريم وأمه قال جعفر نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته القاها الى مريم فقال النجاشي يامعشر الحبشة والقسيسين ما يزيدون على ما تقولون أشهد أنه رسول الله وانه المبشر به عيسى في الانجيل ومعنى كونه روح الله أنه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله انه قال له كن فكان وفي رواية أن النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ماذكر هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فاكون انا الذي أحمل نعليه وأوضيه أي اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي رواية قال لهم اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أي غرم أربعة دراهم أو ضعفها وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما وفي رواية النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دبر من ذهب أي جبل وان أوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله

بزيادة ثلاث سنين وماقيل انه خمس سنين قال بعضهم والاربعون هي سن الكمال ونهاية بعث الرسل أن لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروى أنه لم يبعث نبي الا على رأس أربعين سنة هذا كلام الكشاف وأما مايذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة أي ومعلوم أنه دعى الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى اه أي وعليه جرى غير واحد من المفسرين بل قال في ينبوع الحياة لم يبلغني أن أحدا من المفسرين ذكر في مبلغ سنة اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه وفي الهدى وأما مايذكر عن المسيح أنه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافق ماتقدم عن المفسرين ومافي العرائس ولما تمت له يعني عيسى عليه السلام ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويذلهم ويدحرهم ففعل ما أمر به واظهر المعجزات فاحيى ميتا يقال له عاذر بعد ثلاثة أيام من موته وعبارة الجلال المحلي في قطعة التفسير احيا عيسى عليه الصلاة والسلام أربعة عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوي قصة كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشي على الماء ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك ايضا قول ابن الجوزي وأما الحديث ما من نبي الا نبيء بعد الاربعين فموضوع لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نبيء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أي نبيء وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبيء وهو طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشيء هذا كلامه أي وفيه أن هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه أيضا قول القاضي البيضاوي ونبيء نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل أربعين ويوافقه أيضا قول بعضهم ومما يدل على أن بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة وقصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه بناء على أن الحكم في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك بل احكم اليه عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين أو ثلاث ولما ولي الخلافة المقتدر وهو غير بالغ صنف الامام الصولي له كتابا فيمن ولي الامر وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بأن الله بعث يحيى بن زكريا نبيا وهو غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بسنة ونصف سنة * ومما يدل على ماتقدم عن الهدى أي من انكار أن عيسى عليه الصلاة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة تدل على أنه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها اخبرني جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله واخبرني أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على رأس الستين وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ماعاش الذي قبله وعلى كون كل نبي عاش نصف ماعاش النبي الذي قبله يشكل أن نوحا كان أطول الانبياء عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبياء وشيخ المرسلين وهو أول من تنشق عنه

منى الرشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى عليه السلام وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد بينت عائشة رضي الله عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا جازما وكان لعمه اثنى عشر ولدا لا يصلح  واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا لعمه في قتله فأبى وأخرجوه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة أن لا يصلح أمرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فصار فيهم سيرة حسنة وفي رواية ما يقتضي أن الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما يأتي أنه عند وقعة بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل أن الله سبحانه وتعالى إذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه أن يحدث لله تواضعا وأن الله تعالى قد احدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه * وذكر السهيلي أنه كان إذا قرىء عليه القرآن يبكي حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذ ولا نسمع

الارض بعد نبيا صلى الله عليه وسلم ثم رأيت أن الحافظ الهيتمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله وقال العماد بن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه أي ينتظرون فراغه من الصلاة لأن نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي زاد في رواية لا أقولهن فخرا اما أولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة أي من في زمنه وغيرهم ممن تقدم أو تأخر أي وللشجر والحجر الى آخر ما يأتي وكان من قبلي وفي لفظ كان كل نبي انما يرسل الى قومه أي جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه من أهل الارض ولما اخبر بانه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم أهل السفينة وكانوا ثمانين أربعين رجلا وأربعين امرأة وفي عوارف المعارف أصحاب السفينة كانوا اربعمائة وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع أهل الأرض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعى عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين أي حتى في الدنيا حتى نبعث رسولا وقد ثبت أن نوحا أول الرسل أي لمن يعبد الاصنام لأن عبادة الأصنام أول ما احدثت في قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون أول الرسل آدم ارسله الله تعالى الى أولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرائعه وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حواء في الجنة لأن الله تعالى أمره أن يأمرها وينهاها في ضمن أخباره بامره ونهيه بقوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الأرسال كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لجميع أهل الأرض في زمنه لا يساوي عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عليه الصلاة والسلام عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق أن آدم ومن بعده دعا الى الايمان بالله تعالى وعدم الاشراك به الا أن الاشراك به وعبادة الأصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده وأما قول اليهود او بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود اتباع عيسى الأصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه صادق ففاسد لأنهم اذا سلموا انه رسول الله وأنه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لأنه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه رسول الله لكل الناس * أقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه أولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الافهام لغير أهل تلك اللغة من الأعاجم بالتراجم الذين أرسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وإن كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما

الصلاة

شيئا تنكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطعون من متاع مكة وكان اعجب ما ياتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا اليه هدية أى هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه ليعاونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة فى تلك الرواية السابقة  لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشي أن يسلمنا لهم أى قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه أن يسلمهم الينا قبل أن يكلمهم موافقة لما وضب عليه قريش فقد ذكرابهم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسالاه أن يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاء الى الملك قالا له أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت جاءهم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لا هاء الله أى لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواى حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولون سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قال جعفر رضى الله عنه ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله تعالى

الصلاة والسلام مبعوثين لبنى اسرائيل بكتابيهما العبرانى أى وهو التوراة والسريانى وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله أعلم واشار الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر أى أمامه وخلفه يملأ منى رعبا أى يقذف الرعب فى قلوب أعدائه صلى الله عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين أحد من اعدائه أى المحاربين له أكثر من شهر أى وجاء ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف شاة لان مساحة جنده كانت مائة فرسخ قال لمن حضر من اشراف جنده هذا مكان يخرج منه نبى عربى يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنه فى الحق سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم ثم قالوا فباى دين يا نبى الله يدين قال بدين الحنفية فطوبى لمن آمن به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار الف عام * وأشار الى الثالثة بقوله وأحلت لى الغنائم كلها وكان من قبلى أن من أمر بالجهاد منهم يعطونها ويحرمونها أى لانهم كانوا يجمعونها أى والمراد ما عدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبياء ولا يجوز للانبياء أخذ شىء من ذلك بسبب الغنيمة كذا فى الوفاء وجاء فى بعض الروايات واطعمت امتك الفىء ولم أحله لامة قبلها أى والمراد بالفىء ما يعم الغنيمة كما انه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفىء هذا وفى بعض الروايات وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجىء النار أى نار بيضاء من السماء فتأكله أى حيث لا غلول وأمرت أن أقسمه فى فقراء أمتى وفى تكمله تفسير الجلال السيوطى لتفسير الجلال المحلى ان ذلك لم يعهد فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ولعله لم يكن ممن امر بالجهاد فلا يخالف ما سبق وأشار الى الرابعة بقوله وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت أى تيممت حيث لا ماء وصليت فلا يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلى لا يعطون ذلك اى الصلاة فى محل ادركتهم فيه انما كانوا يصلون فى كنائسهم وبيعهم أى ولم يكن أحد منهم يتيمم لأن التيمم من خصائصنا وفى رواية جابر لم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه وجاء فى تفسير قوله تعالى واختار موسى قومه الآيات من الماثور ان الله تعالى قال لموسى اجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد ان نصلى الا فى كنائسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله المفلحون أى وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسيح فى الأرض يصلى حيث أدركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه الا ان يقال لا يصلى مع أمته الا فى محرابه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فخص بانه كان يصلى حيث ادركته الصلاة وسياتى فى الخصائص الكلام على ذلك * واشار الى الخامسة بقوله قيل لى سل فان كل نبى قد سال فاخرت مسئلتى الى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد أن لا اله الا الله وهى لاخراج من فى قلبه ذرة من الأيمان ليس له عمل صالح الا التوحيد أى اخراج من ذكر من النار لأن شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم تقع فيمن فى قلبه

تعالى فقال النجاشي ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملوك قلنا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته فدعانا إلى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع أى نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده وأمرنا بالصلاة أى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والزكاة أى مطلق الصدقة والصيام أى ثلاثة أيام من كل شهر لان صوم رمضان انما فرض بالمدينة وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الأصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك شيء مما جاء به قلت نعم قال فاقرأ على فقرأت عليه صدرا من كهيعص أى لكونها فيها قصة مريم وعيسى عليهما السلام فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته وفى رواية هل عندك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت فاقول والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدموع وقالوا ازدنا ياجعفر من هذا الحديث فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذى جاء به موسى وفى رواية أن هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده مافى رواية أنه قال مازاد هذا على مافى الانجيل الا هذا العود مشير العود وكان

أكثر من ذلك قاله القاضى عياض أى وقد جاء فى بيان من يشفع باذن الله له فى الشفاعة فلا يبقى نبى ولا شهيد الا شفع وفى رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله عز وجل وقد جاء ان أول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا لايقوم بعده أحد فيما يشفع فيه وفى الحديث آتى تحت العرش فاخر ساجدا فيقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسى فاقول يارب أمتى يارب أمتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بر أو شعير من ايمان وفى لفظ حبة من خردل وفى لفظ أدنى أدنى ادنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه أى من النار فانطلق فافعل أى اخرجه من النار وأدخله الجنة وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه فى ادخال أهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط ففى الحديث فاذا دخلت الجنة نظرت الى ربى خررت ساجدا فيأذن الله لى فى حمده وتمجيده ثم يقول ارفع رأسك يامحمد واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول يا رب شفعنى فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة فيأذن الله تعالى لى فى الشفاعة إلى آخر ماتقدم ومن هذا يعلم أن الشفاعة فى الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو فى الجنة فما تقدم من قوله آتى تحت العرش فاخر ساجدا الى آخره إنما ذلك فى الشفاعة فى فصل القضاء فهذا خلط من بعض الرواة أى خلط الشفاعة فى الموقف التى هى الشفاعة فى فصل القضاء بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط فى دخول اهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة فى اخراج أهل التوحيد من النار والشفاعة فى فصل القضاء هى المشار اليها فى قوله صلى الله عليه وسلم وأعطيت الشفاعة فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب أن اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى فى اراحة الناس من هول الموقف أى وهذا هو المقام المحمود الذى يحمده ويغبطه الأولون والآخرون المعنى بقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه تجمع الناس فى صعيد واحد فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك سعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقد هاجت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الآية اعنى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال غيرهم بل هى الشفاعة العظمى فى فصل القضاء فدام الخصام الى أن اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة إحدى الشفاعات الثلاث المعينة بقوله صلى الله عليه وسلم لى عند ربى ثلاث شفاعات وعدنيهن وفى كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات أخر غير فصل القضاء جرى فى اختصاصه ببعضها خلاف وهى الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووى وجماعة هى مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضى عياض وغيره ويشترك فيها من يشاء الله تعالى والشفاعة فى اخراج من أدخل النار من الموحدين وفى قلبه مثقال ذرة من ايمان وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى إخراج من أدخل منهم النار وفى قلبه أزيد من ذرة من إيمان ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد بمن فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الى آخره عام فى أمته وغيرهم من الأمم وهو يخالف قول بعضهم جاء فى الصحيح

في يده أخذه من الارض وأنزل الله في النجاشي وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآيات في سورة المائدة وفي رواية أن جعفرا قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي أعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قال لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا ولو أعطيتموني ديرا من  ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اى أتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسى قولا عظيما أي يقولون أنه عبد الله وانه ليس ابن الله وفي لفظ ان عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه في كتابهم فسألهم فذكر له جعفر ذلك اى أجابه بما تقدم في الرواية الأولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان ابن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل ويمكن ان يقال ان مجالسهم تلك تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضي الله عنهما وروى الطبراني عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه بسند فيه رجال الصحيح أن عمرو ابن العاص مكر بعمارة ابن الوليد أي للعداوة التي وقعت بينهما في سفرهما أي من ان عمرو ابن العاص كان مع زوجته وكان قصيرا ذميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وهي في السفينة فقال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني اى تقبل معي فقال له عمرو الا تستحي فأخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة فاضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر تردده اليها حتى اهدت

فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله أي ومات على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من النار من قال لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم آتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي وفي رواية ثلثي أمتي الجنة أي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا فاخترت الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم لانا نقول المراد الذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيئا خصوص أمته وأما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم الموحدون من الأمم السابقة فليتأمل مع ما سبق من شفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وجوز النووي اختصاصها به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار كأبي طالب وأبي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لأبي لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد أنه لا يحاسب وقد أوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى أكثر من عشرين شفاعة وفي رواية أعطيت ما لم يعطه أحد من الانبياء نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض أي وفي لفظ وبينا أنا نائم رأيتني أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي ولا منافاة لأنه يجوز انه اعطي ذلك يقظة بعد أن اعطيه مناما وسميت أحمد أي ومحمدا أي لأن أحدا من الأنبياء لم يسم بذلك فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبياء كذا في الخصائص الصغرى وتقدم أن التسمية بأحمد من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس وفي وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام إني عبد الله الآية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء الآية هو الاصل في ذكر العلماء مناقبهم في كتبهم وهذا مأخوذ من قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وصعد سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر وعن سفيان الثوري رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضه للزوال والحق في ذلك التفصيل وهو أن من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم اظهارها أولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها أولى أي وفي الشفاء انه أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الأولون والآخرون لشفاعته لهم فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد وتقدم أن هذا يوافق ما تقدم عن الهدى أن أحمد مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول * وقد جاء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وجعلت أمتي خير الأمم * قال القاضي البيضاوي وفي التسمية بالأسماء العربية تنويه في تعظيم المسمى هذا كلامه وفي رواية لما أسري بي الى السماء قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لي قد جعلت أمتك آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم أي بوقوفهم على أخبارهم ولا أفضحهم عند الأمم أي لتأخرها عنهم وعليه فالضمير في دنا يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم اذ دنا فتدلى الآية عبارة عن تقريبه

اليه من عظرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشي وأخبره بذلك فقال ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد اهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سأفعل به ماهو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى ان مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد  اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملا الفما

ولازال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن ابي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذنه في المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضي الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره حتى أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول أرسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسياتى بعد غزوة بدر ان شاء الله انهم أرسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن ابي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة هذا هو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وام عبد الله هي ام ابي جهل بن هشام فهو أخو ابي جهل واخرج لامه فارسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان في الهجرة الاولى للحبشة والصواب ان ارسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن ابي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبد الله بن ابي ربيعة أرسلته قريش مرتين

تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فالضمير في دنا الى آخره يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف وفي رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية نحن آخر الامم وأول من يحاسب تنفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من أثر الطهور وفي رواية من آثار الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون أنبياء كلها هذا وفي رواية غرا من أثر السجود محجلين من أثر الوضوء وفي رواية فضلت على الانبياء بست اى ولا مخالفة بين ذكر الخمس أولا وبين الست هنا لانه يجوز أن يكون اطلع أولا على بعض مااختص به ثم اطلع على الباقي هذا على اعتبار مفهوم العدد ثم أشار الى بيان الست بقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي وهذا القول أى ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصائص وقد رجحه قبل الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه ايضا البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وأزيد على ذلك انه أرسل الى نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الثاني أفتى والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم أرسلت الى الخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص أو الذي أريد به الخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة مالا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز أن لا يكون ذلك صادرا عن بعثته اليهم ولا يشكل ماورد بعثت الى الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم وفي الشفاء وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل للقول الاول القائل بانه أرسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اى من الملائكة أني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القرآن العظيم الذي انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوى الاجماع منازع فيها فهي دعوى غير مسموعة ثم رأيت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة أدلة ايضا وهي لا تثبت المدعى الذي هو أن الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء وأممهم على تقدير وجوده في زمنهم لان الله تعالى أخذ عليهم وعلى أممهم الميثاق على الايمان به ونصرته مع بقائهم على نبواتهم ورسالاتهم الى أممهم فنبوته ورسالته اعم واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ماجاءت به أنبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قاله السبكي اى فجميع الانبياء وامهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والذي نفسي بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا ماوسعه الا ان يتبعني

(ذكر اسلام عمر رضي الله عنه) قد انجز الكلام من الهجرة الاولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضى الله عنه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحاق اسلم عمر رضى الله عنه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس اوقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هاشم وهو ابو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضى الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغني اسلام اختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال اين تذهب انك تزعم انك هذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال وماذاك قال اختك قد صبأت فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج اختي رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا اونسوا الصحيفة من ايديهم فقامت المرأة ففتحت لي فدخلت عليها فقلت ياعدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبأت أي خرجت عن دينك ثم ضربتها وفي رواية أن عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت اتضربني ياعدو الله على ان أوحد الله فقد اسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضى

واخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة لاعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين وفي النهر لابي حيان ان عبد الله ابن سلام استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل فلم يأذن له وكون جميع الانبياء واممهم من امته صلى الله عليه وسلم فالمراد أمة الدعوة لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن آمن به بعد البعثة على ماتقدم ويأتي وبعثه صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار بتأخير العذاب عنهم ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (وقد ذكر في الشفاء) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي في القرآن بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين قال الجلال السيوطي ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفي لفظ آخر فضلت على الانبياء بست لم يعطهن احد كان قبلي غفر لي ماتقدم من ذنبي وما تأخر وأحلت لي الغنائم وجعلت امتي خير الامم وجعلت الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذي نفسي بيده ان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه وفي رواية فما من احد الا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج وان معي لواء الحمد أنا امشي ويمشي الناس معي حتى آتي باب الجنة الحديث (اقول) قد سئلت عما حكاه الجلال السيوطي انه ورد الى مصر نصراني من الفرنج وقال لي شبهة ان ازلتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث الكاملية ورأس العلماء إذ ذاك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال النصراني والناس يسمعون أي افضل عندكم المتفق عليه أو المختلف فيه فقال له الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصراني قد اتفقنا نحن وأنتم على نبوة عيسى واختلفنا في محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم أن يكون عيسى أفضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين ساكتا من أول النهار الى الظهر حتى رتج المجلس واضطرب أهله ثم رفع الشيخ رأسه وقال قال عيسى لبني اسرائيل ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فيلزمك أن تتبعه فيما قال وتؤمن باحمد الذي بشر به فاقام الحجة على النصراني وأسلم بانه كيف اقام الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى اذ غاية ماذكر ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبت فانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء به وبما جاء به وأخبر به افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سئل ابو الحسن الحمال بالحاء المهملة من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى ايهما افضل فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال انه تعالى ادخل بينه وبين موسى لام الملك فقال تعالى واصطنعتك لنفسي فقال لمحمد صلى الله عليه وسلم الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق بين من أقام بوصفه وبين من اقامه مقام نفسه والله أعلم (وفي

الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وأنا مغضب فنظرت فاذا كتاب فى ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطنيه انظره وكان عمر قارئا فقالت له لا أعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال فلم ازل بها حتى اعطتنيه وفى رواية قال اعطونى هذه الصحيفة اقرؤها وكان عمر رضى الله عنه يقرأ الكتب قالت اخته لا افعل قال ويحك وقع فى قلبى مما قلت فاعطنيها انظر اليها واعطيك من المواثيق ان لا اخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل وتوضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال اتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم انى أرجو ان يهدى الله أخى فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى وجعلت افكر من أى شىء اشتق اى أخذ ثم رجعت الى نفسى واخذت الصحيفة فاذا فيها سبح لله ما فى السموات والارض فجعلت اقرأ وافكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (وفى رواية) فاخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفى رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وان عمر انتهى الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ويمكن الجمع بانه وجد

رواية اذا كان يوم القيامة كان لى لواء الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم وفى لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة أى حلق بابها فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر أى وفى رواية آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح اى بتحريك حلقة باب الجنة أو قرعه بها لا بصوت فيقول الخازن أى وهو رضوان من أنت فاقول محمد وفى رواية أنا محمد فيقول بك أمرت لا افتح وفى رواية أنا لا افتح لاحد قبلك زاد فى رواية ولا أقوم لاحد بعدك لا فتح له فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبياء وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهى خصوصية عظيمة نبه عليها القطب الخضرى وكون الفاتح له صلى الله عليه وسلم الخازن لا ينافى ما قبله من كون الفاتح له الحق سبحانه وتعالى لما علم ان الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقى وفى رواية أنا أول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فآتى فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار جل جلاله فاخر له ساجدا أى فالكلام فى يوم القيامة فلا يرد ادريس بناء على أن دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيامة وفى يوم القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه ما جاء أول من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع الباب الاصلى لا حلقه أو الاول من الامة والله أعلم (وفى الاوسط) للطبرانى باسناد حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى وسيأتى ان هذا من جملة ما أوحى اليه ليلة المعراج الذى اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ولعل هذا هو المراد مما جاء فى المرفوع عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى ادخلها أنا وأمتى وان ظاهرها من انه لا يدخلها أحد من الانبياء الا بعد دخول هذه الامة ليس مرادا وفى هاتين الروايتين منقبة عظيمة لهذه الامة المحمدية انه لا يدخل احد الجنة من الأمم السابقة ولو من صلحائها وعلمائها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب فى النار من عصاة هذه الأمة بناء على انه لا بد من تعذيب طائفة من هذه الأمة فى النار ولا بعد فى ذلك لانه تقدم ان أول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا يأتون الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة فى النار ودخل الجنة * وجاء انه يدخلها قبله من امته سبعون الفا مع كل واحد سبعون الفا لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يدخل الجنة الا ان يقال أول من يدخل الجنة من الباب وهؤلاء السبعون الفا ورد انهم يدخلون من أعلى حائط فى الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك ما جاء أول من يدخل الجنة أبو بكر لان المراد أول من يدخلها من رجال هذه الأمة غير الموالى ولا يعارض ذلك ما تقدم عن بلال رضى الله تعالى عنه أول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالى ولا يعارض ذلك أيضا ما جاء أول من يدخل الجنة ابنتى فاطمة كما لا يخفى لان المراد أول من يدخلها من نساء هذه الأمة فالأولية اضافية وجاء لاشفعن يوم القيامة لا كثر مما فى الأرض من حجر وشجر وعن انس رضى

السور الثلاث في صحيفة او صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري قال ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره دلوني على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند اخته يعني زوجها سعيد ابن زيد وخباب ابن الارت أحد الرجلين الذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني وحمدوا الله تعالى  ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم اعز الاسلام بعمر أو بعمرو وأنا نرجو ان تكون دعوته لك فابشر فلما عرفوا مني الصدق قلت اخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في اسفل الصفا فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في اسفل الصفا وهي دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها بمن معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضي الله عنه فقرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فما اجترأ احد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال حمزة رضي الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال فدخلت وأخذ رجلان بعضدي قيل ان حمزة اخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة وفي رواية فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه فقال أما أنت

رذى الله تعالى فضلت عن الناس باربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع أي فعن سلمى مولاته صلى الله عليه سلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلته وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب * ومما يدل على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له مع ركانة كما سيأتي وفي الخصائص الصغرى وكان أفرس العالمين فهو صلى الله عليه وسلم أجود بني آدم على الاطلاق كما أنه أفضلهم واشجعهم واعلمهم واكملهم في جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى اخبره بالمغفرة أي لما تقدم وتأخر ولم ينقل أنه اخبر احدا من الانبياء بمثل ذلك أي ولانه لو وقع لنقل لانه مما توفر الدواعي على نقله بل ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتأخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص به عن الانبياء وغفر لي ما يقدم من ذنبي وما تاخر أي ولا ينافي ذلك قوله تعالى في حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران الذنب واحد قال ابن عبد السلام بل الظاهر أنه لم يخبرهم أي بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في الموقف نفسي نفسي لا ني الى آخره وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي أو نصراني ثم لم يسلم دخل النار أي لانه لا يجب عليه أن يؤمن به. أقول والذي في مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار أي من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود في زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات غير مؤمن بما ارسل كان من اصحاب النار أي ومن جملة ما ارسل به أنه ارسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب تامل وانما خص اليهودي والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان حالهما ذلك مع أن لهم كتابا فغيرهم مما لا كتاب له كالمجوسي اولى لأن اليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم الانجيل لأن شريعة التوراة التي هي شريعة موسى يقال لها اليهودية أخذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام انا هدنا اليك أي رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية أخذا من قول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصاري الى الله فمن كان على دين عيسى يسمى نصرانيا وكان القياس أن يقال له انصاري وقيل النصراني نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم ولا مانع من رعاية الأمرين في ذلك وجاء في رواية وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة أي والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على حدته وان امته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطا والنسيان وحمل ما لا تطيقه الذي أشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه وسلم أسلم وفي الخصائص الصغرى وأسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال الحافظ ابن حجر ويمكن أن يزد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع (وذكر أبو سعيد النيسابوري) في كتابه شرف المصطفى أنه عد الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فاذا هو ستون خصلة أي ومن ذلك أي مما اختص به صلى الله عليه وسلم في أمته ان وصف الاسلام خاص بها لم يوصف به أحد من الامم السابقة سوى الانبياء فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان

بمنته ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ماأنزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلقى حبه الطبيعي في قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا على الكفار فى الدين فصار كذلك وفى رواية فقال ماجاء بك يا ابن الخطاب فوالله ماأرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال يارسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر ابن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر ابن الخطاب اللهم اخرج مافى صدر عمر من غل وأبدله ايمانا فقلت اشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافى هذا اتيانه بالشهادة فى بيت أخته قبل خروجه الى النبي صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضى الله عنه وكان الرجل اذا أسلم استخفى باسلامه فقلنا يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الخفاء يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال ياعمر انا قليل وقد رأيت مالقينا فقال عمر والذى بعثك بالحق نبيا لايبقى مجلس جلست فيه بالكفر الاجلست فيه بالايمان قال عمر رضى الله عنه وأحببت أن يظهر اسلامى وان يصيبنى ماأصاب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالى وكان شريفا فى قريش وهو ابو جهل فاعلمته انى صبوت وفى رواية قال عمر رضى الله عنه لما أسلمت تذكرت أى أهل مكة اشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فاخبره أنى قد اسلمت فذكرت اباجهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الى وقال مرحبا وأهلا يا ابن اختى ماجاء بك قلت جئت لأخبرك

---

وصفت بالوصف الذى كان يوصف به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام على القول الراجح نقلا ودليلا لماقام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطى رحمه الله

## ﴿ باب بدء الوحى صلى الله عليه وسلم ﴾

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا الاجاءت كفلق أى وفى لفظ كفرق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفى لفظ فكان لا يرى شيا فى المنام الا كان أى وجد فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جاءت فى رواية البخارى فى التفسير أى ولا يخفى أن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت شاقة كما فى رؤياه يوم أحد قال القاضى وغيره وانما ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفاجاه الملك الذى هو جبريل عليه السلام بالنبوة أى الرسالة فلا تتحملها القوى البشرية أى لان القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وان لم تكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على سماع صورته ولا على مايخبر به لاسيما الرسالة فكانت الرؤيا تانيسا له صلى الله عليه وسلم والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم أن من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا للملائكة أى على الصورة التى خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم وعن عاقمة بن قيس أول مايؤتى به الأنبياء فى المنام أى ما يكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى اهأى فى اليقظة لأن رؤيا الانبياء وحى وصدق وحق لا اضغاث أحلام ولا تخييل من الشيطان اذ لاسبيل له عليهم لأن قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة لجميع ماينطبع فى عالم مثالهم لا يكون الاحقا ومن ثم جاء نحن معاشر الأنبياء تنام اعيننا ولاتنام قلوبنا (اقول) وحينئذ يكون فى القول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحى الثلاثة له وعدمنها الرؤيا فى المنام وعدمنها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل نظر لما علمت أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون فى الرؤيا وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل (وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون ابتداء الرؤيا حصل فى شهر ربيع الأول وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم أوحى الله اليه فى اليقظة أى فى رمضان) ذكره البيهقى وغيره (جاء فى الحديث) الرؤيا الصادقة وفى البخارى الرؤيا الحسنة أى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة قال بعضهم معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث اقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحى اليه فى المنام أى التى هى الرؤيا ستة أشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدى واقره حيث قال كانت الرؤيا ستة أشهر ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ هذا كلامه وحينئذ يكون المعنى ورؤيتى جزء من ستة واربعين جزأ من نبوته ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح اذ هو يقتضى ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتأمل

وفى لفظ لأبشرك ببشارة قال أبو جهل وماهى يا ابن اختى فقلت انى آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب فى وجهى وهو معنى اجاف الباب الثابت فى بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم مازال عمر رضى الله عنه يراجع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا فى صفين فى أحدهما عمر وفى الآخرة حمزة رضى الله عنهما حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم  فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها

وفى رواية خرجوا فى صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق رضى الله عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضى الله عنه مازلنا أعزة منذ أسلم عمر رضى الله عنه وفى رواية عن عمر رضى الله عنه بعد أن اسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت انى صبوت فرفع صوته باعلاه ألا ان ابن الخطاب قد صبا وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما أسلم عمر قال أى قريش أنقل للحديث فقيل جميل بن حبيب فغدا عليه وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت يا جميل انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبى حتى إذا قام على باب المسجد صرخ باعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة الا ان ابن الخطاب قد صبا ويقول عمر من خلفه كذب ولكنى أسلمت وشهدت أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله فما زال الناس يضربونني وأضربهم حتى قال خالى ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر وأشار بكمه الا انى اجرت ابن اختى فانكشف الناس عنى لجلالة خالى عندهم قال بعضهم ان ام عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد أبى جهل اخوان فابو جهل ابن عم ام عمر فيكون خاله مجازا لان عصبة الام أخوال الابن * وفى السيرة الحلبية أن عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضى

ولم أقف فى كلام أحد على مشاركة أحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم فى هاتين المدتين وحينئذ تحمل الخصوصية التى ادعاها بعضهم على هذا ومما يدل على أن المراد مطلق الرئيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء فى ذلك من الالفاظ التى بلغت خمسة عشر لفظا ففى رواية انها جزء من سبعين جزأ وفى رواية من أربعة وأربعين وفى رواية انها جزء من خمسين جزأ من النبوة وفى رواية من تسعة وأربعين وفى أخرى انها جزء من ستة وسبعين وفى أخرى من خمسة وعشرين جزأ وفى اخرى من ستة وعشرين جزأ وفى أخرى من أربعة وعشرين جزأ فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم فى الرئيا وذكر الحافظ ابن حجر ان أصح الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزأ فعلم ان الرؤية المذكورة جزء من مطلق النبوة اى كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافى انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة أى لا توجد بعدى وبقيت المبشرات أى المرائى التى كانت مبشرات للانبياء بالنبوة بدليل ما فى رواية لم يبق بعدى من المبشرات أى مبشرات النبوة الا الرؤيا أى مجرد الرؤيا الخالية عن شىء من مبشرات النبوة بدليل ما فى لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أى لنفسه او ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة تكون من الكافر أو ترى له وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وفيه أنها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير عاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التى هى الخبر السار على ما يشمل النذارة التى هى الخبر الضار بعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخير لان النذارة ربما قادت الى الخير وفى الاتقان ومن المجاز تسمية الشىء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب اليم اه أى وهى فى هذه الآية للتهكم وجاء رجل اى وهو ابو قتادة الانصارى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أرى فى المنام الرؤيا تمرضنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك أى وحكمة التتفل احتقار الشيطان واستقذاره وفى رواية اذا رأى أحدكم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان كأن يقول أعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره زاد فى رواية وأن يتحول عن جنبه الذى كان عليه زاد فى أخرى وليقم فليصل اى ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه والذى رآه وفى البخارى أنه إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانما هى من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها أى ولا يخبر بها الا من يحب واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان أى لاحقيقة وانما هى تخييل يقصد به تخويف الانسان والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفى الاذكار ثم ليقل اللهم انى أعوذ بك من عمل الشياطين وسيئات الاحلام وفى الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان قيل فى معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشىء على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه فان الحلم ماخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها أمثلة يدركها الرائى بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم من أكثر القلب

كانت الرؤيا أصفى وذكر الفخر الرازى ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها أى أثرها عن قرب والرؤيا الجيدة
انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه أن حكمة الله تعالى تقتضى أن لا يحصل الاعلام بوصول الشر
الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره
بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذكر الخير أكثر وهذا جرى على ما هو
الغالب والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه كأن
كلبا أبقع يلغ في دمه فكان أى ذلك الكلب الابقع شمرا قاتل الحسين وكان أبرص فكان تأخير الرؤيا
بعد خمسين سنة وجاء عن عمر بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت
نداء أن يا محمد يا محمد وفى رواية أرى نورا أى يقظة لا مناما وأسمع صوتا وقد خشيت أن يكون والله
لهذا أمر وفى رواية والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيأ قط ولا الكهان وانى لا أخشى أن أكون
كاهنا أى فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لأن الأصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها
والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية وأخشى أن يكون بى الجنون أى لمة من الجن فقالت كلا
يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفى رواية
ان خلقك الكريم أى فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضى الله تعالى عنها بما فيه من الصفات
العلية والأخلاق السنية على أنه لا يفعل به الأخير لأن من كان كذلك لا يجزى الاخير أو نقل الماوردى
عن الشعبي أن الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء
بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وأمهله هذه المدة ليتأهب لوحيه وفيه
أنه لو كان فى تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم الا أن يقال ما تقدم انما قاله لخديجة فى أول
الأمر ويدل لذلك ما قيل أنه صلى الله عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا ولا يرى
شخصا وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيئا غير ذلك وان المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك
المدة التى هي اثنان وعشرون سنة وهذا الشيء الذى كان يعلمه له اسرافيل لم أقف على ما هو والله أعلم
وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التى يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق
فهى تفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام ذكر الله فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شيء
أحب اليه من أن يخلو وحده وكان يخلو بغار حرا بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذى نادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله الي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل
على ظهرى فاعذب فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث أى يتعبد به أى بغار حراء الليالى ذوات العدد
ويروى أولات العدد أى مع أيامها وانما غلب الليالى لأنها أنسب بالخلوة قال بعضهم وأبهم العدد
لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان أو غيره وفى كلام
بعضهم ما قد يدل على أنه لم يختل صلى الله عليه وسلم أقل من شهر وحينئذ يكون قوله فى الحديث
الليالى ذوات العدد محمول على القدر الذى كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى
ان يتم الشهر وكذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر أو لم يصح انه صلى الله



الله عنه حين أسلم فالقاه عمر رضى الله عنه الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه
احد الا اخذه عمر رضى الله عنه بشراسيفه وهى طرف أضلاعه وعند ابن اسحق ان العاص بن وائل السهمى اجار عمر منهم حينئذ
فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما جاره*وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينا عمر فى الدار خائفا اذ جاء العاص
بن وائل السهمى أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال ما بالك قال زعم قومك انهم
سيقتلونى لانى أسلمت قال
لا سبيل اليك بعد أن قال
أمنت فخرج العاص فلقى
الناس قد سال بهم الوادى
فقال اين تريدون قالوا ابن
الخطاب الذى قد صبا
قال لا سبيل اليه فكر الناس
وانصرفوا ثم رد عمر رضى
الله عنه الى العاص جواره
قال فما زلت اضرب
واضرب حتى اعز الله
الاسلام* وفى رواية
عن عمر رضى الله عنه فى
سبب اسلامه قال بينا انا
عند آلهتهم اذ جاء رجل
بعجل فذبحه فصرخ به
صارخ لم يسمع قط صوت
أشد منه يقول يا جليح
امر نجيح رجل فصيح
يقول لا اله الا الله فما نشبنا
ان قيل هذا نبي وروى
ابو نعيم فى الدلائل عن
طلحة وعائشة عن عمر رضى
الله عنهم أن أبا جهل لعنه
الله جعل لمن يقتل محمداً
مائة ناقة حمراء أو سوداء
أو الف أوقية من فضة
وفى رواية أن أبا جهل بن
هشام قال يا معشر قريش
ان محمداً قد شتم آلهتكم
وسفه احلامكم وزعم ان
من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار الا من قتل محمداً فله على مائة ناقة حمراء او سوداء والف اوقية من فضة
فقال عمر رضى الله عنه انا لها قالوا انت لها وتعاهد معهم على ذلك وفى رواية فقلت له يا ابا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا
السيف متنكبا كنانتى اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت انظر اليه فاذا صائح يصيح
من جوف العجل يا آل ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله فقلت فى

عليه

نفسى ان هذا الأمر مايراد به الأأنائم مررت بصنم فاذاهاتف من جوفه يقول ياأيها الناس ذوو الاجسام ماأنتم وطائش الاحلام ومسند الحكم الى الاصنام أصبحتم كراتع الانعام أماترون ماأرى أمامى من ساطع يجلو دجى الظلام قد لاح للناظرين من تهام وقد بدا للناظر الشآمى محمد ذوا البر والاكرام أكرمه الرحمن من امامى قد جاء بعد الشرك بالاسلام يامر بالصلاة والصيام والبر والصلاة للارحام ويزجر الناس عن الاثام فبادروا واسبقا الى الاسلام بلافتور وبلا احجام قال عمر فقلت والله ماأراه الاأرادنى ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى
سيقول من عبد الضمار ومثله * لميت الضمار ومثله لم يعبد
ابشر أبا حفص بدين صادق * يهدى اليك وبالكتاب المرشد
واصبر أباحفص فانك آمر يأتيك عز غير عز بنى عدى
لاتعجلن فانت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر رضى الله عنه فوالله لقد علمت انه ارادنى فلقينى نعيم بن عبدالله النجام وكان يخفى اسلامه خوفا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد ان هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش فاقتله فقال نعيم ياعمر أترى بنى عبدمناف تاركيك تمشى على وجه الارض وبالغ فى منعه ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشىء آخر فقال له الاترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم وذكر له اسلام اخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر القصة بطولها وقيل ان الذى لقيه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان قد أسلم قبل عمر رضى الله عنه فقال أين تريد ياعمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبدمناف تمشى على الأرض فقال له عمر ماأراك الاقد صبأت فابدا بك فاقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على

عليه وسلم اختلى أكثر من شهر قال السراج البلقينى فى شرح البخارى لم يجىء فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وسيأتى بيان ذلك قريبا ثم اذامكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالى أى وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة رضى الله تعالى عنها فيتزود لمثلها أى قيل وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه أن الكعك والزيت يبقى المدة طويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه ثم رأيت عن الحافظ بن حجر مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالى الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع الى أهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا فى سعة بالغة من العيش وكان غالب أدمهم اللبن واللحم وذلك لايدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولاسيما وقد وصف بانه صلى الله عايه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه وهو يشير فيه الى ثلاثة أجوبة الأول انه لم يكن فى سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثانى ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لايدخر شهرا الثالث انه على فرض أن يدخر ما يكفيه شهرا أى من الكعك والزيت الاأنه صلى الله عليه وسلم كان يطعم فربما نفد ما ادخره وانما اختارت الزيت للادم لأن دسومته لاينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة أى من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التى هى الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لأنها لاتكاد تنبت الافى شريف البقاع التى بورك فيها كارض بيت المقدس حتى فجاه الحق وهو فى غار حراء أى فى اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء فى كل سنة شهرا وكان ذلك مما تتحنث فيه قريش فى الجاهلية أى المتألهين منهم أى وكان أول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الأثير أول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يناله أى يتعبد () كورقة بن نوفل وأبى أمية بن المغيرة وقد أشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

الف النسك والعبادة والخلـــوة طفلا وهكذا النجباء
وإذا حلت الهداية قلبا * نشطت في العبادة الأعضاء

أى ألف صلى الله عليه وسلم العبادة والخلوة فى حال كونه طفلا ومثل هذا الشان العلى شان الكرام وانما كان هذا الشان الكرام لأنه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الأعضاء فى العبادة لأن القلب رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ولعل الخلوة فى كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزاله للناس وأراد بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لاخصوص اعتزاله الناس فى غار حراء فلا ينافى قوله طفلا ظاهر ما تقدم من أن خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حراء كانت فى زمن تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من جاء من المساكين أى لأنه كان من نسل قريش فى الجاهلية أى فى ذلك المحل أن يطعم

الآخر حتى كاد أن يختلطا فقال سعد لعمر مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعيد بن زيد و باختك فقال صبأ قال نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولا مانع انه لقي كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ماذكر وفي رواية ان سبب اسلامه رضي الله عنه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وقلت  ان دنوت منه أستمع لأردعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت امشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت وداخلني الاسلام فكنت حتى انصرف فتبعته فالتفت في اثناء طريقه فرآني فظن أني انما تبعته لأذية فنهمني أي زجرني بشدة ثم قال ما جاء بك في هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وما جاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الاسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم مالا يخفى * وفي رواية عن عمر رضي الله عنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت اتعجب من تاليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام مني كل موقع * وذهب واحتجوا مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فوجداه في بيته قائما يصلي وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ في سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية دخلهما رعب شديد فقال احدهما للآخر الوحا الوحا أي الرواح بسرعة خوفا من نزول العذاب * والحاصل ان الاسباب

الرجل من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس والا فجردا طعام المساكين لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون غيره وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس أي لاسيما ان كانوا على باطل لأن في الخلوة يخشع القلب وينسى المالوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر أي مع الانقطاع عما ذكرنا والا فجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا أن يدعى أن التفكر فيه أتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه في سفر السعادة وقيل بغير ذلك من ذلك الغير انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسى غير ما نسخ منها في شرعنا وقيل بكل ما صح انه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجاءه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به ما أراد أي من كرامته صلى الله عليه وسلم وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الأول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله أي عياله التي هي خديجة رضي الله تعالى عنها أمامع أولادها أو بدونهم حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الأول أي وقيل ليلة ثالثة قال بعضهم القول بانه في ربيع الأول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح أي وهو قول الاكثرين وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب فقد أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه أي أول يوم هبط فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وسيأتي في بعض الروايات ان جبريل عليه السلام نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين ويجوز أن يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لاني ولدت فيه وبعثت فيه فلا مخالفة بين كونه نبي في الليل وبين كونه نبي في اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم اتاه صلى الله عليه وسلم جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حراء بامر الله تعالى وهذا القول أي ان البعث كان في رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصري حيث قال

وأتت عليه أربعون فاشرقت شمس النبوة منه في رمضان

المقتضية لاسلام عمر رضى الله عنه تكررت وكثرت وكان السبب فى ذلك أن يمكن الله الاسلام فى قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان الأمر كذلك * قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عمر رضى الله عنه قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر لأن الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وأمارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رضى الله عنه رواه ابن أبي شيبة والطبرانى قال المشركون انتصف القوم وروى انه لما أسلم قال يارسول الله لا ينبغى أن يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادى لا إله إلا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفى منه ثم تقدم أمامه صلى الله عليه وسلم ليطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما أسلم عمر رضى الله عنه ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وباسلام عمر رضى الله عنه وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحوننا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فامرهم فدخلوا شعبهم وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن أراد قتله وأجاب كل منهم أباطالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب فى المناصرة وانخذل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولذا قال أبو طالب فى قصيدة جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل وقال فى قصيدة أخرى جزى الله عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا

واحتجوا بان أول ما اكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن وأجيب بان المراد بنزول القرآن فى رمضان نزوله جملة واحدة فى ليلة القدر الى بيت العزة فى سماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى وأنا نائم بنمط وهو ضرب من البسط وفى رواية جاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب أى كتابة فقال اقرأه فقلت ما أقرأ أى أنا أمى لا احسن القراءة اى قراءة المكتوب او مطلقا فغطنى أو فغتنى بالتاء بدل من الطاء به أى غمنى بذلك النمط بان جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ أى من غير هذا المكتوب فقلت ماذا اقرأ وما أقول ذلك الا افتداء منه أى تخلصا منه أن يعود لى بمثل ما صنع اى أنما استفهمت عما اقرأ ولم انف خوفا أن يعود لى بمثل ما صنع عند النفى أى وفى رواية فقلت والله ما قرأت شيأ قط وما أدرى شيئا اقرأه اى لأنى ما قرأت شيئا فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقرأتها فانصرف عنى وهببت أى استيقظت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا أقول أى استقر ذلك فى قلبى وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاء ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له يوم الاثنين محتمل لأن يكون أتاه بذلك النمط فى ليلة السبت وليلة الأحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة بقوله ثم هببت من نومى ولا ينافى ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة أى أعلن له بما يكون سببا للرسالة الذى هو اقرأ الحاصل فى اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب فى استقرار ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعده قوله فى الليلة الثانية قرأت شيئا الا ان المراد لم يتقدم لى قراءة قبل مجيئك الى ولا يبعده أيضا قوله ما ادرى ما اقرأ لأنه لم يستقر ذلك فى قلبه لما علمت ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم فى الليلة الاولى وفى سيرة الشامى ان مجىء جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حراء وهذا السياق يدل على انه كان بعده وفى سفر السعادة ما يقتضى انه جاء بالنمط يقظة فى حراء ونصه فبينما هو فى بعض الأيام قائم على جبل حراء إذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها فى يده وقال اقرأ قال والله ما أنا بقارىء ولا أدرى فى هذه الرسالة كتابة أى لا أعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمنى اليه وغطنى حتى بلغ منى الجهد فعل ذلك بى ثلاثا وهو يامرنى بالقراءة ثم قال اقرأ باسم ربك هذا كلامه فليتأمل والله أعلم قال فخرجت اى من الغار أى وذلك قبل مجىء جبريل اليه صلى الله عليه وسلم باقرأ خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت فى شط من الجبل اى فى جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه أى وفى رواية واضعا إحدى رجليه على الاخرى فى أفق السماء اى نواحيها يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت اصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى أهلى حتى أتيت خديجة أى فى الغار فجلست الى فخذها

أى تشاوروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينكحوا اليهم أى لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم أى يزوجوهم ولا يبيعوا منها شيئا ولا يتبايعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أى يخلوا بينهم وبينه وكتبوه فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم ابن عبدمناف بن عبدالدار  ابن قصى فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره وقيل بخط النضر بن الحرث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام ابن عمرو بن الحرث العامرى وهو من الذين سعوا فى نقضها كما سيأتى وقد أسلم رضى الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن أبى طلحة العبدرى وقيل بخط منصور بن عبد شرحبيل ابن هاشم وجمع باحتمال ان يكونوا كتبوا منها نسخا وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها فى الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بنى كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازى حتى جهدوا لقطعهم عنهم الميرة والمادة وكانوا الا يصل اليهم شىء الا سرا ويخرجون من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفى الصحيح انهم جهدوا فى الشعب حتى كانوا يا كلون الخبط وورق الشجر وفى كلام السهيلى كانوا إذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام ليقتاته فيقوم ابو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم حالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا مضاعفة حتى

مضيفا اليها أى مستندا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك فبلغوا مكة ورجعوا الى * أقول وهذا يدل على أن خديجة رضى الله تعالى عنها كانت معه بغار حرا وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أى خديجة رضى الله تعالى عنها على ما تقدم وقد يخالف ذلك ماروى ان خديجة رضى الله عنها صنعت طعاما ثم أرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فارسلت فى طلبه الى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينما هى كذلك إذ أتاها فحدثها بما رأى وسمع فان هذا يدل على انها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم بحرا وقد يقال يجوز أن تكون خرجت معه اولا وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهى بحرا فلم تجده وان الرسل اخطؤا محل وقوفه صلى الله عليه وسلم بالجبل الذى هو حرا ثم رجعت الى مكة وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم بحراء لاحتمال عوده اليه ثم أرسلت الى بيت أعمامه واخواله لما لم تجده صلى الله عليه وسلم بحراء فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى أهلى أى بمكة لا بحراء لانه يجوز أن يكون بلغه رجوع خديجة رضى الله عنها الى مكة هذا على مقتضى الجمع واما على ظاهر الرواية الأولى يكون رجوعه الى أهله بحراء كما ذكرناه وهو يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل كان من غار حرا كما ذكرنا لا من مكة الذى يدل عليه قول الشمس الشامى فخرج مرة أخرى الى حراء قال فخرجت حتى أتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى آخره فليتأمل والله أعلم قال ثم حدثتها بالذى رأيت أى من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله لها يا محمد أنت رسول الله فقالت ابشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها أى التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع اى رأى جبريل وسمع منه انت رسول الله وأنا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذى نفسى بيده لئن كنت صدقت ياخديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذى يأتى موسى الذى هو جبريل وانه لنبى هذه الأمة فقولى له يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب أى وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر فى هذه الأرض التى تعبد فيها الأوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله أى لأن هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما اقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف أى فرغ ما تزوده وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لأن ذلك كان قبل أن يجىء اليه جبريل باقرأ باسم ربك يقظة كما تقدم أى وذلك كان فى الشهر الذى أكرمه الله فيه برسالته فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بهاء السكت ولا تكون الا ساكنة ولئن انا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم منه وقبل يافوخه أى وسط رأسه لأن اليافوخ بالهمز

يرجع الرجل منهم الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به فيغدو التجار على ابي لهب بما كسد في أيديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن وخروج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافي منعهم من الاسواق والمبايعة أي عموما * ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة الخروج الاخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان من أشد الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام أدخل عليهم في ليلة ثلاث احمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال اني غير عائد لشيء خالفكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فادخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش أي أغاظوا له في القول وهموا بقتله فقال لهم ابو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله ورحمه اما اني احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا وكان ممن يصلهم بالطعام أيضا حكيم ابن حزام فلقيه ابو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهي معه في الشعب فقال ابو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تذهب أنت وطعامك حتى افضحك بمكة فحضرهما أبو البختري فقال لابي جهل مالك وماله فقال له ابو جهل يحمل الطعام لبني هاشم فقال له ابو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بها خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الآخر فاخذ أبو البختري لحي بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديدا فانكف عن ذلك وأبو البختري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والأول أصح وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان ابو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره

---

بالهمز وسط الرأس اذا استد وقبل استداده كما في رأس الطفل يقال له الفادية ثم انصرف رسول صلى الله عليه وسلم الى منزله أي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس قدوس وتارة قال سبوح سبوح أو جمع بين ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على أحد اللفظين (وقد جاء) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على خديجة أي وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ورقة أي بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا الى الأرض فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني أي وهذا قبل أن يراه ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر رسؤال ورقة ثلاث مرات الأولى على يد ابي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك قبل أن يرى جبريل والثانية التي رأى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم في المطاف والثالثة التي بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن أي باقرأ باسم ربك على المشهور من أنه أول ما نزل وذلك على يد خديجة ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ بن حجر كما سيأتي أن القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لأن مراده قصة مجيء جبريل له يقظة باقرأ باسم ربك وسيأتي ما فيه * وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي قيل لانه يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله بمثابة الاخ له أو أنه قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام مع أن عيسى اقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام أي كان يهوديا ثم صار نصرانيا أي لان نبوة موسى عليه الصلاة والسلام مجمع عليها أي على انها ناسخة لما قبلها وان شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام لا ناسخة لما قبل ولأن ورقة كان ممن تنصر أي كما علمت والنصارى لا يقولون بنزول جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام أي بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه انه أحد الاقاليم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي هي العلم حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد (أقول) وفيه ان في رواية وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أي في بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على موسى وفي الاقتصار على موسى دون الاقتصار على عيسى ما علمت ثم رأيت انه جاء في غير الصحيح الاقتصار على عيسى فقال هذا الناموس الذي نزل على عيسى فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما ولا ينافي ذلك أي مجيء جبريل لعيسى ما تقدم عن النصارى من أنهم لا يقولون بنزول جبريل على عيسى لجواز أن يكون المراد لا ينزل عليه دائما وابدأ بالوحي بل في بعض الاحيان وفي بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رأيت في فتح الباري أن عند اخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى الله عليه وسلم له بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لأن موسى أرسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على

صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا وغائلة فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويامره هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها وهذا على ماجرت به العادة من الاحتراس بالأمور العادية والا فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ ومعصوم من القتل وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهم بالشعب ثم ان الله تعالى أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الارضة  أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط

وكانوا يكتبون باسمك اللهم وفي رواية لم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عزوجل الا لحسته وبقي مافيها من شرك وقطيعة رحم قال الحلبي والرواية الأولى اثبت من الثانية وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا انسخا فاكلت الارضة من بعضها ماعدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب بذلك فقال يا ابن أخي اربك أخبرك بهذا قال نعم قال والثواقب ما كذبتني قط فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فانكر قريش ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أبو طالب يامعشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكون ان أبا طالب يدفع اليهم النبي صلى الله عليه وسلم شدائد فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ان أخي أخبرني ولم يكذبني ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسم الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وفي رواية أكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم الله تعالى فان كان ما

يد نبينا صلى الله عليه وسلم على فرعون هذه الأمة الذي هو أبو جهل هذا كلامه فليتأمل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال في حق أبي جهل في يوم بدر هذا فرعون هذه الأمة والله أعلم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها جاءه الملك سحر أي سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما أي بغير غط فقال له اقرأ قال ما أنا بقارىء أي لا أوجد القراءة قال فاخذني فغطني أي ضمني وعصرني وفي لفظ فاخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء أي لا أحسن القراءة أي لا أحفظ شيا اقرؤه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء أي شيء اقرؤه وفيه انه لو كان كذلك لقال ما أقرأ وماذا اقرأ الا أن يقال اطلق ذلك وأراد لازمه الذي هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم * أقول فقولنا أي بغير غط هو ظاهر الروايات ويجوز أن يكون لفظ الغط سقط في هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالنمط) وأيضا كيف الجمع بين قوله هنا ماذكر وبين قوله هناك فكانما كتب في قلبي كتابا وماباله مهد من قدم الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جوز أن يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذي قرأه وكتب في قلبه ولا يخفى انه علم أن قول جبريل اقرأ أمر بالقراءة وفيه انه من التكليف بما لا يطاق أي في الحال أي ومن ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقى اليه وفيه انه لو كان كذلك لم يحسن أن يقال في جوابه ما أنا بقارىء الذي معناه لا أوجد القراءة (الا أن يقال جبريل عليه السلام أراد التنبيه لا الأمر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناء على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارىء في المواضع الثلاثة معناه مختلف ففي الأول معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثاني معناه الاخبار بانه لا يحسن شيأ يقرؤه وان كان ذلك هو مستند الأول والثالث معناه الاستفهام عن أي شيء يقرؤه فيه ماعلمت وبعضهم جعل قوله الأول لا أقرأ لا أحسن القراءة بدليل انه جاء في بعض الروايات ما أحسن أن اقرأ وحينئذ يكون بمعنى الثاني فيكون تاكيدا له أي العرض منهما شيء واحد) * قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعلم العلم أي أدنى مراتب الانسان كونه علقة وأعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى امتن على الانسان بنقله من أدنى المراتب وهي العلقة إلى أعلاها وهي تعلم العلم * (وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال) وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال للتكلم فيه ويشير إلى ماسبق الكلام لأجلها (فانها اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله إلى غير ذلك مما ذكره في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وأورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب المؤدب الصبي فوق ثلاث ضربات * وذكر السهيلي ان في ذلك أي الغط ثلاثا اشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له

يقول فافيقوا أي اقلعوا عما أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وإن كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وقد جاء أن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم علام تحصر وتحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة ودخل دور من معه بين أستار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه (٢٧٧) منا ثم انصرف هو ومن معه إلى الشعب عند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة وهم هشام ابن عمرو بن الحرث العامرى وزهير بن أبى أمية المخزومى وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم والمطعم ابن عدى بن نوفل بن عبدمناف وأبو البحترى ابن هشام وزمعة بن الأسود فمشى هشام ابن عمرو إلى زهير بن أبى أمية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضى الله عنهما فقال يازهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك ياهشام فماذا أصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا ومشيا جميعا إلى المطعم بن عدى فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبدمناف وأنت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا أنا معك فقال ابغنا رابعا فذهبوا الى أبى البحترى فقال ابغنا خامسا فذهبوا إلى زمعة بن الأسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بنى هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم واكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال ياأهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة

شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى إدخال قريش له صلى الله عليه وسلم الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله صلى الله عليه وسلم والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل أى قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه إلى آخر ما تقدم فى الكلام على أمر الرضاع ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم أن اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى وما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يامحمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ بن كثير هذا الأثر غريب فى اسناده ضعف وانقطاع أى فلا يدل للقول بان أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب فى مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال السيوطى حيث قال وعندى فيه أن هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة نزول السورة أى سورة اقرأ نزول البسملة معها فهى أول آية نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله أعلم * قال الحافظ ابن حجر هذا الذى وقع له صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الوحى من خصائصه إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه جرى له عند ابتداء الوحى مثل ذلك (ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرائص أى (وفى رواية) فؤاده أى قلبه ولا مانع من اجتماع الأمرين لأن تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملونى زملونى أى غطونى بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء أى الفزع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسى وفى رواية على عقلى كما فى الامتاع قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا أى لا يفضحك إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أى الشىء الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أى توصل اليه الخير الذى لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابى الصواب المعدم بلا واو لأن المعدوم أى الشخص المعدوم لا يكسب أى لا يعطى الكسب وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق أى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضى الله تعالى عنها أى عم اسمع من ابن أخيك أى وقولها أى عم صوابه ابن عم لأنه ابن عمها لا عمها كما وقع فى مسلم قال ابن حجر وهو وهم لأنه وإن كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة التى لم تتعدد ومخرجها متحد أى فلا يقال يجوز أنها جاءت اليه بعد نزول الآية مرتين قالت فى مرة أى عم وفى مرة أى ابن عم قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى أى صاحب سر الوحى وهو جبريل ياليتنى فيها جذعا أى ياليتنى حينئذ أكون فى زمن الدعوى الى الله) أى اظهارها الذى جاء به وانذر وأصل وجودها بناء على تأخر الدعوى التى هى الرسالة عن النبوة على ما يأتى (شابا حتى أبالغ فى نصرتها ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

القاطعة الظالمة فقال له أبو جهل كذبت والله لا نشق فقال زمعة بن الاسود أنت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البحترى صدق زمعة فقال مطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة يشقها وفى رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا  السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم والمطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا هو الصحيح فى ذكر القصة أن السعى من هؤلاء الرهط فى نقضها انما كان بعد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم باعلى الارضة لها وبعضهم قدم وأخر فى حكاية القصة وكان نقض الصحيفة فى السنة التاسعة من النبوة بناء على أن مكثهم كان سنتين أو فى السنة العاشرة بناء على انه كان ثلاث سنين وفى الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله

*فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء

*فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء

* يالامر اتاه بعد هشام زمعة أنه الفتى الاتاء

*وزهير والمطعم بن عدى وأبو البحترى من حيث شاؤا

*نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدى الانداء

*اذ كرتنا بأكلها كل منسا ة سليمان الارضة الخرساء

وبها اخبر النبي وكم اخرج خبا له الغيوب خباء وتقدم أنه أسلم من هؤلاء الخمسة هشام ابن عمرو بن الحرث وزهير بن أبى امية وأما المطعم بن عدى فمات بمكة كافرا وأما أبو البحترى وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسئل عما يفعل وتوفى أبو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته فى رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة رضى الله عنها

---

أو مخرجىّ هم بتشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل أو مخرجونى حذفت النون للاضافة فصار مخرجوى قلبت الواو ياء وادغمت قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودى أى فتكون المعاداة سببا للاخراج وهذا يفيد بظاهره أن من تقدم من الانبياء أخرجوا من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والانجرد المعاداة لا يقتضى الاخراج فلا يحسن أن يكون علامة عليه وقد يؤيد ذلك ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة أن كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم ما فيه وفى كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ فى جواب قول ورقة أنه يكذب ويؤذى ويقاتل وقال فى جواب قوله أنه يخرج أو مخرجى هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط رأسه قال ورقة وان ادركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا من الازر وهو شدة والذى فى الحديث الصحيح وان يدركنى يومك وسيأتى فى بعض الروايات وان يدركنى ذلك قال السهيلى وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركنى ما يأتى بعده كما جاء اشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى هذا كلامه *أى فى بعض الروايات أن قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وفى لفظ انه لنبى هذه الأمة اى وفى الشفاء أن قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة قد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى أن لا تحتمل قوته صلى الله عليه وسلم مقاومة الملك وأعباء الوحى بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولو العزم من الرسل وفى كلام الحافظ بن حجر اختلف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشرة قولا وأولاها بالصواب واسلمها من الارتياب أن المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض هذا كلامه فليتأمل مع رواية خشيت على عقلى* قال وفى بعض الروايات أن خديجة قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقالت له ياعداس اذكرك الله الا ما اخبرتنى هل عندكم علم من جبريل أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس ماشان جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل أوثان أى والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت اخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اه وفيه أنه سيأتى عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت أبى طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن فى تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد أنه المذكور هنا فليتأمل ثم رأيت ان عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له انعم صباحا ياعداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قال اجل قال ادنى منى فقد ثقل سمعى فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح فانه غير عداس الآتى ذكره وأنهما اشتركا فى الاسم والبلد والدين أى وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة ففى كلام بن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من أهل نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة تسأله عن جبريل

وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما فى بعض نسخ الهمزية بقوله    وقضى عمه أبو طالب والد * هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء    ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على خديجة وهى فى الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله فى الكره خيرا وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم أطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه انها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر  بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذذاك خمسا وستين وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه ابى طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يارسول الله كانى أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضى الله عنها فقال أجل أم العيال وربة البيت وقال عبيد الله بن عمير وجد عليها حتى خشى عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم فى شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضى الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال فى السيرة الحلبية وفى الشهر الذى توفيت فيه خديجة رضى الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وكانت رأت فى نومها ان النبى صلى الله عليه وسلم وطىء عنقها فاخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة أخرى أن قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فاخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها وهى امرأة عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت قلت لما ماتت

فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك * وفى رواية ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه أمورا فخذى كتابى هذا فانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضروه فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فداك أبى وأمى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس أنت والله النبى الذى بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان كان هذا قبل ان تذهب به الى ورقة اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع قوله لجبريل ما أنا بقارىء اذ هو صريح فى انه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قبل ذلك شيئا ومن ثم كان المشهور ان أول ما نزل اقرأ وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر فى اسباب النزول انها نزلت لما وضعه المشركون بانه مجنون الا ان يقال لا مانع من تعدد النزول * وذكر ابن دحية ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب فسالته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى اخبرنى بانه يأتيه فقال انه السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان لا يجترىء ان يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وهذه العبارة أى كون جبريل هو السفير بين الله وبين انبيائه صدرت من الحافظ السيوطى وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة واعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم فعن الشعبى انه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل وفى لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين وتولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل أى وقد تقدم ان اسرافيل قرن به صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشىء بعد الشىء الى آخره وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا وسياتى عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحى فليتامل وأجاب الحافظ السيوطى عن ذلك بان السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافى ذلك مجىء غيره من الملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحيان ولك ان تقول ان كان المراد بالمجىء اليه بوحى من الله كما هو المتبادر فليس فى هذه الرواية ان اسرافيل كان ياتيه بوحى فى تلك المدة وجواب الحافظ السيوطى يقتضى ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان ياتيه بوحى من الله قبل مجىء جبريل له صلى الله عليه وسلم بوحى غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل لغير النبى صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت فى الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع انبيائه * قيل وانما خص بذلك لانه أول من سجد من الملائكة لآدم ورأيته سئل هل عيسى بعد نزوله توحى اليه فاجاب بنعم وأورد حديث النواس بن سمعان الذى اخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

خديجة يا رسول الله الا تتزوج قال من قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت احب خلق الله بك عائشة بنت ابي بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام انه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ثم يقول ان يكن هذه الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ماذكر فعلم ان الله سيقضي أمره حين انطقها بذلك ولاعلم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت  سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما على

قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلي على ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شانك قلت ارسلني محمد بن عبد الله الله اخطب عليه سودة قال كفء كريم فما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها قال اى بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله ارسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين ان أزوجك منه قالت نعم فقال للخولة ادعيه لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها وكان اخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه ولما أسلم رضي الله عنه كان يقول كنت في السفه يوم احثي التراب على رأسي اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهي ام عائشة رضي الله عنها فقالت يا ام رومان ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظري ابا بكر رضي الله عنه حتى يأتي فجاء ابو بكر فقلت يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة رضي الله عنها

---

والنسائي وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحى اليه قال والظاهر أن الجائي اليه بالوحي جبريل قال بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لأن ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا أصل له وزعم زاعم أن عيسى انما يوحى اليه وحي الهام ساقط قال وحديث لا وحي بعدي باطل أي ويدل له ما رأيته في كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله أمين على وحيه وهو سفيره الى أنبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال ورأيت في بعض التواريخ أن جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين الف مرة ولم يبلغ أحد من الأنبياء هذا العدد والله أعلم (وفي أسباب النزول) للواحدي عن علي رضي الله تعالى عنه لما سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة أي فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين فقال آمين كما في رواية عن وكيع وابن أبي شيبة (وجاء في حديث) قال بعضهم اسناده ليس بالقائم إذا دعا أحدكم فليختم بآمين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة وفي الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين أي خاتم دعاء رب العالمين اى يمنع من ان يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد وجب أن ختم بآمين * (فأتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فاني أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم فانك على مثل ناموس موسى وإنك نبي مرسل وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن أدركني ذلك لاجاهدن معك (أقول) هذا لا يدل للقول بأن الفاتحة أول ما نزل وعليه كما قال في الكشاف أكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد أن تكون هذه الرواية قبل نزول اقرأ باسم ربك ثم رأيت عن البيهقي أنه قال فيما تقدم عن أسباب النزول هذا مرسل ورجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر أي والمدثر نزلت بعد يا أيها المزمل ثم رأيت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله الذي ذهب اليه أكثر الامة هو الاول أي القول بأنه اقرأ واما الذي نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا عدد اقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلام ثم رأيت الامام النووي قال القول بأن الفاتحة اول ما نزل بطلانه اظهر من ان يذكر اى ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة ففي تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية وفيه انه جاء عن قتادة انها نزلت بمكة وعن علي كرم الله وجهه كما في اسباب النزول للواحدي انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله فاك وفي الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهي مكية مدنية هذا كلامه وتبعه على ترجيح انها مكية القاضي البيضاوي حيث قال وقد صح انها مكية وفي الاتقان وذكر قوم منه اى مما تكرر نزوله الفاتحة فليتأمل فانه لا يقل ذلك الا بناء على انها نزلت مرتين اي نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة في شرفها وقد اشار القاضي البيضاوي الى ان تكرير نزولها

نزولها ليس بمجزوم به وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة قال في الاتقان والظاهر أن النصف الذى نزل بالمدينة النصف الثانى قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه * واستدل بعضهم على انها مكية بانه لاخلاف ان سورة الحجر مكية وفيها ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وهى الفاتحة فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرىء عليه الفاتحة والذى نفسى بيده ما انزل الله تعالى فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها انها لهي السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وقد حكى بعضهم الاتفاق على أن المراد بالسبع المثانى فى آية الحجر وهى الفاتحة ويرد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطى وقد صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تفسير السبع المثانى فى آية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على أن المراد بها الفاتحة ماذكر فى سبب نزولها وهو أن عير الابى جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهى سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينظرون اليها وأكثر الصحابة بهم عرى وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شىء لحاجة أصحابه فنزل ولقد آتيناك اى اعطيناك سبعا من المثانى مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما أعطيناه لابى جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم أى على أصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما تحب من اسباب الدنيا * وفى زوائد الجامع الصغير لو أن فاتحه الكتاب جعلت فى كفة الميزان وجعل القرآن فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات وفى لفظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء * وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن فليتامل ولها اثنان وعشرون اسما وذكر بعضهم أن لها ثلاثين اسما وذكرها الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكرى فى تفسيره الوسيط قال السهيلى ويكره ان يقال لها أم الكتاب أى لما ورد لا يقولن أحدكم أم الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطى رحمه الله ولا أصل له فى شىء من كتب الحديث وانما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه جاء فى تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه أخرى وتارة جر زوا الامرين معا وهو يشكل على أن تسمية السور توقيفى ثم رأيت فى الاتقان قال قال الزركشى في البرهان ينبغى البحث عن تعداد الاسامى هل هو توقيفى أو بما يظهر من المناسبات فان كان الثانى فيمكن الفطن أن يستخرج من كل سورة معانى كثيرة تقتضى اشتقاق اسمائها وهو بعيد هذا كلامه ويلزم القول بانها انما نزلت فى المدينة ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلى بغير الفاتحة قال في أسباب النزول وهذا مما لا تقبله العقول آى لأنه لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة أى ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة ان لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفى رواية لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد فى كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسىء صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بام القرآن ثم اقرأ بما شئت الى أن قال ثم اصنع ذلك أى القراءة بام القرآن فى كل ركعة وجاء على شرط الشيخين ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك أيضا وصف القول بانها انما نزلت بالمدينة انه هفوة من قائله لانه

قال وهل تصلح أى تحل له انما هى بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعي اليه فقولى له انا اخوك وانت اخى فى الاسلام وابنتك تصلح لى أى تحل فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدى كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده ابو بكر والله ما وعد ابو بكر وعدا قط فاخلفه فقام ابو بكر ودخل على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم ابنه جبير فقال أبو بكر المطعم بن عدى ماتقول فى أمر هذه الجارية التى ذكرتها على ابنك جبير فاقبل المطعم على امرأته وقال لها ماتقولين ياهذه فاقبلت على أبى بكر رضى الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله فى دينك الذى انت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها لتقول ماتسمع أى فقولى مثل قولها فقام ابو بكر رضى الله عنه وليس فى نفسه من الوعد شىء فرجع وقال لخولة ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها أى عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم أيضا لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات ابو طالب اشتدت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونالت منه من الاذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب فدخل صلى الله عليه وسلم يوما بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكى يابنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش منى شيأ أكرهه أى أشد الكراهة حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال ياعم ما أسرع ماوجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال يا محمد امض لما

أردت وما كنت صانعا إذ كان أبو طالب حيا لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت فلم يزل أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من أشراف قريش يحتالون على أبي لهب حتى صدوه عن ذلك وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع إلى ما كان عليه من معاداته فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والفتك به خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش ومن قرابته  وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم قبيح حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب * وعن علي رضي الله عنه أنه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم انت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا ويناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه * قال في السيرة الحلبية ومن ثم أي من اجل أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لأهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو راحة الأمة وفيه تنفس كل ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا أخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له اسلام أيضا والأخ الثالث حبيب قال الذهبي وفي صحبته نظر وهؤلاء الثلاثة أولاد عمر بن عوف الثقفي فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به

تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه أي لأن نزولها كان بعد فترة الوحي بعد نزول يا أيها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر أنه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي أي لأن المدثر نزلت بعد فترة الوحي على ما سيأتي وقد يقال لا ينافيه ما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن في الاسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز أن يراد صلاة من الصلوات الخمس وما تقدم مما يدل على تعين الفاتحة في الصلاة يجوز أن يكون صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس وفي الامتاع انزال الملك يبشره بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة يدل على أنها نزلت بالمدينة فقد أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا أي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما من قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتأمل وجه الدلالة من هذا على أنه سيأتي عن الكامل للهذلي مايصرح بأن خواتيم البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بقاب قوسين * ومما يدل على أن البسملة آية منها نزولها معها أي كما في بعض الروايات والا فالرواية المتقدمة يدل على أنها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة آية من الفاتحة أيضا ما أخرجه الدارقطني وصححه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم أنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وقد أخرج الدارقطني عن علي رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن السبع المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هي ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية وقيل لها السبع المثاني لأنها سبع آيات وتثنى في الصلاة وقيل المثاني كل القرآن لانه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه أن يقال المراد بالسبع المثاني السبع الطوال أي كأنها المرادة بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني على ما تقدم وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل الكهف وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من الفاتحة وبهذا يعلم ما في تفسير البيضاوي عن أم سلمة من أنه صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فقد ذكر بعض الحفاظ أن هذا اللفظ لم يرد عن أم سلمة والذي رواه جماعة من الحفاظ عن أم سلمة بألفاظ تدل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية وحدها منها أنها ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفي رواية عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والاستدلال على ان البسملة آية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضي ان البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطي نزول اقرأ بدون بسملة يدل على أن البسملة ليست آية من كل سورة واستدل به أي بعدم نزولها في اول سورة اقرأ ايضا كما قال الامام النووي من يقول ان البسملة ليست بقرآن في اوائل السور وانما نزلت وكتبت للفصل والتبرك

من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أى يشقها ويقطعها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت أعظم خطرا أى قدرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب ما ينبغى لى أن أكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هؤلاء الثلاثة من أشراف ثقيف أخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا أى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفى رواية حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا أذلقته الحجارة أى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضى الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج برأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم أى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة أى شجرة من شجر الكرم وفى رواية ان الثلاثة من رؤساء ثقيف اغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة بنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل هناك لا عقبة منى التى

والتبرك بالابتداء بها وهذا القول ينسب لقول امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى القديم وهو قول قدماء الحنفية قال وجواب المثبتين أى لقرآنيتها فى ذلك انها نزلت فى وقت آخر كما نزل باقى السورة أى سورة اقرأ وجوابهم أيضا بان الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها فى مصاحفهم مبالغتهم فى تجريدها عن كتابة غير القرآن فيها حتى انهم لم يكتبوا امين فيها واستدل أيضا لعدم قرآنيتها فى أوائل السور بعدم تواترها فى محلها ورد بان عدم تواترها فى محلها لا يقتضى سلب القرآنية عنها ورد هذا الرد بان الامام الكافيجى قال المختار عند المحققين من علماء السنة وجوب التواتر أى فى القرآن فى محله ووضعه وترتيبه أيضا كما يجب تواتره فى أصله أى وفى الفتوحات البسملة من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها فى السور كتكرار ما تكرر فى القرآن من سائر الكلمات وهو بظاهره يؤيد ما ذهب اليه امامنا من انها اية من أول كل سورة محتمل لما قال السهيلى حيث قال نقول انها اية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفى كلام أبى بكر العربى وزعم الشافعى انها اية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد فانه لم يعدها احد آية من سائر السور ونقل عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انها آية من أول الفاتحة دون بقية السور فعن الربيع قال سمعت الشافعى يقول أول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم وأول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على ان البسملة آية من أول الفاتحة دون بقية السور وأنها ليست آية من اولها بل هى اية فى اولها اعادة لها وتكرير لها وربما يوافق ذلك قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه خص بالبسملة يخالف قوله فى الاتقان عن الدارقطنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه لاعلمنك اية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتى وسيأتى ما فيه قيل وانما تركت البسملة أول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التى تدل عليها البسملة والتبرى الذى يدل عليه أول براءة ورده فى الفتوحات بانها جاءت فى أوائل السور المبدوأة بويل قال واين الرحمة من الويل وذكر بعضهم ان الانفال وبراءة سورة واحدة أى فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سألت عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه لم لم يكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة بالاخرى فظننت انهما سورة وفى كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رأيا ان أولها مشبه لقوله ألم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلى الله عليه وسلم بايذاء الكفار فهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان هذا كلامه وذكر أئمتنا انه يكفى فى وجوب الاتيان بالبسملة فى الفاتحة فى الصلاة الظن المفيد له خبر الآحاد ولعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفى كونها اية من الفاتحة باجماع المسلمين وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة قال ابن عبد البر بلغت عدتهم احدا وعشرين صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فلم

اجتمع فيهما من الأنصار ثم بين ذلك بقوله إذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك  وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل أرجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبده وحده لاشريك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه *وفي رواية جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيئا إلا بامرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وإن شئت خسفت بهم الأرض قال يا ملك الجبال فاني آتي بهم علّه أن يخرج منهم ذرية يقولوا ان لا إله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم *وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

*جهلت قومه عليه فاغضى أخو الحلم دابه الاغضاء
*وسع العالمين علما وحلما فهو بحر لم تعيه الاعباء

وقوله في أول الحديث لعائشة رضي الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد أن ثقيفا ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا به عليك ظاهره انه أخبار عما قاله أشراف ثقيف ويحتمل أنه اراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال فلذا قال ان شئت أطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة ابو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل

عيسى

أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أجيب عنه بانه لم ينف الا السماع ويجوز أنهم تركوا الجهر بها في بعض الأوقات بيانا للجواز ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون البسملة وأما ما رواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه بسورة الحمد لا بغيرها من القرآن ولا يبعد هذا الحمل ما في رواية عبد الله بن مغفل أنه قال سمعني أبي وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بني اياك والحدث فاني صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقوله فاذا قرأت فقل الحمد لله رب العالمين فانه لما لم يسمع فهم انهم لم يأتوا بها رأسا فقال ذلك وكذا يقال فيما روى كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها يجوز أن يكون الراوي فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطأ *ومما استدل به على ان البسملة ليست آية من الفاتحة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ماسأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض إلى عبدي واذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فيقول عبدي اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها قال أبو بكر بن العربي المالكي فانتفى بذلك أن تكون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها من وجهين أحدهما انه لم يذكرها في القسمة والثاني انها ان صارت في القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله فيها أكثر مما للعبد لأن بسم الله ثناء على الله تعالى لا شيء للعبد فيه ثم ذكر أن التعبير بالصلاة عن الفاتحة يدل على أن الفاتحة من فروضها وأطال في ذلك وسيأتي في الحديبية انه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قيل كتب ذلك في أربعة كتب واول من كتبها أمية بن أبي الصلت فلما نزل بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم لما نزلت أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شيء من أوائل السور ويؤيده قول السهيلي ثم كان بعد ذلك أي بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل جبريل عليه السلام ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة أي تمييزا لها عن غيرها وقد ثبت في سواد المصحف الاجماع من الصحابة رضي الله عنهم على ذلك هذا كلامه فليتأمل ما فيه فانه قد يدل للقول بان البسملة ليست من أوائل السور وانما هي للفصل فقد علمت ان البسملة نزلت أول الفاتحة على ما في بعض الروايات ونقل أبو بكر التونسي اجماع علماء كل أمة على ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي الاتقان عن الدارقطني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة لأعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى أن البسملة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم على نبي بعد سليمان غيري يشكل عليه فان

هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ويحتمل أن المراد اطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما الجؤه صلى الله عليه وسلم إلى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رأياما لقى تحركت له رحمهما لأنهما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصرانى غلامهما قطف عنب بكسر القاف بمعنى العنقود ووضعه عداس فى طبق بامرهما وقالا له اذهب به إلى ذلك الرجل فقال له يأكل منه ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف ليأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت وما دينك قال نصرانى من نينوى وهو بلد قديم مقابل الموصل فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس ومايدريك مايونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته وأنت أمى فى أمة أمية قال ذاك أخى وهو نبى مثلى فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضى الله عنه وفى رواية أنه قال أشهد أنك عبد الله ورسوله ونظر اليه ابنا ربيعة فقال أحدهما للآخر اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافى الأرض شىء خير من هذا فقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى قالا له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه (ويروى) ان عداسا لما أراد سيداه الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما اقتال الرجل الذى رأيت بحائط كما تريدان والله ماتقدر له الجبال فقالا له ويحك ياعداس سحرك بلسانه وفى الاصابة عن الواقدى قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضى الله عنه وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر (ويروى) أنه صلى الله

عيسى بن سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة * وعن النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلى ان صح ماذكره فانما سبحت الجبال خاصة لأن البسملة انما نزلت على آل داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله أعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفى قال سبط ابن الجوزى وهو آخر من مات فى الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما ويؤيده ماجاء فى رواية فى سندها ضعف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه مات على نصرانيته وهذا يدل على ان من أدرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بناء على تاخرها لا يكون مسلما بل من أهل الفترة فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير أى والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشىء () هذا وفى القاموس القس مثلث القاف تتبع الشىء وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل الذى لا يفارقها ورئيس النصارى فى العلم وفى رواية ابصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس وفى رواية قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا وأحسبه أى أظنه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض أقول صريح الرواية الثالثة انه لم يره فى الجنة فقد تعددت الرؤية وأما الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الأولى لأن السندس من افراد الحرير فلا دلالة فى ذلك على التعدد والله أعلم (وفى رواية لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين () لأنه آمن بى وصدقنى أى قبل الدعوة التى هى الرسالة وحينئذ يكون معنى قوله له جنة أوجنتين هيئت له جنة أوجنتان ولا مانع أن يكون بعض أهل الفترة من أهل الجنة إذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك الدعوة وصدق به لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض (وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الأئمة أى بناء على أنه أدرك الدعوة إلى الله تعالى التى هى الرسالة ففى الامتاع أن ورقة مات فى السنة الرابعة من المبعث ويوافقه ما يأتى عن شيرة ابن اسحق وعن كتاب الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بى وصدقنى واضح لكن ينازع فى ذلك قوله واحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسيأتى عن الذهبى مايخالفه ويخالفه أيضا ماتقدم عن سبط ابن الجوزى أنه من اهل الفترة (وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله يعنى عن ابتداء الوحى فقال لا أحدثك الا ماحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ارشيئا فنظرت عن يسارى فلم ارشيئا فنظرت من خلفى فلم ارشيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا بين السماء والأرض أى وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى زاد فى رواية متربعا عليه وفى لفظ على عرش بين السماء والأرض فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثرونى اى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر) أى الملتف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد فانذر وبشر لأنه كابعث بالنذارة بعث بالبشارة لأن البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن من قبل وهذا يدل على أن هذه الآية أول مانزل اى قبل اقرأ وان النبوة والرسالة مقترنان قال الامام النووى والقول بأن اول مانزل ياايها المدثر ضعيف باطل وانما

نزلت بعد فترة الوحي أي ومما يدل على ذلك قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ومما يدل على ذلك أيضا ما في البخاري ان في رواية جابر أنه صلى الله عليه وسلم حدث فترة الوحي أي لا عن ابتداء الوحي فما تقدم من قول بعضهم يعني عن ابتداء الوحي فيه نظر وكذا في قول الراوي عن جابر جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت لان جواره بحراء كان قبل فترة الوحي إلا أن يقال جابر جاء عنه روايتان واحدة في ابتداء الوحي وأخرى في فترة الوحي وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على أن ذلك كان عند ابتداء الوحي وعجزها يدل على أن ذلك كان في فترة الوحي هذا ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء في مدة فترة الوحي ويؤيد ذلك ما في البيهقي عن مرسل عبيد بن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور في كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك في مدة فترة الوحي وسيأتي الجمع بين الروايات في أول ما نزل وعن اسمعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم أي وذلك قبل أن يأتيه بالقرآن اى بشيء منه وهو اقرأ باسم ربك بناء على انه أول ما نزل ولا ينافي ذلك قولها هذا الذي يأتيك إذا جاءك لان المعنى الذي يتراءى لك إذا رأيته فجاءه جبريل عليه السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته لكن سيأتي عن ابن حجر الهيتمي ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عمي فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمي أثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا بشيطان وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه في بيتها جبرائيل ... ولذي اللب في الأمور ارتياء

فأماطت عنها الخمار لتدرى ... أهو الوحي أم هو الاعماء

فاختفى عند كشفها الرأس جبريـل ... فما عادوا واعيد الغطاء

فاستبانت خديجة انه الكنز الذي حاولته والكيمياء

أي وأتاه قال ابن حجر أي بعد البعثة أي النبوة واجتماعه به في بيوتها حامل الوحي جبريل ولصاحب العقل الكامل في الأحوال التي قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها أزالت عن رأسها ما يغطى به الرأس لتعلم عين اليقين ان هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان يأتي به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله وهو الاغماء الذي هو بعض الأمراض الجائزة عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيه انه ينبغي أن يكون المراد به الاغماء الناشيء عن لمة الجن فيكون من الكهان لا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذي قال بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسي وسيأتي انه كان يعتريه وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن ما كان يعتريه عند نزول الوحي عليه من الاغماء الى آخره فبسبب ازالتها ما يغطى به رأسها عنها اختفى فلم يعد إلى أن عادت غطاء رأسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحي أي لا الجني لأن الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة

---

عليه وسلم لما تخلص من ثقيف واطمان في ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين انت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين الى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري ان لم تكن غضبان علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا إلى الطائف فدعاهم إلى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤا يستمعون قراءته وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات ثم أنزل الله قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن وقيل انهم صرفوا مرتين فمرة قبل نزول قل أوحي والمرة الثانية بعد نزولها وانها هي هذه المرة أي التي كان فيها صلى الله عليه وسلم بنخلة وانه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن وقيل قرأ في الركعة الأولى الرحمن وفي الثانية قل أوحي وأقام صلى الله عليه وسلم بنخلة أياما ثم أراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة رضي الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد اخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى إلى حراء فوجد عبد الله بن الاريقط فبعثه إلى الاخنس بن شريق الثقفي ليجيره فاعتذر وقال اني حليف والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذارا والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لو لم يعلم أن الحليف بخلاف

يجير لما بعث له ثم بعث صلى الله عليه وسلم لسهيل بن عمرو العامري لان جده عامر بن لؤي أخو كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر سهيل بان بني عامر لا تجير على بني كعب أي قد لا تجير جوارها فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له اني داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال للرسول قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فاخبره فدخل مكة بعد أن تسلح مطعم ابن عدي وركب على راحلته ونادى يامعشر قريش اني أجرت محمداً  فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم طف ووقف أربعة منهم عند اركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وكذا أبوهم المطعم فاقبل أبو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر أي لا نزال خفارتك أي جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وامانه وان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي حديث باقوام لا خلاق لهم وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا قد أجمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله ولهذا المعروف الذي فعله المطعم بن عدي قال صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له * وفي أسد الغابة أن جبير ولد المطعم بن عدي أسلم بين الحديبية وفتح مكة وجاء الى النبي صلى الله عليه

بخلاف الجني وشبه الناظم ذلك بالشيء النفيس والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيمياء لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما * أقول وفي الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من أن ما فعلته خديجة كان عند ترائيه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه وقول بعضهم ان ذلك من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه أي فتراءى له وهو في بيت خديجة ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فاخبرت ورقة فقال أنه ليأتيه الناموس الاكبر* (وفي فتح الباري أن في سيرة ابن اسحق أن ورقة كان يمر ببلال رضي الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الاسلام اي وفي كلام صاحب كتاب الخميس في الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة وأنه آمن به وتقدم أنه الموافق لما في الامتاع من أنه مات في السنة الرابعة من البعثة) وتقدم أنه مخالف لما تقدم عن سبط بن الجوزي (ويخالف أيضا القول الذهبي الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة أي بناء على تأخرها) ويدل لتأخرها ما تقدم من قول ورقة ياليتني فيها جذع فقد تقدم ان المراد ياليتني أكون في زمن الدعوة أي ومن أدرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من أهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم أي بما أرسل به وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك من الاقرار بالشهادتين للتمكن منه وحيث أدرك الرسالة فقد أسلم وحينئذ يكون صحابيا ونقل بعضهم عن الحافظ بن حجر في الاصابة تردد في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة أدرك البعثة وأنه لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو ظاهر والتعريف السابق يشمله هذا كلامه (وتعريفه السابق للصحابي هو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا) وعبارة شرح النخبة هل يخرج أي من تعريف الصحابي ممن لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر) ولا يخفى عليك أن ما في شرح النخبة لا يدل لهذا البعض على أنه تقدم ان ابن حجر في الاصابة قال في بحيرا ما أدري أدرك البعثة أم لا ولا يخفى عليك ما تقدم عن ابن حجر من أن ورقة أدرك البعثة وأنه لم يدرك الدعوة فانه يقتضي أن البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة فان الرسالة هي الدعوة لا البعثة (وروى ابن اسحق) عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا ولم أقف على من كان يرقيه ولا على من كان يرقى به * واشتهر على بعض الالسنة أن امنه يعني امه صلى الله عليه وسلم رقت النبي من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن امه انه لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولي اذا ولدتيه اعيذ بالواحد * من شر كل حاسد

وسلم وهو كافر فساله فى اسارى بدر فقال لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم وهذا من شيمته صلى الله عليه وسلم تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبيح الاسراء كل امرك كان قبل هذا اليوم سهلا وهو يشهد انك كاذب وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفر ويصفح ولما مات المطعم ابن عدى وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت رضى الله عنه بقوله

عينى الا أبكى سيد الناس واسفحى ... بدمع وان نزفته فاسكبى الدما

وابكى عظيم المشعرين كليهما ... على الناس معروف له ما تكلما

فلو كان مجدا يخلد الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجده الدهر معظما

أجرت رسول الله منهم فاصبحوا ... عبيدك مالبى مهل واحرما

فلو سئلت عنه معد باسرها ... وقحطان او باقى بقية جرهما

لقالوا هو الموفى بخفرة جاره ... وذمته يوما اذا ماتذمما

هذا الفعل من حسان رضى الله عنه مجازاة للمطعم على ماصنع مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب ان فعله هذا مع النبى صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير فى ذكره به

﴿ باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ﴾

كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه ومن رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل أمره بنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وابيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وأنا نخشى عليك وعلى قومك مادخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أى قصدت

---

والظاهر انها قالت ذلك وعن أسماء بنت عميس رضى الله تعالى عنها انها قالت يارسول الله ان ابنى جعفر أى ولديها من جعفر بن ابى طالب تصيبهما العين أفنسترقى لهما قال نعم لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين (فان قيل بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك لا جنى فمن اين علم انه يتكلم عن الله تعالى أجيب بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيد العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به أنه جبريل وانه يتكلم عن الله تعالى كما خلق فى جبريل علما ضروريا بان الموحى اليه هو الله وقد ذكر بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان يأتيه فى صورة جبريل واعترض بانه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحى وأجيب عنه بمثل ما هنا وهو أن الله تعالى جعل فى النبى صلى الله عليه وسلم علما ضروريا يميز به بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذى أسلم * وفى كلام ابن العماد وشيطان الانبياء يسمى الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذى أغوى به برصيصا الراهب العابد بعد عبادته خمسمائة سنة وهو المعنى بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك هذا كلامه والله أعلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبياء من يسمع الصوت اى ولا يرى مصوتا فيكون بذلك نبيا قال بعضهم يحتمل أن يكون صوتا خلقه الله تعالى فى الجو أى ليس من جنس الكلام وخلق لذلك النبى فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل ان يكون من جنس الكلام المعهود يتضمن كون ذلك الشخص صار نبيا صلى الله عليه وسلم وان جبريل يأتينى فيكلمنى كما يأتى أحدكم صاحبه فيكلمه ويبصره من غير حجاب أى وفى رواية كنت أراه أحيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغرباء ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحى وحينئذ أما أن يكون جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبى وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكى فتحها أو على صورة غيره ومنه ما وقع فى حديث عمر رضى الله تعالى عنه بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد الحديث) وفى رواية البخارى تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا فى آخر الامر وورد ما جاءنى يعنى جبريل في صورة لم أعرفها الا فى هذه المرة وفى صحيح ابن حيان والذى نفسى بيده ما اشتبه على منذ أتانى قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولى (وبهذا يعلم ما فى كلام الامام السبكى حيث قسم الوحى الى ثلاثة أقسام حيث قال فى تائيته

ولازمك الناموس اما بشكله ... وأما بنفث أو بحلية دحية)

فليتأمل قيل وكان اذا أتاه على صورة الآدمى ويأتيه بالوعد والبشارة فان قيل اذا جاء جبريل عليه السلام على صورة الآدمى دحية أو غيره هل هى الروح تتشكل بذلك الشكل عليه هل يصير جسده الاصلى حيا من غير روح أو يصير ميتا أجيب بان الجائى يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل فى الملائكة قدرة على التطور والتشكل باى شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحدا

وعزمت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا أى قطنا فرقا أى خوفا من أن يبلغنى شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن أسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى انا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان  قومك قالوا الى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض على أمرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أى قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين وقيل انما نزلتا عليه بالمدينة وقيل تكرر نزولهما فلما سمع القرآن قال والله ما سمعت قط قولا احسن من هذا ولا أمرا اعدل منه فاسلمت وقلت يا نبي الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله أن يكون عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر أى وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت فى غير وجهى فانى اخشى ان يظنوا أنه مثلة فتحول فى رأس سوطى فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الامام فى تائيته بقوله

وفي جبهة الدوسى ثم نسوطه * جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل فاتانى ابى فقلت اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك فقال لم يا بنى قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أى بنى دينى دينك فاسلم قال ثم أتتنى صاحبتى يعنى زوجة فذكرت لها مثل ذلك أى قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قد اسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت

ومن ثم قال الحافظ ابن حجر أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط وأخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق سبحانه وتعالى يظهر فى صورة على رضى الله تعالى عنه وأولاده أى الأئمة الاثنى عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر الصادق ابن جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى الكاظم على الرضا وابن على الرضا محمد الجواد وابن محمد الجواد على التقى والحادى عشر حسن العسكرى والثانى عشر ولد حسن العسكرى وهو المهدى صاحب الزمان وهو حى باق الى أن يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على ما فيه فقد قال عبد الله بن سبأ يوما لعلى رضى الله تعالى عنه انت انت يعنى انت الاله فنفاه على الى المدائن قال لا تساكنى فى بلد أبدا وكان عبد الله بن سبأ كان يهوديا هذا من أهل صنعاء وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء وكان أول من أظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولما قيل لسيدنا على لولا انك تضمر ما أعلن به هذا ما اجترأ على ذلك فقال على معاذ الله انى أضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل فأرسل الى ابن سبأ فاظهر الاسلام فى أول خلافة عثمان وقيل فى أول خلافة عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان أهله وكان يقول قبل اظهار الاسلام فى يوشع بن نون بمثل ما قال فى على وكان يقول فى على انه حى لم يقتل وان فيه الجزء الالهى وانه يجيء فى السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد ذلك الى الأرض فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله كان يظهر أمر الرجعة أى انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجوع من عيسى وأظهر الوصية أى أن عليا رضى الله تعالى عنه أوصى له صلى الله عليه وسلم بالخلافة وكان هو السبب فى اثارة الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله تعالى عنه كما سيأتى ومن غلاة الشيعة من قال بالالوهية أصحاب الكساء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية آبائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين محمد الباقر وهؤلاء الشيعة موافقون فى ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية أصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا رأوا صورة جميلة زعموا ان معبودهم حل فيها وممن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية عطاء الخراسانى وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائة ادعى ان الله عز وجل حل فى صورة آدم ثم فى صورة نوح ثم ان حل فى صورته فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التى اظهرها لهم فانه كان يعرف شيئا من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاؤا الى القلعة التى كان متحصنا بها فلما علم ذلك أسقى أهله سما فماتوا ومات ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا من بقى بها حيا من أتباعه والقول بالاتحاد كفر فقد قال العز بن عبد السلام من زعم ان الاله يحل فى شيء من أجسام الناس أو غيرهم فهو

فديني دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطئوا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد غلبتني دوس قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وأت بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بارض قومي ادعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فاسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه فاسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعد أحدا لم يحضر القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر ابن ابى طالب ومن معه ومنهم الاشعريون ابو موسى الاشعرى وقومه فقد تقدم أنهم هاجروا من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فرمى بهم الريح الى الحبشة

﴿باب ذكر الاسراء والمعراج﴾

اعلم انه لاخلاف فى الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وانه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات أو اكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها فى المنام وكان صلى الله عليه وسلم لايرى شيئا فى اليقظه الا بعد أن يريه الله اياه في المنام فبعض تلك الاسراءات التى كانت فى المنام سابق على الذى فى اليقظة وبعضها متأخر ويقال وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل فى شهر ربيع الأول وقيل فى رمضان وقيل فى شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية اطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة وقيل ليلة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال

كافرا وأشار الى انه كافر اجماعا من غير خلاف وانه لايجرى فيه الخلاف الذى جرى فى تكفير المجسمة ومن ثم ذكر القاضى عياض فى الشفاء ان من ادعى حلول البارى فى أحد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو أبو يزيد البسامى سبحانى ما أعظم شانى وقوله انى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وقوله وانا ربى الاعلى وقوله أنا الحق وهو انا وانا هو ليس من عوى الحلول فى شىء انما قول سبحانى انى انا الله محمول على الحكاية أى قال ذلك على لسان الحق من باب حديث ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله أنا ربى الاعلى وانا الحق الخ انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق فى بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ماسواه سبحانه وصار لايرى الوجود غير سبحانه وتعالى الذى هو مقام الفناء ومحو النفس وتسليم الامر كله له تعالى وترك الارادة منه والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك الحال الذى نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية هذا المقام الذى هو مقام الفناء بالاتحاد ولامشاحة فى الاصطلاح لانه اتحد مراده بمراد محبوبه فصار المراد ان واحد الفناء ارادة المحب فى مراد المحبوب فقد فنى عن هوى نفسه وحظوظها فصار لايحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يوالى الا الله ولا يعادى الا لله ولا يعطى الا لله ولا يمنع الا لله ولا يرجو الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما * وفى كلام سيدى على وفى رضى الله تعالى عنه حيث أطلق القول بالاتحاد فى كلام القوم من الصوفية فمرادهم فناء مرادهم فى مراد الحق جل وعلا كما يقال بين فلان وفلان اتحاد أذا عمل كل منهما على وفق مراد الآخر ولله المثل الاعلا هذا كلامه رضى الله تعالى عنه ورضي عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دائرة العقل التى ذكر السعد والسيد أن القول بها باطل وضلال أى لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد قال بعض العلماء حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع الرب والعبد فى حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا فى آن واحد ولا يدرك ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك انكره ولا يجوز أن يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن يجعل الله لروح الملك قوة يقدر بها على التصرف فى جسد آخر غير جسدها المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شان الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر مشبها لشبحهم الاصلى بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات أن كرامات الاولياء أنواع وعد منها ان يكون لهم اجسام متعددة قال وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره أى كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوحى نفعنا الله تعالى به فقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله تعالى انه رفع اليه سؤال من رجل حلف بالطلاق ان ولى الله الشيخ عبد القادر الطحطوحى بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما قال فارسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال ولو قال اربعة انى بت عندهم لصدقوا فافتيت انه لاحنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان وقد قيل فى الابدال انهم انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه

تعالى لنريه من آياتنا والا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ثم استقبلوه في السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح اخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسالوه عن اشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد  أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم وسالوه عن عير لهم فاخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفي الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتاليف * وفي السيرة الحلبية ان صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام ان يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها البراق بها قال الامام أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ ان صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب قدم صلى الله عليه وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الأخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن ادخل تحتها لاني كنت اخاف ان تسقط على بسبب ذنوبي ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات اشد انفصالا من بعض انتهى يروى انه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فاخبر بمسراه أم هانىء بنت أبي طالب اخت على رضى الله تعالى عنه وعنها وانه يريد ان يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لانه ما أحب

---

ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو ألطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم المثال قال وهذا الجواب أولى مما تكلفه بعضهم في الجواب عن جبريل بانه كان يندمج بعضه في بعض أي الذي أجاب به الحافظ بن حجر ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار في عرض الحائط وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه بانه مثل له يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ما اشتهر ان الكعبة شوهدت تطوف ببعض الاولياء في غير مكانها وممن وقع له ذلك أبو زيد البسطامي والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ ابراهيم المتبولي نفعنا الله تعالى ببركاتهم ولعل مجيء جبريل على صورة دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه (قال الشيخ الأكبر رضى الله تعالى عنه دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في صورته أعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له ولا سيما اذا أتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك الصورة الجميلة الا ان يدعى ان من حين اتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي غيره وتكون واقعة سيد ناعمر سابقة على ذلك لكن تقدم انه كان اذا اتاه على صورة الآدمي يأتيه بالوعيد والبشارة اي لا بالوعيد والزجر فليتامل (وفي البرهان للزركشي في التنزيل اي تلقي القرآن طريقان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل اي لان الانبياء يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو اقرب من لمح البصر والثاني ان الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح ان المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا أو ان الله تعالى خلق تلك الالفاظ أي الاصوات الدالة عليها في الجرم وأسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا انها دالة على ذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى وأوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك أو حفظه جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم ان من حالات الوحي النفث اي انه كان ينفث في روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس أي المخلوق من الطهارة يعني جبريل نفث أي القى والنفث في الاصل النفخ اللطيف الذي لا ريق معه في روعي بضم الراء أي قلبي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب أي عاملوا بالجميل في طلبكم وتتمته ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله أي كالكذب فان ما عند الله لن ينال الا بطاعة)* وفي كلام ابن عطاء الله الاجمال في الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا يطلبه مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به ومنها ان يطلبه من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا او وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها إن يطلب وهو شاكر لله ان اعطى وشاهد حسن اختياره اذا منع ومنها ان يطلب من الله تعالى ما فيه رضاه

أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانىء وقالت أنشدك الله أى اسالك به يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفى رواية انى اذكرك الله أن تاتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه اليها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى فاذا هو قد خرج قالت فقلت (٢٩٢) لجاريتى نبعة وكانت حبشية وهى معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت اخبرتنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذى انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدى وابو جهل بن هشام فاخبرهم بمسراه وفى رواية انه لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر عليه عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزىء هل كان من شيء قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهر انينا قال نعم فلم يرأنه يكذبه مخافة ان يجحده أى ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذى حدث به ان دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى قال نعم قال يا معشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم قال أبو جهل كالمستهزىء صفهم لى قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفى رواية كانما خرج

ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفى حديث ضعيف أطلبوا الحوائج بعزة النفس فان الامور تجرى بالمقادير (ومن حالات الوحى انه كان ياتيه فى مثل صلصلة الجرس وهى أشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم أى لما قيل انه كان ياتيه فى هذه الحالة بالوعيد والنذارة) أقول روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه (وهو أخو أبى جهل لابويه) وكان يضرب به المثل فى السودد حتى قال الشاعر

أحسبت أن أباك حين يسبنى ... فى المجد كان الحرث بن هشام

أولى قريش بالمكارم والندى ... فى الجاهليـة كان والاسلام

أسلم يوم الفتح وسياتى انه استجار فى ذلك اليوم بام هانىء اخت على بن أبى طالب واراد على قتله فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من اجرت يا أم هانىء وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سياتى (سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحى أى حامله الذى هو جبريل قال احيانا ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم بالفاء أى يقلع عنى وقد وعيت ما قال وفى رواية ياتينى احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لى الملك الذى هو حامل الوحى رجلا أى يتصور بصورة الرجل وفى رواية فى صورة الفتى فيكلمنى فأعى ما يقول) وروى انه فى الحالة الثانية ينفلت منه ما يعيه بخلاف الحالة الاولى ونص هذه الرواية كان الوحى ياتينى على نحوين ياتينى جبريل فيلقيه على كما يلقى الرجل على الرجل فذلك ينفلت منى وياتينى فى شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبى فذاك الذى لا ينفلت منى قيل وانما كان ينفلت منه فى الحالة الاولى لشدة تانسه بحامله لانه ياتى اليه فى صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يثبت فيما التقى اليه بخلافه فى (الحالة الثانية) لان سماع مثل هذا الصوت الذى يفزع منه القلب مع عدم رؤية أحد يخاطبه اذا علم انه وحى اضطر الى التثبت فى ذلك) وقولنا أى حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بين بها صفة الوحى لا صفة حامله وفيه ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هى صوت الملك بالوحى (وقوله ياتينى أحيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لى الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحى ويتحدر جبينه عرقا فى البرد كانه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه) وعن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذى فو الله ما وجدت شيئا اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما أوحى اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت أى (وجاء انه لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها وفى رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة) ولا يخالفه ما قبله لانه جاز ان يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله ثم رأيت فى رواية ما يصرح بذلك وجاء ما من مرة يوحى الى الا ظننت ان نفسى تقبض منه (وعن اسماء بنت عميس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يكاد يغشى عليه وفى رواية يصير كهيئة السكران) أقول أى يقرب من حال المغشى عليه لتغيره عن حالته المعهودة

من دیماس أی حمام وأما موسی فضخم آدم طویل كانه من رجال شنوأة واما ابراهیم فوالله انه لاشبه الناس بی خلقا وخلقا وفی روایة لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه منه یعنی نفسه صلی الله علیه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم یصفق وبعضهم یضع یده علی رأسه تعجبا وقال المطعم ابن عدی ان أمرك قبل الیوم كان أمراً یسیرا غیر قولك الیوم هو یشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الی بیت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم أنیته فی (٢٩٣) لیلة واحدة واللات والعزی لا أصدقك وما كان هذا الذی تقول قط فقال أبو بكر رضی الله عنه یا مطعم بئسما قلت لابن أخیك جبهته أی استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق وفی روایة حین حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحینئذ فقول المواهب فصدقه الصدیق وكل من آمن بالله فیه نظر الا أن یراد من ثبت علی الایمان وفی روایة فسعی رجال من المشركین الی أبی بكر رضی الله عنه فقالوا هل لك الی صاحبك یزعم أنه أسری به اللیلة الی بیت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الی بیت المقدس وجاء قبل أن یصبح قال نعم انی لاصدقه فیما هو أبعد من ذلك أصدقه فی خبر السماء فی غدوة وروحة أی لانه یخبرنی أن الخبر یأتیه من السماء الی الأرض فی ساعة من لیل أو نهار فاصدقه فمجیء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه فقال المطعم یا محمد صف لنا بیت المقدس اراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصدیق رضی الله عنه قصده وان رسول الله صلی الله علیه وسلم لا یكذب قط فقال أبو بكر رضی الله عنه صف لی یا رسول الله فانی قد جئته أراد بذلك اقامة البرهان علی قومه بظهور صدقه صلی الله علیه وسلم فجاءه جبریل بصورته ومثاله فجعل یقول باب منه فی موضع كذا وباب منه فی

المعهودة تغیر اشدیدا حتی تصیر صورته صورة السكر ای أی مع بقاء عقله وتمییزه ولا ینافی ذلك قول بعضهم ذكر العلماء أنه صلی الله علیه وسلم كان یؤخذ عن الدنیا لانه یجوز أن یكون مع ذلك علی عقله وتمییزه علی خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلی الله علیه وسلم وحینئذ لا ینتقض وضوءه * ثم رأیت صاحب الوفاء قال (فان قال قائل ما كان یجری علیه صلی الله علیه وسلم من البرحاء حین نزول هل ینتقض وضوءه والجواب لا لانه صلی الله علیه وسلم كان محفوظا فی منامه تنام عیناه ولا ینام قلبه فاذا كان النوم الذی یسقط فیه الوكاء لا ینقض وضوءه فالحالة التی اكرم فیها بالمسارة والقاء الهدی الی قلبه اولی لكون طباعه فیها معصومة من الاذی) هذا كلامه وماذكرناه اولی لما تقرر ان الاغماء ابلغ من النوم فلیتامل وفی كلام الشیخ محیی الدین ما یدل علی أنه صلی الله علیه وسلم وجمیع من یأتیه الوحی من الانبیاء كان اذا جاءه الوحی یستلقی علی ظهره حیث قال سبب اضطجاع الانبیاء علی ظهورهم عند نزول الوحی الیهم ان الوارد الالهی الذی هو صفة القیومیة اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانی عن تدبیره فلم یبق للجسم من یحفظ علیه قیامه ولا قعوده فرجع الی أصله وهو لصوقه بالارض وعن أبی هریرة رضی الله عنه كان رسول الله صلی الله علیه وسلم اذا أنزل علیه الوحی صدع فیغلف رأسه بالحناء قیل وهو محمل قول بعض الصحابة أنه صلی الله علیه وسلم كان یخضب بالحناء والا فهو علیه الصلاة والسلام لم یخضب لانه لم یبلغ سنا یخضب فیه وفیه انه أمر بالخضاب الشباب فقد جاء اختضبوا بالحناء فانه یزید فی شبابكم وجمالكم ونكاحكم (وفی مسلم) عن أبی هریرة رضی الله تعالی عنه كان رسول الله صلی الله علیه وسلم اذا انزل علیه الوحی لم یستطع أحد منا أن یرفع طرفه الیه حتی ینقضی الوحی (وفی لفظ كان اذا نزل علیه صلی الله علیه وسلم الوحی استقبلته الرعدة وفی روایة كرب لذلك وتربد له وجهه وغمض عینیه وربما غط كغطیط البكر) وعن زید بن ثابت رضی الله تعالی عنه كان اذا نزل علی رسول الله صلی الله علیه وسلم السورة الشدیدة اخذه من الشدة والكرب علی قدر شدة السورة واذا نزل علیه السورة اللینة اصابه من ذلك علی قدر لینها وعن عمر ابن الخطاب رضی الله عنه كان اذا نزل علی رسول الله صلی الله علیه وسلم الوحی یسمع عند وجهه كدوی النحل وذكر الحافظ ابن حجر ان دوی النحل لا یعارض صلصلة الجرس ای المتقدم ذكرها لان سماع الدوی بالنسبة للحاضرین والصلصلة بالنسبة الی النبی صلی الله علیه وسلم فالراوی شبهه بدوی النحل والنبی صلی الله علیه وسلم شبهه بصلصلة الجرس ای فالمراد بهما شیء واحد والله اعلم ﴿ومن حالاته﴾ ای حالات الوحی ای حامله انه كان یأتیه علی صورته التی خلقها الله تعالی علیها له ستمائة جناح اقول فیوحی الیه فی تلك الحالة كما هو المتبادر وفیه انه جاء عن عائشة وابن مسعود رضی الله تعالی عنهما ان النبی صلی الله علیه وسلم لم یر جبریل علی صورته التی خلقه الله علیها الا مرتین حین سأله ان یریه نفسه فقال وددت انی رأیتك فی صورتك ای وذلك بحراء اوائل البعثة بعد فترة الوحی بالافق الاعلی من الارض وهذه المرة هی المعنیة بقوله تعالی ولقد رآه بالافق المبین وبقوله تعالی فاستوی وهو بالافق الاعلی طلع جبریل من المشرق فسد الافق الی المغرب فخر النبی صلی الله علیه وسلم مغشیا علیه

موضع كذا وأبو بكر رضى الله عنه يقول أشهد أنك رسول الله حتى أتى على أوصافه وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتنى قريش وسألتنى عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها قالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فجلى الله لى بيت المقدس وفى رواية فجيء بصورة وأنا أنظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته أى علاماته وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر رضى الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطىء فى شيء منه قالوا صدق الوليد بن المغيرة أى فى قوله انه ساحر فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قالت نبعة جارية ام هانىء وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله قد سماك الصديق ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى انزل اسم ابى بكر الصديق من السماء رضى الله عنه وفى رواية ان كفار قريش لما أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا ما اية ذلك يا محمد اى ما العلامة الدالة على هذا الذى اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال اية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فانفر غيرهم حسن الدابة يعنى البراق فتدلهم بعير قد دلتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا اية مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفى رواية فعثرت الدابة يعنى البراق فقطب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة والمراد الوضوء اللغوى ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت من الدابة يعني البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط

فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث والاخرى ليلة الاسراء المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وسيأتى الكلام على ذلك) وفى الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم برؤيته جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها أى لم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة الأنبياء صلى الله عليه وسلم (وذكر السهيلى ان المراد بالأجنحة في حق الملائكة صفة الملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير) ولا ينافى ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه فليتأمل ولعله لا ينافيه ما تقدم عن الحافظ بن حجر من ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط والله أعلم (ومن حالات الوحى أى نفسه اى الوحى به لا حامله الذى هو جبريل ان الله تعالى أوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة أو من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج) واسم الاشارة يحتمل أن يكون لنوعين وقع منهما ليلة الاسراء ويحتمل أن يكون نوعا واحدا وان الأول بناء على القول بعدم الرؤية والثانى بناء على القول بالرؤية وحينئذ لا يناسب عدد ذلك نوعين كما فعل الشامى ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع الثانى لبعضهم كالمتبرىء منه حيث قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثانية وهى تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم كفاحا بغير حجاب هذا كلامه لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية فما زاده بعضهم بناه على القول بوجود الرؤية كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج و(على هذا جاء قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وقول ابن القيم السادسة أى من حالات الوحى ما أوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السماوات من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذا محتمل لان يكون عن غير حجاب وأن يكون من وراء الحجاب فهى لم تخرج عما تقدم وكذا قوله السابعة أى من حالات الوحى كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى أى من وراء حجاب فهى لم تخرج عما تقدم وحينئذ يكون كلمه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير واسطة الملك من وراء حجاب ومشافهة من غير حجاب) وصاحب المواهب نقل عن الولى العراقى كلاما فيه اعتراض على ابن القيم بغير ما ذكر والجواب عنه وأقره ما فى ذلك الكلام من النظر الظاهر الذى لا يكاد يخفى والله أعلم قال الحافظ السيوطى وليس فى القران من هذا النوع أى مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب شيء فيما أعلم نعم يمكن ان يعد منه آخر سورة البقرة اى آمن الرسول الى اخر الآيات لأنها نزلت كما فى الكامل للهذلى بقاب قوسين وروى الديلمى قيل يا رسول الله أى آية فى كتاب الله تحب ان تصيبك وأمتك قال آخر سورة البقرة فانها من كنز الرحمن من تحت العرش ولم تترك خيرا فى الدنيا والآخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جاء فى فضل آية الكرسى من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله أى آية فى كتاب الله تعالى أعظم قال اية الكرسى أعظم وما جاء عن الحسن رضى الله تعالى عنه مرسلا أفضل القران البقرة وافضل آية فيه الكرسى وفى رواية أعظم آية فيها

ببياض لاأدرى اكسر البعير أم لا وفي رواية ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلا التى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سالوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا اصدق الوليد أى فى قوله أنه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجىء عير بنى فلان فقال لهم يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجىء حتى كادت الشمس أن تغرب أوظلت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكى

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها
فما غربت بل وافقتك بوقفة

فاما أهل الايمان الكامل كابى بكر رضى الله عنه فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشىء مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد اشار صاحب الهمزية اليها بقوله

فطوى الأرض سائرا والسموات ۞ العلى فوقها له اسراء
نصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء وترقى بها الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأمانى حسرى ۞ دونها ماوراءهن وراء

﴿باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه ويناصروه على ماجاء به من الحق﴾

اعلم انه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته فى أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها فى السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم

---

آية الكرسي وفي الجامع الصغير آية الكرسى ربع القرآن ونزل فى ذلك الموطن الذى هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض سورة ألم نشرح قال صلى الله عليه وسلم سألت ربى مسئلة ووددت أنى لم أكن سالته سألت ربى اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد ألم اجدك يتيما فاويتك وضالا فهديتك وعائلا فاغنيتك وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا وتذكر معى انتهى ۞أقول۞ قد يقال لا يلزم من النزول فى قاب قوسين أن يكون مشافهة من غير حجاب وقوله فقال يا محمد ألم أجدك الى آخره ليس هذا نص التلاوة وأن هذا ظاهر فى أن المتلو الدال على ماذكر نزل قبل ذلك وأن هذا تذكير به والله أعلم ۞(ومن حالات الوحى أنه أوحى اليه بلا واسطة ملك مناما كما فى حديث معاذ اتانى ربى وفى لفظ رأيت ربى فى أحسن صورة أى خلقة فقال فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد قلت انت أعلم أى رب فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السماوات والأرض أى وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فهذا علم حاصل لا عن قوة ومن القوى الحسية او المعنوية وهذا الا بعد ان يقع مثله للاولياء بطريق الارب اى تجلى له الحق بالتجلى الخاص الذى ماذكر عبارة عنه وفى رواية فعلمت علم الاولين والاخرين اى ۞(ومن حالات الوحى رؤيا النوم۞ قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الأنبياء وحى كما تقدم ومن حالاته العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه عند الاجتهاد فى الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث فى الروع ويذكر هذه الانواع للوحى يعلم ان ماتقدم من حصره من الحالتين المذكورتين عند سؤال الحرث له صلى الله عليه وسلم اغلبى او ان ماعداها وقع بعد سؤال الحرث له) وفى ينبوع الحياة عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحى قط الا وينزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبى الذى يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم من الغيب الذى يوحيه اليه فيلقوه الى اوليائهم ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن من القران ما نزل معه ملائكة مع جبريل تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون ألف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون ألف ملك وآية الكرسى شيعها ثمانون ألف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون ألف ملك) واسأل من أرسلناه من قبلك من رسلنا شيعها عشرون ألف ملك ولعل هذا لا ينافى ماتقدم من أن الغرض من تساقط النجوم عند البعثة حراسة السماء من استراق الشياطين لما يوحى لجواز أن يكون هذا الحفظ مايوحى من استراقه فى الأرض وبين السماء والارض (وعن النخعى أن أول سورة أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك قال الامام النووى وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه ولا يخفى أن مراد النخعى بالسورة هنا القطعة من القرآن أى أول آيات أنزلت فلا ينافى ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على أن أول سورة أنزلت فاتحة الكتاب لان المراد أول سورة كاملة أنزلت لا فى شان الانذار فلا ينافي ماتقدم من رواية جابر مما يقتضى أن أول ما أنزل يا أيها المدثر لان المراد بذلك أول سورة كاملة نزلت فى شان الانذار بعد فترة الوحى أى فانها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ وهذا الجمع تقدم الوعد به أى لكن يشكل عليه ما فى الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على القرآن الا

كل عام يتبع الحجاج في منازلهم بمنى و الموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في أسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب إذا حجت أي أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء إلى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجيء إلى سوق ذي المجاز فتقيم به أيام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم ويدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه وعن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا منعوني أن ابلغ كلام ربي وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر إلى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم فسالت من هذا الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه وفي لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اي ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى ادمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسالت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذي يرجمه قيل هو عمه عبد العزى يعني ابا لهب (وفي السيرة الهشامية) عن بعضهم قال اني غلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وان تصدقوني وتمنعوني حتى أنبئ عن الله ما بعثني به وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم إلى أن تسلخوا

آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة فان هذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله أحد ويخالفه ما في الاتقان ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روي بسند فيه ضعف قال ولم أر له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر في الاتقان مما نزل جملة سورة براءة وذكر ان المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا آية آية وحرفا حرفا أي كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد أنزل عليه ثلاث آيات وأربع آيات وعشر آيات كما أنزل عليه آية وبعض آية (فقد صح نزول غير أولي الضرر منفردة وهي بعض آية) وفي الاتقان عن جابر بن زيد قال أول ما أنزل الله تعالى من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة الى آخر ما ذكر ثم قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين هذا كلامه وذكر بعض المفسرين ان سورة التين أول ما نزل من القرآن والله أعلم وفي ما تقدم من ان نزول يا أيها المدثر كان في شان الانذار بعد فترة الوحي لأنه كان بعد نزول جبريل عليه باقرأ باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل أي وانما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الي العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك قال وفي رواية انه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة أخرى يريد أن يلقي نفسه منه فكلما اوفى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثنى عشر يوما وقيل ثلاثة أيام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى أقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحي والله أعلم) وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكر لها ابن اسحق مدة معينة أقول في فتح الباري أن ابن اسحق جزم بانها ثلاث سنين والله أعلم (قال أبو القاسم السهيلي) وقد جاء في بعض الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة أي وفي كلام الحافظ ابن حجر وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان مدة الفترة كانت أياما أي وأقلها ثلاثة اي وتقدم ما فيه قال بعض الحفاظ والظاهر والله أعلم انها أي مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا أيها المدثر هي المدة التي اقترن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبي انتهى أقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبي قال انزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفي الاصل عن الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل القرآن أي شيء منه على لسانه ثم وكل به جبريل

اللات والعزى من أعناقكم الى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لأبى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد عليه مايقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعنى أبا لهب * وروى ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت أن نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك فقال الأمر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أنقاتل العرب (٢٩٧) دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أى نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظفرك الله كان الامر لغيرنا لاحاجة لنا بامرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لايقدر أن يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يابنى عامر هل لها من تلاف أى هل لهذه القضية من تدارك والذى نفس فلان بيده مايقولها أى مايدعى النبوة كاذبا أحد من بنى اسمعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم * وروى الواقدى انه صلى الله عليه وسلم أتى بنى عبس وبنى سليم وبنى محارب وفزارة ومرة وبنى النضر وعذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب اقبح عليه من بنى حنيفة وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثم جاء فى الحديث شر قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى امهم حنيفة قيل لها ذلك الحنف كان فى رجلها ومن أقبح القبائل فى الرد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف * ودفع مرة هو وأبو بكر رضى الله عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال ممن القوم

جبريل فجاء بالوحى والقرآن وهو موافق فى ذلك لما فى سيرة شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال قال بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل وهو ظاهر فى ان اقتران اسرافيل به كان بعد النبوة ويؤيده قوله ويأتيه بالكلمة من الوحى ويحتمل لأن يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ماتقدم عن الماوردى لكن تقدم انه كان يسمع حسه ولا يرى شخصه الا أن يقال لايلزم من كونه يتراءى له أن يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحى هو معنى قوله يأتيه بالشىء بعد الشىء ثم رأيت الواقدى أنكر على الشعبى كون اسرافيل قرن به أولا وقال لم يقترن به من الملائكة الا جبريل أى بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ماقاله الشعبى هو الموافق لما هو المشهور المحفوظ الثابت فى الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبى مرسل أو معضل فلا يعارض مافى الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رأيت الحافظ ابن حجر نظر فى كلام الواقدى بان المثبت مقدم على النافى الا أن صحب النافى دليل نفيه فيقدم هذا كلامه لايقال قد وجد الدليل فقد جاء بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا أى هدة من السماء فرفع جبريل بصره الى السماء فقال يامحمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط فقال جماعة من العلماء ان هذا الملك اسرافيل لانا نقول هذا مجرد دعوى لادليل عليها ولا يحسن أن يكون مستندهم فى ذلك مافى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ماهبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطى من خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس فى ذلك دليل على أن اسرافيل لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتى يكون دليلا على ان اقتران جبريل به سابق على اقتران اسرافيل به هذا وفى كلام الحافظ السيوطى أن مجىء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحى بسنتين قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الأحاديث وهو بظاهره يرد مافى سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين أمر الله تعالى اسرافيل أن يقوم بملازمته ولما بلغ احدى عشرة سنة أمر جبريل بملازمته صلى الله عليه وسلم فلازمه تسعا وعشرين فليتأمل * وعن يحيى بن بكير قال ما خلق الله خلقا فى السموات أحسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ فى السماء يقطع على اهل السماء ذكرهم وتسبيحهم * ثم رأيت فى فتح البارى ليس المراد بفترة الوحى المقدرة بثلاث سنين اى على ماتقدم مابين نزول اقرأ ويا أيها المدثر عدم مجىء جبريل اليه بل تاخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه اى فكان جبريل يأتى اليه بغير قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجىء اليه بالقرآن الذى هو يا أيها المدثر الا بعد الثلاث سنين على ما تقدم ثم فى تلك المدة مكث اياما لا يأتيه اصلا ثم جاءه بيا أيها المدثر فكان قبل تلك الايام يختلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كونه مدة فترة الوحى ثلاث سنين كما يقول ابن اسحق وسنتين ونصفا كما يقول السهيلى وسنتين كما يقول الحافظ السيوطى وبين كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها اربعون كما تقدم عن ابن عباس لان تلك الايام هى التى كانت لايرى فيها جبريل اصلا على ماتقدم اى ولا يرى فيها اسرافيل ايضا وفى غير تلك الايام كان يأتيه بغير القران وحينئذ لايحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلى وينبغى أن تكون تلك

الأيام التي لا يرى فيها جبريل واسرافيل هي التي يريد فيها أن يلقي نفسه من رؤس شواهق الجبال وهذا السياق أيضا يدل على أن النبوة سابقة على الرسالة بناء على أن الرسالة كانت بيا أيها المدثر ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نبأه بقوله اقرأ باسم ربك وأرسله بقوله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه أكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنتان ولعل من يقول بتلك يقول يا أيها المدثر دلت على طلب الدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمفاجأة بها الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فليتأمل * وذكر السهيلي ان من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالى بقوله يا أيها المدثر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد نام وترب جنبه قم يا أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة في غزوة أحد وقد نام الى الأسفار قم يا نومان وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك إذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات لسطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فينحل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن هذا ملخص كلامه وذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر ان الشيخ أبا الحسن الشاذلي نفعنا الله تعالى ببركته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي قال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر وجاء في وصف اسرافيل في بعض الأحاديث لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوضع فهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش أو يخلفه غيره من الملائكة في ذلك

﴿ باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة ﴾

أي أول الارسال اليه باقرأ أقول (في المواهب انه روى أن جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال له يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا إله الا الله ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل أن يكون بفعله المذكور ويحتمل أن يكون علمه بقوله افعل كذا في وضوئك وصلاتك ويدل للاول ما سيأتي وفيه ان قول جبريل المذكور انما كان عند أمره باظهار الدعوة والمفاجأة بها

لو قالوا من ربيعة وكان أبو بكر رضي الله عنه نسابا أي ذا معرفة بالأنساب فقال لهم من أي ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الأكبر قال أمنكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال أمنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال أمنكم صاحب العمامة الفودة فلان قالوا لا فقال ألستم من ذهل الأكبر أنتم ذهل الأصغر فقام اليه شاب حين أبقل وجهه أي طلع شعر وجهه فقال له آن على سائلنا أن  نسأله كما سألنا يا هذا انك قد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل أنت فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة ثم قال فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه حاضرا فقال لأبي بكر رضي الله عنه لقد وقعت من الاعراب على باقعة أي داهية أي ذي دهاء قال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الأعرابي لما ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الأشراف كما أن قبيلتنا لم تشتمل على أولئك
الى
الأشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من بني شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما وان أبا بكر رضي الله عنه سألهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم

مفروق بن عمرو وهانىء بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان أى ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الألف وأن تغلب الألف من قلة فقال له أبو بكر رضى الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أى الطاقة ولكل قوم جد أى حظ وسعادة أى علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لأنه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضى الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال أنا لاشد ما يكون غضبا حتى نلتى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الأولاد والسلاح على اللقاح أن تؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا اى ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ويديل علينا مرة أخرى لعلك أخو قريش فقال ابو بكر رضى الله عنه أوقد بلغكم أنه اى أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاهو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإنى رسول الله وإلى أن تؤوونى وتنصرونى ~~فان قريشا قد~~ ~~تنصرونى~~ فان قريشا قد تظاهرت أى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق والام تدعونا أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام اهل الأرض عرفناه ثم قال والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

الى الله تعالى بعد فترة الوحى كما سياتى فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الأرض الى آخره لا يحسن لانه سياتى أن ذلك كان في يوم نزوله له باقرأ اسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله أعلم (فعن ابن اسحق حدثنى بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على النبي صلى الله عليه وسلم أى قبل الاسراء اتاه جبريل وهو باعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضا جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ليريه كيف الطهور أى الوضوء للصلاة أى فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه الى الكعبين كما فى بعض الروايات * أى وفى رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضا مثل وضوءه) * أقول وبهذه الرواية يرد قول بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم زاد فى الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل ومسح الأذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض أن ماذكر زاده على ما فى الآية وفى كلام بعضهم كانت العرب فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك والله اعلم (ثم قام جبريل فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل أن تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل أنها كانت بالعشى أى قبل غروب الشمس * وفى الامتاع وانما كانت الصلاة قبل الاسراء صلاة بالعشى أى قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشى ركعتين أى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والعشى هو العصر) فى كلام بعض أهل اللغة العصر العشاء والعصران الغداة والعشى (وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الأسود أى جعل الحجر الأسود قبالته) وهذا يدل على أنه لم يستقبل فى تلك الصلاة بيت المقدس لأنه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليمانى كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سياتى أنه كان يصلى بين الركنين الركن اليمانى والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام () أى بينه وبين بيت المقدس جبريل فى أول ما أوحى الى فعلمنى الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها اى صخرته إلا أن يقال يجوز أن يكون عند صلاته إلى الكعبة كان بينهما الا أنه كان إلى الحجر الاسود أقرب منه الى اليمانى فقيل استقبل الحجر الاسود فلا مخالفة لكن سياتى ما قد يفيد أنه لم يستقبل بيت المقدس إلا فى الصلوات الخمس أى بعد الاسراء وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة إلى أى جهة من جهاتها (ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا الصلاة يا محمد ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وأخبرها فغشى عليها من الفرح فتوضا لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه الصلاة والسلام) * وفى سيرة الحافظ الدمياطى ما يفيد أن ذلك كان فى يوم نزول جبريل عليه السلام باقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين يوافقه ظاهر ما جاء أتانى

يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الأعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك وكان مفروق أراد أن يشاركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال هذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانىء قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش واني أرى انا إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العواقب  وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكان هانىء أحب أن يشركه في الكلام مثنى بن حارثة فقال هذا المثنى ابن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة وان أحببت أن نأويك وننصرك مما يلي سائر العرب دون انهار كسرى فعلنا أننا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثا ولا نأوي محدثا وأني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا اليه هو ما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم إذ افصحتم بالصدق وأن الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه أرأيتم أن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك إذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال العلامة الحلبي وهؤلاء لم أقف على اسلام واحد منهم إلا أن في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول لهانىء بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة * وفي أسد الغابة أن مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن أبي نعيم أنه قال

جبريل في أول ما أوحي الى فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه أي رش بها فرجه أي محل الفرج من الانسان بناء على انه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بأنه ليس ذكرا ولا انثى وفيه نظر لانه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة الانثى كما قيل بذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار وبذلك استدل أئمتنا على انه يستحب لمن استنجى بالماء أن يأخذ بعد الاستنجاء كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه حتى إذا خيل له ان شيئا خرج ووجد بللا قدر انه من ذلك الماء ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل الوضوء وأمرني ان انضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء أي دفعا لتوهم خروج شيء من البول بعد الوضوء لو وجد بللا بالمحل وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله حتى يبلها وما جاء انه لما أقرأه اقرأ باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الأرض قال فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والراء والنون أي وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل الحديث فمشروعية الوضوء كانت مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ وهو مخالف لقول ابن جزء لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أنه لم يصل صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا أن يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في المدينة هو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا أي وانما وجب بالمدينة بآية المائدة يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الآية ويرد ما في الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله عن حكمه يعني قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الى قوله لعلكم تشكرون فالآية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة أي فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة قال والحكمة في ذلك أي في نزول الآية بعد تقدم العمل لما يدل عليه أن تكون قرآنيته متلوة هذا كلامه وقوله مع فرض الصلاة يحتمل أن المراد صلاة الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن اسحق ويحتمل أن المراد الصلاة الخمس أي ليلة الاسراء وهو الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملي حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى في صلاة الليل وقول صاحب المواهب ماذكر من أن جبريل صلى الله عليه وسلم علمه الوضوء وأمره به يدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة في ذلك على الفرضية اذ يحتمل أن يكون اللفظ الصادر من جبريل له أمرتك أن تفعل كفعلي وصيغة أمر مشتركة بين الوجوب والندب وذكر بعضهم أن الغرض من نزول آية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض أو لعدم الماء يباح له التيمم أي ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في الآية فانزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لأن الوضوء كان مفروضا قبل أن توجد تلك الآية ويوافقه ماذكر ابن عبد البر من اتفاق أهل السير على أن الغسل من الجنابة

فرض

لأعرف لمفروق اسلاما والله أعلم * ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا الامنعة جاورنا فارسا فنجير لا يمتنع منهم ولا نجير عليهم قال أفتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حين أن تنزلوا امنازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت  قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أبو لهب لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون يهذي من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفي رواية انه لما سألهم قالوا له حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو عزكم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا ابذكرهم اسمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول لا أكره أحدا على شيء من رضي الذي أدعو اليه فذاك ومن كره لم أكرهه وانما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي فلم يقبله صلى الله عليه وسلم أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه عن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم * وفي مستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي على يسار القاصد منى من مكة وبها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد

فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ما يقتضي ان فرض الغسل كان مع فرض الصلوات ليلة الاسراء فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال الله حتى جعل الصلاة خمسا والغسل من الجنابة مرة * قال بعض فقهائنا رواه أبو داود ولم يضعفه وهو اما صحيح أو حسن قال ذلك البعض ويجوز أن يكون المراد بها أي الغرض من نزولها فرض غسل الرجلين في قراءة من قرأ وارجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا مسحهما أي وهو أن جبريل أول ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي توضأ فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح رأسه ورجليه إلى الكعبين وسجد سجدتين أي ركع ركعتين مواجهة البيت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم كما يرى جبريل يفعله هذا كلامه وفيه نظر لان أكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم فرجليه في هذه الرواية معطوفة على وجهه كما ان أرجلهم في الآية على قراءة الجر معطوفة على الوجوه وانما جر للمجاورة وان كان الجر للمجاورة في غير النعت قليلا أو عبر عن الغسل الخفيف بالمسح وفي كلام الشيخ محيي الدين مسح الرجلين في الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال ويحتمل العدول عن الظاهر بناء على ان المسح فيه يقال للغسل فيكون من الالفاظ المترادفة وفتح أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة أي عملا بظاهر قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة الآية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر أي للاشارة إلى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء عليه لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ هذا كلامه أي ويؤيد ذلك ظاهر ما جاء انه أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث أي ويكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت انه لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على أن وجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روي عن أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون أي هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزي أحدنا الوضوء ما لم يحدث أي فوجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم لكل صلاة () فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة فظاهر سياقهم يقتضي ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان عاما في حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته ويحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الغسل في حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته وبيان وقت نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة في حق الأمة ومنه يعلم ان نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا الآية تقتضي وجوب الطهر بالماء أو التراب لكل صلاة خرج الوضوء بالسنة أي بما تقدم من فعله

البيعة اذالقي رهطا من الخزرج لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم أبو امامة أسعد ابن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع ابن مالك بن العجلان وقطبة ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن ناب وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج



قال الا تجلسوا أكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم واخبرهم خبره فجلسوا

وفي رواية انه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم وكان قد أخذهم النبي صلى الله عليه وسلم في موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم أحد فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله ان اليهود كانوا مع الاوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والاوس والخزرج اهل شرك واوثان وكانوا اذا كان بينهم شيء تقول اليهود أن نبيا سيبعث الآن قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكانوا يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا الصفات التي كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها متحققة فيه فقال بعضهم لبعض بادروا لاتباعه لا تسبقنا اليهود اليه وفي

صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة يصلي الواحد منهم الصلوات بوضوء واحد وبقي التيمم على مقتضى الآية فقد وقع النسخ أولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحي غير قرآن اوباجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر عما الغسله اما منا رضي الله تعالى عنه عن زيد بن اسلم ان الآية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جاء أحد منكم من الغائط أولا مستم فاغسلوا وجوهكم الآية والله أعلم *(وعن مقاتل بن سليمان فرض الله تعالى في أول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة أي قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي أو قبل غروب الشمس)* أقول ان كان المراد باول الاسلام نزول جبريل عليه باقرأ يرد ما تقدم عن الامتاع ان أول ما وجب ركعتان بالعشي ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين الا أن يراد الأولية الاضافية وفي بعض الأحاديث ما يدل على ان وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون أمته منها قوله صلى الله عليه وسلم أول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس وفيه انه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس وفي الامتاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة أول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى أي فيصلون صلاة العشي وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد أن الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحى لا قبل الشمس فليتأمل والله أعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة اي لا عليه ولا على أمته الا ما وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد أي بقوله تعالى فاقرأوا ما تيسر أي صلوا * اقول وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد في أول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء ولم يذكر أئمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور أول سورة المزمل ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحق من وجوب صلاة الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير في قولهم ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلوات مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء قال بعضهم وانما قال ذلك لأن أصل الصلاة قد فرض في حياة خديجة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وفي كلام ابن حجر الهيتمي لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرائض وتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن في القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه ولم اقف على ما كان يقرأ في صلاة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقبل نزول الفاتحة بناء على تاخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح ثم رأيته في الاتقان ذكر ان جبريل حين حولت القبلة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواية فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون ان من صفته ورأوا امارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه هو النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم أولئك النفر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي قالوا يارسول الله انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم

فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وقولهم بينهم من العداوة والشر ما بينهم أصل هذه العداوة أن الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفي رواية قالوا له انما كانت بغاث عام اول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملؤهم فقالوا ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان  يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء اسلام الانصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فاسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن حديدة وعقبة بن عامر بن ناب والسبعة تتمة الاثنى عشر هم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكر ان ابن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة ابن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي خليف الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان وأقام العباس المذكور بمكة الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو انصاري مهاجري واستشهد باحد رضي الله عنهم يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية تاخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب اسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه قال بعضهم والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وكل هؤلاء المذكورين من

ان الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي حمله على الصلوات الخمس وحينئذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمولا على ذلك أيضا وقد تقدم ذلك والله أعلم

﴿ باب ذكر أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم ﴾

(أي بعد البعثة أي الرسالة) وهي المرادة عند الاطلاق بناء على أنها مقارنة للنبوة (لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث أخفى أمره وجعل يدعو الى الله سرا واتبعه ناس طاعتهم ضعفاء من الرجال والنساء والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء ولا يخفى ان أهل الأثر وعلماء السير على أن أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضي الله عنها) * أقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلماء عليه وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله تعالى اسلاما باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة وفيه ان بناته الاربع كن موجودات عند البعثة ويبعد تاخر ايمانهن الا ان يقال خديجة تقدم لها اشراك بخلافهن أخذا مما يأتي (وعن ابن اسحق ان خديجة كانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيئا يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به * ثم علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) ففي المرفوع عن سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أول هذه الامة ورودا على الحوض أولها اسلاما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وجاء انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه لأول اصحابي اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما (وكان لم يبلغ الحلم) كما سيأتي حكاية الاجماع عليه كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بامره لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تاخذ واحدا وأنا واحدا فجاء اليه وقالا أنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلاقيل وطالبا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) * (وفي خصائص العشرة للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وتغذيته اياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ولدته سماه عليا) وبصق في فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتامل (وعنها رضي الله تعالى عنها أنها في الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي فتقوس في بطنها فمنعها من ذلك وكان علي رضي الله تعالى عنه اصغر أخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب ذلك أيضا فكل أكبر من

الخزرج سوى أبي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الاوس فاسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثنا عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم في معروف ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر (٣٠٤) والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئا كان امره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضا في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة العقبة الثانية على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله شيئا الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه فلما انصرفوا راجعين إلى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله واسم امه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها ومصعب بن عمير معه رضي الله عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمان من أراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وقيل أن مصعبا بعثه أولا حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله * وفي رواية كتبوا اليه بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدلي رضي الله عنه

---

الذى بعده بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي أي وكلهم أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل لما أسلم يا أبا يزيد اني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم لحب عمي اياك وكان عقيل اسرع الناس جوابا وأبلغهم في ذلك قال له معاوية يوما أين ترى عمك أبا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما وفد على معاوية وقد غضب من أخيه علي لما طلب منه عطاءه وقال له اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فاعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو أوصل الى منك فذهب الى معاوية فاعطاه معاوية مائة ألف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما أولاك علي وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني اخبركم اني أردت عليا على دينه فاختار دينه واني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه وفي رواية أن معاوية قال للجماعة يوما بحضرة عقيل هذا أبو يزيد يعني عقيلا لولا علمه باني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وأسال الله تعالى خاتمة الخير توفي عقيل في خلافة معاوية قال وسبب اسلام علي كرم الله تعالى وجهه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ماهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلته ثم أن الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم اهـ * أقول وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي أي لأنه تقدم أن صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين وهذا انما يأتي على القول بان النبوة والرسالة تقارنتا لا على أن الرسالة تأخرت عن النبوة وأن بينهما فترة الوحي على ما تقدم * وفي أسد الغابة أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام أخيه علي بقليل قال بعضهم وانما صح اسلام علي أي مع أنهم اجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم أي ومن ثم نقل عنه أنه قال

سبقتكموا إلى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي

أي كان عمره ثمان سنين على ما سبق لأن الصبيان كانوا إذ ذاك مكلفين لأن القلم انما رفع عن الصبي عام خيبر وعن البيهقي أن الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق وفي لفظ في عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر أنه لم يحفظ عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال شعرا وقيل لم يقل الا البيتين أي ولعل أحدهما ما تقدم ثم رأيت عن القاموس أن البيتين هما قوله

تلكمو قريش تمناني لتقتلني * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن مهجتي لهمو * بذات ودقين لا تبقي ولا تذر

وذات

وكان يقال له المقرى ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الأوس والخزرج لأنهم لما بينهم من العداوة كرهوا أن يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضي الله عنه أول جمعة في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فامرهم باقامتها بالمدينة وكانوا أربعين رجلا واشتهر ان أول من جمع بهم أسعد بن زرارة رضي الله عنه ولا مخالفة لان مصعب بن عمير رضي الله عنه (٣٠٥) كان عند أبي امامة أسعد بن زرارة فكان هو المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد ابن زرارة ماقدر مصعب على اقامتها وهذا لاينافي ان الخطيب والامام هو مصعب بن عمير فلنسب اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضي الله عنه اما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أي اليوم الذي يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أي صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب ابن عمير رضي الله عنه بعد أن اشتد عليهم أمره في أول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم



الله به روى ابن اسحق ان سعد بن زرارة رضي الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضي الله عنه إلى حائط أي بستان من حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجل ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أي بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني أسعد بن زرارة

وذات ودقين هي الداهية (وقد ذكر ان الزبير بن العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل بن اثنتي عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة ومما يدل للاول ماجاء عن بعضهم كان علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ولدوا في عام واحد) ❊ ومن العجب ان الزمخشري في خصائص العشرة اقتصر على أن سن الزبير حين أسلم ست عشرة سنة وذكر بعد ذلك باسطوانة أول من سل سيفا في سبيل الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة مقتصرا على ذلك ومما يدل للاول أيضا ماجاء في كلام بعض آخر أسلم علي ابن أبي طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم على أن عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بان عمره كان إذ ذاك عشر سنين أي بناء على ان سن امكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمتنا ويوافقه ماحكاه بعضهم ان الراشد بالله وهو الحادي والثلاثون من خلفاء بني العباس لما كان عمره تسع سنين وطيء جارية حبشية فحملت منه فولدت ولدا حسنا ويرد القول بان سنه إذ ذاك كان ثلاث عشرة أو خمس عشرة أو ست عشرة سنة أقول (قال بعض متأخري اصحابنا وانما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل والاسلام لا يتنفل به وعلى هذا مع ماتقدم يشكل ما في الامتاع وأما علي بن أبي طالب فلم يكن مشركا بالله ابدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كاحد أولاده يتبعه في جميع أموره فلم يحتج أن يدعى للاسلام فيقال أسلم هذا كلامه فليتامل فان عليا كان تابعا لابيه في دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كاولاده وقوله فلم يحتج أن يدعى للاسلام يرده ماتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له أدعوك الى الله وحده إلى آخره ثم رأيت في الحديث مايدل لما في الامتناع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون والذي في العرائس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم وهو أفضلهم الأان يراد بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم وفيه انه قد يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له وادعوك إلى الكفر باللات والعزى وانه قيل أيضا ان أبا بكر لم يسجد لصنم قط وقد عد ابن الجوزي من رفض عبادة الاصنام في الجاهلية أي لم يأت بها أبا بكر الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورباب بن البراء وأسعد بن كريب الحميري وقس بن ساعدة الايادي وأباقيس بن صرمة ولا يخفى ان عدم السجود للاصنام لاينافي الحكم بالكفر على من يسجد لها لكن في كلام السبكي الصواب أن يقال الصديق لم يثبت عنه حال كفر بالله تعالى فلعل حالة قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة هذا كلامه وهو واضح إذا لم يكن أحد من جميع من ذكر أسلم وفي كلام الحافظ ابن كثير الظاهر ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد خديجة وزيد وزوجة زيد أم أيمن وعلي رضي الله تعالى عنهم فليتامل قوله آمنوا قبل كل أحد وكذا يتامل قول ابن اسحق اما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن أدركن الاسلام فاسلمن (وعن ابن اسحق) ذكر بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا

ومصعب بن عمير اللذين اتيا دارينا تثنية دار وهي المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما (وفي رواية)
قال له ائت اسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا اسعد بن
زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم اقبل عليهما فلما رآه اسعد بن
زرارة قال لمصعب بن عمير هذا  سيد قومه فاصدق الله فيه فوقف عليهما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا
اعتزلانا ان كان لكما بانفسكما حاجة (وفي رواية) قال يا اسعد مالك ولنا تاتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفي رواية علام اتيتنا في دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره أي منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسارسله
اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم
جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف الله لقد جاءكم اسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت
وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا انه ابن خالتك ليقضوا عهدك فقام سعد مغضبا

أمسيا رجعا كذلك ثم ان أباطالب عثر أي اطلع عليهما يوما وهما يصليان أي بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ماهذا الذي اراك تدين به فقال هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من اجابني الى الله تعالى وأعانني عليه فقال أبوطالب اني لا استطيع ان افارق دين أبائي وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من باس ولكن والله لا تعلوني استي ابدا وهذا كما لا يخفى ينبغي ان يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى أن عليا رضي الله تعالى عنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أباطالب حين فرضت الصلاة ورآني اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ماهذا الفعل الذي أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله ابدا أني لا أحب أن تعلوني استي فلما تذكرت الآن قوله ضحكت وقوله حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وهذا يؤيد القول بان ذلك كان واجبا وذكر ان أباطالب قال لعلي أي بني ما هذا الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما أنه لم يدعك الا الى خير فالزمه أي ويذكر عنه انه كان يقول اني لاعلم ان مايقوله ابن أخي لحق ولولا أني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن عفيف الكندي رضي الله تعالى عنه قال كنت امرأ تاجرا قدمت للحج واتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر ويبيعه أيام الموسم فبينما انا عند العباس بمنى أي وفي لفظ بمكة في المسجد اذا رجل مجتمع أي بلغ أشده خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ فاسبغ الوضوء أي اكمله ثم قام يصلي الى الكعبة كما في بعض الروايات ثم خرج غلام مراهق أي قارب البلوغ فتوضأ ثم قام الى جنبه يصلي ثم جاءت امرأة من ذلك الخبا فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة ثم خر الرجل ساجدا والغلام وخرت المرأة فقلت ويحك ياعباس ماهذا الدين فقال هذا دين محمد بن عبد الله أخي يزعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب وهذه امرأته خديجة قال عفيف بعد أن اسلم ياليتني كنت رابعا أي ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان يصلي معهم أو أن ذلك كان قبل اسلامه لانه سياتي قريبا ان اسلامه كان بعد اسلام علي وكذا أبو بكر لم يكن موجودا عندهم بناء على ان اسلامه كان قبل اسلام علي ويؤيده ما قيل أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر لكن في الاستيعاب لابن عبد البر ان العباس قال لعفيف الكندي لما قال له ماهذا الذي يصنع قال يصلي وهو يزعم انه نبي ولم يتبعه على أمره الا امرأته وابن عمه هذا الغلام وفيه أن عليا قال لقد عبدت الله قبل ان يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أي ولعل المراد انه عبده بغير الصلاة وقوله في هذا الحديث فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ وصلى قد يخالف ما تقدم من أن فرض الصلاة كان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي قبل غروب الشمس فقط (أقول) قد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون صلاته في الوقت ليست مما

فرض

مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب لقد جاءك سيد من وراءه من قومه أن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدا إنما اراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متبسما ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا امامة والله لو ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب لتقعدن فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة



وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فاعجبه ذلك وصار يقول ما أحسن هذا ثم قال لهما ما تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فاقبل عامدا إلى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعرفون أمرى فيكم قالوا سدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا أى وأبركنا نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال والله ما أمسى فى دارك قبيلة من بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فاسلموا فى يوم واحد كلهم إلا ما كان من الاصيرم وهو عمرو ابن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تاخر إسلامه الى يوم أحد فاسلم واستشهد رضى الله عنه ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه من اهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار اسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو إلى الاسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الأنصار الا جماعة من الأوس لانه كان فيهم أبو قيس وهو صيفى بن الاسد وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه ويطيعون لأنه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من

فرض عليه والجماعة فى ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم فى منفل المطلق وهذا يدل على أن الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى فى صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس ﴿ وفى كلام بعض فقهائنا ﴾ أنها لم تشرع الا فى المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضى الله تعالى عنهم الا ان يقال المراد بمشروعيتها طلبها فكانت فى المدينة مطلوبة استحبابا او وجوبا كفاية أو عينا على الخلاف عندنا فى ذلك وفى مكة كانت مباحة لكن فى كلام بعض آخر من فقهائنا أن الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة وفيه ان القهر انما ينافى اظهار الجماعة لا فعلها الا أن يقال تركت حسما للباب وفيه أن يبعد تركها وهم مستخفون فى دار الارقم فليتامل والله أعلم * ثم بعد اسلام على رضى الله تعالى عنه أسلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة أى لما تزوجها صلى الله عليه وسلم أى وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام مما سباه من الجاهلية أى فان عمته خديجة أمرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع أى وعمره ثمان سنين فانه أسر من عند أخواله طى وعليه اقتصر السهيلى فان أمه لما خرجت به لتزيره أهلها فاصابته خيل فباعوه فاشتراه أى وقيل اشتراه من سوق حباشة بار بعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة أعجبها فاخذته * أى ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أى اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو عندها عجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحى () أى وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لى ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء به اليها وقال انه لو كان لى لأعتقه قالت هو لك فاعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة حيث توجه مع ميسرة فوهبته له فليتامل ذلك وزعم أبو عبيدة أن زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصى حين تبناه ثم أنه خرج فى ابل لأبى طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه وقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربى أنت أم عجمى قال بل عربى قال ممن أهلك قال من كلب قال من أى كلب قال من بنى عبدود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت قال فى اخوالى قال ومن أخوالك قال طى قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرنى على أهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفى رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا واعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد أخبار أولئك الناس فلما جاء أهله فى طلبه ليفدوه خيره النبى صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر أنهم لما جاؤا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابن

الجنابة ودخل بيتاله واتخذه مسجدا وقال أعبد اله ابراهيم ولا يدخل على فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تاخر اسلامه انه لما اراد الاسلام عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله ابن ابى بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس ما اتبعه الا آخر الناس فلما  احضر أرسل اليه صلى الله عليه وسلم ان قل لا اله الا الله اشفع لك بها عند الله فقالها ثم ان مصعب بن عمير رضى الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من اهل الشرك حتى قدموا مكة واخبر صلى الله عليه وسلم بمن اسلم فسر بذلك رضى الله عنه خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة اى ان يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى اسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذى يقال مسجد العقبة ومسجد البيعة وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا اليه بليل وأن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ويكون اتيانهم فى ليلة اليوم الذى فيه النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم أمرنا ممن معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكان فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فاسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل نتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا

عبد المطلب يا ابن سيد قومه () أى وفى لفظ لما قدم أبوه وعمه فى فدائه عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الأسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقيل وماذاك قال زيد ابن حارثة فقال أو غير ذلك قالوا وماهو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارنى فوالله ماأنا بالذى أختار على الذى اختارنى فداء فقالوا ازدت عن النصف وفى لفظ زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال تعرف هؤلاء قال نعم أبى وعمى ولعل سكوته عن أخيه لاستصغاره بالنسبة لابيه وعمه على أن أكثر الروايات الاقتصار على مجىء أبيه وعمه وفى كلام السهيلى أن زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم له من هذان فقال هذا أبى حارثة بن شرحبيل وهذا كعب ابن شرحبيل عمى فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له أنا من علمت وقد رأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما فقال زيد أماأنا بالذى أختار عليك احدا أنت منى مكان الأب والعم فقالا ويحك يازيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ماأنا بالذى أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مارأى أخرجه الى الحجر أى الحجر الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابنى ارثه ويرثنى فطابت أنفسهما وانصرفا وفى كلام ابن عبد البر انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابنى وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف أى من حالفه فنسخ ذلك وهو الذى ذكره ابن عبد البر من أنه صلى الله عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على أن ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحى وان ذلك كان قبل مجىء أبيه وعمه وحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجىء أبيه وعمه اظهارا لما تقدم فليتأمل ﴿وفى أسد الغابة﴾ أن حارثة أسلم وفى كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذرى ﴿ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر فى القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو كما سيأتى قال ابن الجوزى الا ما يروى فى بعض التفاسير أو السجل الذى فى قوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم أى وقد أبدى السهيلى حكمة لذكر زيد باسمه فى القرآن وهى أنه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم صار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع منه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه فى القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى فى المحاريب ولا يخفى أنه يأتى فى زيد ما تقدم في على ولم تذكر فى القرآن امرأة باسمها الا مريم ولزيد أخ اسمه جبلة اسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد قال زيد أكبر منى وأنا ولدت قبله لأن زيدا أفضل منه لسبقه للاسلام (ثم أسلم من الصحابة أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال بعضهم سبب اسلامه أنه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكثرة غشيانه فى منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة لما ذهب معه اليه كما تقدم

اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فلازلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه أيضا أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما لأن العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم الا العباس رضى الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضى الله عنه أول متكلم فقال يامعشر الخزرج والمراد مايشمل الاوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الاوس كثيرا أن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم موافقون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور أنا والله لو كان من انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن العباس رضى الله تعالى عنه قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملأ واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الانصار ووافقوه على مناصرته فاباه ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على

فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في بعض الأيام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له أن عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بابي أنت وأمي وأهل الصدق أنت أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فيقال أنه سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على أن اسلام أبي بكر تاخر الى نزول يا أيها المدثر بعد فترة الوحي بناء على ماتقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي ماسيأتي انه سمي بذلك صبيحة الاسراء لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز انه لم يشتهر بذلك الا حينئذ)* وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر قال ولما سمعت خديجة مقالة أبي بكر خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة واسمه عبد الله أي سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فابو بكر رضى الله تعالى عنه أول من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه أو لانه عتق من الذم والعيب () أي أو نظر اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهو أول لقب وجد في الاسلام وقيل سمته بذلك امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش قيل ويدل له ماذكر بعضهم ان أمه اذا هزته تقول عتيق وماعتيق ذو المنظر الأنيق *وفي كلام ابن حجر الهيتمي وصح أن الملقب به النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بيت عائشة وانه غلب عليه يومئذ قال وبه يندفع أن الملقب به أبوه وزعم انه امه هذا كلامه وليتامل قوله في بيت عائشة مع ماتقدم ومافي كلام السهيلي قيل وسمي عتيقا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم انت عتيق من النار *(وكان ابو بكر رضى الله تعالى عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم كان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان من أعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا كان أبو بكر اعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان أعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية في ذلك انه قال انما أخذت النسب من أبي بكر لاسيما انساب قريش فانه كان أعلم قريش بانسابها وبما كان فيهما من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محببا فيهم) بخلاف عقيل بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فانه كان بعد أبي بكر أعلم قريش بانسابها وبآبائها ومافيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم وكان عقيل يجلس اليه في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وايام العرب ووقائعهم *(وفي كلام بعضهم كان ابو بكر عند أهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما يأتيهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد *قال الزمخشري ولعله كني بابي بكر لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر رضى الله تعالى عنه كفى بالموت واعظا ياعمر وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم علي الملك لله وكان نقش خاتم أبي عبيدة بن الجراح الحمد لله وكان رسول الله صلى

القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار واجيب بان المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار وهذا لا ينافى أنه وجد من يوافق فى بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبنى شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا ننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى وقيل المراض بالناس أهله وعشيرته وعندما تكلم العباس رضى الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفى رواية  خذ لنفسك ما شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم امرنى ربى عزوجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسى ان تمنعونى مما تمنعون به انفسكم وابناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفى رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب فى الاسلام وقال أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم وقيل قالوا له نبايعك قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والمنعة فى العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى ان تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به ازارنا أى نساءنا وانفسنا لان العرب تكنى بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أى أهل السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أبو الهيثم بن التيهان نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضى الله عنه اخفوا امركم أى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعنى اليهود حبالا أى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم

الله عليه وسلم يقول ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة أى وقفة وتاخر وترددا الا ما كان من أبى بكر وفى رواية ما كلمت احدا فى الاسلام الا أبى على وراجعنى فى الكلام الا ابن أبى قحافة فانى لم أكلمه فى شىء الا قبله واستقام عليه اى ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا واكملهم عقلا الخبر تمام أتانى جبريل فقال لى ان الله أمرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفى عمر وشاورهم فى الامر كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى أموره كلها وقد جاء ان الله تعالى ايدنى باربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبى بكر وعمر وفى حديث رواته ثقات ان الله يكره ان يخطأ أبو بكر * وفى رواية ان الله يكره فى السماء ان يخطأ أبو بكر الصديق فى الارض * وجاء الحسن بن على وهو صغير الى أبى بكر وهو يخطب على المنبر فقال له انزل عن مجلس أبى فقال مجلس أبيك والله لا مجلس أبى فاجلسه فى حجره وبكى فقال على والله ما هذا عن رأيى فقال والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب أنزل عن منبر أبى فقال له منبر أبيك لا منبر أبى من امرك بهذا فقام على فقال له ما أمره بهذا احد ثم قال للحسين لاوجعنك ياغدر فقال لا توجع ابن أخى صدق منبر أبيه قال وسبب مبادرته الى التصديق ما علمه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته قبل دعوته ولرؤيا رآها قبل ذلك رأى القمر نزل الى مكة فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجرة فقصها على بعض أهل الكتاب فعبرها له بانه يتبع النبى المنتظر الذى قد ظل زمانه وانه يكون أسعد الناس به ولعل هذا الذى من أهل الكتاب هو بحيرا فقد رايت أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه رأى رؤيا فقصها على بحيرا فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبى من قومك تكون أنت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته أى واخرج أبو نعيم عن بعض الصحابة ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة أى علم انه النبى المنتظر لما مر عن بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الارض قد قرأ الكتب نزل به فى اليمن فقال له أحسبك حرميا فقال أبو بكر نعم فقال أحسبك قرشيا قال نعم فقال له احسبك تيميا قال نعم قال له بقيت لى فيك واحدة قال وماهى قال له تكشف لى عن بطنك فقال له لا افعل أو تخبرنى لم ذلك فقال أجد فى العلم النجيح الصادق ان نبيا يبعث فى الحرم يعاون على أمره فتى وكهل فاما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة أى مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله أحسبك حرميا أحسبك قرشيا احسبك تيميا وما عليك ان ترينى ماسالتك فقد تكاملت فيك الصفة اى تكونه حرميا قرشيا تيميا أبيض نحيفا الا ما خفى على فقال أبو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة بيضاء أوسوداء فوق سرتى أى ورأى العلامة على الفخذ الايسر فقال أنت هو ورب الكعبة قال أبو بكر فلما قضيت اربى من اليمن اتيته لاودعه فقال احافظ عنى ابياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى قلت نعم فذكر له ابياتا قال أبو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش كعقبة بن أبى معيط وشيبة وربيعة وأبى جهل وأبى البخترى فقالوا يا أبا بكر يتيم أبى طالب يزعم انه نبى ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذا قد جئت

فانت

والهدم الهدم أى دمى دمكم أى تطلبون بدمى وأطلب بدمكم فدمى ودمكم واحد وفى رواية بدل الدم اللزم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أى حرمى حرمكم تقول العرب اذا أردت تأكيد المخالفة هدمى هدمكم أى اذا اهدرتم الدم اهدرته وذمتى ذمتكم ورحلتى رحلتكم انا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضى الله عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن



فى نصرته وتشدن ازره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أن موسى اخرج من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجد أحد فى نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل أى لأنه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد بن عبادة واسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء ابن معرور وابو الهيثم بن التيهان وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد من قبيلة ثم قال لاولئك أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين وقيل أن الذى تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة قال يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أى على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له فى البداءة بالمحاربة إلا بعد أن هاجر إلى المدينة وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء إلى الله تعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل وقيل الذى تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الانصار ولا مخالفة بين الأقوال لأن كل سيد من أولئك السادة تكلم بما يقوى البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك وقالوا يارسول الله مالنا أن نحن

---

فانت الغاية والكفاية أى لأن أبا بكر كما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فصرفتهم على أحسن شىء ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى وقال لى ياأبا بكر انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذى أفادك الأبيات فقلت ومن اخبرك بهذا ياحبيبى قال الملك العظيم الذى يأتى الأنبياء قبلى قلت مد يدك فانا أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانصرفت ومابين لابتيها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى * وفى لفظ أشد سرورا منى باسلامى ولا مانع من صدور الأمرين منه رضى الله تعالى عنه ويحتاج للجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما إلى آخره على تقدير صحة الروايتين وماجاء من شعر حسان رضى الله تعالى عنه من أن أبا بكر أول الناس اسلاما حيث يقول فيه وأول الناس منهم صدق الرسلا وانه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت ياحسان كما سيأتى عند الكلام على الهجرة وقول بعض الحفاظ ان أبا بكر رضى الله عنه أول الناس أسلاما هو المشهور عند الجمهور من أهل السنة لا ينافى ماتقدم من أن عليا أول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لأن المراد أول رجل بالغ ليس من الموالى أسلم أبو بكر أى وعبارة ابن الصلاح والاورع أن يقال أول من اسلم من الرجال الأحرار أى غير الموالى أبو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة وهذا وماقبله يدل على أن اسلام زيد بن حارثة كان بعد البلوغ وإلا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالى تأمل أو أن مراد من قال أن أبا بكر سبق عليا فى الاسلام أى فى اظهار الاسلام لأنه حين أسلم اظهر اسلامه بخلاف على فقد جاء عن على رضى الله عنه أنه قال أن أبا بكر رضى الله عنه سبقنى إلى أربع وعد منها اظهار الاسلام وقال وأنا اخفيته ولعله لا ينافى ذلك ماجاء بسند حسن أن أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب لأن ذلك كان عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فى دار الارقم كما سيأتى فالاولية فى اظهار الاسلام اضافية * قال ابن كثير وورد عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال انا أول من أسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روى فى هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر منكرة كلها لا يصح شىء منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها مراده أول من أسلم من الصبيان فالاولية اضافية ومما يؤثر عن على رضى الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعوا ويستبطىء الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصى * وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضى الله تعالى عنها أم الفضل زوج العباس وأسماء بنت أبى بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب وينبغى أن تكون أم أيمن سابقة فى الاسلام على أم الفضل على ماتقدم وقول السراج البلقينى موافقة للزين العراقى أن أول رجل أسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبى صلى الله عليه وسلم أنا أشهد أنك الذى بشر بك عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس موسى وأنك نبى مرسل قد علمت مافيه وانه انما كان من

وفيناقال رضوان الله والجنة قالوا رضينا أبسط يدك فبايعوه وأول من بايعه البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم ابن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة الذين بايعوه أولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية وقيل ان أبا الهيثم بن التيهان قال



أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثناعشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحوار يين عيسى بن مريم عليه السلام فقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يا رسول الله وأبايعك على أن أتم عهدى بوفائى وأصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يا رسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا ارأف فيه القريب ولا البعيد أى لا اعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت ابايعك يارسول الله على ان لا تاخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع ابايع الله وابايعك يارسول الله على ان لا اعصى لك امرا ولا اكذب لك حديثا فلما تمت البيعة وهى بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من راس العقبة باشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب وهى منازل منى وفي رواية يا أهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة

ور

يعنى بمذمم محمدا و بالصباة من تابعه فانهم قد أجمعوا أى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الباء الموحدة أى شيطان يسمى بهذا الاسم اسمع اي عدو الله اما والله لا فرغن لك فهرب وعند ذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انفضوا إلى رحالكم وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه بنو

---

أهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبي وهو يرد القول المتقدم بان وفاة ورقة تأخرت عن البعثة فورقة ونحوه كبحيرا ونسطورا من أهل الفترة لا من أهل الاسلام ويؤيده ما تقدم انه باجماع المسلمين لم يتقدم خديجة فى الاسلام لا رجل ولا امرأة لكن هؤلاء من القسم الذى تمسك بدين قبل نسخه وآمن وصدق بانه صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر وذلك نافع له فى الآخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفى ورقة لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى الى آخر ما تقدم وعلى تسليم انه لا يشترط فى المسلم أن يؤمن ويصدق برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها بل يكفى ولو قبل ذلك فليس ورقة بصحابى لأن الصحابى من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالى أى محكوما بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبي على ابن منده أى ومن وافقه كالزين العراقى فى عده له من الصحابة أى كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله الاظهر ان من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من اهل الفترة هذا كلام الحافظ الذهبي والمراد بالرسالة نزول يا أيها المدثر لاظهارها ونزول قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء على تأخر الرسالة عن النبوة (وحين أسلم أبو بكر رضى الله عنه دعا الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فاسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس أى ولما أسلم عثمان رضى الله تعالى عنه أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية والدمروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا ادعه أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع * وفى كلام ابن الجوزى أن المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك * وجاء لكل نبي رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان (واسلم بدعاء ابى بكر أيضا الزبير بن العوام) رضى الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه اى وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحرث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية بن خلف لى صديقا فقال لى يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال لى انى لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان ينادينى بذلك قال وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت إذا قدمت نزلت على عسكلان بن عوا كف الحميرى فكان يسألنى هل ظهر فيكم رجل له نباله ذكر هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم فاقول لا حتى كان السنة التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه إلى آخر القصة وعن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف انت آمين فى أهل الأرض أمين فى أهل السماء وجاء أنه وصفه بالصادق الصالح البار (وأسلم بدعاية أبى بكر رضى الله تعالى عنه أيضا سعد بن أبى وقاص أى فان أبا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يبعد وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن امره فاخبره به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو رضى الله تعالى عنه من بنى زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد خالى فلير نى امرؤ خاله (وفى كلام السهيلى) انه عم آمنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت له الست تزعم ان الله يامرك بصلة الرحم

الأوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الأنصار الذين كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت انما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة وصراخ ابليس الذى هو ابو الجن ويجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وانه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله (٣١٣) لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائمة على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم أن الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم وفى كتاب الشريعة أن الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج قال عمرو بن العاص فاتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبرته بصوت منبه بن الحجاج أتاكم فاخبركم بهذا منبه قلنا لعله ابليس الكذاب ولا ينافى سماع عمرو وأبى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء اجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يامعشر الاوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى ابغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شىء وكل واحد يقول لهم وما كان قومي ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤامرونى وصدقوا الانهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فاما سعد فمسك وعذب فى الله واما المنذر فافلت ثم أنقذ الله سعدا من

و بر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد أى وتمس اسافا ونائلة فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فانزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفى رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكلى ان شئت أولا تاكلى فلما رأت ذلك أكلت ﴾ * وفى الانساب للبلاذرى عن سعد قال اخبرت أمى انى كنت أصلى العصر أى الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت فوجدتها على بابها تصيح ألا أعوان يعينونى عليه من عشيرتى أو عشيرته فاحبسه في بيت وأطلق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم ارسلت الى أن عد الى منزلك ولا تتضيفن فيلزمنا عار فرجعت الى منزلى فمرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالشر وتعيرنى باخى عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقى منها ما لم يلق أحد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت والناس مجتمعون على أمى وعلى أخى عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهى تعطى الله عهدا الا يظلها نخل ولا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صباته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تاكلين ولا تشربين حتى تتبوئى مقعدك من النار وجاء انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن ابى وقاص ان يأتى الحرث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه فى مرض فنزل بسعد وكان ذلك فى حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن ابن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحرث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن انى لارجو أن يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون ثم قال للحرث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله انى لارجو شفاءه فيما ينفعه من رجله هل معك من هذه الثمرة العجوة شىء قال نعم فخلط ذلك التمر بحلبة ثم أوسعها سمنا ثم أحساه اياها فكانما نشط من عقل وهذا استدل به على اسلام الحرث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وأنكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة أهل الكفر فى الطب إذا كانوا من أهله (وممن أسلم بدعاية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أيضا طلحة بن عبد الله التيمى فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب كما فاسلم) أى ولما تظاهر أبو بكر وطلحة بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى أسد قريش فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمى ابو بكر وطلحة القرنيين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية * أقول سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا فقال هل ظهر أحمد بعد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل

أيدي المشركين روى عنه رضي الله عنه أنه قال لما ظفروا بي ربطوا أيدي في عنقي ولا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني حتى ادخلوني
مكة فاوى إلى رجل وهو أبو البختري بن هشام مات كافرا وقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت أجير
لجبير بن مطعم جاره وامنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحرث بن حرب بن أمية وهو أخو أبي سفيان فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين
ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما  فوجدهما في المسجد فقال لهما أن رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما

فقالا من هو فقال يقال له سعد بن عبادة فجا آ فخلصاه من أيديهم وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع على رجل أبيض وضيء زائد الحسن فقلت في نفسي أن يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده فلطمني لطمة شديدة فقلت في نفسي والله ماعندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم أن الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم فلم يكن اسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ ابن عمرو وكان لعمرو في داره صنم من خشب يقال له مناة لأن الدماء كانت تمنى أي تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه

فكان فتيان قومه ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن ما
معاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا بعد اخراجه من داره فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من غدا على مناة هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا غسله غدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه في عنقه ثم قال ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسوا غدوا

كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فاخبرته بما قال الراهب فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر بذلك وأسلم طلحة وطلحة هذا هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل آخر في اسمه واسم أبيه ونسبه وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه الآية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لاتزوجن عائشة وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة أجل مقاما من أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه هذا كلامه والحاصل أن أبا بكر أسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة بن الجراح وكان كل من أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل والله أعلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر في الأصل جماعة من السابقين للاسلام منهم عبد الله بن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث به قال كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر بن أبي قحافة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص لا ضرع لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا كذا في الأصل وفي الصحاح كما في النهاية الشصوص التي ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الأصل لا ضرع لها أي لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع أي محل اللبن فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان أي لا وجود له على ظاهر ما في الأصل أو لا لبن فيه على ما في النهاية كالصحاح والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

ورب عناق ما نزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

قال ابن مسعود فلما رأيت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله علمني فمسح رأسي وقال بارك الله فيك فانت غلام معلم أقول فان قيل قول ابن مسعود ولكني مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها يخالف ما سيأتي في حديث المعراج والهجرة أن العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع ماذونا له في ذلك واذا كان ذلك أمرا متعارفا مشهورا يبعد خفاؤه قلنا قد يقال لا مخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين لجواز ان يكون تلك الغنم التي كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد قاصدها مسافرا ولعله لا ينافي ذلك

عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فاسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن

* أى حبل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لأن قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم أوى أى استند إلى قوم اهل حرب ونجدة ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا مابين مفتونين فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة فمكث أياما لا يأذن ثم قال أرأيت دار هجرتكم أرأيت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين اعظم جبال العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فأذن حينئذ وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا أى متتابعين يخفون ذلك وفي رواية أرأيت في المنام أني هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى اى وهمى إلى أنها اليمامة او هجر فاذا هى المدينة يثرب ولعله أنسى قول جبريل ليلة الاسراء صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم تذكره بعد ذلك فى قوله قد اخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخى بين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة رضى الله عنهما وبين عثمان وعبد الحق بن عوف رضى الله عنهما وبين الزبير وابن مسعود رضى الله عنهما وبين عبادة بن الحرث وبلال رضى الله عنهما وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي

ماسياتى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أبيح له اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما إذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له (وكان عبدالله بن مسعود يعرف بامه وهى أم عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضى الله تعالى عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبدالله فى الميزان اثقل من أحد وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه رضيت لامتى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد وقوله لرجل عبد الله فى الميزان يدل للقول بان الموزون الانسان نفسه لاعمله وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشى امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره إذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم أقف على أنه أسلم حين اجفلت الشاة (لكن قول العلامة ابن حجر الهيتمى فى شرح الاربعين أسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى آخره يدل على أنه أسلم حينئذ) ومما يؤثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان فيها من سرور فهو ربح والله اعلم (وذكر فى الاصل ان من السابقين أباذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيما قال وسبب اسلامه ماحدث به قال صليت قبل أن ألقى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهنى ربى فبلغنا ان رجلا خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لأخى انيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه واتنى بخبره فلما جاء أنيس قلت له ما عندك فقال والله رأيت رجلا يامر بخير وينهى عن الشر وفى رواية رأيته على دينه يزعم ان الله أرسله ورأيته يامر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفنى حتى أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا ثم أقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لا أعرفه واكره أن أسال عنه فكنت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على بطنى سخفة جوع والسخفة بالتحريك قيل حرارة يجدها الانسان من الجوع ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جاآ فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته أتيته فقلت السلام عليك يارسول الله اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت من ثلاثين ليلة ويوم ههنا قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما أجد على بطنى سخفة جوع قال مبارك انها طعام طعم وشفاء سقم أى وجاء ماء زمزم لما شرب له إن شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقيا الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان أباذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسام السلام عليك التى هى تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله

عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يأخذه في الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أي السماء ولا أقلت الغبراء أي الارض اصدق من أبي ذر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم وفي الحديث أبو ذر أزهد أمتي وأصدقها وقد هاجر أبو ذر الى الشام بعد وفاة أبي بكر واستمر بها الى أن ولي عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة فكان بها حتى مات فان أبا ذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن) * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن لقيا أبي ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وانه قال له ما أقدمك هذه البلدة فقال له أبو ذر ان كتمت علي اخبرتك وفي رواية ان أعطيتني عهدا وميثاقا أن ترشدني أخبرتك ففعل قال ابو ذر فاخبرته فارشدني وأوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفي الامتاع أن عليا استضاف أبا ذر ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره ثم في الثالث قال ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت علي أخبرتك قال فاني أفعل قال له بلغنا انه خرج هنا رجل يزعم انه نبي فارسلت أخي ليكلمه ولم يشفني من الخبر فاردت أن القاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهي أي خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كاني اصلح نعلي وفي لفظ كاني اريق الماء فامض أنت قال أبو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني الحديث وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له من كان يطعمك وجواب أبي ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لي طعام الا ماء زمزم يبعد أن يكون علي رضي الله تعالى عنه اضاف أبا ذر ولم يأكل عنده وكذا يبعده ما جاء ان أبا بكر قال يا رسول الله ائذن لي في اطعامه الليلة قال أبو ذر فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته الا أن يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين أي رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع علي فاسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فاسلم بان يكون ابو ذر دخل عليه أولا مع علي ثم لقيه في الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففي ليلة لم يطف بالبيت أحد الى آخره والا فيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم له من الرجل الى آخره ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا أبا ذر اكتم هذا الامر وارجع إلى قومك فاخبرهم يأتوني فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت في أول الاسلام خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي ما يأتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلى صوتي أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقالوا اقوموا الى هذا الصابيء فضربت لاموت وفي لفظ فمال علي اهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي فاكب علي العباس ثم قال لهم ويلكم الستم تعلمون

وقاص رضي الله عنهما وبين أبي عبادة وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما وبين علي بن أبي طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فأنت أخي في الدنيا والآخرة وانكر ابن تيمية مؤاخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمؤاخاة انما هي بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري لأن المؤاخاة انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض قال الحافظ ابن الحجر وهذا رد للنص بالقياس والحكمة في مؤاخاة المهاجرين ان بعضهم كان اقوى من بعض في المال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وبهذا ظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقوم بامره قبل البعثة وبعدها وفي الصحيح أن زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المواخاة وكان أول من هاجر منهم الى المدينة ابو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو اول من يدعى للحساب اليسير لانه لما قدم من الحبشة لمكة اذاه أهلها وأراد الرجوع إلى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة وخرج يقود البعير فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم اقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا ابا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبي سلمة رضي الله عنه وقالوا ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا نتزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى اطلقوا يده من الخطام وأخذ الولد قوم ابيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكي حتى مضت سنة فمر بها رجل من بني عمها

فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقي زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبي سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيراً وجعلت ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي أي صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا يومئذ ثم أسلم رضي الله عنه فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان  بن طلحة فانه لما رآني قال الى اين قلت الى زوجي قال أو ما معك أحد قلت لا ما معي الا الله تعالى وابني هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وصار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء واخذ البعير فحط عنه ثم قيده في شجرة ثم أتى الى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادني وجمع بين القول بان مصعب بن عمير أول من هاجر والقول بانه أبو سلمة بان أبا سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه واما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة أول من هاجر أي من بني مخزوم فلا ينافي انه ليس باول بالنسبة لغير بني مخزوم وأول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة رضي الله عنها وقيل ليلى بنت أبي حثمة وقيل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها ثم هاجر عمار وبلال وسعد وفي رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا أي بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعياش ابن أبي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يهاجر معه وقال تجدني أو أجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا

---

تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عني قال فجئت زمزم فغسلت عني الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع وأدركني العباس وكان معه كالأمس فخرجت وأتيت أنيسا فقال ما صنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالي رغبة عن دينك فاني قد أسلمت وصدقت فاتينا آمنا فقالت مالي رغبة عن دينكما فاني أسلمت وصدقت ثم أتينا قوما غفارا فاسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثاني أي لأنه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم بك ويأجرك فيهم وجاءت أسلم القبيلة المعروفة فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي أسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله أي (وقد ذكر ان ابا ذر وقف يوما عند الكعبة أي في حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور) وممن أسلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قيل كان حين أسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو أول من أسلم من اخوته ويمكن أن يكون ذلك محمل قول ابنته أم خالد أول من أسلم أبي أي من اخوته وسبب اسلامه أنه رأى في النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى أنه على شفيرها وان أباه يريد أن يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فذكر له ذلك فقال له أريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا محمد ما تدعو قال أدعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفي الوفاء عن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور أي من زمزم ثم علا في السماء فاضاء في البيت ثم أضاء مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاضاءها حتى اني لانظر الى البسر في النخل فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد وكان جزل الرأي فقال يا أخي ان هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب الا ترى انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد مبعثه فقال يا خالد انا والله ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم خالد وعلم ابوه بذلك وهو سعيد ابو جيحة وكان من عظماء قريش كان اذا اعتم(١) لم يعتم قرشي اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

أبا جيحة من يعتم عمته    يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد ارسل في طلبه فانتهره وضربه اي بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب ابوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت

عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى أسهما في يديه واختصر عنزته وهي الحربة الصغيرة أي علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملائة من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف من أراد ان تثكله أمه أي تفقده ويؤتم أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي (٣١٨) قال على رضى الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه وفي المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر رضى الله عنه اخوه زيد بن الخطاب رضى الله عنه وكان أسن من عمر رضى الله عنه واسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضى الله عنه في خلافة الصديق رضى الله عنه سنة ثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر رضى الله عنه يقول اخى سبقنى الى الحسنيين أسلم قبل واستشهد قبلي وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضى الله عنه سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله بن جحش رضى الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت أبي سفيان رضى الله عنها واما اختها أم حبيبة رضى الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة في صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخي عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات وبقيت هي بارض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا بها ثم ارسل صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد ابن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها فزوجها من النبي صلى الله عليه وسلم على يد النجاشي وجعفر بن أبي طالب ثم هاجرت الى المدينة رضى الله عنها فصارت من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا جهل وأخاه (الحرث بن هشام قبل اسلامه (فانه أسلم بعد ذلك رضى الله عنه) قدما المدينة صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش

باب

قال ان منعتني فان الله يرزقني ما أعيش به فاخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا اسلموا الا يكلمه أحد منكم الا صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فكان خالد اول من هاجر اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعني الله من مرضي هذا الا يعبد اله ابن أبي كبشة بمكة أبدا فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم اضاءت له منه نخل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد فكانت سبب اسلامه وانه قصها على أخيه عمرو والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعددها هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما واسلم من بني سعيد أيضا أبان والحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله أي (ومن السابقين للاسلام صهيب كان أبوه عاملا لكسرى أغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض أهل مكة أي وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من) صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال له عمار بن ياسر أين تريد يا صهيب قال أريد ان أدخل الى محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا أريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما ما حفظ من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى أمسيا خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وأبيه فسألاه أين كان فاخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ماحفظ من القرآن في يومه ذلك فاعجبهما فاسلما على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب * وأسلم أيضا حصين والد عمران بن حصين رضى الله تعالى عنهما بعد اسلام والده عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا اكلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ وعمران ولده والصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحد في السماء فقال فاذا أصابك الضر لمن تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال من تدعوا قال الذي في السماء قال فيستجيب لك وحده وتشرك معه أرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أي عتبته رأته قريش قالوا قد صبا وتفرقوا عنه)

﴿ باب استخفائه صلى الله عليه وسلم واصحابه فى دار الارقم بن ابى الارقم رضى الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام جهرة وكلام قريش لابى طالب فى أن يخلى بينهم وبينه وما لقى هو وأصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه ﴾

عن ابن اسحق أن مدة ما اخفى صلى الله عليه وسلم أمره أى المدة التى صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول ياايها المدثر ثلاث سنين أى فكان من أسلم اذا أراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين أى كما تقدم فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو اول دم أهرق فى الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم وأصحابه مستخفين فى دار الارقم أى بعد هذه الواقعة فان جماعة أسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هى المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور وأعطاها ولده المهدى ثم أعطاها المهدى للخيزران أم ولديه موسى الهادى وهرون الرشيد ولا يعرف امرأة ولدت خليفتين الا هذه ولادة جارية عبد الملك بن مروان فانها أم الوليد وسليمان * وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شىء فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى أن أمره الله تعالى باظهار الدين أى وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو وأصحابه فى دار الارقم الى ان اظهر الدعوة وأعلن صلى الله عليه وسلم فى السنة الرابعة أى وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم أربع سنين واعلن فى الخامسة وقيل اقاموا فى تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان فى الرابعة أو الخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وبقوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أى أظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب أى وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد المطلب بدليل ما يأتى قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها وقال بعضهم انما الامر بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله عليه وسلم قال ذكر بعضهم انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا أى عجز عن احتماله * فمكث شهرا أو نحوه جالسا فى بيته حتى ظن عماته انه شاك أو مريض فدخلن عليه عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيئا لكن الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فاريد ان أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه أبا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم أى وكنى عبد العزى بابى لهب لجمال وجهه ونضارة لونه كان وجهه وجبينه ووجنتيه لهب

ابن أبى ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما وكان أصغر ولد امه فقالا له أن أمسك نذرت ان لاتغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفى رواية لاتاكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له أنت أحب ولد أمك اليها وانت فى دين منه البر للوالدين فارجع الى أمك واعبد ربك كما تعبد فى المدينة فرقت نفسه فصدقهما واخذ عليهما المواثيق أن لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضى الله عنه ما يريد الا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمى ولى مال هناك آخذه فقال له عمر رضى الله عنه خذ نصف مالى ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت فخذ ناقتى هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان نابك منهما ريبة فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه أى شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا فى وقت النهار وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفائكم كما فعلنا بسفهائنا ولما جىء به مكة ألقى فى الشمس وحلفت أمه أنه لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العصام وغيره وجعل كل واحد منهما فى قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم فى قنوت الصباح فيقول اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فاسر مع من اسروا افتكه أخواه خالد وهشام بن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فاسلم وأراد الهجرة فحبسوه وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفتدى فقال كرهت اليسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله

صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه) وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه كان أكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يثني عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند موته لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا ما جعلتها أي الخلافة شورى قال ابن عبد البر المعنى  انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم رضي الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر

النار أي خلافا لما زعمه بعضهم ان له ولده عقير الاسد أو ولدا آخر غيره كان اسمه لهبا قال في الاتقان ليس في القرآن من الكنى غير أبي لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى أي الصنم لأنه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفي كلام بعضهم ما يفيد أن الاستعمال حرام أيضا الا أن يشتهر بذلك كما في الأوصاف المنقصة كالأعمش * وفي كلام القاضي وانما كناه والكنية تكرمة أي بالعدول عن الاسم اليها لاشتهاره بكنيته ولأن اسمه عبد العزى الذي هو الصنم فاستكره ذكره ولأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله في الآخرة فهي كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة أو تعريف لأن ذلك خاص بالكنية التي تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم بما أنزل الله عليه أسمعه ما يكره قال تبا لك ألهذا جمعتنا أي وأخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رأيت أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بأشر ما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس انتهى أي وفي الامتاع أن أبا لهب ظن انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هؤلاء عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وان أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخي أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بشر ما جئتهم به وعند ذلك أنزل الله تعالى تبت أي خسرت وهلكت يدا أبي لهب وتب اي خسر وهلك بجملته أي والمراد بالاول جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد به الدعاء وبالثاني الخبر على حد قولهم أهلكه الله وقد هلك أي ولما قال أبو لهب عند نزول تبت يدا أبي لهب وتب ان كان ما يقوله محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي نزل ما أغنى عنه ماله وما كسب اي وأولاده لأن الولد من كسب أبيه أي وفي رواية وهي في الصحيحين انه دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار أي وفيه انه انما أمر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني زهرة انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار يا صفية عمة محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيئا وفي لفظ لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا ان تقولوا لا إله إلا الله اي لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم مني فهو حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال) غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها اي اصلها بالدعاء اي والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الماء او اللبن وبل رحمه اذا وصلها وبلوا ارحامكم ندوها بالصلة * وفي الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها وقد ذكر أئمتنا ضابط الصلة وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها اصغرهن وقيل اصغر بناته رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم صفية من بين عماته حكمة لا تخفى * ومن الغريب ما في الكشاف من زيادة يا عائشة بنت ابي بكر يا حفصة بنت عمر

رضي الله عنه بميراثه لمعتقته فأبت ان تقبله وجعلته في بيت المال (ولما اراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعده هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد ان تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب ارايتم ان جعلت لكم مالي اتخلوا سبيلي قالوا نعم قال فاني قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفي الخصائص الكبرى عن صهيب رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر رضي الله عنه وقد كنت اردت الخروج معه فصدني فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد ان تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك ابدا قال فقلت لهم هل لكم ان اعطيتكم أواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي تفعلوا قالوا نعم فقلت احفروا وعندي تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال يا ابا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك احد وما اخبرك الا جبريل عليه السلام واخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في

وعندي ان ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط بعض الرواة وأنا هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الى ان تقولوا لا اله الا الله مع انه تقدم أن بناته عليه السلام لم يكن كفارا فليتامل ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوأ وأنها الجنة أبدا أو النار أبدا والله يا بنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به أنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبى لهب فانه قال يا بنى عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يده قبل أن يأخذ على يده غيركم فان أسلمتموه حينئذ ذللتم وان امتنعتموه قتلتم فقالت أخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنها أى أخى أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضىء أى أصل عبد المطلب نبي فهو هو قال هذا والله والباطل والأمانى وكلام النساء فى الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعه ما بقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا والمروة وقال ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سنح بالنون والحاء المهملة أى أصل وفى لفظ سفح بالفاء والحاء المهملة هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبونى قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا إنى لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد أى وفى لفظ أنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله فجعل يا صباحاه يا صباحاه أتيتم أتيتم * ومن أمثاله صلى الله عليه وسلم أنا النذير العريان أى الذى ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار أى ظاهر وقيل الذى جرده العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف مثل أو اختلفت الروايات فى محل وقوفه ففى رواية وقف على الصفا كما تقدم وفى رواية وقف على اضمة من جبل فعلا اعلاها حجرا يهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج ارسل رسولا الحديث) وفى رواية صاح على أبى قبيس يا آل عبد مناف انى نذير * (وروى انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع بنى عبد المطلب فى دار ابى طالب وهم اربعون * وفى الامتاع خمسة واربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم على طعاما أى رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا بسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفى رواية حتى رووا) وفى رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة وفى رواية ليشرب العس من الشراب فى مقعد واحد فقهرهم ذلك (فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم

كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون إلى حتى أرمى بكل سهم من كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى شىء منه ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفى رواية قالوا له دلنا على مالك ونخلى سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم إنى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى وتتركوا لى راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآنى أبو بكر رضى الله عنه قام فبشرنى بالآية التى نزلت فى وفى رواية فتلقانى أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرنى ماذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان روميا أغارت خيل على دجلة أو الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضى الله عنه فى يوم واحد قال صهيب رضى الله عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وكان رضى الله عنه فيه مجمة شديدة وكان يحب الدعابة وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لى أتاكل وبك رمد فقلت يا رسول الله امصه من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهيل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه أن صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول أن صهيبا إذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه وإذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر

روا‌ها بعضهم على وجه آخر هو أنه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد أحدى عينيه فقال أتأكل رطبا وأنت ارمد فقال انما آكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي ولا مانع من التعدد أي لكل من القصتين ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة خرج الناس ارسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان بن عفان رضي الله عنه واشتد الاذى على  المستضعفين ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه من

اصحابه الا علي بن ابي طالب وابو بكر او من كان مستضعفا محبوسا عند قريش وكان الصديق رضي الله عنه كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر رضي الله عنه ان يكون الصاحب هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله رجاءه وفي رواية للبخاري استاذن ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر هل ترجو ذلك بابي وامي قال نعم فحبس ابو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر ثم ان قريشا لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا انهم صار لهم أصحاب من غيرهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة اي سلاح وباس حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم اهل

وعرفوا انه اجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة دار قصي بن كلاب قال الحلبي دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب الى المسجد اعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي الا ان بلغ اربعين سنة بخلاف القرشي وقد ادخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته وكان اجتماعهم يوم سبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر

بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية مجد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عدلنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الاقربين وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويؤازرني أي يعاونني على القيام به قال علي أنا يا رسول الله وأنا أحدثهم سنا وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال أنا يا رسول الله قال اجلس ثم عاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال أنا يا رسول الله فقال اجلس ثم عاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه أحد منهم فقام علي فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس فانت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي قال الامام ابو العباس ابن تيمية أي في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه أي الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال أحمد انه ليس بثقة عامة أحاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يضع الحديث (وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت له طعاما ثم قال لي ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون علي فعل ذلك عند خديجة وجاء الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك حرصا على أهل بيته فلما دعا أهل قومه ولم يردوا عليه ويجيبوه أي وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان صلى الله عليه وسلم اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم أي حتى انه مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد الاصنام حبا لتقربنا الى الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتناكروه واجمعوا اخلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا أي عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل اباءنا فاما أن تكفه عنا واما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الله وفي الكفر شدة واباء

أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

أي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعاتهم الى الله تعالى بان يقولوا لا اله الا الله حسبما أمر فقد جاء أن جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة وقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال انه في

وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون فى أمره صلى الله عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمي ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى أسد وبنى مخزوم وبنى جمع وبنى الحرث وبنى كعب وبنى تيم وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأى والحجا عنهم أحد وجاءهم ابليس فى صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذى قعدتم له فحضر ليسمع ماتقولون وعسى ان لا يعدمكم رايا ونصحا قالوا ادخل فدخل وانما تمثل فى صورة شيخ نجدي لانهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة احد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل بصورة نجدى وتهيأ بهيئة تعظم فى عيونهم ثم قال بعضهم لبعض أن هذا الرجل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما رأيتم وأنا والله لا نامنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو أبو البحترى بن هشام احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدى ماهذا برأى والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه الى اصحابه فلا تشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى فانظروا فى غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامرى ولم يعلم له اسلام نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب فقال النجدى لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما امنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ امركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير

---

أهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن اتباعه اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار داء الضلال أى داء هو الضلال فيهم عضال يعنى الاطباء مداواته وحصول شفائه ثم شرِيَ الأمر أى بالشين وكسر الراء وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أى أضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض أى حث بعضهم بعضا عليه أى على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا ياأباطالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنتهى ابن اخيك فلم تنته عنا وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفية أحلامنا أى عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا الى كذا وكذا فابق علىَّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وانه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حصلت له العبرة التى هى دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال اقبل يا ابن أخى فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك وانشد أبياتا منها

والله لن يصلوا اليك بجمعهم  حتى أوسد فى التراب دفينا)

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير الممحو واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذى جاء به نور قال تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره * ومن غريب التعبير ان رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فقال لسيدنا عمر انى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لى عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم (فلما عرفت قريش ان أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له ياأباطالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أنهد أى اشد واقوى فتى فى قريش وأجمله فخذه لك ولدا أى بان تتبناه وأسلم الينا ابن اخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو كرجل فقال لهم أبو طالب والله لبئس ما تسومونى أتعطونى ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا أى وقال أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها () قال المطعم بن عدى والله ياأباطالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال له أبو طالب والله ما انصفونى ولكن قد أجمعت أى قصدت خذلانى ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع ما بدا لك أى وقدمات عمارة بن

هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تاخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول أبي جهل الذي صوبه ابليس أن يعطى خمسة



رجال من خمس قبائل سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرين مثلا ان يضربوا شخصا ضربة وحدة فقال لهم خمسة رجال ثم اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه أي يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال الحافظ الدمياطي في سيرته فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته أي يوقعون القتل به ليلا وقيل احدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بني هاشم فلا يتم لهم أخذ ثاره فامر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببردله صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم أتشح ببردي هذا الحضري الأخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك اذا نام فكان علي رضي الله عنه أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يكون امتثل امر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يقول له لن يخلص اليك شيء فصدق عليه انه بالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني *

---

الوليد هذا على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كما سيأتي ومات المطعم ابن عدي المذكور على كفره أيضا فعند عدم قبول أبي طالب ما أرادوه واشتد الامر لما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الإيذاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل أبو جهل فقال لله علي أن رأيت محمدا ساجدا ان أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول أبي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شان ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى إلى أن بلغ آخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال أبو جهل الاترون ما أرى لقد سد افق السماء علي وفي رواية رأيت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي ان قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في أبي جهل * ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان أبا جهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آلهتنا وتسفيه احلامنا وسب آبائنا اني أعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدوا الى الصلاة أي وكانت قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام إلى صخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في انديتهم وهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا بالصورة مع الكدرة من الفزع وقد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده أي بعد أن عالجوا افكه من يده فلم يقدروا كما سيأتي وقامت اليه رجال من قريش وقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت اليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

أي وأبو جهل الذي هو أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ان هم أن يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أبصر عنق الفحل وقد برزت اليه كأنه الداهية العظيمة أي فرجع عن ذلك الرمي بذلك الحجر أي وفي رواية ان أبا جهل قال رأيت بيني وبينه كخندق من نار ولا مانع ان

وقد وطنت نفسي على القتل والاسر وكان في القوم الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة ابن الاسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل ان محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفي رواية الامام احمد حتى لحق بالغار أي غار ثور رفاقا دانه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا فاتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل انه ابليس في صورة النجدي فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ماترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه برده قال الزهري وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه وذكر السهيلي انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها لسبة في العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا وكان تسور الجدار ممكنا لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع في الظاهر والمانع في الحقيقة باطنا حماية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم واظهار عجزهم فاقاموا بالباب يحرسون عليا يحسبونه النبي عليه الصلاة والسلام حتى يقوم في الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما اصبحوا اقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا له

يكون وجد الامرين معا * وذكر في سبب نزول قوله تعالى أنا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي أنا جعلنا أيديهم متصلة باعناقهم واصلة الى اذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان الآية الاولى نزلت في أبي جهل لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ماوقع لابي جهل قال أنا اقتل هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم بن أبي العاص أي ابن مروان بن الحكم ان ابنته قالت لما رأيت قوما كانوا اسوأ رأيا واعجز في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية فقال لها لا تلوميننا يا بنية اني لا أحدثك الا ما رأيت لقد اجمعنا ليلة على اغتياله صلى الله عليه وسلم فلما رأيناه يصلي ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه مابقي بتهامة جبل الا تفتت علينا أي ظننا انه يتفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى الله عليه وسلم ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقا احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه ويتامل هذا لان صلاته صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه أبو جهل فقال ألم انهك عن هذا فانزل الله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن صلاته زأره ابو جهل أي انتهره وقال انك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أي وقال يوما ولقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني أمنع اهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فانزل الله تعالى فيه ذق انك أنت العزيز الكريم كذا قاله الواحدي أي تقول له الزبانية عند القائه في النار ما ذكر توبيخا له (ومن ذلك ماحدث به بعضهم) قال لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي ام جميل واسمها العوراء وقيل اسمها اروى بنت حرب اخت سفيان بن حرب (ولها ولولة وفي يدها فهر) أي بكسر الفاء وسكون الهاء حجر يملأ الكف فيه طول يدق به في الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يارسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال عليه الصلاة والسلام انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني أي وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا ومايقول الشعر أي ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر اي لا يحسن انشاءه قالت له انت عندي تصدق وانصرفت) أي وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها أي تعني عبد مناف جد أبيها ومن كان عبد مناف اباه لا ينبغي لاحد أن يتجاسر على ذمه (قلت يا رسول الله لم تركك قال لم يزل ملك يسترني بجناحه اي فقد جاء في رواية انه عليه الصلاة والسلام قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحد فسألها أبو بكر فقالت اتهزأ

أين صاحبك قال لا أدري وصدق الله قول النبي صلى الله عليه وسلم له لن تخلص اليك شيء تكرهه منهم وقيل انهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم فعرفوه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري وقيل أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا انه خرج علينا وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيرا لهذه النعمة قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين  كفروا الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا والحكمة في هجرته الى المدينة أن تتشرف به الازمنة والامكنة والاشخاص لانه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم انه قد تشرف بها لان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فامره بالهجرة إلى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الاجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي انه أفضل من العرش قال السيد السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهي غير متناهية الدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات (وكان خروجه) صلى الله عليه وسلم من مكة أول يوم من ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة قال صرمة بن قيس الانصاري الصحابي رضي الله عنه ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر رضي الله عنه روى الحاكم عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأخبر عليه الصلاة والسلام عليا بمخرجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي

---

بي والله ما أرى عندك أحدا أقول وفي الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد معه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر فاقبلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالت أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فمه فقال عمر رضي الله تعالى عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا أكلمك يا ابن الخطاب اي لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر لما تعلمه من لينه وتواضعه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لأنه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أي وفي رواية أقبلت ومعها فهر وهي تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا

(فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لأضربن انثييه بهذين الفهرين قال ابو بكر فقلت لها يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وإن الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم ترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل تجيئها قد تكرر فلا منافاة بين ماذكر وكذا ما يأتي وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال لك إلا لمن ذم مرة بعد أخرى كما أن محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى كما تقدم وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال ألا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد * وفي الدر المنثور أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال اني والله ماهجوتك ماهجاك الا الله قالت رأيتني أحمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا مما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم على عداوته صلى الله عليه وسلم وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم *) وعن عروة ابن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم * والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

(وأعدت حمالة الحطب الفهر جاءت كأنها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من احمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء)

اي وهيأت حمالة الحطب الفهر (ولقبت بذلك لأنها كانت تحتطب أي تجمع الحطب وتحمله لبخلها ودناءة نفسها وكانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استفهامها يبعد الوصفين الاخيرين والفهر والحجر الذي يملأ الكف كما تقدم لتضرب به النبي صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كأنها في شدة السرعة الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة تبت يدا أبي لهب

كانت عنده عليه الصلاة والسلام للناس قال ابن اسحق وليس أحد بمكة عنده شيء يخاف عليه الا وضعه عنده عليه الصلاة والسلام لما يعلمون من صدقه وأمانته ﴿روى البخاري عن عائشة﴾ رضى الله عنها قالت بينما نحن جلوس يوما في بيت ابى بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي مغطيا رأسه ﴿ وفي رواية للطبراني ﴾ عن أسماء رضى الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيا فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فداء له ابى وأمى والله ما جاءنى فى هذه الساعة الا أمر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له ابو بكر رضى الله عنه فدخل فتنحى ابو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر أخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم أهلك بابى انت وأمى وذلك ان عائشة رضى الله عنها كان ابوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه وسلم وأسماء اختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما وقيل ان قول ابى بكر ذلك بمنزلة قول الصديق حريمى حريمك واهلى أهلك يعنى انا وانت كالشيء الواحد فقال صلى الله عليه وسلم قد اذن لى فى الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه الصحبة يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر رضى الله عنه يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر رضى الله عنه فخذ بابى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفى رواية قال لا اركب بعيرا ليس هو لى قال فهو لك قال لا ولكن الثمن الذى ابتعتها به قال اخذتها بكذا وكذا ﴿ وكان ابو بكر ﴾

---

لهب تقول أفى مثلى وأنا بنت سيد بنى مخزوم يقال الهجاء والسبب حالة كونه من أحمد وتولت والحال أنها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء ﴿أقول﴾ فى ينبوع الحياة أنها لما بلغها سورة تبت يدا أبى لهب جاءت الى أخيها أبى سفيان فى بيته وهى مضطرمة أى منحرفة غضبى فقالت له ويحك يا أحمس أى يا شجاع اما تغضب ان هجانى محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا أخية أيسرك أن رأس أخيك فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة أى فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه ﴿ولما نزلت هذه السورة التى هى تبت يدا أبى لهب وقال أبو لهب لابنه عتبة أى بالتكبير رضى الله تعالى عنه فانه اسلم يوم الفتح كما سيأتى راسى من رأسك حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعنى رقية رضى الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع فى كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتأمل ﴿وكان اخوه عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها فقال اى وقد اراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلأوذينه فى ربه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اى وفى لفظ برب النجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفى رواية اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما كان اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى ابيه ابى لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الأرض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبى وحقى فقالوا اجل يا ابا لهب فقال اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفى رواية فضغ رأسه وفى رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفى رواية فضغمه ضغمة فكانت اياها فقال وهو بآخر رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان ليفلت من دعوة محمد ﴿اقول﴾ وحلفه بالنجم الى آخره يدل على ان ذلك كان بعد الاسراء والمعراج ﴿ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له هذا فلان ينشد الناس هجاءكم يعنى اهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل هل علقت من قوله بشيء قال نعم قال فانشد

صلبنا لكم زيدا على راس نخلة * ولم ار مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من على واطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد ﴿وانما سمى الاسد كلبا لانه يشبه الكلب فى انه اذا بال رفع رجله﴾ ومن ثم قيل ان كلب اهل الكهف كان أسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند الباب طليعة لهم فسمى باسم الكلب لملازمته للحراسة ووصف ببسط الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذى هو الحيوان وقد جاء انه ليس فى الجنة من الحيوان الا كلب اهل الكهف وحمار العزيز وناقة صالح والله اعلم ومما وقع لرسول الله صلى الله

رضى الله عنه قدعلف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنه يرجو الهجرة وانما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وأن تكون على اتم الاحوال الافابو بكر رضى الله عنه قد أنفق ماله فى حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقدروى ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت أنفق أبو بكر رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين الف درهم (وروى الزبير) ابن بكار عنها رضى الله عنها ان ابا بكر رضى الله عنه لما مات ماترك دينارا ولا درهما وفى الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس احد من الناس امن على فى نفسه وماله من أبى بكر ﴿ وروى الترمذى ﴾ مرفوعا مالاحد عندنا يد الا كافاة عليها ماخلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وروى ابن عساكر عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان اعظم الناس علينا منا ابو بكر زوجنى ابنته وواسانى بنفسه وان خير المسلمين مالا ابو بكر اعتق منه بلالا وحملنى الى دار الهجرة فالحمل مجاز عن المعاونة والخدمة فى السفر وعلف الدابة اربعة أشهر حتى باعها للمصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضى الله عنها فجهزناهما احث الجهاز أى أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وفى رواية شقت نطاقها فاوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقى فسميت ذات النطاقين وقالت عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه بغار ثور فمكثا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى ماخرجت منك رواه الامام أحمد والترمذى فقال

عليه وسلم من الاذية ماحدث به عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى وقد نحر جزور وبقى فرثه أى روثه فى كرشه فقال أبو جهل الا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد أى فى رواية قال قائل الا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور بنى فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية ايكم ياخذ سلى جزور بنى فلان لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام بشخص من المشركين وفى لفظ أشقى القوم وهو عقبة بن أبى معيط وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أى فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض أى من شدة الضحك قال ابن مسعود فهبنا أى خفنا أن نلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها أى بعد أن ذهب اليها انسان واخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واستمراره فى الصلاة عند فقهائنا لعدم علمه بنجاسة ماالقى عليه ولما القته عنه اقبلت عليهم تشتمهم فقام النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد وطأتك أى عقابك الشديد على مضر سنين كسنى يوسف اللهم عليك بابى الحكم بن هشام يعنى أبا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبى معيط وامية بن خلف زاد بعضهم وشيبة ابن أبى ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع فى رواية فى مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لأنه لم يكن ذلك الوقت موجودا أو كان صغيرا جدا وعمارة بن الوليد أى وهو المتقدم ذكره الذى ارادوا ان يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم اقول والذى فى المواهب فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو ابن هشام الى آخر ما تقدم ذكره فى الامتاع فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان إذا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابى جهل بن هشام الحديث وأن ابن مسعود قال والله لقد رأيتهم وفى رواية رايت الذى سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بان عمارة بن الوليد مات بالحبشة كافرا كما تقدم ويأتى وبأن عقبة بن أبى معيط لم يقتل ببدر وانما اخذ اسيرا منها وقتل بعرق الظبية كما سيأتى وبان أمية بن خلف لم يطرح بالقليب وأجيب بان قول ابن مسعود رايتهم أى رأيت اكثرهم وقد يقال لا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الدعاء وهو قائم يصلى وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله أعلم والمراد بنى يوسف بتخفيف الياء ويروى سنين باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب أى فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أى يخلط الدم باوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاء صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر

فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاء أنهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون اي لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا أي وفيه أن هذا انما كان بعد الهجرة فسيأتي أنه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا إذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الأخيرة من صلاة العشاء وسيأتي مافيه وقد يقال لا مانع أن يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة أخرى سيأتي الكلام عليها ثم رأيت مافي الخصائص الكبرى مايوافق ذلك حيث قال قال البيهقي قد روي في قصة أبي سفيان مادل على أن ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين أي وسيأتي في السرايا أن ثمامة لما منع عن قريش الميرة أن تأتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية فيه أيضا لما أبطؤا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصلت كل شيء الحديث وفي رواية اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى مابينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر * ومن ذلك ماحدث به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فلما حاذاهم أسمعوه بعض مايكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته اي جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين أبي بكر وأدخل أصابعه في أصابعه وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك مابل بحر صوفة وأنت تنهى مايعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع ناهضوه أي قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع أبو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه أي ينزل عليكم عاجلا قال عثمان فوالله مامنهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه أن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله

---

* وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أطيبك من بلد وأحبك الي ولو أن قومي أخرجوني منك ماسكنت غيرك وروى ابو نعيم عن اسحق بلاغا أنه كان من قوله صلى الله عليه وسلم ايضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئا اللهم اعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام اللهم اصبحني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني وعلى صالح خلقي فقومني واليك رب فحببني وإلى الناس فلا تكلني أنت رب المستضعفين وأنت ربي اعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن يحل بي غضبك أو ينزل علي سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة إلا بك ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم إلا علي رضي الله عنه وآل أبي بكر رضي الله عنهم ومنهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه لأنه مولى لأبي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه * وروى أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيته ليلا * وروى أن أبا جهل لعنه الله لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا * ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه قيل أنهم بعثوا شخصين فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور ويروى أنه قعد وبال في أصل شجرة هناك ثم قال ههنا انقطع الأثر ولا أدري أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفي رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا أنه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام إبراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده

غن سيره ذلك بقتل أو أسر ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيرى رضى الله عنه حيث قال ويح قوم جفوا نبيا بارض *
ألفته ضبابها والظباء وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه ووده الغرباء أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء ولما دخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه الغار انبت الله على بابه
شجرة من أم غيلان تسمى الراءة (٣٣٠) تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد ويكون كالريش
لخفته ولينه لانه كالقطن
فحجبت عن الغار اعين
الكفار وأمر الله العنكبوت
فنسجت على وجه الغار
وارسل حمامتين وحشيتين
فوقعتا على وجه الغار
فعششتا على بابه وكل ذلك
مما صد المشركين عنه
وحمام الحرم من نسل
تينك الحمامتين جزاء وفاقا
لما حصل بهما الحماية
جوزيا بالنسل والحماية فى
الحرم فلا يتعرض له *
وفى المثل آمن من حمام
الحرم ثم اقبل فتيان
قريش من كل بطن بعصيهم
وهرويهم وهى العصى
الضخمة وسيوفهم فجعل
بعضهم ينظر فى الغار
فرأى حمامتين وحشيتين
بفم الغار فرجع الى اصحابه
فقالوا له مالك فقال رأيت
حمامتين وحشيتين فعرفت
انه ليس فيه احد فسمع
النبي صلى الله عليه وسلم
ما قاله فعرف ان الله قد
درأ عنه وقال آخر ادخلوا
الغار فقال امية بن خلف
وما اربكم اى حاجتكم الى
الغار أن فيه لعنكبوتا اقدم
من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال ابو بكر رضى الله عنه ان هذا الرجل وجاء
ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا باجنحتها لو كان يرانا مافعل هذا وقيل أن القائف قعد وبال أيضا وفى
رواية أنهم طافوا اجبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث روى أن الحمامتين باضتا فى
أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة

على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر * أقول ولا يخالف ذلك كون عقبة بن أبى معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله أعلم وفى رواية أن عقبة بن أبى معيط وطىء على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان أى وفى رواية دخل عقبة بن أبى معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلى فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم أى وفى البخارى عن عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنى باشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فاخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ولعل أشدية ذلك باعتبار ما بلغ عبد الله ابن عمرو رضى الله تعالى عنه أو مارآه * (وعنه رضى الله تعالى عنه قال مارأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما قد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا الامر كصبرنا الامر هذا الرجل قط ولقد سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر بهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فلمزوه فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا الكلمته صلى الله عليه وسلم تلك وما بقى رجل منهم الا كانما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا نادا كم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا يعنى عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذى أقول ذلك فاخذ رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة والسلام فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فاطلقه الرجل ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا عنه فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى أبى بكر فقيل له ادرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر يضربونه قالت بنته أسماء فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام

القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت بان الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمى على القائف الطلب ورحم الله القائل والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل * وروى ان حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أيضا فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هى جند من جنود الله * وقد روى الديلمى فى مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا فقال فيه اخبرنا والذى قال وأنا أحبها قال وأخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن أبى بكر رضى الله عنه لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر فى الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا * وأما ما يروى من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب ودود القز ان نسجت حريرا

يجمل لبسه فى كل شىء
فان العنكبوت أجل منها
بما نسجت على رأس النبى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم أى اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضى الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة

وجاء أنهم جذبوا رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله أى وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها قالت اجتمعت مشركو قريش فى الحجر فقالوا إذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة فسمعت فدخلت على أبى فذكرت ذلك له أى قالت له وهى تبكى تركت الملا من قريش قد تعاقدوا بالحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة وأساف ونائلة إذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية اسكتى وفى لفظ لا تبكى ثم خرج صلى الله عليه وسلم أى بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم الا قتل ببدر أى وكان يجوار صلى الله عليه وسلم جماعة منهم أبو لهب والحكم بن أبى العاص بن أمية والد مروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه صلى الله عليه وسلم الاذى فاذا طرحوه عليه أخذه وخرج به ووقف على بابه ويقول يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ثم يلقيه فى الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان فى اسلامه شىء وتقدم انه صلى الله عليه وسلم نفاه الى وج الطائف وانه سيأتى السبب فى نفيه وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الأذية له صلى الله عليه وسلم لا يظن ظان انها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تخل جانب النبى مضاما * حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء

أى لا تظن أن النبى صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الأذيات حالة كونها صادرة منهم لأن كل أمر من الامور العظيمة اصاب النبيين فالشدة التى تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع الدرجات والضيقة التى تحصل لهم أيضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التى تصيبهم كالنار التى يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة قال ومما وقع لابى بكر رضى الله تعالى عنه من الاذية ما ذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من أصحابه فيها سرا أى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور أى الخروج الى المسجد فقال يا أبا بكر أنا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه الى المسجد وقام ابو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى وثار المشركون على ابى بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطىء ابو بكر

بالارجل وضرب ضرباشديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين أى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبى بكر وحملوه فى ثوب الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته أى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال اذهبي الى ام جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب اى فانها كانت أسلمت رضى الله تعالى عنها كما تقدم وهى تخفى اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان ابا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاأعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضى الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وانى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم فقال لها أبو بكر مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه امك تسمع قال فلا عين عليك منها أى انها لاتفشى سرك قالت سالم فقال أين هو فقالت فى دار الارقم فقال والله لاأذوق طعاماً ولا أشرب شراباً او آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فامهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكىء على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بابى وأمى أنت يارسول الله ما بى من باس الا ما نال الناس من وجهى وهذه امى برة بولدها فعسى الله ينقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فاسلمت انتهى وذكر الزمخشرى فى كتابه خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لأبى بكر لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتامل فان تعدد الواقعة بعيد (ومما وقع لابن مسعود رضى الله تعالى عنه من الأذية أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ماسمعت قريش القرآن جهرا إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فيكم يسمعهم القرآن جهراً فقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم أنه قام عند المقام وقت الشمس وقريش فى أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فتاملته قريش وقالوا مابال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف إلى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال والله مارأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا قالوا الاقد أسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الأذية أنه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار لأنهم تواصلوا وقالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الأذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه وهو ما حدث به ابن اسحق قال

من الدروع وعن حال من الاطم يعنى انهم ظنوا ان الحمام لاتحوم حوله عليه السلام لأن عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لاتنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا بالفان معمورا فهما أحسا بالاحسان فرامنه * وقد روى ان المشركين لما مروا على باب الغار طاروا الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لوكان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم ان الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت وما علم المشركون ان الله يسخر ماشاء من خلقه لمن شاء من خلقه وان وقاية الله عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهى الحصون ولله در الابوصيرى من شاعر وما أحسن قوله أيضا فى قصيدته اللامية التى أولها

الى متى أنت باللذات مشغول
وانت عن كل ماقدمت مسؤل

حيث قال فيها

واغبرتا حين اضحى الغار وهو به
كمثل قلبي معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه ال
صديق ليثان قد آواهما غيل
وحال الغار نسج العنكبوت على
وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها
وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لايبصرونهما
كأن أبصارهم من زيغها حول

* وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال حدثنى أبو بكر رضى الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الغار وفى رواية حدثنى فرفعت رأسى فرأيت أقدامهم فقلت له لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما أى جاعلهما ثلاثة بضم ذاته اليهما فى المعيه المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا * قال بعض أهل السير أن أبا بكر رضى الله عنه لما قال ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم لوجاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضى الله

الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العميمة وان كان الذى ذكره ماذكر له اسنادا متصلا لكن حسن الظن بالأئمة يقتضى انهم لا يذكرون مثل ذلك الا بتوقيف * وقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه لم يكن تعود الحفاء والجفوة قيل أن ذلك من خشونة الجبل وكان صلى الله عليه وسلم حافيا ومشى ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الارض وقيل انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم وفى بعض الروايات أن أبا بكر رضى الله عنه كان يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله فى بعض الطريق لشدة محبته له صلى الله عليه وسلم وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه كان يمشى بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذكر الطلب فامشى خلفك واذكر الرصيد فامشى امامك وعن يمينك وشمالك لآمن عليك فقال لو كان شيء احببت ان تقتل دونى فقال أى والذى بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ليلة من الليالى أبى بكر رضى الله عنه مما أعطى عمر وآل عمر يعنى بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى استبرىء لك الغار فاستبرأه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من أن يكون في الغار شيء من الهوام ويروى انه قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بى قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه والقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقى جحر فوضع عقبه عليه ويروى فالقمه ابو بكر رجليه لئلا يخرج منه مايؤذى

حدثنى به رجل من أسلم أن أباجهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا أى وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه أى وقيل انه صب التراب على رأسه أى وقيل التى عليه فرثا ووطىء برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش اى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فاخبرته الخبر أى فقالت له ياأبا عمارة لو رأيت مالقى ابن اخيك محمد صلى الله عليه وسلم آنفا من ابى الحكم بن هشام تعنى أباجهل وجده ههنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم أى وقيل الذى اخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطىء برجله على عاتقه وعلى القاء الفرث عليه اقتصر أبو حيان فى النهر فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذى تقولين قالت وفى رواية فلما رجع حمزة من صيده إذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداها لو علم ماذا صنع ابو جهل بابن اخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت ابو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى ابو جهل جالسا في القوم فاقبل نحوه حتى قام على رأسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه فانا على دينه اقول مايقول فرد على ذلك ان استطعت أى وفى لفظ ان حمزة لما قام على رأس ابى جهل بالقوس صار ابو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا قال ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم أى من عشيرة أبى جهل الى حمزة لينصروا أباجهل فقالوا ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه انا أشهد انه رسول الله وأن الذى يقوله حق والله لا أنزع فامنعونى أن كنتم صادقين فقال لهم ابو جهل دعوا أبا عمارة أى ويكنى أيضا بابى يعلى باسم ولده ايضا فانى والله لقد اسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا وتم حمزة على اسلامه أى استمر اى بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته انت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين ابيك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخى انى قد وقعت فى امر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلى على ما لا ادرى ارشد هو ام غى شديد فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى الله تعالى فى قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فاظهر يا ابن اخى دينك () وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى حمزة كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها يعنى ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كبيرا لانه كان اعز فتى فى قريش واشدهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه مسكن الهوام ثم بعد استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فانى سويت لك مكانا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر رضى الله عنه ونام وسد أبو بكر رضى الله عنه مابقى من ثقوب الغار برجليه فلدغ فى رجله من الحجر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية فجعلت الحيات والافاة تلسعه وجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ وقال مالك ياأبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده وفى رواية فلما أصبحا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتنى قال كرهت ان أوقظك فمسحه فذهب مابه من الورم وفى رواية لأبى نعيم عن أنس رضى الله عنه فلما أصبح قال لأبى بكر رضى الله عنه أين ثوبك فاخبره بالذى صنع فرفع يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر معى فى درجى فى الجنة فاوحى الله اليه قد استجبنا لك وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتنى حين كذبنى الناس ونصرتنى حين خذلنى الناس وآمنت بى حين كفر بى الناس وآنستنى فى وحشتى قال الزرقانى والظاهر كما قال شيخنا يعنى الشبراملسى انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن اذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتى لهما بالغار كابنه وابن فهيرة ويروى أيضا أن أبا بكر رضى الله عنه لما دخل الغار أصاب يده شىء فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

فهذا البيت من انشاء الصديق رضى الله عنه وقد تمثل به النبى صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه والممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر لا انشاده ثم ان خيبر

شكيمة أى اعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ماكانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لاجوار لهم أى لاناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه ()بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك أى حتى الواحد منهم مايقدر أن يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به كان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه وبخوه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به () حتى أن منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وأبى قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر وممن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع للكفر بلال رضى الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف فعن بعضهم أن بلالا كان يجعل فى عنقه حبل يدفع الى الصبيان أن يلعبون به ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحدٌ أحد بالرفع والتنوين أو بغير تنوين أى الله أحد أو يا احد فهو اشارة لعدم الاشراك وقد أثر الحبل فى عنقه وعن ابن اسحق أن أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على ظهره فى الرمضاء أى الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللاة والعزى فيقول أحد أحد أى انا لا أشرك بالله شيئا أنا كافر باللاة والعزى * أى وقيل كان بلال مولدا من مولدى مكة وكان لعبد الله بن جدعان التيمى وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أمر بهم فاخرجوا من مكة أى خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمه فاسلم بلال وكتم اسلامه فسلح بلال يوما على الأصنام التى حول الكعبة ويقال انه صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله وقالوا اله اصبوت قال ومثلى يقال له هذا فقالوا اله ان اسودك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحر منها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم أى ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالفه ماتقدم من أن أمية بن خلف كان يتولى تعذيبه ومايأتى من أن أبا بكر رضى الله عنه اشتراه منه ويقال أنه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب فقال سينجيك احد احد أى وقيل مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال نعم احدا احدا والله يا بلال ثم أتى الى امية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من أهل الجنة وتقدم أن هذا يدل على أن ورقة أدرك البعثة التى هى الرسالة وتقدم مافيه (فكان بلال يقول احد احد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وقد وقع له رضى الله تعالى عنه انه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وقد ذكر بعضهم أن هذا قاله أبو موسى الاشعرى ومن معه لما وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو فى

هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن المغيرة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الأمة بقتلي فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الأمة بهلاك الدين فعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر



فالمعية معنوية لاستحالة الحسية في حقه تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه السكينة امنة أي حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لامنها مما تكرهه وقوله عليه الضمير عائد على أبي بكر رضي الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه في قول الاكثر قال البيضاوى وهو الاظهر لأنه كان منزعجا الا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقولها وأيده الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة أي ليحرسوه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتامل بعين البصيرة في أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضي الله عنه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم حزن الصديق لكن على نفسه قوى الرسول صلى الله عليه وسلم قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بكونه ثاني اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة رضي الله عنهم فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لانه لما جعل نفسه وقاية له كانه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وفى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه جوزي بموازاته معه في رمسه وكان مؤذن التشريف

---

خيبر أي صاروا يقولون غدا يلقى الاحبه محمدا وحزبه فمر به أبو بكر رضي الله تعالى عنه يوما وهو ملقى على ظهره في الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لأمية بن خلف الاشقى اتق الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر عندي غلام اسود أجلد منه وأقوى أي على دينك اعطيكه به قال قبلت قال هو لك فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فاعتقه وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في بلال حين قال أتبيعينه قال نعم أبيعه بقسطاس يعني عبدا لابي بكر رضي الله تعالى عنه كان صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا يابى الاسلام فاشتراه أبو بكر به هذا كلامه وفي الامتاع لما ساوم أبو بكر أمية بن خلف في بلال قال أمية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها أحد باحد ثم تضاحك وقال له اعطني عبدك قسطاس فقال أبو بكر ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تزيدني معه مائتي دينار فقال أبو بكر رضي الله عنه انت رجل لا تستحيي من الكذب قال لا واللات والعزى لئن أعطيتني لافعلن فقال هي لك فاخذه هذا كلامه (وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس أواق أي ذهبا أي وقيل ببردة وعشرة أواق من فضة وفي رواية برطل من ذهب (ويروى أن سيده قال لابي بكر لو أبيت الا أوقية أي لو قلت لا أشتريه الا باوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة أوقية لاخذته بها ولما قال المشركون انما أعتق أبو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافئه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى السورة فالاتقى أبو بكر رضي الله تعالى عنه والاشقى أمية بن خلف) قال الامام فخر الدين اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى أبو بكر وذهب الشيعة الى أن المراد به علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه ويرده وصف الاتقى بقوله تعالى وما لأحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله تعالى عنه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم أي كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها أي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف أبي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا أسالكم عليه أجرا فتعين حمل الآية على أبي بكر رضي الله تعالى عنه (فيلزم من ذلك أن يكون أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل الخلق لان الله تعالى يقول ان أكرمكم عند الله أتقاكم والأكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر الرازي بان الامة مجمعة على ان أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم إما أبو بكر واما علي فلا يمكن حمل الآية على علي لما تقدم فتعين حملها على ابي بكر (وذكر بعض أهل المعاني أي المبينين لمعاني القرآن كالزجاج والفراء والاخفش ان المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فاوقع افعل التفضيل موضع فعيل فهو عام في أمية بن خلف وأبي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا (الذي بخل واستغنى المراد به أبو سفيان لانه كان عاتب أبا بكر في انعامه واعتاقه وقال له اضعت مالك والله لا تصيبه أبدا وقيل المراد به أمية بن خلف (ولما بلغ

ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذهما في الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقيم أحسن حسان رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا اسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت ياحسان هو كما قلت وعن أبي بكر (٣٣٦) رضي الله عنه انه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر رضي الله عنه وقال والله انا صاحبه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر رضي الله عنه فقال يا أبا الدرداء تمشي أمام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس رضي الله عنه حب أبي بكر واجب على أمتي قال بعضهم وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الا أنه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أو لانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن ذلك الاحتياج اليه أو لتعظيمه بوصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معي ربي ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضي الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معي بل قال معنا لانه أمد الصديق رضي الله عنه بنوره فشهد سر المعية

---

النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر اشترى بلالا قال له الشركة يا أبا بكر فقال قد أعتقته يا رسول الله أي لان بلالا قال لابي بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله فاعتقه) هذا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال لو كان عندنا مال اشترينا بلالا فانطلق العباس رضي الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى أبي بكر أي ماسكه له فاعتقه فليتامل الجمع بين هذا وما تقدم *(وقد اشترى ابو بكر رضي الله تعالى عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله تعالى حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم أبو فكيهة كان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم بلال فمر به أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقد أخذه أمية أبو صفوان وأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع في بطنه صخرة فخرج لسانه وأخو أمية يقول له زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره واشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم امرأة وهي زنيرة بزاي فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله تعالى حتى عميت قال لها يوما أبو جهل ان اللات والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا امر من السماء وربي قادر على أن يرد على بصري فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها فقالت قريش ان هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم فاشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه واعتقها) أي وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية ام عنيس بالنون أو الباء الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها ولم يصفها بانها بنت زنيرة فاشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه واعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد بن المغيرة وكذا امرأة يقال لها لطيفة وكذا اخت عامر بن فهيرة أو أمه كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم فقد جاء ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه مر على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو يعذب جارية اسلمت استمر يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني لم اتركك حتى مليت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفي السيرة الشامية وصفها بانها جارية بني المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة فجملة هؤلاء تسعة *(وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانه سبي في الجاهلية فاشترته ام انمار اي وكان قينا اي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يألفه ويأتيه فلما اسلم واخبرت بذلك مولاته صارت تاخذ الحديدة وقد احمتها بالنار فتضعها على رأسه فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب ياخذ الحديدة وقد أحماها فيكوي رأسها وفي البخاري عن خباب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة فقلت يا رسول الله الا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه

ومن ثم سرى سر السكينة الى أبى بكر رضى الله عنه والا لم يثبت تحت انباء هذا التجلى والشهود إذ ليس فى طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك الامداد وفرق بين معية الربوبية فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام ومعية الالوهية فى قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه فى قصة موسى قال ان معى ربى والرب من التربية وهى التنمية والاصلاح وقال فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر رضى الله عنه (٣٣٧) فى الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما فى الغار عبدالله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وهو غلام شاب ثقف أى فطن حاذق اثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر إلى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بامر يكادان به أى يطلب لهما فيه المكروه الا حفظه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة رضى الله عنه مولى ابى بكر رضى الله عنه يرعى غنما لابى بكر رضى الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثم يسرح بكرة فيصبح فى رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث. وكان عامر رضى الله عنه أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وكان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه وأعتقه واستشهد ببئر معونة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات ان أسماء رضى الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه قبل خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضى الله أمره ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفى رواية الزهرى حتى اذا هدأت عنهما الأصوات جاء صاحبهما ببعيريهما

ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال وعن خباب رضى الله تعالى عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رأيتنى يوما وقد أوقدوا الى نارا ووضعوها على ظهرى فما اطفاها الا ودك ظهرى أى دهنه * وممن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه كان يعذب بالنار وفى كلام ابن الجوزى كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على رأسه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كانت على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص أى صار أثر النار أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بان النار تكون بردا وسلاما عليه * وعن ام هانىء رضى الله تعالى عنها ان عمار بن ياسر وأباه ياسر وأخاه عبدالله وسمية أم عمار رضى الله تعالى عنهم كانوا يعذبون فى الله تعالى فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة أى وفى رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية لابى جهل أى أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها فى قلبها فماتت أى بعد ان قال لها انك ما آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم الا لأنك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة فى قلبها حتى قتلها فهى أول شهيد فى الاسلام انتهى وعن بعضهم كان ابو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف فنزل قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمار بن ياسر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار * قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من أبواه مؤمنا الا هو أى من المهاجرين فلا ينافى ان بشر بن البراء بن معرور الانصارى حضر بدرا وأبواه مؤمنان *(ومما أوذى به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما ابتلى المسلمون باذى المشركين أى وحصروا بنى هاشم والمطلب فى شعب ابى طالب وأذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة وهى الهجرة الثانية خرج ابو بكر رضى الله تعالى عنه مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة موضع بأقاصى هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة أميال أى وفى رواية حتى اذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة أى وهو اسمه الحرث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل فى قوة الرمى ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لاسيما ابن الدغنة والقارة أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها قال أين تريد يا أبا بكر قالوا أبو بكر أخرجنى قومى فاريد أن أسيح فى الأرض فاعبد ربى قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة فى أشراف قريش وقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق وهو فى جوارى فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة أى ولم يرد جواره وقالوا لابن الدغنة

وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فاخذ بهم طريق الساحل وفي رواية فاجازها أسفل مكة ثم مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازها حتى عارض الطريق وصار أبو بكر رضي الله عنه اذا سأله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك يقول هاد يهديني الطريق وكان أبو بكر رضي الله عنه يكثر الاسفار للتجارة فكان معروفا عندهم والنبي (٣٣٨) صلى الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف

ثم ان أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر رضي الله تعالى عنه فمكث أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فافزع ذلك كثيرا من اشراف قريش أي مع المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بهذا فان أحب ان يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا ان يعلن بذلك فاسأله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أي نزيل خفارتك أي ننقض جوارك ونبطل عهدك فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا أحب ان تسمع العرب اني اخفرت أي ازيلت خفارتي في رجل عقدت له فقال له أبو بكر فاني أرد عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثى على رأسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه ألا ترى ما صنع هذا السفيه فقال له أنت فعلت بنفسك فصار أبو بكر يقول رب ما أحلمك قال ذلك ثلاثا انتهى أي وفي كلام بعضهم وينبغي لك أن تتأمل فيما وصف به ابن الدغنة أبا بكر بين أشراف قريش بتلك الأوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف أي اعتراف بأن أبا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الأوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحدا أن ينازع فيها ولا ان يجحد شيئا منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له ﴾ ومما يؤثر عنه رضي الله تعالى عنه صنائع المعروف تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر

## ﴿ باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم أشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم إلى أحبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعما جاء به وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي ومن قصد أذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا ﴾

(حدث محمد بن كعب القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش أي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يامعشر قريش ألا اقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم واكلمه واعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفي أخرى اشراف قريش

أبا بكر رضي الله عنه دون النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاد يهديني السبيل ولا يتكلم بكلام الاويوري في كلامه ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه أله الناس أي اشغل بالناس عني أي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني فانه لا ينبغي لنبي أن يكذب أي ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر رضي الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفي الصحيحين انهم مروا بصخرة فنام النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ورأى أبو بكر رضي الله عنه راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر رضي الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهي معدودة من الصحابيات رضي الله عنها لأنها اسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم بمن يمر بها وكان القوم من مرسلين مسنتين أي مقحطين فطلبوا منها لبنا أو لحما أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا وقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزنا القرى فنظر عليه الصلاة والسلام الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد أي الهزال عن الغنم فسأل صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك تريد انها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال اتاذنين لي أن احلبها

فقالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا أي لبنا في الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا بإناء فجيء له بإناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب به ثجا أي حلبا قويا وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل أي ثانيا بعد الأول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفي رواية قال لها ارفعي هذا  لأبي معبد إذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفي بعض الروايات أنها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها إكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقي أكثر لحمها عند أم معبد وبقيت الشاة التي مس ضرعها إلى زمن عمر رضي الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه أكثم بن أبي الجون الخزاعي رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك قال السهيلي وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في حياته قال أقبل يسوق غنما عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا ولا حلوب بالبيت فقالت إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا أي رأى الشاة ودعا لها وحكت له القصة فقال صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة والمراد أنه وسيم قسيم أي كامل الحسن في عينيه دعج وفي أشفاره وطف أي طول أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع أي طول وفي لحيته كثاثة إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر أجهر الناس إذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين

من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا إلى محمد حتى تعدوا فيه فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب أي من الوسط أي الخيار حسبا ونسبا وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم قال زاد بعضهم أنه قال له أيضا أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب أي فسكت إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فقل نسمع لقولك لقد أفضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا ما تريد إلا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانا انتهى فاسمع مني أعرض عليك أمورا انظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا أي فيصير لك الأمر والنهي فهو أخف مما قبله وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال ما فعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقرأها عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ثم انتهى إلى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية أن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد عليهم فقال أبو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا إليه فأتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبك أمره فقص عليهم القصة فقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه

غصتين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به أي يستديرون حوله اذا قال استمعوا القوله واذا أمر تبادروا لامره محفود أي مخدوم محشود أي عنده أي قوم لا عابس ولا مفند أي ليس كثير اللوم فقال ابو معبد هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته وفي رواية ولقد هممت أن أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وما زالت قريش تطلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما ادرى ماتقولون قد صادفني حالب الحائل فقالوا ذاك الذي نريده ثم اسلمت رضى الله عنها وهاجرت قال السيد السمهودى فى الوفاء هاجرت هى وزوجها واسلما وفى خلاصة الوفاء فخرج ابو معبد فى أثرهم ليسلم فقال انه ادركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفى شرح السنة للبغوى هاجرت هى وزوجها واسلم اخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك روى ابن اسحق عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال اين ابوك يا ابنة ابى بكر فقلت والله لاادرى اين ابى فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمه واحدة خرج منها قرطى ثم انصرفوا قالت ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل بعد ثلاث ليال وفى رواية خمس ليال يغنى باسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل انه من الجن وقيل سمعوا هاتفا لو على ابى قبيس وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد
فيالقصى ما زوى الله عنكم * به من فعال لاتجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وأنائها * فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت

فانشدته الرحم ان يكف وقد علمت أن محمدا صلى الله عليه وسلم اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ماقال قال والله ماسمعت مثله والله ماهو بالشعر الى آخر ماتقدم فقالوا والله سحرك يا ابا الوليد قال هذا رأيى فيكم فاصنعوا ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن قريشا أى اشرافهم وشيختهم منهم الاسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل *وفى الينبوع أتى الوليد بن ربيعة فى أربعين رجلا من الملأ أى من السادات منزل أبى طالب وسلوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامره باشكائهم مايشكون منه أى ان يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى أمر فيه الالفة والاصلاح فاحضره وقال يا ابن آخي هؤلاء الملأ من قومك فاشكهم وتالفهم فعاتبوا النبي صلى الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم واحلام آبائهم وعيب آلهتهم الحديث أى قالوا له يامحمد انا بعثنا اليك لنكلمك فانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ماادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعيبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق أمر قبيح الا أتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذى ياتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طبك وفى رواية أنهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم فجاءهم مسرعا طمعا فى هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم وان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بينى وبينكم *وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى أن يعطوه مالا فيكون به أغنى رجل بمكة ويزوجوه ماأراد من النساء ويكف عن شتم آلهتهم ولا يذكرها بسوء فقد ذكر ان عتبة بن ربيعة قال ان كان ان مابك الباه فاختر أى نساء قريش فنزوجك عشرا وقالوا له ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ماتحتاج اليه فى دنياك وآخرتك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وماهى قال تعبد آلهتنا اللات والعزى ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وانت فى الامر فان كان الذى تعبده خيرا مما نعبد كنت أخذت منه بحظك وان كان الذى نعبد خيرا مما تعبد كنا قد اخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى انظر مايأتى من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل ياأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم السورة *وعن جعفر الصادق ان المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك آلهك سنة فنزلت أى لا أعبد ماتعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما اعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا له طعنا فى القرآن

لهبصريح ضرة الشاة مزبد * فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدرها ثم مورد قالت أسماء رضى الله عنها فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيرى حيث يقول وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الأنس منه ذاك الغناء ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الانصار رضى الله عنهم قال حسان رضي الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليه ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وان قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أوفي ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد تعرض لهما سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجى رضى الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجى نسبة الى مدلج ابن مرة ابن مناة ابن كنانة فهو حجازى * وسبب تعرضه لهما مارواه البخارى عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه دية أي فى كل واحد منهما لمن قتله اواسره فبينما أنا جالس فى مجالس قومى بنى مدلج اذا قبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة انى قدرأيت انفا أسودة بالسواحل أراها محمد واصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فامرت

لو قال امرؤ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وكرر ذلك أربع مرات في نسق اما كان عيبا فكيف وقع فى القرآن قل ياأيها الكافرون السورة وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولى دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تامرونى اعبد الله الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انزل لما كرهتموه القرآن قالوا أئت بقرآن غير هذا فانزل الله تعالى ولو تقول علينا الآيات وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لى ان أبدله من تلقاء نفسى الآية ثم رأيت فى الكشاف مايوافق ذلك وهو لما غاظهم مافى القرآن من عبادة الأصنام والوعيد الشديد قالوا أئت بقرآن آخر ليس فيه مايغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لى ان أبدله الآية قال وجلس أى صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة أى وشيبة ابن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم اليس حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفى لفظ هل ترون بما أقول باسا فيقولون لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين وهو ممن أسلم بمكة قديما والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع فى اسلامهم فصار يقول يارسول الله علمنى مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه انتهى أى وفى رواية أشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن أم مكتوم بان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى فى ذلك بقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك السورة أى والمجىء مع العمى ينشا عن مزيد الرغبة وتجشم الكلفة والمشقة فى المجىء ومن كان هذا شانه فحقه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه قال وبهذا يسقط ما للقاضى أبى بكر بن العربى هنا انتهى أقول لعل الذى له هو وماذكره تلميذه السهيلى وهو ان ابن أم مكتوم لم يكن أسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل فى الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبى صلى الله عليه وسلم اسندنى يامحمد ولم يقل اسندنى يارسول الله ولعل فى قوله تعالى لعله يزكى يعطى الترجى والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتزكى هذا كلامه * وعن الشعبي قال دخل رجل على عائشة رضى الله تعالى عنها وعندها ابن أم مكتوم وهى تقطع له الاترج وتجعله فى العسل وتطعمه فقيل لها فى ذلك فقالت ما زال هذا له من ال محمد منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وفى فتاوى الجلال السيوطى من جملة أسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان أبا جهل قال يامحمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة فى دارى آمنت بك فدعا ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كانين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوتة ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل اعرض ولم يؤمن * ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الآيات غير المعينات على مارواه

جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت * قال أبو بكر رضي الله عنه تبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن أن الله معنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله (٣٤٢) ما على نفسي أبكي ولكن عليك فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت وفي رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين وفي رواية الى بطنها فطلب الامان وفي رواية انه سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذي يكره فناداهم بالامان قال وكنت ارجو ان ارده فاخذ المائة الناقة وروى في بعض التفاسير انه عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الأرض وجاء في رواية أن سراقة لما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد أن الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فاخذت الأرض ارجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان لو نجيتني لاكونن لك لا عليك فقال يا أرض اطلقيه فاطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال أنا سراقة انظروني أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه وأنا اعلم أن قد دعوتما علي فادعوا لي وفي رواية قد علمت يا محمد أن هذا من دعائك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما وفي رواية لابن

---

الشيخان أو معينة كما في رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسيأتي ويعلم منه أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم أولا آية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة فقد ذكر ابن عباس أن قريشا سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية أي وفي رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون أي بمنى منهم الوليد ابن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل العاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة ابن الاسود والنضر بن الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه الآخر بالمغرب وكانت ليلة أربعة عشر أي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سألوا فانشق القمر نصفا على أبي قبيس ونصفا على قيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التي كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتي كانت دون الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جاء في رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب أي ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا فمعجزة أخرى لأن القمر ليلة أربعة عشر يستمر جميع الليل وسيأتي عن زين المعمر أنه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا والفرقتان هما المرادتان بالمرتين في بعض الروايات التي أخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي فقال انه انشق مرتين لأن المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان أصل وضعها الافعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة في زمانين من له خبرة باحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم أنه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة (عند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة) أي وهو أبو كبشة احد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لأن وهب بن عبد مناف بن زهرة جد أبي امنه يكنى أبا كبشة أو هو من قبل مرضعته حليمة لأن والدها وجدها كان يكنى بذلك أو كان لها بنت تسمى كبشة فكان زوجها الذي هو أبوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم في الرضاع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم فقال حدثني حاضني أبو كبشة أنهم لما ارادوا دفن سلول وكان سيدا معظما حفروا له فوقعوا على باب مغلوق ففتحوه فاذا سرير وعليه رجل وعليه حلل عدة وعند رأسه كتاب أنا أبو شهر ذو النون مأوى المساكين ومستفاد الغارمين أخذني الموت غصبا وقد أعيى الجبابرة قيل قال صلى الله عليه وسلم كان ذو النون هذا هو سيف بن ذي يزن الحميري وقيل أبو كبشة جده صلى الله عليه وسلم لأن أبا ام جده عبد المطلب كان يدعى أبا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعرى وترك عبادة الأصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك الى أن له في مخالفته سلفا وقيل الذي عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم به في مخالفته لهم في عبادة الأصنام أي ومما قد يؤيد هذا الاخير ما في الاتقان حيث مثل بهذه الآية للنوع المسمى بالتنكيت وهو أن يخص المتكلم شيئا من الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو سبحانه وتعالى رب كل شيء

عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدري لعل الحي يعني قومه فزعوا لركوبي وأنا راجع ورادهم عنكم قال فوقفا لي ودعا له صلى الله عليه
وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فاخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن يحصلهما وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما
وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما  الزاد والمتاع فلم يرزآني أي ولم
ينقصاني مما معي شيئا وفي رواية قال هذه كنانتي فخذ منها سهما فانك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في ابلك ودعا له وفي رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام فاني لا أرغب في ابلك ومواشيك وفي رواية ولم يسألاني شيئا الا أن قالا أخف عنا قال فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب في رقعة من أديم وفي رواية قال سراقة اني لاعلم ان سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا أتيتك يوم ملكك تكرمني فأمر عامر بن فهيرة فكتب له وفي رواية لانس رضي الله عنه فقال يانبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبي
الله وآخر النهار مسلحة له أي حارسا له بسلاحه وفي رواية أنه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظري بالطريق وبالاثر قد استبرأت
لكم فلم أر شيئا فرجعوا * وجاء في الحديث من تمام القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري
كسرى وفي رواية اذا تسورت بسواري كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم نعم فعجب من ذلك فلما أتي بهما في خلافة
عمر رضي الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضي الله عنه قد سمع بوعد النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبي بكر

شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش ليس من لفظه (فقال رجل منهم أن محمدا ان كان سحر القمر أي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها أي جميع أهل الارض وفي رواية لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفي رواية أن أبا جهل قال هذا سحر فاسألوا أهل الآفاق وفي لفظ انظروا ما يأتيكم به السفار حتى تنظروا اهل رأوا ذلك أم لا فاخبروا أهل الآفاق وفي لفظ فجاء السفار وقد قدموا من كل وجه فاخبروهم انهم رأوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أي مطرد فهو اشارة الى ذلك أو الى ما قبله من الآيات وفي لفظ قالوا هذا سحر أسحر للسحرة) فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أي مطرد كما تقدم أو محكم أو قوي شديد أو مار ذاهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على أنه لم يختص برؤية القمر منشقا أهل مكة بل جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بأنه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بأنه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام (وفي فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث * أقول والى انشقاق القمر أشار صاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البد ... ر ومن شرط كل شرط جزاء

أي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره أولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة أربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك باعظم مثابة له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن (وقد أشار الى ذلك أيضا الامام السبكي في تائيته بقوله

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما ... أرادت قريش منك اظهار آية

أي فانهم ائتمروا فيما بينهم فاتفقوا على أن يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم انشقاق القمر الذي هو بعيد عن الاطماع في غاية الامتناع أي فقد سألوه ولا آية غير معينا ثم عينوها * وفي الاصابة عن بعضهم قال وأنا ابن تسع عشرة سنة سافرت مع أبي وعمي من خراسان الى الهند في تجارة فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج أهل القافلة نحوها فسألناهم عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فرأينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من أهل تلك الضيعة فلما رأونا رحبوا بنا فرأينا زنبيلا معلقا في بعض أغصان تلك الشجرة فسألناهم فقالوا في هذا الزنبيل الشيخ زين الدين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بطول العمر ست مرات فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسألناهم أن ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه

رضى الله عنه فدعا بسراقة فالبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهار الها وقال ارفع يديك وقال الله اكبر الحمد لله الذى سلبهما
كسرى ابن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بنى مدلج ورفع عمر رضى الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين * ومما جىء به
لعمر رضى الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان
زهر الربيع كان يبسطه فى ايوانه ويشرب (٣٤٤) عليه اذا عدمت الزهور فقطع عمر رضى الله عنه البساط وقسمه على المسلمين
فاصاب عليا رضى الله عنه
قطعة باعها بخمسين ألف
دينار * وفى القصة أيضا أنه
أخذ الكتاب الذى كتب
له وجعله فى كنانته قال
سراقة فلم أذكر شيئا مما
كان حتى اذا فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
حنين خرجت للقائه ومعى
الكتاب فلقيته بالجعرانة
حتى دنوت منه فرفعت
يدى بالكتاب فقلت
يارسول الله هذا كتابك
قال يوم وفاء وبر ادنه فدنوت
منه وأسلمت وفى رواية عن
سراقة رضى الله عنه
بلغنى انه يريد انه سيبعث
خالدا بن الوليد رضى الله
عنه الى قومى فاتيته فقلت
أحب ان توادع قومى
فان أسلم قومك اسلموا
والا أمنت منهم فاخذ
صلى الله عليه وسلم بيد خالد
فقال اذهب معه فافعل
ما يريد فصالحهم خالد على
ان لا يعينوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان
اسلمت قريش اسلموا
معهم فانزل الله تعالى إلا
الذين يصلون الى قوله بينكم
وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم * قال ابن اسحق
ولما بلغ أباجهل مالقى سراقة لامه فى تركهم وفى رواية أن سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فانكر انه رأى محمدا صلى الله عليه
وسلم فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فاخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل فى تركهم فانشد سراقة

بالهتكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا

فتقدم شيخ منهم فانزل الزنبيل فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ فى وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على أذنه وقال ياجداه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سالوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع أبى وأنا شاب من هذه البلاد الى الحجاز فى تجارة فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملا الاودية فرأيت غلاما حسن الشمائل يرعى ابلا فى تلك الأودية وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فاتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الى ودعا لى ثم عدنا الى بلادنا وتطاولت المدة ففى ليلة ونحن جلوس فى ضيعتنا هذه فى ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر فى كبد السماء اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف فى المشرق ونصف فى المغرب وأظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثانى من المغرب الى أن التقيا فى وسط السماء كما كان أول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسالنا الركبان عن سببه فاخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى أنه رسول الله الى كافة العالم وان أهل مكة سالوه معجزة واقترحوا عليه ان يامر لهم القمر فينشق فى السماء ويغرب نصفه فى المشرق ونصفه فى المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة وسألت عنه فدلونى على موضعه وأتيت الى منزله واستأذنت فاذن لى فى الدخول فدخلت عليه فلما سلمت عليه نظر الى وتبسم وقال ادن منى وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست وأكلت من الرطب وصار يناولنى الى ان ناولنى ست رطبات ثم نظر الى وتبسم وقال لى ألم تعرفنى قلت لا فقال ألم تحملنى فى عام كذا فى السيل ثم قال امدد يدك فصافحنى وقال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر أى وقال عند خروجى من عنده بارك الله فى عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله لى فى عمرى بكل دعوة مائة سنة فعمرى اليوم ستمائة سنة أى فى المائة السادسة مشرف على تمامها تأمل * وسئل الحافظ السيوطى عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذى رواه معمر الذى يزعم أنه صحابى وأنه يوم الخندق صار ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفه الشريف بين كتفيه اربع ضربات وقال له عمرك الله يامعمر فعاش بعد ذلك أربعمائة سنة ببركة الضربات التى ضربها بين كتفيه كل ضربة بمائة سنة وقال له بعد ان صافحه من صافحك الى ست أو سبع لم تمسه النار هل هو صحيح أم هو كذب وافتراء لا تجوز روايته فاجاب بانه باطل وان معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد وقد قال أهل الحديث وغيرهم أن من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم أن آخر الصحابة مطلقا موتا أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت ذلك فى صحيح مسلم واتفق عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد أبى الطفيل فهو كذاب * ومما سألوه صلى الله عليه وسلم من الآيات المعينات ما حدث به بعضهم قال ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا

وليخرق

رسول ببرهان فمن ذا يقاومه    عليك بكف مقدم عنه فانني    أرى أمره يوما ستبدو معالمه    والى قصة سراقة اطماع فساخ به    جواده فانثنى للصلح مطلبا وقال صاحب الهمزية فاقتفى أثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جرداء ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء    ﴿ واجتاز صلى الله عليه وسلم ﴾ فى طريقه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه أبو بكر رضى الله عنه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير أن  ههنا عناقا حملت عام أول وما بقى لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن وهو الترس فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر رضى الله عنه ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أو تراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش انه صابىء قال انهم ليقولون ذلك قال اشهد انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فاتنا ومما وقع لهم فى الطريق انه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا

وليخرق فيها أنهارا كأنها أنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصى ابن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو ام باطل قال زاد فى رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله تعالى وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به اه ثم قالوا له واسأل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك أى وفى لفظ قالوا له لم لا ينزل علينا الملائكة فتخبرنا بان الله أرسلك أو نرى ربنا فيخبرنا بانه أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه أى فلا بد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا أى وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نحن نأكل ويمشى فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا () وأنزل الله تعالى وقالوا امال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ولما قالوا الله أعظم ان يكون رسوله بشرا مثنا أنزل الله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس ثم قالوا أو أسقط السماء علينا كسفا أى قطعا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل وقد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا أى وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو أى الرحمن ربى لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب أى توبتى ورجوعى () وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا اسفا على مافاته من هدايتهم التى طمع فيها وقال له عبد الله بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل أن يسلم رضى الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تاتيه ثم تاتى معك بصك اليك أى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت انى اصدقك فانزل الله تعالى عليه الآيات هذه المقالات فى سورة الاسراء وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيه جميع ما سألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وعن محمد بن كعب ما حاصله ان الملأ من قريش اقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله تعالى ان يعطيهم ما سألوه فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكنى لم آت قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا امرت بتعذيبهم وفيه انه حينئذ يشكل رواية سؤالهم انشقاق القمر وفي رواية اتاه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان



الزبير رضى الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضاء وكذا لقى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فكساهما (وأخرج البيهقي) عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضى الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت

قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بني سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد ابن عبد الله رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون في المدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها ايا الغار فانقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم أي محل مرتفع من آطامهم أي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين أي لابسين ثيابا بيضا وهي التي كساهم اياها الزبير وطلحة في الطريق فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب أي يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب وفي رواية يابني قيلة وهم الانصار وأمهم تسمى قيلة هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرونه وفي رواية لما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبي أمامة اسعد بن زرارة وأصحابه من الأنصار ولا مانع من الأمرين فثار المسلمون الى واذا السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وهو مع أبي بكر رضي الله عنه في ظل نخلة كانت هناك ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفي رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الأنصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدلا ذات اليمين حتى نزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وكان نزوله صلى الله عليه

---

شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يؤمنوا أنزلت عليهم العذاب عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين شئت أن لا تصير الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل أن تفتح لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وايضا (وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لأنه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جهل لانه خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب) وأيضا لم يسألوا اما سألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك والى سؤالهم تلك الآيات وارتيابهم في القرآن وقولهم فيه أنه سحر وافتراء أي سحر يأسره أي يأخذه عن مثله وعن أهل بابل يفرق به بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته أن هو الا قول البشر من قول أبي اليسر وهو عبد لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه والى قول أبي جهل أيضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا امنا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزل قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله والى هذا أشار صاحب الهمزية بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء

أي أعجب عجبا من حال الكفار حالة كونهم زادوا ضلالا بالقرآن الذي فيه اهتداء للعقول وأعجب عجبا ايضا من الأمر الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل معه عليهم من السماء وهو القرآن

أو لم يكفوا من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس آية منه والجن * فهلا يأتي به البلغاء
كل يوم يهدي إلى سامعيه * معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلي والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت * في حلاها وحليها الخنساء
وارتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته عن علوم * من حروف أبان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى اعجب * الزراع منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريب * فقالوا سحر وقالوا افتراء

وسلم عند كلثوم بن الهدم لأنه كان شيخ بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله عنه وتوفى قبل غزوة بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يانجيح لغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه نجحت ياأبا بكر وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه فى بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزبا لاأهلى له هناك وكان منزله يسمى منزل العزاب وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد رضى الله عنه * ولما توجه صلى الله عليه وسلم المدينة أمر عليا رضى الله عنه أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام على كرم الله وجهه بالابطح ينادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليات تؤدى اليه أمانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان على رضى الله عنه فى طريقه بسير الليل ويكمن النهار حتى تقطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ونقل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من على رضى الله عنه مع وجود ما يركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة فى عظيم الاجر وسرى السرور الى القلوب بوصول النبى صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضى الله عنهما مارأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أى الاسطحة عند قدومه يعلن بقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة

وإذا البينات لم تغن شيئا ... فالتماس الهدى بهن عناء

وإذا ضلت العقول على علم ... فماذا تقوله الفصحاء

أى أولم يكفهم عما سالوه عنادا ذكروا صل اليهم حالة كونه من الله تعالى رحمة وشفاء للناس والجن والملائكة أعجز الانس والجن آية منه فهلا ياتى بتلك الآية أهل البلاغة كل وقت يهدى قراؤه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تتجلى بسماعه المسامع من التحلية التى هى لبس الحلى وتتحلى بالفاظه الافواه من الحلواء فهو الحلى والحلواء حسن من جهة اللفظ وتصفى من سوائب النقص من جهة المعنى فارتنا رقة من زلاله وصفاء من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهى العلوم المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا الاخفاء معه بوجه اذا قوبلت بمرآة وقت جلاء الاصداء عن تلك المرآة سور منه أشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل صورة منا على عقل وفهم وخلق لايشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار فى القرآن كالصور التى يصورها المصورون فانه لاوجود لها فى الحقيقة فما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان فاحذر الخطباء ان توقع فى وهمك ان ماتاتى به يقارب القرآن كم أوضحت آياته علوما حالة كونها متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجى كالحب الذى يلقيه الزراع والنوى الذى يلقيه الغارس أعجب الزراع والغراس منها أى من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار ونمو فاق الحصر فاطالوا فى تلك السور الشك فقالوا اسحر وتمويه لاحقيقة له وقالوا مرة أخرى أساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيئا من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لايفيد شيئا واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم منها بتلك الطرق فاى قول يقوله الفصحاء أى وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك انا وأنا كبير قريش وسيدهم ويترك أبو مسعود الثقفى سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين أى مكة والطائف فانزل الله تعالى وقالوا لولا أى هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى أعظم وأشرف من محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله أهم يقسمون رحمت ربك الآية وفى لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من أهل الطائف ثم لا يخفى ان قريشا بعثوا النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما اسالاهم عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أى التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا أحبار يهود أى قالا لهم اتينا كم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا اصفوا لنا صفته فوصفوا قالوا فمن يتبعه منكم قالوا اسفلتنا فضحك نفر منهم وقالوا هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة وقالت لهم أحبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول أى وهم أهل الكهف ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها أى وهو ذو القرنين ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ماهى فاذا أخبركم بذلك أى بحقيقة الاولين ويعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فانه نبى فرجع النضر

رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داعي ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع ❁ ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ قام ابو بكر رضى الله عنه للناس وابو بكر شيخ أى شيبه ظاهر وان كان النبي صلى الله عليه وسلم اسن منه فطفق ماجاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر رضى الله عنه فيعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى ظلل عليه بردائه فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا يرد ان تظليل الغمام يعني عن تظليل ابي بكر رضى الله عنه لان ذلك كان قبل البعثة ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم ولم ينقل احد وقوع ذلك بعد البعثة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة واسس صلى الله عليه وسلم بقباء المسجد الذى اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نزلت فيه الا آية وقيل انه مسجد المدينة وروى كل منهما فى احاديث صحيحة وجمع بعضهم بان كلا منهما يسمى المسجد الذى اسس على التقوى ❁ وروى الطبرانى ❁ عن الشموس بنت النعمان رضى الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم واسس مسجد قباء فرأيته ياخذ الحجر أو الصخرة حتى تتبعه فياتى الرجل من أصحابه فيقول يارسول الله بابى أنت وأمى أكفيك فيقول لا حتى أسسه وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر النفس

وعقبة الى قريش وقالوا لهم قد جئنا كم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبرا هم الخبر فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرف فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل أربعة أيام لا يأتيه الوحي وتكلمت قريش فى ذلك بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمداً قلاه ربه وتركه أى ومن جملة من قال ذلك له صلى الله عليه وسلم أم جميل امرأة عمه أبي لهب قالت له ما أرى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك أى تركك وبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف ويروى أنهم يكونون مع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اذا نزل ويحجون البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين أى وهو اسكندر ذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفى لفظ كان له شبه القرنين فى رأسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لأنه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها أى بلغ قطرى المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن رأسه فمات ثم أحيي ثم ضرب على قرنه الآخر فمات ثم أحيي وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض فى زمنه قرنان من الناس والقرن زمان مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من أهل مصر من ولد يونن وفي لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لوائه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاء صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور ذلك فى سورة الاسراء وهو أن الروح من أمر الله أى قل لهم الروح من أمر ربى أى من علمه لا يعلمه الا هو أى وكان فى كتبهم أن الروح من أمر الله أى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ومن ثم جاء فى بعض الروايات ما تقدم أن أجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي والا بأن أجابكم عنها بانها من أمر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد كما جاء في بعض الروايات سلوه عن الروح فان أخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي ❁ أقول ❁ اذا كان فى كتبهم حقيقة الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه كيف يسألونه فيخبرهم بذلك الا أن يقال المراد ان أجابكم بغير قوله من أمر ربى فاعلموا انه غير نبي فانه يحاول أن يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما فى ماثور التفسير من أمر ربى من علم ربى لا علم لى به وفى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سلوه عن الروح التى نفخ الله تعالى فى آدم فان قال لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله فى النار شيا هو منه وحاصل الجواب الذى أشارت اليه الآية ان الروح أمر بمعنى ماهو رأى مامور من مامو راته وخلق من خلقه لأنها جزء منه والله أعلم أى وهذا يدل على أن المسئول عنه روح الانسان التى هى سبب فى افادة الحياة للجسد وفى كلام الامام الغزالى رحمه الله تعالى ان الروح روحان حيوانى وهي التى تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخارى معتدل سار فى البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت وروح روحانى وهي التى يقال لها النفس الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى

أبي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتي مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلي فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم ذلك فقالوا ما هذا الطهور (٣٤٩) الذى اثنى الله عليكم به فقالوا يارسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط الا غسل فرجه أي بعد الاستنجاء بالاحجار وفي رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال هو هذا زاد في رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة. ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين اراد الخروج من قباء يارسول الله أخرجت ملالا لنا أو تريد دارا خيرا من دارنا قال اني امرت بقرية تاكل

النفس الحيوانى وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت هذا كلامه* (وفي كلام بعضهم والروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال فيه حلول الدهن فى الزيتون يعبر عنه بانا وانت واذا فارق البدن مات) وذهب جمع منهم الغزالي والامام الرازى وفاقا للحكماء والصوفية الى انه جوهر مجرد غير حال بالبدن يتعلق تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه الا الله اه ورأيت في كلام الشيخ الاكبر ان الامام ركن الدين السمرقندى لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائنا لينظر المسلمين فسال عن العلماء فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندى فقال له الهندى ما تعبدون قال نعبد الله بالغيب قال من انباكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذى قال في الروح قال هو من أمر ربي فقال صدقتم فاسلم وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على صورة بنى آدم أو ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل (قال بعضهم قلت كذا في هذه الرواية انهم سألوه أى مشركو مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على أن السؤال عن الروح ونزول الآية كانت بالمدينة أى من اليهود هذا كلامه وفيه انه سيأتى جواز تكرر السؤال وتكرر نزول الآية الى آخر ما يأتى وبه يعلم الاتقان حيث تعقب قول بعضهم أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سالوه عن الروح وعن ذى القرنين بقوله قلت السائل عن الروح وذى القرنين مشركو مكة أو اليهود كما في أسباب النزول لا الصحابة وفي الاتقان قد يعدل عن الجواب أصلا إذا كان السائل قصده التعنت نحو ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قال صاحب الافصاح انما سال اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان القرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة فقصد اليهود ان يسالوه صلى الله عليه وسلم فبأى مسمى أجابهم قالوا ليس هو (فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفي سورة الكهف أيضا آية ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت اذا أردت ان تقول سافعل شيئا فيما يستقبل من الزمان تقول إن شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت تأتى بها فذكرها بعد النسيان كذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام فى المجلس أى وظاهره وان طال الفصل) وفى الخصائص الكبرى أن هذا أى الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس لأحدنا أن يستثنى أى يأتى بالمشيئة الا في صلة يمينه (أقول) كان ينبغى أن يقول في صلة أخباره لان مساق الآية فى الاخبار لا في الحلف فان قيل هى عامة فى الخبر والحلف قلنا كان ينبغى أن يقول حينئذ في صلة كلامه وحينئذ يقتضى كلامه انا نشاركه في الخبر دون الحلف والله أعلم ثم لا يخفى انه قيل سبب احتباس الوحى انه لم يقل ان شاء الله تعالى وهو المشهور وقيل لانه كان في بيته كلب وفي لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما عاتب جبريل فى احتباسه قال أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أى فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة ياخويلة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا يأتينى قالت فقلت في نفسى كنست البيت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو ميتا* اقول قال ابن كثير قد ثبت في الحديث

القرى أى تغلبها وتقهرها والمراد أن أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم خلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم ثم ادركته صلاة الجمعة في مسجد بنى سالم بن عوف وهو المسجد الذى في بطن الوادى على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهى أول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب بها وهى أول خطبة خطبها في الاسلام ومن خطبته صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع أن يقى وجهه من النار

ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزىء الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها إلى المدينة وهو مردف أبا بكر رضى الله عنه خلفه اكراماله وإلا فقد كانت له راحلة ولما ركب صلى الله عليه وسلم ارخى لناقته زمامها وهى تنظر يمينا وشمالا وكلما مر على دار من دور الانصار  يدعونه المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مامورة وفي ذلك حكمة بالغة هى أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيئا ولما مر على بنى سالم بن عوف ساله منهم عتبان ابن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يارسول الله اقم عندنا فى العز والثروة والمنعة وفى رواية أنزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة اى السلاح ونحن أصحاب الحلائف والدرج كان الرجل من العرب يدخل هذه الهجرة خائفا فليلجا الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مامورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بنى بياضة أى محلتهم فساله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ماتقدم فاجابهم بانها مامورة خلوا سبيلها حتى وردت دار بنى ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فاجابهم بخلوا سبيلها فانها مامورة فانطلقت حتى مرت بدار بنى النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم أى أخوال جده عبد المطلب فسأله بنو عدى بن النجار بمثل ماتقدم وفى رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لاتجاوزنا لغيرنا يارسول الله ليس أحد من قومك أولى بك منا لقرابتنا فاجابهم بمثل ماتقدم وبانها مامورة فانطلقت حتى بركت

المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وقد أورد بعض الزنادقة سؤالا وهو اذا كانت الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب او صورة أى صورة التماثيل التى فيها الأرواح يلزم أن لا يموت من عنده كلب أو صورة وان لا يكتب عمله وأجيب عنه بان المراد لاتدخل ذلك البيت دخول اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافى دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح والله أعلم وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سائلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد السائل بقوله آتاكم الله من فضله وربما سكت فقد روى الشيخان ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا قال الحافظ بن حجر المراد بذلك انه لاينطلق بالرد بل ان كان عنده شىء أعطاه والاسكت وهذا هو المراد بما جاء انه صلى الله عليه وسلم مارد سائلا قط أى لا شافهه بالرد وقد حكى بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله استغفر لى فسكت فقلت يارسول الله ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ماسئلت شيئا قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم واستغفر لى أى فكان يأتى بالاول حيث لا يكون المقام يقتضى الاقتصار على السكوت ولعل هذا فى غير رمضان فلا يخالف مارواه البزار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل وبين الشيخ ابن الجوزى فى النشر سبب الحاح هذا السائل فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى اليه قطف عنب قبل اوانه فهم أن يأكل منه فجاءه سائل فقال أطعمونى مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله واعطى اياه فلقيه رجل من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم فعاد السائل فساله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق غريب جدا وهو معضل * وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك الغير أن جبريل عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عنى قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شعوركم ولا تستاكون *أقول واختلاف هذه الاسباب ظاهر فى أن الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله ونزلت أى آية سورة الضحى ردا عليهم فى قولهم أن محمدا قلاه ربه وتركه وهى ماودعك ربك وماقلى أى ماقطعك قطع المودع وما أبغضك لانه يجوز أن يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه ويمكن أن يقال يجوز أن تكون الواقعة واحدة وتعددت أسبابها ولا ينافيه أخبار جبريل عليه السلام تارة بان سبب احتباسه عدم قص الاظافر وماذكر معه وتارة بان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وماننتزل إلا بامر ربك كما يأتى قريبا وكما سيأتى في قصة الافك لكن قال الحافظ بن حجر قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية أى ماودعك ربك وماقلى غريب فالمعتمد ما فى الصحيح هذا كلامه * أقول ومما يدل على ان واقعة الجرو كانت بالمدينة مافى بعض التفاسير ان هذا الجرو كان للحسن والحسين رضى الله عنهما ومارواه مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى ساعة ان يأتيه فجاءت تلك الساعة ولم يأته فيها قالت وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو

يقول

يتحمل من محالهم وذلك فى محل المسجد او محل بابه أومنبره عنددار بنى مالك ابن النجار وكان ذلك الموضع الذى بركت فيه مربد السهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو والمربد الموضع الذى يجفف فيه التمر وقيل كل شىء حبست فيه من الابل أو الغنم ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى وهو من بنى مالك بن النجار ثم سارت وبركت فى مبركها الاول عند المسجد قال الحافظ بن حجر أشارت الى انه منزله حيا أوميتا وألقت (٣٥١) جرانها بالارض يعنى باطن عنقها وازرمت يعنى صوتت من غير أن تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وافضلها وهم أخوال عبد المطلب جده عليه السلام فاكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفى رواية أنها استناخت به أولا فجاء ناس فقالوا المنزل يارسول الله فقال دعوها فانبعث حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها وقال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وأخذه الذى كان يأخذه عنده الوحى وسرى عنه فقال هذا ان شاء الله يكون المنزل فاتاه أبو أيوب فقال أن منزلى أقرب المنازل فاذن لى أن انقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة فى ظلاله

يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير فقال متى دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فامر به فاخرج فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتنى فجلست لك ولم تات فقال منعنى الكلب الذى كان فى بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفى زيادة الجامع الصغير أتانى جبريل فقال لى انى كنت أتيتك البارحة فلم يمنعنى أن أكون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه الا انه كان على الباب تماثيل وكان فى البيت ستر فيه تماثيل وكان فى البيت كلب فامر صلى الله عليه وسلم برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وأمر بالستر فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطآن وأمر بالكلب فاخرج ومعلوم ان مجىء جبريل له صلى الله عليه وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما تقدم فليتامل *(ولما نزلت السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل وأما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السور التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن) عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بعد أمره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله أكبر هذا وقيل ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لا من أول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل أعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والاخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بانه كبر فى أول السورة المذكورة والرواية الاخرى أنه كبر فى آخرها (ومما يدل على أن التكبير أول سورة الضحى ما جاء عن عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسمعيل بن عبد ربه فلما بلغت الضحى قال كبر فانى قرأت على عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة فلما بلغت والضحى قال لى كبر حتى تختم واخبرنى ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فامره بذلك وأخبره ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمره بذلك وأخبره ابن عباس ان ابى بن كعب امره بذلك واخبره ابى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك قال بعضهم حديث غريب ونقل عن امامنا الشافعى رضى الله عنه أنه قال لآخر اذا تركت التكبير أى من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك أى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف *(وقد ذكر الشيخ أبو المواهب الشاذلى عن شيخه أبى عثمان أنه قال انما نزلت سورة ألم نشرح عقب قوله وأما بنعمة ربك فحدث اشارة الى أن من حدث بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كأنه تعالى يقول اذا حدثت بنعمتى ونشرتها بين عبادى فقد شرحت صدرك) وعن ابن اسحق ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل قد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنا وفى لفظ ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا أى لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة رآها) واما فى حديث الزبيدى (فقد حدث بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه

فلما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء أسعد بن زرارة فاخذ ناقته صلى الله عليه وسلم فكانت عنده قال أبو أيوب رضى الله عنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو وفى رواية لما نزل صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وكنت أنا وأم أيوب فى العلو فقلت يانبى الله بابى أنت وأمى أنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن ونكون فى السفل فقال ياأبا أيوب ان الارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت

فكان النبي صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه في المسكن فلما خلوت الى أم ايوب يعنى زوجته قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى فما بت تلك الليلة لا انا ولا ام ايوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفي رواية ان أبا أيوب انتبه ليلا فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحولوا وباتوا فى جانب زاد فى رواية فلقد انكسر لناحب فيه ماء فقمت انا وأم أيوب لقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم السفل أرفق بنا قلت لا يكون ذلك والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا زاد فى رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول الى العلو وأبو أيوب فى السفل قال ابو أيوب رضى الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت انا وام ايوب موضع يده نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا وثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسألته فقال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وانا رجل اناجى نصنع له تلك الشجرة بعد فاما انتم فكلوه فاكلناه ولم وهذا لا ينافى ان الطعام كان ياتيه ايضا من غير أبى أيوب فقد ورد أنه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة واستمرت حفنة سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام فى بيوت أزواجه وان أول هدية دخلت عليه الصلاة والسلام فى بيت أبى أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر يسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أليك أمى فقال بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه

وسلم جالس فى المسجد ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يامعشر قريش كيف تدخل عليكم المارة او تجلب اليكم جاب او يحل بضم الحاء أى أى ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقال له صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال خيرة ابله أى أحسنها فسامه بها أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سائم قال فاكسد على سلعتى فظلمنى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أجمالك قال هذه هى بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه فنظروا الى الجمال فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعير اباعه واعطى ارامل بنى عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس فى ناحية من السوق ولم يتكلم ثم أقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اياك ياعمرو ان تعود لمثل ماصنعت بهذه الرجل فترى منى ماتكره فجعل يقول لا اعود يامحمد لا اعود يامحمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل على أبى جهل امية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت فى يد محمد فاما ان تكون تريد ان تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رأيتم منى لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الى لو خالفته لكانت اياها أى لأتوا على نفسى) ونظير ذلك أن أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستغاث اليتيم بالنبى صلى الله عليه وسلم على ابى جهل فمشى معه اليه ورد عليه ماله فقيل له فى ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان اعطيه لطعننى) واما حديث المستهزئين (فمما استهزىء به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحدث به بعضهم إن أبا جهل بن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشى بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على النبى صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبى جهل استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه لا قدرة له على أبى جهل أى بعد أن وقف على ناديهم فقال يامعشر قريش من رجل يعيننى على أبى الحكم بن هشام فانى غريب وابن سبيل وقد غابنى على حقى فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعنيك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع ابى جهل أى قال له ياأباعبد الله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى بحقى منه فاشاروا اليك فخذ حقى منه يرحمك الله فخرج النبى صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابى جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أى تغير وصار لونه كلون النقع الذى هو التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له فدفعه اليه قال ثم أن الرجل أقبل حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقد والله اخذ لى بحقى وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل ماذا رأيت قال رأيت عجبا من العجب والله ماهو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه ومامعه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم

لا تبرح

وذكر ابن اسحق ان هذا البيت الذي لأبي أيوب بناه عليه الصلاة والسلام تبع الحميري لما مر بالمدينة في رجوعه من مكة وترك فيها أربعمائة عالم وروى ابن عساكر انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان في مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد صلى الله  عليه وسلم فاراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبي صلى الله عليه وسلم وبناء أربعمائة دار لكل رجل منهم دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد انه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا لمن يدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان في الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقاني في شرح المواهب فتداول الدار التي بناها تبع للنبي صلى الله عليه وسلم الملوك الى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقي أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فاني لم أر في وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحاق وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة

لاتبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اليه فعند ذلك قالوا لأبي جهل ويلك مارأينا مثل ماصنعت قال ويحكم والله ماهو الا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي لفحلا من الابل مارأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لأكلني والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي ... وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم ... ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ماقد رآه من قبل لكن ... ما على مثله يعد الخطاء

أي وطلب صلى الله عليه وسلم من أبي جهل أن يؤدي دين الاراشي وقد ساء بيعه وشراؤه مع ذلك الرجل ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفاء لذلك الدين كثير النجاء وذلك الذي أتاه به هو الفحل الذي قد رآه من قبل أي لما أراد عدو الله أن يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ماعلى مثله فضلا عنه بعد الخطا الان خطاه لا ينحصر أي ومن استهزاء أبي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم انه في بعض الاوقات سار خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك الى أن مات قال ابن عبد البر وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وهو والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء أبي جهل ماتقدم * ومن استهزاء أبي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومر يوما من الايام فرآه أخوه حمزة رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفض رأسه ويقول صابئ أحمق * ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي القذر أيضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا لياتيان بالفروث فيطرحانها على بابي كما تقدم (ومن استهزائه انه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا أي فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من اشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل فقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فاخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبأت قال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي الا أن اشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي ووجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار

والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعة وهم الاوس والخزرج فعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم فى منزل نفسه لا فى منزل غيره وعن أنس رضى الله عنه قال شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جويريات من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحببنى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن وفى رواية وانا والله أحبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله اكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى رواية أن ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت فى دار بنى النجار أى محلتهم جاء رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر رضى الله عنه وكان من صالحى المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء انه عليه الصلاة والسلام قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان من بنى ساعدة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع اسرجوا الى حمارى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن اخته سهل فقال أتذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لترد عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع قال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره أن يفك عنه عرجه وفى رواية قال له اجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارك فى الدور الاربع التى سمى وما لم يسم أكثر مما سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث عليه الصلاة والسلام فى دار أبى أيوب سبعة أشهر الى أن فبلغ

فاحترق مكانها وكان أثر الحرق فى وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا فى وجهه أى صار كالبرص وأنزل الله تعالى فى حقه ويوم يعض الظالم على يديه أى فى النار يأكل احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها وهكذا * ومن استهزاء الحكم بن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشى ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وأنفه يسخر بالنبى صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك أى كما تقدم نظير ذلك لأبى جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات أسلم يوم فتح مكة وكان فى اسلامه شىء أطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة أى وقيل بمدرى فى يده والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف فلم يزل حتى ولى ابن أخيه عثمان رضى الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد أن سأل عثمان أبا بكر فى ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر لما ولى الخلافة فقال له مثل ذلك ولما أدخله عثمان نقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده أى ان أرده ولا ينافى ذلك سؤال عثمان لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم فى ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل أن برده عثمان اما بنفسه أو بسؤاله وسيأتى ذلك فى جملة أمور نقمها عليه الصحابة وعن هند ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل يغمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فزحف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفى رواية فما قام حتى ارتعش * وعن الواقدى استأذن الحكم بن العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقالوا له ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه إلا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق وكان لا يولد لأحد ولد بالمدينة إلا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأتى اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم رآه لأنه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى آخره وفى كلام بعضهم ان مروان ولد بمكة وفى كلام بعض آخر انه ولد بالطائف بعد أن نفى أبوه الى الطائف أى ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك أى الذى هو العاص ابن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن * ولى مروان الخلافة تسعة أشهر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لمروان بن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن أبى بكر لما بايع معاوية لولده قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما

(١) [illegible]

بنى المسجد وبعض مساكنه ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف إلى المدينة تحول المهاجرون فتنافس فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الأنصار إلا بقرعة بينهم وكان المهاجرون فى دور الأنصار وأموالهم ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما بالحمى روى النسائى عن عائشة رضى الله عنها لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أوبا أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصابت الحمى أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فأذن لى فدخلت عليهم وهم فى بيت واحد فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا أخذته الحمى يقول له إذا قيل له كيف تجدك

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت انا لله إن أبى يهذى وما يدرى ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * أن الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه * كالثور يحمى أنفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدرى ما يقول أى لأنها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا فى الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا قلعت عنه الحمى يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء قالت عائشة رضى الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه

فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له أما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم ابن العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل لامتى مما فى صلب هذا قال بعضهم وكون النبى صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه من الحلم والاغضاء على ما يكره فعل بالحكم ذلك يدل ذلك على أمر عظيم ظهر له فى الحكم وأولاده * وعن حمران بن جابر الجعفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات أى وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن أبى سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم اثنتى وثمانين سنة وهى الف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لأن معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة أربعين أو إحدى وأربعين واستمر الأمر فى بنى أمية إلى أن انتقل الى بنى العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة وألف شهر تعدل ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر هذا كلامه * ومن استهزاء العاص بن وائل أنه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الأيام والاحداث * أى ومن استهزائه أن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه كان قينا بمكة أى حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يقتضى ثمنها فقال له يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك آثر عند الله منى ولا أعظم حظا فى ذلك وفى لفظ أن العاص قال له لا أعطيك حقك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرنى حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فاقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وفى كلام ابن حجر الهيتمى وفى البخارى من عدة طرق أن خبابا رضى الله تعالى عنه طلب من العاص بن وائل السهمى دينا له عليه قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا أكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه أن هذا التعليق للكفر بممكن أى وتعليق الكفر ولو بمحال عادى وكذا شرعى أو عقلى على احتمال كفر لانه ينافى عقد التصميم الذى هو شرط الاسلام وأجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا وانما اراد بذلك تكذيب ذلك اللعين فى انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تأتى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التى صرحوا بان ما بعدها كلام مستانف وعليه خرج ابن هشام الخضراوى حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه اى لكن أبواه وعد بعضهم من المستهزئين الحرث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب الى امه وكان من استهزائه ما تقدم عن العاص بن وائل وابى جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد منهم الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا راى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر اى لان الصحابة

وسلم فاخبرته وقلت يارسول الله أنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فنظر إلى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها حتى أن من أقام بها يجد من تربتها أو حيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة  في ثمارها قال العلامة الزرقاني والظاهر أن الاجابة حصلت بالأولى والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفي المد بها ما لا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها إلى الجحفة والمراد الحمى الشديدة الثقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الا حم وسقط قال الزرقاني والذي نقل عنها سلطان الحمى وشدتها وباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة لما نقل شيئا واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة في قلوب أصحابه حتى قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضي الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبي لؤلؤة المجوسي واسمه فيروز غلام المغيرة ابن شعبة ودفن عند حبيبه صلى الله عليه وسلم قال السهيلي بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه * وقد جاء في حديث أصيل الغفاري أنه قدم من مكة فسألته عائشة رضي الله عنها كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت اباطحها واحجن ثمامها واغدق اذخرها وأبشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر * وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم أي بستانكم أي اذكروا لي ثمنه لاشتريه منكم قالوا

---

كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول. وعد منهم الاسود بن عبد المطلب ومن استهزائه أنه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويصفرون اذا رأوهم وعد منهم النضر بن الحرث فهلك غالبهم قبيل الهجرة بضروب من البلاء * أقول والذي ينبغي أن يكون المراد بالمستهزئين في الآية وهي أنا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والد خالد وعم أبي جهل فانه كان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لأجل طعام غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه كانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له أيام الحج ذكر وكان المقدم في قريش فصاحة وكان يقال ريحانة قريش ويقال له الوحيد أي في الشرف والسؤدد والجاه والرياسة قال بعضهم بل وهو وحيد في الكفر والخبث والعناد والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة وفي لفظ بن الطلاطلة والطلاطلة في اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لأن ابن الطلاطلة اسمه مالك لا حارث والحرث بن العيطلة كان أحد أشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والأموال التي تجعل للآلهة وذكره ابن عبد البر في الصحابة قال في أسد الغابة لم أر أحدا ذكره في الصحابة الا أبا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح أنه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما يروى أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد أي يطوف بالبيت وقال له أمرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فاومأ الى ساق الوليد وقال كفيته ومر العاص بن وائل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاشار الى أخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى عينه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى رأسه وقال كفيته ثم مر الحرث بن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفاية هذا له صلى الله عليه وسلم أنه لم يسع ولم يتكلف في تحصين ذلك والى هذا أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وجبريل لما استهزأت فرقة الردى * أشار الى كل باقبح ميتة

والله أعلم قال وروى الزهري أن الاسود بن عبد يغوث خرج من عند أهله فاصابته السموم فاسود وجهه فاتى أهله فلم يعرفوه وأقفلوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ما سيأتي عن الهمزية ولا يناسب أن جبريل عليه السلام أشار إلى رأسه وفي كلام البلاذري عن عكرمة أن جبريل أخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث فحنى ظهره حتى احقوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي أي لأنه كما تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف أو لاجل مراعاة ابيه أي يراعي لأجل أبيه الذي هو خالي فقال جبريل يا محمد دعه وفي رواية قال له جبريل خل عنك ثم حناه حتى

لانطلب ثمنه الا الله فابى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضى الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء وقيل فى حجر أسعد بن زرارة وجمع بانه كان فى حجرهما وبعض منه كان حائطا أى بستانا فيه نخل وبعض منه كان فيه قبور (٣٥٧) وبهذا جمع بين الاحاديث التي في بعضها ان موضع المسجد كان مربدا وفى بعضها كان مسجد الاسعد بن زرارة الى غير ذلك فامر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالخرب فسويت بازالة ما كان فيها وبالنخل فقطعت وجعلت عمد المسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل روى محمد بن الحسن المخزومى وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى المسجد قال ابنوا الى عريشا كعريش موسى. ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام اصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع وروى البيهقى من سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبي بكر ثم ليضع عثمان حجره الى حجر عمر ثم ليضع على ففيه اشارة الى ترتيبهم فى الخلافة رضى الله عنهم بل صرح به فى رواية انه سئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدى قال الامام أبو زرعة اسناده لاباس به فقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وفى رواية هؤلاء ولاة الأمر بعدى وأما ما اشتهر من أن النبي صلى الله عليه

حتى قتله وهذا لايناسب كون جبريل أشار الى رأسه والمناسب لذلك ماذكره بعضهم انه امتخض رأسه قيحا ثم لم يزل يضرب برأسه أصل شجرة حتى مات وكذا الحرث بن عيطلة أى وفى كلام القاضى وحارث بن قيس وفى تكملة الجلال السيوطى عدى بن قيس فقد أكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكرهنا ان جبريل اشار الى بطنه لكن لايناسب ما قاله القاضى البيضاوى أنه أشار الى انفه فامتخض قيحا وأما الاسود بن المطلب فقد عمى بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيئا أى وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول ماهو ذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له ما نرى شيئا وقيل أتى شجرة ينطح رأسه بها حتى خرجت عيناه أى وفعل ذلك لاينافى ما ورد فاشار أى جبريل الى وجهه فعمى بصره فى الحال لجواز ان يراد بالحال الزمن القريب وفى رواية انه كان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا اشريدا فاستجيب لى وسيأتى عن بعضهم فى غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود بن المطلب بالعمى وفقد أولاده فعجل له العمى وفقد أولاده ببدر وأما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم ينقلب لينجيه تعاظما فعدا فاصاب السهم عرقا فى ساقه فقطعه فمات وأما العاص بن وائل فدخلت شوكة فى أخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالروحامات * والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله تعالى أنا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أى عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبديغوث * ان سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فالله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقدسا * ل بها رأسه وسال الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

أى وكفى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة أحزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء قومه به وهؤلاء المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم اصيبوا بداء عظيم والهلاك من جملة جنوده الامراض فاهلك الاسود بن المطلب عمى عظيم الاحياء أموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل اشار الى عينيه ودهى أيضا الاسود بن عبديغوث استسقاء سقاء كاس الموت وهذا لايناسب كون جبريل اشار الي رأسه وأصاب الوليد أثر سهم فى ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء أى سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت في رجاله فالله هذه النقعة الخشنة اللمس لكون جبريل

وسلم لم يستخلف فمعناه انه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافى قولنا لم ينف قوله الخلفاء بعدى لأنه ليس نصا لجواز أن يراد الخلافة فى العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت لم يكن نصا سالما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون فى بناء  مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضى الله عنه ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال انى أريد من الله الاجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن ظهره وقال له للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الطبرانى فى الكبير باسناد حسن عن أبى سنان الدؤلى الصحابى رضى الله عنه قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبة محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وانهم على الباطل يعنى لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضى الله عنه وكان ذلك بصفين مع على رضى الله عنه ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع وتسعين سنة * روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن فى بناء مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر ويقول أيضا قول عبد الله بن رواحة اللهم ان الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة وأصلى البيت لاهم اخ

الحرث القيوح والحال انه قد سال رأسه وفسد ذلك الوعاء لتلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل أشار إلى أنفه لا لقول بعضهم أنه أشار إلى بطنه فخمسة ظهرت بهلاكهم الأرض فكف الاذى بهم شلاء فاقدة الحركة * وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافى عد منبه ونبيه ابنى الحجاج منهم فقد قيل كان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك ليشهد لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به ولا ينافى عد أبى جهل وغيره منهم كما تقدم * وفى سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه * ومن استهزاء أبى جهل أيضا بالنبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يقذفونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم أى وفى رواية أن بعض قريش وكان شديدا قوى الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال له أنا أكفيك سبعة عشر واكفونى انتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال له يا محمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن أى وفى رواية ان أبا جهل قال أنا أكفيكم عشرة فاكفونى تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أى لا يطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآيات أى بأن يقولوا ما ذكر او يقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد أى وهذا العدد لحكمة استأثر الله تعالى بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين لذلك حكما تراجع وقد جاء فى وصف تلك الملائكة ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى أى القرون ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة وفى رواية ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم * وأخرج العتبى فى عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق مالكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أى وهؤلاء الاتباع منهم وأخرج هناد عن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أى والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها وفى كلام بعضهم لم يثبت لملائكة النار عدد معين سوى ما فى قوله تعالى عليها تسعة عشر وانما ذلك لسقر التى هى احدى دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك سأصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد أو أكثر قيل وبسم الله الرحمن الرحيم عدد حروفها على عدد هؤلاء الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم * أقول ومن استهزاء أبى جهل أيضا انه قال يوما لقريش وهو يهزأ برسول الله

وقيل أن البيت المذكور لامرأة من الأنصار وبعده وما فهم من خرثار ساعره * فانها لكافر وكافره والتمثيل بشيء من الشعر ليس يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع انما هو انشاء الشعر لا انشاده ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يوما ارداءه وهو يعمل فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ويقولون لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذن للعمل المضلل ويروى * لذاك منا العمل المضلل وروى البيهقي عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه  وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر

الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يامعشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة في النار يقال لها شجرة الزقوم والنار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة تترتب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها اما علموا أن من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها وقد قال ابن سلام رضي الله عنه انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له زفرة وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أي وقال محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن آلهك الذي تعبد فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رأيت في الدر المنثور في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام باصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وانتنت فلم يستطع أحد يدنو منهم حتى ماتوا فلينظر الجمع على تقدير الصحة وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت أي فقد تكرر نزول الآية والله أعلم قال ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين ويقول انه الذي قال سانزل مثل ما انزل الله انتهى أي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال أن ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات وقال ولا يعد في أن تكون الآية نزلت فيهما ليتحقق العطف في قوله واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا أي فان هذا الوصف الثاني انما يناسب النضر فليتامل ولما تلى عليهم صلى الله عليه وسلم نبا الاولين قال النضر بن الحرث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين فانزل الله تعالى تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا له وجاء ان جماعة من بني مخزوم منهم ابو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي سمعوا اقراءته فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا اقراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من امامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فانزل الله تعالى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون

صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه رجلا متنطعا أي متأنقا مترفها ظريفا وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان اصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانشد يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضي الله عنه فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرتجز به ولا يدري من يعني به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لاعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يارسول الله مالي ولا صحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول ياابن سمية ليسوا بالذي يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون على الخ استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبي صلى الله عليه وسلم

وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد * وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي وعن الواقدي قال كان لحارثة بن النعمان رضي الله عنه منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله  كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة ابن زيد وأم أيمن وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان رضي الله عنه وزينب أخرت عند زوجها أبي العاص بن الربيع حتى أسر ببدر فلما من عليه أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر رضي الله عنه عبد الله بن اريقط وكتب معه الى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه ام رومان وأم ابي بكر وعائشة واسماء قالت عائشة رضي الله عنها فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن ابي بكر معهم بعيال ابيه ومنهم عائشة رضي الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا في عيال ابي بكر ونزل آل النبي صلى الله عليه وسلم عندنا وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته فادخل سودة احد تلك البيوت وكان يقيم عندها ذكره الطبراني واما عائشة رضي الله عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة اشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلي لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة ابطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وانزل الله إنما المؤمنون اخوة يعني في التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين خمسة واربعون من المهاجرين وخمسة

وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن أن يدعى أنها نزلت لوجود الامرين فليتامل وجاء ان النضر بن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى اساود تضرب باذنابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فاتى أباجهل فقال من أين فاخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره * ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله تعالى عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعري قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال الزبعري أنا أخصم لكم محمدا أدعوه لي فدعوه له فقال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد دون الله فقال ابن الزبعري اخصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة لست تزعم يا محمد أن عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار وفرحوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا والملائكة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ باب الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ﴾

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على انقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا في الارض فان الله تعالى سيجمعكم قالوا الى أين نذهب قال ههنا أشار بيده الى جهة أرض الحبشة قال وفي رواية قال لهم اخرجوا من جهة أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد أي وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه انتهى أي ويجوز أن يكون قال ذلك عند استفساره صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته فقد جاء في الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم ومنهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول خارج وقيل أول من هاجر الى الحبشة حاطب بن ابي عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيهما قوله صلى الله عليه وسلم ان عثمان لأول من هاجر باهله بعد لوط أي حيث أني مهاجر الى ربي فهاجر الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى اتيا حران ثم هاجرا الى أن نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل لوط عليه الصلاة والسلام المؤتفكة ووجه عدم المنام ان كلا من حاطب وسليط يجوز أن يكون هاجر بغير اهله وكان مع رقية ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية رضي الله تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله تعالى عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

احسن

أحسن شيء قد يرى انسان * رقية وبعـــدها عثمان

ومن ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان ورقية رضي الله تعالى عنهما فاحتبس عليه الرسول فلما جاء اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما أي ومعلوم أن ذلك كان قبل آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليها فتاذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء في وصف حسن عثمان رضي الله تعالى عنه بقوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ان أردت أن تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان وسيأتي ذلك مع زيادة وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم سلمة أي وقيل هو أول من هاجر بأهله وهو مخالف للرواية السابقة أن عثمان أول من هاجر بأهله ويمكن أن تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافي ما سبق عن عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى أي وعنها رضي الله تعالى عنها كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة اذا أنا بعمر بن الخطاب فقال لي الى أين يا أم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا نذهب في أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر فاخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجو أن يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب أي استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على أهل الاسلام وهذا دليل على أن اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك أي خلافا لمن قال أنه كان تمام الاربعين من المسلمين أي ممن أسلم وفيه أن المهاجرين الى أرض الحبشة كانوا فوق ثمانين كما قاله بعضهم اللهم الا أن يقال أنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين الى ارض الحبشة ومما يدل لذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الصديق وفي ضرب قريش له رضي الله تعالى عنه لما قام خطيبا في المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في الرواية أنهم قاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب اسلم يوم ضرب ابي بكر فليتامل وفي لفظ عن أم عبد الله زوج عامر قالت أنا لنرحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر تعني زوجها الى بعض حاجته اذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وكنا نتقي منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه لخروج يا أم عبد الله فقلت والله لنخرجن الى ارض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وتفرست فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا أبا عبد الله لو رأيت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم وممن هاجر ابو سبرة وهو اخو أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما لامه أمهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته أم كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهما أي وكان أميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهري لم يكن لهم أمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وعبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل انما كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية فخرجوا اسرا أي متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم

وأربعون من الأنصار وكانت المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الأنصار رضي الله عنهم في ذلك جهدهم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ودعا فيه يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وصالحهم على ترك الحرب والأذى وان لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه أحدا وأنه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه زوج أم أنس بن مالك رضي الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وخارجة بن زيد رضي الله عنهما وكان صهرا لأبي بكر لأنه زوج ابنته لأبي بكر رضي الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضي الله عنهما وبين بلال وابن رويم الخثعمي رضي الله عنهما وبين زيد ابن حارثة وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع رضي الله عنهما وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من أكثر الانصار مالا فانا مقاسمك وعندي امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك في أهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دلوني على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضي الله عنه وتوفي أسعد بن زرارة رضي الله عنه في السنة الاولى من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا



وكان رضي الله عنه نقيبا لبني النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم أخوالي وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكان من مفاخرهم كون النبي صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها على

رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوال * ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان بلال ينادي الصلاة جامعة ثم تكلم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضي الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة وقال بعضهم نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه في منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال افلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله أكبر الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال انها رؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فالق عليه فانه أندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضي الله عنه فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى بل روي انه رآه اربعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فما كان الاعتماد الا على الوحي وكانت تلك المنامات سببا في ذلك

(باب معاداة اليهود)

وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس احبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وأنزل الله فيهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر الآيات * فمن اعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيي ابو ياسر وجدي بنوا خطب وسلام ابن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم اسلم وصحب رضي الله عنه وكان له

فيهما بنصف دينار أي وفي المواهب خرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار هذا كلامه فليتأمل * وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا الى البحر فلم يجدوا أحدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافيه ما تقدم عن ليلى امرأة عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها وأخبارها له بانها تريد أرض الحبشة فلما وصلوا الى أرض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا في أرض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوى أي وقد أنزلت عليه في ذلك الوقت ففي كلام بعضهم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وأنزل الله تعالى عليه سورة والنجم إذا هوى فقرأها عليهم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما أوحي اليه وهما تلك الغرانيق العلى أي الاصنام وان شفاعتهن لترتجى وفي لفظ لهي ترتجى شبهت الاصنام بالغرانيق التي هي طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة أو غرنوق بضم الغين والنون أيضا أو غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي أو يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور أن تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء فالاصنام شبهت بها في علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا أي المسلمون والمشركون * أقول قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان وانما سمع ذلك المشركون فسجدوا للتعظيم آلهتهم ومن ثم تعجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير ايمان * قال بعضهم والنجم هي أول سورة نزل فيها سجدة أي أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافي ان اقرأ باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها أوائلها كما علمت * وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قرأ يوما اقرأ باسم ربك فسجد في آخرها وسجد معه المؤمنون فقام المشركون على رؤسهم يصفقون وقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم سجد في النجم أي في غير سجدته المتقدمة التي سجد معه المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل قبل أن يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند أئمتنا ان أول المفصل الحجرات على الراجح من أقوال عشرة لا يقال لعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ممن يرى أن النجم ليس من المفصل لانا نقول اقرأ باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال أئمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرأ باسم ربك وهي أي النجم أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة * وذكر الحافظ الدمياطي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأى من قومه كفا عنه أي تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل علي شيء ينفرهم عني وفي رواية تمنى أن ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في نادمن تلك الاندية حول الكعبة فقرأ عليهم والنجم اذا هوى الى آخر ما تقدم والله اعلم ومن جملة من كان مع المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود

وقيل

سبع حو ائطفاوصى بهاالنبي صلى الله عليه وسلم وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الاذان والاعلان بالشهادة له صلى الله عليه وسلم *وعن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها بنت حيي بن أخطب اليهودى قالت كنت أحب ولد أبى اليه والى عمى أبا ياسر وكان من أحبار اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة عدوا عليه ثم جا آمن العشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم والله قال تعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله مابقيت وفى رواية قالت أن عمي أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال ياقوم أطيعونى فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل فوالله لا ازال له عدوا فقال له أخوه أبا ياسر اطعنى في هذا الأمر وأعصنى فيما شئت بعد لانهلك فقال والله لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله فيهما ومن كان موافقا لهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق *ومن شدة عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم أن لبيد بن الاعصم اليهودى صنع سحرا للنبي صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة وهى مايخرج من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودى كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال النبى صلى الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك فى بئر ذروان فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم أن يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحى كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة

وقيل الذى فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك أمية بن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أبو لهب وقيل المطلب وقد يقال لامانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا أبو لهب فقد جاء وفيها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبى لهب فانه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال يكفى هذا ولا يخالف ذلك مانقل عن ابن مسعود ولقد رأيت الرجل أى الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز أن يكون المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا أن الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لنا نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فى البيت وفيه أنه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع أنه موافق لما تمناه من أن الله ينزل عليه مايقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن سيرة الدمياطى الا أن يقال هذا كان بعد ماعرض السورة على جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين المذكور ذلك فى قولنا فلما أمسى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال له جبريل ماجئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله مالم يقل أى فكبر عليه ذلك فاوحى الله تعالى اليه مافى سورة الاسراء وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره بموافقتك لهم على مدح آلهتهم بما لم نرسل به اليك واذا لو فعلت أى دمت عليه لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا أى مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم أنه تكلم بذلك ظانا أنه من جملة ما أوحى اليه وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة لئن كنت نبيا فالحق بالشام لانها أرض الانبياء حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج برحله فنزلت فرجع أى بدليل مابعدها وقيل ان التى بعدها نزلت فى أهل مكة وقيل ان آية وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك نزلت فى ثقيف قالوا لا تدخل فى أمرك حتى تعطينا خلالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا ننحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى وقيل نزلت فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وقد يدعى ان هذا مما تعدد أسباب نزوله والقاضى البيضاوى اقتصر على ماعدا الاول والله اعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما فى شرح المواقف ومن سمعه انهما من قوله صلى الله عليه وسلم أى حتى قال قلت على الله مالم يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع إلى ديننا أى دين قومه حتى ذكر ان آلهتنا تشفع لنا وعند ذلك أنزل الله تعالى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته أى قراءته ماليس من القرآن أى مما يرضاه المرسل اليهم فى البخارى اذا حدث القى الشيطان فى حديثه فينسخ الله مايلقى الشيطان يبطله ثم

وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما ثم جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك السحر وبمكانه فارسل صلى الله عليه وسلم
عليا وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ممسوخا فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم في
نفسه بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشر آية كلما قرأت آية انحلت عقدة وجعل
جبريل عليه السلام يقول باسم الله  أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم أنه صلى الله عليه وسلم أحضر لبيدا

يحكم الله آياته أي يثبتها والله عليم بالقاء الشيطان ماذكر حكيم في تمكينه من ذلك يفعل مايشاء ليميز
به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه ولم أقف على بيان أحد من الانبياء والمرسلين وقع له مثل ذلك
وفيه كيف يجترئ الشيطان على التكلم بشيء من الوحي ومن ثم قيل هذه القصة طعن في صحتها جمع
وقالوا أنها باطلة وضعها الزنادقة أي ومن ثم أسقطها القاضي البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي
عياض فقد قال هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما أولع به
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب أي وقال البيهقي رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال
الامام النووي نقلا عنه وأما ما يرويه الاخباريون والمفسرون أن سبب سجود المشركين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماجرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا
من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن
يقوله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك أي والا
يلزم عدم الوثوق بالوحي * قال الفخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى
وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى أي والشيطان لا يجترئ أن ينطق بشيء من الوحي وقال
بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر وقال رد عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه
(فشا أمر تلك السجدة في الناس حتى بلغ أرض الحبشة أن أهل مكة أي عظماءهم قد سجدوا وأسلموا حتى
الوليد بن المغيرة وسعد بن العاص وفي كلام بعضهم والناقل لاسلامه أنه لما رأى المشركين قد سجدوا
متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر
بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بني مكة اذا أسلم هؤلاء
عشائرنا أحب الينا فخرجوا أي خرج جماعة منهم من أرض الحبشة راجعين الى مكة أي وكانوا ثلاثة
وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك في شوال حتى اذا كانوا
دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم
عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فأتمر القوم بالرجوع الى أرض الحبشة ثم قالوا قد
بلغنا مكة فندخل ننظر مافيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع فدخلوا مكة أي بعضهم
بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الامتاع ويقال أن رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد
الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد اليه التبري لانهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين
أو سنتين ومكث هؤلاء عند النجاشي حينئذ كان دون ثلاثة أشهر كما علمت وأيضا الهجرة الثانية
للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب كما سيأتي قال في الاصل ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود
فانه مكث يسيرا ثم رجع الى أرض الحبشة) أي وهذا من صاحب الاصل تصريح بان ابن مسعود كان في
الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك لشيخه الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي جزم بان ابن مسعود
كان في الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب الاصل حكى خلافا أنه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحق
حيث قال أن ابن مسعود انما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي الاصل أن يقول على ماتقدم هذا أو في
كلام

فاعترف فعفا عنه لما اعتذر
له بان الحامل له على ذلك
حب الدنانير وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
لو قتلته فقال صلى الله عليه
وسلم قد عافاني الله
وماوراءه من عذاب الله
أشد وفي رواية أما أنا فقد
عافاني الله وكرهت أن
أثير على الناس شرا * وعن
ابن عباس رضي الله عنهما
أن يهود كانوا يستفتحون
أي يستنصرون على
الاوس والخزرج برسول
الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه أي يقولون
سيبعث نبي صفته كذا
وكذا نقتلكم معه قتل عاد
وارم فبعد أن ظهر الاسلام
بالمدينة قال لهم معاذ بن
جبل وبشر بن البراء
رضي الله عنهما يامعشر
يهود اتقوا الله وأسلموا فقد
كنتم تستفتحون علينا
بمحمد صلى الله عليه وسلم
ونحن أهل كفر وشرك
وتخبرون أنه مبعوث
وتصفونه لنا فقال سلام
ابن مشكم وهو من عظماء
يهود بني النضير ماجاء
بشيء نعرفه ماهو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله في ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصلت من
أحبار اليهود وكان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم ويلبس على اليهود وأخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها أن

الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من المال الذى تطعمك اليهود فغضب والتفت الى عمر رضى الله عنه وقال ما انزل الله على بشر من شيء فكان هذا منه كفرا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبموسى عليه السلام وبما انزل عليه فقالت له اليهود ما هذا الذى بلغنا عنك فقال أنه أغضبنى فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وانزل الله وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وانزل أيضا فلما  جاءهم ماعرفوا كفروا به *ويروى أن يهود المدينة من بنى قريظة والنضير وغيرهما كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب اسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامى الذى وعدت انك باعثه فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذى نجد نعته فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ أن يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق النبي الذى وعدت أن تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا تنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيلزمون غطفان وممن كان من احبار اليهود حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودى كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من الفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من اليهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أى قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذلك فرده

كلام بعضهم فلم يدخل أحد منهم مكة الا مستخففا وكلهم دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى أرض الحبشة وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة ظن به انه لم يدخلها فلا ينافى ما سبق ويجوز أن يكون أكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلقوا على الكل انهم مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا ولما رجعوا القوا من المشركين أشد ما عهدوا قال وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل فى جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال والله ان غدوى ورواحى امنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من الاذى فى الله مالا يصيبنى لنقص كبير فمشى الي الوليد فقال ياأبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن اخى لعله آذاك أحد من قومى وأنت فى ذمتى فاكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لى أحد ولا آذانى ولكن ارضى بجوار الله عز وجل واريد أن لا استجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد إلى جوارى علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنى لا استجير بغير الله عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم انى برىء من جواره الا ان يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد * الا كل شيء ماخلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال لبيد * وكل نعيم لامحالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزيل فقال لبيد يامعشر قريش ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم أن هذا السفيه فى سفهاء معه فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن اخى كانت عينك عما اصابها لغنية ولقد كنت فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت غنيا فقال عثمان رضى الله عنه بل كنت الى الذى لقيت فقيرا والله أن عينى الصحيحة التى لم تلطم لفقيرة الى مثل ما أصاب اختها فى الله عز وجل ولى فيمن هو أحب الى منكم أسوة وأنى لفى جوار من هو أعز منك انتهى فعثمان فهم أن لبيدا أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لو أن لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الآخرة لما تشوش من الرد عليه لانا نقول يجوز أن يكون تشوشه من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على أن هذا السياق دال على أن لبيدا قال هذا الشعر قبل اسلامه ويؤيده ما قيل أكثر أهل الاخبار على أن لبيدا لم يقل شعرا منذ اسلم وبه يرد ما فى الاستيعاب أن هذا أى قوله الا كل شيء الى اخره شعر حسن فيه ما يدل على انه قاله فى الاسلام وكذلك قوله

وكل امرىء يوما سيعلم سعيه * إذا كشفت عند الاله المحاصل

وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذى لا لا يصدر غالبا إلا عن مسلم أن يكون قاله فى حال اسلامه كما وقع لامية بن أبى الصلت حيث قال فى شعره ما لا يقوله ألا مسلم مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه أمن شعره وكفر قلبه وفى رواية كاد يسلم وذكر محيى الدين بن العربى فى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب وفى رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد الا كل شيء ماخلا الله باطل أعلم أن

عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذلك وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يامعشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم



بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجل من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله في شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وانزل الله في الانصار يا أيها الذين امنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء تعنتا وحسدا وبغيا ليلبسوا الحق بالباطل

* فمن جملة ماسألوه صلى الله عليه وسلم عنه الروح فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل أي جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على أنه النبي الأمي وانتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم

معه

---

الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ماسوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل أي كالباطل لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في عرفانه ربما تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الحق لا انها زالت من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل أحد يصل الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا يدركها الا من أدرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الأول قول الاستاذ الشيخ أبي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر من اثبات وجوده لذاته ويوافق قول اكثر أهل الأخبار قول السهيلي وأسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله تعالى عنه أي في خلافته عن تركه الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمني الله تعالى البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من أجل هذا القول فكان عطاؤه الفين وخمسمائة وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي ... حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

قال وممن دخل بجوار أبو سلمة بن عبد الأسد بن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله أبي طالب ولما أجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن اختك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن أختي وأنا ان لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقال أبو لهب على أولئك الرجال وقال لهم يامعشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن أو لا قومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا بلى ننصرف عما تكره يا أبا عتبة أي لأنه كان وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أي وطمع أبو طالب في أبي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا أن يقوم معه في شانه صلى الله عليه وسلم وأنشد أبياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن أوذي في الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عمر بن الخطاب وسبب اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء اسلامي أي ابتداؤه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش أي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمته في الجنة أي صوته وحسه كان يخفي اسلامه خوفا من قومه وأخبرني أن أختي يعني أم جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل أمنة قد صبأت أي أسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت أخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة يكونان

فقاموا اليه فقالوا ياأبا القاسم ماالروح وفى رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى أليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقالوا كذا نجد فى كتابنا التوراة وتقدم ان هذه الآية نزلت بمكة حين ساله كفار قريش عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولامانع من تكرر نزولها حين ساله اليهود فلماسألوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحى اليه اجابتهم بشيء غيرما أجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الأول بعينه فاوحى الله



اليه الآية بعينها فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد فى كتابنا * وجاء يهوديان مرة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهم الاتشركا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولاتسحروا ولا تمشوا ببرىء الى سلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يايهود خاصة لاتعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا انك نبى قال مايمنعكما أن تسلما فقالا نخاف ان اسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافى أن بعضهم فسرها بالمعجزات التى أعطيها موسى عليه السلام وهى التسعة المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لأن تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى عليه السلام ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم * وقيل فى سبب نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أرض الشام لم يعلما بمبعثه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبى الخارج فى اخر الزمان فاخبرا بهجرة

معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختى رجلين ممن أسلم أى احدهما خباب بن الارت بالمثناة فوق والآخر لم أقف على اسمه وفى السيرة الهشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما ليعلمها القرآن فجئت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا والى واستخفوا ونسوا الصحيفة فقامت المرأة يعنى أختى ففتحت لى فقلت لها ياعدوة نفسها قد بلغنى انك قد صبوت وضربتها بشيء كان فى يدى فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة فى ناحية من البيت فقلت ماهذا الكتاب اعطينيه أى فان عمر كان كاتبا فقالت لا اعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم أزل حتى اعطتنيه أى بعد أن اغتسل كما فى بعض الروايات وفى بعض الروايات قالت له ياأخى انك نجس على شركك فانه لا يمسه إلا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم ان أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم فى ذلك من البعيد وكون هذا منها يحمل على انه لم يغتسل غسلا يعتدوا به يخالفه ماتقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفى لفظ قالت له أنا نخشاك علينا قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها فدفعتها اليه أى وطمعت فى اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت أى فزعت ورميت الصحيفة من يدى ثم رجعت الى نفسى فاخذتها فاذا فيها سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من اسمائه عز وجل ذعرت أى فالقيها ثم ترجع الى نفسى فآخذها حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا منى وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم أعز الاسلام وفى لفظ أيد الاسلام باحد الرجلين اما بابى جهل ابن هشام وأما بعمر بن الخطاب أى وفى لفظ باحب هذين الرجلين اليك أبى الحكم عمرو بن هشام يعنى أباجهل وعمر بن الخطاب أى وفى غير مارواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر أبى جهل وعن عائشة رضى الله عنها قالت انما قال صلى الله عليه وسلم اللهم عز عمر بالاسلام لان الاسلام يُعز ولا يعز ولعل قول عائشة ماذكر نشأ عن اجتهاد منها بدليل تعليله واستبعادها ان يعز الاسلام بعمر فليتامل وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء فاسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضى الله تعالى عنه فلما عرفوا منى الصدق قلت لهم أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى بيت باسفل الصفا ووصفوه أى وهى دار الارقم فخرجت وفى رواية ان عمر قال ياخباب انطلق بنا إلى رسول الله صلى عليه عليه وسلم فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ أحد ان يفتح لى الباب لما عرفوه من شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا اسلامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وفى لفظ يهديه باثبات الياء وهى لغة ففتحوا الى أى والذى اذن فى دخوله حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد

اسلام حمزة بثلاثة أيام وقيل بثلاثة أشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع قميصي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرف مكة أي وفي الاوسط للطبراني ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب صدر عمر حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل وابدله ايمانا أي ولعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه والا لبشرا بإسلام عمر وفي رواية لما ضربوا الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه أي ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه وفي لفظ ان يرد بعمر خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في صحن الدار فاخذ بحجزته وجذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أدري ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة وفي لفظ أخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل الله بالوليد بن المغيرة أي أحد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله أشهد انك رسول الله وفي رواية اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفي رواية سمعها أهل المسجد وفي رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استأذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا أدخله في الدين فقال لبلال افتح له واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعه فهزه وفي رواية اخذ ساعده وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفي لفظ أخذ بمجامع ثيابه ثم نظره نظرة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب الذي تريد وما الذي جئت له فقال عمر اعرض علي الذي تدعو اليه فقال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاسلم عمر مكانه * أقول ولا ينافي هذا ما تقدم من اسلامه وأتيانه بالشهادتين في بيت أخته قبل خروجه اليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامي لانه يجوز أن يكون مراده بقوله جئت لأومن جئت لاظهر ايماني عندك وعند أصحابك وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم يا ابن الخطاب الى آخره وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم أعرض علي الذي تدعو اليه يجوز أن يكون عمر جوز أن الذي يدعو اليه ويصير به المسلم مسلما أخص مما نطق به من الشهادتين والله أعلم قال عمر وأحببت ان يظهر اسلامي وأن يصيبني ما يصيب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالي وكان

النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فجاء اليه فلما رآه صلى الله عليه وسلم قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسألاني فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فانزل الله تعالى في شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فامنا وعن قتادة رضى الله عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا عن ربك من أى شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له خفض عليك وانزل الله تعالى قل هو الله أحد الى آخر السورة أى هو متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه وقيل ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا الا يأكل الطعام فانزل الله سورة الاخلاص ابطالا لالوهية عيسى عليه السلام لان الصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وذكر السيوطي في الاتقان أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا ربك وجوابا لعبد الله بن سلام حين قال نسب ربك يا محمد كما سيأتي في خبر اسلامه وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة فقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم أحبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله شريفا وكان من ولد يوسف الصديق وقد اثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه في أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبي ايوب والذي سمعه قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام

ادخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بالجيم أي أسرعوا فكنت ممن أتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت انه وجه غير كذاب أي لان صورته صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا أيها الناس افشوا السلام الخ وعند ذلك قلت أشهد انك رسول الله حقا وانك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن اعلمهم فاخبئني يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا اني اسلمت فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وهم أعظم قوم عضيهة أي كذبا وانهم ان يعلموا اني اسلمت قالوا في ماليس في وخذ عليهم ميثاقا اني ان اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق اسلموا قالوا اما بعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فاي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفي



رواية خيرنا وابن خيرنا قال افرأيتم ان شهد اني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل على أن تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام اما تعلم اني رسول الله تجدوني عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم قال ابن سلام بلى يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله إلا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق زاد في رواية انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوبا

شريفا في قريش واعلمته اني صبوت أي وهو أبو جهل وقد جاء في بعض الروايات قال عمر لما اسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى اتيه فاخبره اني قد اسلمت فذكرت اباجهل فجئت له فدققت عليه الباب فقال من بالباب قلت عمر بن الخطاب فخرج الي فقال مرحبا وأهلا يا ابن اختي ماجاء بك قلت جئت لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة فقال ابو جهل وما هي يا ابن اختي فقلت اني آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ماجاء به فضرب الباب في وجهي أي أغلقه وهو بمعنى أجاف الباب كما في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به أي وانما كان أبو جهل خال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قيل لأن أم عمر أخت أبي جهل وقيل لان أم عمر بنت هشام بن المغيرة والد أبي جهل فابو جهل خال أم عمر وقيل أن أم عمر بنت عم أبي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الام أخوال الابن قال عمر وجئت رجلا آخر من عظماء قريش وأعلمته اني صبوت فلم يصبني منهما شيء فقال لي رجل تحب أن يعلم اسلامك قلت نعم قال إذا جلس الناس يعني قريشا في الحجر واجتمعوا فات فلانا لشخص كان لا يكتم السر وهو جميل ابن معمر رضي الله عنه أسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت منه وأخبرته فرفع صوته باعلاه فقال إلا أن عمر بن الخطاب قد صبأ فما زال الناس يضربوني وأضربهم فقام خالي يعني أبا جهل على الحجر فاشار بكمه وقال إلا اني أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني فصرت أي بعد ذلك أرى الواحد من المسلمين يضرب وأنا لا أضرب فقلت ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين فامهلت حتى جلس الناس في الحجر وصلت الى خالي وقلت له جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن اختي فقلت بل هو ذاك فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام أي وفي السيرة الهشامية بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم أي وهو العاص بن وائل فقال ويلكم ماشانكم قالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن كعب مسلمين لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كأنه ثوب كشط عنه أي وفي البخاري لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبأ عمر فبينما عمر في داره خائفا إذ جاءه العاص بن وائل فقال له مالك قال زعم قومك انهم سيقتلوني ان أسلمت أي إذ أسلمت قال أمنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون فقالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه فاني له جار فكسر الناس وتصدعوا عنه أي ويذكر أن عتبة بن ربيعة وثب عليه فالقاه عمر الى الأرض وبرك عليه وجعل يضربه وأدخل أصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه أحد الا اخذ بشرا سيفه وهي اطراف اضلاعه وعن عمر رضي الله تعالى عنه في سبب اسلامه قال خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت

عندكم فى التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحة شرنا وابن شرنا قال ابن سلام هذا الذى كنت أخاف يارسول الله لم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامى وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعنى الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وغير ذلك من الآيات ﴿ وفى الخصائص الكبرى ﴾ للجلال السيوطى عن تاريخ الشام لابن عساكر أن ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذى انزل التوراة على موسى هل فى كتاب الله يعنى التوراة صفتى قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الأديان وانى لأجد صفتك فى كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولى الى آخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بأنه فعل ذلك ثانيا بالمدينة أقامه لقد

هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن علم ما في نفسى فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام فى قلبي كل موقع (أى ومن ذلك ما فى السيرة الهشامية عن عمر رضى الله تعالى عنه قال جئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى وكان اذا صلى استقبل الشام أى صخرة بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه بين الركن الاسود والركن اليمانى أى لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت حين رأيته صلى الله عليه وسلم لو انى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول قال فقلت لئن دنوت منه استمع لا روعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعنى الكعبة فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقرأ صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلنى الاسلام فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفنى وظن انما تبعته لاوذيه فنهمنى أى زجرنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لا ومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله) وفى رواية ضرب أختى المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت فى أستار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله ثم انصرفت فسمعت شيئا لم أسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعنى لا ليلا ولا نهارا فخشيت أن يدعو على فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال يا عمر اتسره قلت لا والذى بعثك بالحق لاعلننه كما أعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته أى ويحتاج للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم رأيت العلامة ابن حجر الهيتمى قال ويمكن الجمع بتعداد الواقعة قبل اسلامه هذا كلامه فليتامل ما فيه قال (ومن ذلك أى مما كان سببا لاسلام عمر ان أبا جهل بن هشام قال يا معشر قريش أن محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافتون فى النار الا ومن قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة أى وفى لفظ جعلوا لمن يقتله كذا وكذا أوقية من الذهب وكذا وكذا أوقية من الفضة وكذا وكذا نافجة من المسك وكذا وكذا ثوبا وغير ذلك فقال عمر أنا لها فقالوا له أنت لها يا عمر وتعاهد معهم على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفى متنكبا كنانتى أى جعلتها فى منكبي أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول يا آل ذريح صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت فى نفسى أن هذا الأمر لا يراد به الا أنت وذريح اسم للعجل المذبوح وقيل له ذلك من أجل الدم لأن الذريح شديد الحمرة يقال احمر ذريحى أى شديد الحمرة ثم مر برجل اسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم أى ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال له أين تذهب يا ابن الخطاب فقال أريد هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وسب آلهتنا فاقتله فقال له نعيم والله

للحجة على اليهود وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ماوقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ابعث اليهم يعنى اليهود واجعلنى حكما فانهم يرجعون الى فادخله وخباه وأرسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بينى وبينكم قالوا اقد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فخرج وقال أشهد أنه رسول الله فابوا أن يصدقوه وقد أشار إلى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله عرفوه (٣٧١) وأنكروه وظلما كتمته الشهادة الشهداء أو نور الاله تطفئه الافواه وهو الذى به يستضاء كيف يهدى الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير قوله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدى الذى أخذته فى أعناقكم صلى الله عليه وسلم بان تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم انجز لكم ماوعدتكم عليه بوضع ماكان عليكم من الاصر والاغلال ولاتكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أى لاتكتموا ماعندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التى بايديكم ( وقد روى ) في سبب اظهار اسلام عبدالله بن سلام رضى الله عنه زيادة على ماتقدم انه رضى الله عنه قال جاء رجل فاخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا فى رأس نخلة اعمل فيها وعمتى من تحتى جالسة فلما سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى ابن عمران مازدت على هذا فقلت لها أى عمتى فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت ياابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر انه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك

لقد غرتك نفسك أترى بنى عبدمناف تاركيك تمشى على وجه الارض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم امرهم قال وأى اهل بيتى قال ختنك أى زوج اختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل وأختك قد أسلما فعليك وانما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن آية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى لقيه سعد بن أبى وقاص فقال أين تريد ياعمر فقال أريد أن اقتل محمدا قال له انت اصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبدمناف أن تمشى على الارض فقال عمر ماأراك الا وقد صبأت فابدأ بك فاقتلك فقال له سعد اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كاد أن يختلطا ثم قال سعد لعمر مالك ياعمر لاتصنع هذا بختنك وأختك فقال صبيا قال نعم فتركه عمر وسار الى منزل اخته اى ولامانع أن يكون لقى كلا من نعيم وسعد بن ابي وقاص وقال له كل منهما ماذكر وفى هذه الرواية وجد عندهم خباب بن الارث معه صحيفة فيها سورة طه يقرؤها عليهم وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب اى وترك الصحيفة فلما دخل قال لاخته ماهذه الهيثمة التى سمعت قالت له ماسمعت شيئا غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد أخبرت انكما تخاطب اخته وزوجها بايعتما محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى الارض وجلس على صدره وأخذ بلحيته فقامت اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما رأت الدم قالت له ياعدو الله اتضربنى على ان أوحد الله تعالى لقد اسلمت على رغم أنفك فاصنع ماانت صانع فلما رأى مابأخته وماصنع بزوجها ندم وقال لاخته اعطنى هذه الصحيفة أنظر ماهذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت اخشاك عليها فحلف ليردنها اذاقرأها اليها فقالت له ياأخى أنت نجس ولايمسه الا الطاهر فقام واغتسل اى وفى لفظ فذهب يغتسل فخرج اليها خباب وقال أتدفعين كتاب الله تعالى الى عمر وهو كافر قالت نعم انى أرجو أن يهدى الله أخى ورجع خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما قرأها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى قال اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله اه أى وفى رواية انه لما قرأ الصحيفة قال ماأحسن هذا الكلام واكرمه أى وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى قال ينبغى لمن يقول هذا أن لايعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال ياعمر انى لارجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فانى سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بابى الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب فالله الله ياعمر فقال له عند ذلك دلنى ياخباب على محمد حتى اتيه فاسلم اى عنده وعند أصحابه فلاينافى مافى الرواية الاولى انه اسلم فقال له خباب هو ببيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فعمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث (أقول) ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تعدد بانه يجوز أن يكون زوج اخته مااستخفى اولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فاوقع به وباخته ماذكروانه فى الرواية الاولى اقتصر على ذكر اخته والصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله مافى السموات والارض والثانية فيها طه اقتصر فى الرواية الاولى على احدها وهى التى فيها سبح لله وفى الرواية الثانية على الاخرى التى

ساكتا حتى قدم المدينة فجئته فقلت له انى اسالك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول الساعة وما أول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذاك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك لا قيل لأنه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اما أول الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب  واما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت اى وهى القطعة المعلقة بالكبد

وهى فى الطعم فى غاية اللذة واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليها وقد سال علماء اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء كثيرة فاجابهم عنها منها انهم سالوه مرة فقالوا أخبرنا عن علامة النبي فقال تنام عيناه ولا ينام قلبه وسالوه اى طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة فقال أنشدكم بالذى نزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه واحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم أى حرمها ردعا لنفسه ومنعا لها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق النساء وكان إذا طعم ذلك هاج به وذكر أن

سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود ومعه له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن أولى بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو متاخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أن كنتم صادقين

---

فيها طه وانه فى الرواية الأولى اسلم وفى الرواية الثانية سكت عن ذلك والله أعلم (وعن ابن عباس) أيضا رضى الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضى الله تعالى عنه قال المشركون لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس ايضا رضى الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضى الله تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد استبشر أهل السماء باسلام عمر (قال) وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مازلنا أعزة منذ أسلم عمر اه زاد بعضهم عن ابن مسعود والله لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالكعبة اى عندها ظاهرين آمنين حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا فصلينا اى جهروا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤن الاسرا كما تقدم وعن صهيب لما اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفى كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا فى دار الارقم ومن معه من المسلمين الى أن كملوا اربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما فى ذلك ومما يؤثر عن عمر رضى الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه السيد هو الجواد حين يسال الحليم حين يستجهل اشقى الولاة من شقيت به رعيته اعدل الناس أعذرهم للناس وفى مختصر تاريخ الخلفاء لابن حجر الهيتمى أن عمر أول من قال اطال الله تعالى بقاك وأيدك الله قال ذلك لعلى رضى الله تعالى عنه وهو اول من استقضى القضاة فى الامصار ويروى ان الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب فيصلى فى بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال له ما يخرجك أى من المدينة حاجة ام تجارة قال لا يارسول الله بابى انت وأمى ولكن اريد الصلاة فى بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة أوصى أن يصلى عليه سعد بن أبى وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب وأراد الصلاة عليه فابى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد وصلى على الارقم أى (وقيل) لعمر رضى الله عنه ماسبب تسميتك النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما أسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مختفون قلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق ما أبقى مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والذى بعثك بالحق لنخرجن فخرجنا فى صفين حمزة فى احدهما وانا فى الآخر له أى لذلك الجمع كديد ككديد الطحين أى لذلك الجمع غبار ثائر من الأرض لشدة وطء الاقدام لان الكديد التراب الناعم إذا وطىء ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الىّ والى حمزة فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها أى فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرّق الله بى بين الحق والباطل أى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج فى صفين حمزة فى احدهما وعمر فى الآخر لهم كديد ككديد الطحين وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال له يارسول الله لا ينبغى أن تكتم هذا الدين أظهر دينك وفى رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أنشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم قال ذاك معه من أمته سبعون الفا ليس عليهم حساب ولا عتاب وانما معك نفر يسير والذى نفسى بيده لأناهو وانهم لأكثر من سبعين الفا وسبعين الفا وسالته اليهود أيضا عن الرعد والبرق فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار فى يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية ان اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون ان محمدا يامر أصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا مرة اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما يرى لهذا الرجل همة الا فى النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء ان سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه أى لان شريفا فى خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمها لشرفهما فبعثوا رهطا منهم لبنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا لهم ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسالوه فسالوه صلى الله عليه وسلم فاجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال الجمع من علمائهم أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فاتوا بالتوراة فاتلوها فاحضروا التوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا فيها آية الرجم وجاء فى بعض الروايات أن

ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيفه يتنادى لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لأمكنن سيفى منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤا القرآن جهرا أى وكانوا كما تقدم لا يفسدون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن أى فى المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنهما حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه ان صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التى وقعت فى ذلك الوقت أى ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة صلاها فى وقت الظهر وعن عمر رضى الله عنه وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت أى وقد قال له بعض نسائه صلى الله عليه وسلم ياعمر أما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ومنع رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى على عبد الله بن أبى بن سلول وفى البخارى لما توفى عبد الله بن أبى جاء ولده عبد الله رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فاعطاه وهذا لا يخالف ما فى تفسير القاضى البيضاوى من أن ابن أبى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه فساله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده الشريف ويصلى عليه فلما مات أرسل له صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه يجوز أن يكون ارساله القميص بسؤال ولده صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه قال فى الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه أى ولان الضنة بارسال القميص سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم وقال له المشركون يوم الحديبية انالا ناذن لمحمد ولكننا ناذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه وفى تصريح بان ابن أبى كان مع المسلمين فى بدر وفى الحديبية ثم ان ابنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه فقال له اسالك أن تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء أى وذلك بمسؤال والده له صلى الله عليه وسلم فى ذلك كما تقدم عن القاضى البيضاوى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر رضى الله تعالى عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أتصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيده على السبعين وفى رواية اتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا وكذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عنى ياعمر فلما اكثرت

أحبار اليهود وهم كعب بن الأشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا في بيت مدارسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد احصانه بامرأته محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر رضي (٣٧٤) الله عنهما أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة قالوا نفضحهما بالسواد بان نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل ادبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم وفي رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أبا القاسم ماترى في رجل وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال لهم ما تجدون في التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فافتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر اليهود اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن اخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم منهم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا يحمم أي يسود وجهه ويجنب فقال عبد الله ابن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفي رواية لما سألهم أجابوه الا شابا منهم فانه سكت فالح عليه صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم اذا نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رأينا انه اذا زنى الشريف لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف

عليه قال اني خيرت لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير في الآية وما الجمع بين قوله سأزيد على السبعين وقوله لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ثم رأيت القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سأزيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الاصل فيجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له أي الحق سبحانه ان المراد به التكثير بقوله في الآية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتض لعدم الصلاة عليه لا الصلاة عليه فليتأمل وقد قال علي رضي الله عنه ان في القرآن لقرآنا من رأي عمر وما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر وقد أوصل بعضهم موافقاته أي الذي نزل القرآن على وفق ما قال وما أراد الى أكثر من عشرين أي وقد أفردها بعضهم بالتاليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فاجاب عنها نظما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما نزل بالناس أمر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وعن مجاهد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته ما سيأتي في أسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كذلك ومنها ان بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستاذن رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال يا أخي لا تنسانا من دعائك أي وفي رواية يا أخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا قال عمر ما أحب ان لي بقوله يا أخي ماطلعت عليه الشمس وجاء أول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب وأول من يسلم عليه وجاء ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وجاء لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وممن نزل القرآن على وفق ما قال مصعب بن عمير أيضا رضي الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم أحد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل فصار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت

## باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وكتابة الصحيفة

قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم فابى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب واخراجهم من مكة الى شعب أبي طالب فيه تصريح أن شعب أبي طالب كان خارجا من مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق ولا يناكحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا أبدا ولا تاخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أي وفي لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئا ولا تبتاعوا منهم شيئا ولا تقبلوا

فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحكم بما في التوراة وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالرجم أبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي  على وجه الأرض بما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام في التوراة ورضوا به حكما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور ونجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت أن كذبته أن ينزل علينا العذاب وفي رواية قال في جوابه للنبي صلى الله عليه وسلم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت على تسليم أنها قضية واحدة لم تكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها طالت وأيامها اتسعت فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات في مجالس متعددة فحصل في كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات فكل من حفظ شيئا رواه فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه وجاء في بعض الروايات أن ابن صوريا

---

منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة أي توكيدا على أنفسهم وقيل كانت عند خالة أبي جهل وقد يجمع بأنه يجوز أن تكون كانت عندها قبل أن تعلق في الكعبة على أنه سيأتي أنه يجوز أن الصحيفة تعددت (وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالأبطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة عند المقابر فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب إلا أبا لهب فإنه ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة وأربعين سنة وفي الصحيح أنهم في الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به فيغدو التجار على أبي لهب فيربحهم هذا كلامه (ولا منافاة بين خروج أحدهم السوق إذا جاءت العير بالميرة إلى مكة وكونهم منعوا من الأسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا إلى الحبشة * أقول وفي رواية أن خروج بني هاشم وبني المطلب إلى الشعب لم يكن بإخراج قريش لهم وإنما خرجوا إليه لأن قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائبا وردت معه هديتهم وفقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم إكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين أي كما سيأتي وظهور الإسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد أذاهم على المسلمين واجتمع رأيهم على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى أبو طالب ذلك جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله عليه الصلاة والسلام الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيئا واحدا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفل * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة أخرى

جز الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهودا ومواثيق على أن لا يجالسوهم الحديث وفيه أنه سيأتي أن خروج عمرو بن العاص إلى الحبشة إنما كان بعد الهجرة الثانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب إلى الشعب والله أعلم)

## ﴿باب الهجرة الثانية إلى الحبشة﴾

(لا يخفى أنه لما وقع ما ذكر انطلق إلى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة) وهذا بناء على أن عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الأصل يميل إلى ذلك وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها عن اعلام نبوته فاجابه عنها فلما تحققها قال أشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلي وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله ابن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم ثم بعد تحقق الرجم في التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا باربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها  مثل الميل في المكحلة فامر بهما فرجما عند باب المسجد قال ابن عمر رضي الله عنهما فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورا الآية ونزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وما معها من الآيات وفيها فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الفاسقون وعن عمر بن ميمون قال رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمع القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمينة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما فرجمتهما معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف في الانس والجن دون غيرهما وقد ذكر غير واحد ان احبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا من انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا ان تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى من العلم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان في كتابهم انه صلى الله عليه وسلم اكحل

والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اى وبقيت ام حبيبة رضي الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي باسوأ حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين أصبح يا أم حبيبة اني نظرت في هذا الدين فلم أر دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم خرجت الى دين النصرانية قالت فقلت والله ما خير لك واخبرته بما رأيته له فلم يحفل بذلك واكب على الخمر يشربه حتى مات فرأيت في المنام كأن آتيا يقول لي يا ام المؤمنين ففزعت واولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك اى وذكر ابن اسحق أن أبا موسى الاشعري هاجر الى الحبشة ورده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدي فاعترض عليه في ذلك فعن ابي موسى انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر واصحابه فامرهم جعفر بالاقامة واستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر كما سيأتي وبهذا يندفع قول بعضهم ما ذكره ابن اسحق من ان أبا موسى الاشعري هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة فاقاموا بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة التي ارادت قريش دفعه لابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه بهدية الى النجاشي والهدية فرس وجبة ديباج أي واهدوا لعظماء الحبشة هدايا ليرد من جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وفي كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا اى ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش لتردوهم اليهم () قال واين هم قالوا بارضك فارسل في طلبهم أي وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله حتى اعلم على أي شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون للملك أي وفي لفظ لا يخرون لك ولا يحيونك بما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر رضي الله تعالى عنه أنا خطيبكم اليوم أي فانه لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قال جعفر ما ذكر وقال انما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك مالك لا تسجد وفي لفظ أن عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به وان عمرا قال للنجاشي الا ترى أيها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم أن لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل

العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى أن الذين يكتمون ما أنزل الله الآية وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم لأن ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبي



صلى الله عليه وسلم ففطن سعد ابن معاذ اليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله عنهم يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا أي انظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابّ بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بذلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا له ألستم تقولونها أنتم فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء أن جماعة من أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن اسيد اجتمعوا وقالوا نبعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاؤا

عز وجل وقال لم ذلك قال لأن الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا أي وعرف النجاشي ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل أي وأمرنا بالصلاة أي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي أي ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وعلى ما تقدم والزكاة أي مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة * أي وفي السنة الثانية ومراده بالزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل وعلا قال فما تقولون في ابن مريم وأمه قال نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء أي البكر البتول أي المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفرضها أي يشقها ويخرج منها ولدا أي غير عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون أشهد أنه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في الانجيل أي ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله تعالى انه قال له كن فكان أي حصل في الحال القول وفي لفظ أن النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم الله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا أي صفته ما ذكر هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتيته فاكون أنا الذي أحمل نعله وأوضئه أي أغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بارضي أي آمنون بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ ثم قال اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أي أربع دراهم وضعفها كما جاء في بعض الروايات وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما وفي لفظ ان النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دبرا من ذهب أي جبلا وان أوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله تعالى مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس في فاطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى لتأخذ عنه العلم أي وقد بينت عائشة رضي الله تعالى عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لأبيه فمشوا العمه في قتله فأبى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة ان لا يصلح أمرها إلا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة أي وفي رواية ما يقتضي أن الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به إلى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتي عنه انه عقب وقعة بدر أرسل خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب

اليه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك وأنزل الله تعالى وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رجل من اليهود من التجار وفي رواية من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال أخزى الله الكاذب وفي رواية أحرق الله الكاذب  فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحترقت البيت واحترق

والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد احدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي أن محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو وأعداءه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي وهو من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي ان بكاءه عند ما تليت عليه سورة مريم أي كما سيأتي حتى اخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب مافهم به تلك السورة قال عن جعفر بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار وأمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا وأن يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية أي هيئوا له هدية ولا يخالف ماتقدم من أن الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقيه الادم فرق على أتباعه ليعاونوهما على ماجاءا بصدده والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لأن ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمر بن العاص يطلبان من النجاشي أن يسلمنا لهم أي قبل أن يكلمنا وحشن له بطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم إذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم لنا قبل أن يكلمهم أي موافقة لما وصلت عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الكل بطريق هدية قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسالاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم فلما جاآ الى الملك قال له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت أي جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فاسلمهم ليردوهما الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاها الله أي لا والله لا اسلمهم ولا يكاد قوم يجاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من امرهم فان كان كما يقولون سلمتهم اليهما والا منعتهم منهما واحسنت جوارهم ماجاوروني ثم ارسل لنا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الملل فقلنا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع أي نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا أن نعبد الله تعالى وحده وامرنا بالصلاة أي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والزكاة أي مطلق الصدقة والصيام أي ثلاثة أيام من كل شهر أي وهي البيض أو أي ثلاثة على الخلاف في ذلك وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحام

هو وأهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال حيي ابن أخطب يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء وقيل في سبب نزولها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل في بيت المدارس فقال لفنحاص بن عازوراء أتق الله واسلم فوالله أنك لتعلم أن محمدا رسول الله فقال يا أبا بكر مالنا إلى الله من فقر وأنه الينا لفقير فغضب أبو بكر رضى الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر رضى الله عنه ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزل لقد سمع الله الآية وقيل في سبب نزولها أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضى الله عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد وحسن بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه يامرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال احتاج ربكم سنمده * وفى رواية قال أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا ويستقرض إلا الفقير من الغنى فان كان حقا ماتقول فان الله إذا لفقير ونحن أغنياء

فضرب أبو بكر رضى الله عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف ومامنعني أن أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لا تفتت على بشىء حتى ترجع الى فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا أبو بكر رضى الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله عنه ماحملك على ماصنعت قال يارسول الله أنه قال قولا عظيما زعم أن الله فقير وأنهم اغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ماقلت هذا فنزلت  الآية تصديقا لأبي بكر رضى الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا أن الله فقير ونحن أغنياء لأنه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافىء عليها فهو الغني الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أنهم دخلوا فى دين الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود فى السر وفى الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد ابن الصامت وأنه قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله عنه من جلاس وكان عمير يتيما فى حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال لئن كان مايقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير ياجلاس انك لأحب الناس الى وأحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها أى أمسكت عنها ليهلكن على ديني ولاحداها أيسر على من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فارسل رسول الله صلى

وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الأصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك ياأيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به شيء قلت نعم قال فاقرأ على فقرأت عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضل أى بل لحيته وبكت أساقفته وفى لفظ هل عندك مما جاء به عن الله تعالى شىء فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا ياجعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذى جاء به موسى أى وفى رواية أن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة أى وهذا كما قيل يدل أن عيسى كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده مافى لفظ أنه قال مازاد هذا على مافى الانجيل الا هذا العود لعود كان فى يده أخذه من الأرض وفى لفظ أن جعفر قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما أهل أهرقنا دماء بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهما دين قال لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا زاد فى رواية ولو أعطيتموني ديرا من ذهب أى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي أى أتى اليه غد ذلك اليوم وقال له أنهم يقولون فى عيسى قولا عظيما أى يقولون أنه عبد الله أى وانه ليس ابن الله أى وفى لفظ أن عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ماتقدم فى الرواية الأولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل وروى الطبراني عن أبي موسى الأشعري بسند فيه رجال الصحيح أن عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أى للعداوة التى وقعت بينه وبينه فى سفرهما أى من أن عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فافتتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وأباه فى السفينة فقال له عمارة مر امرأتك فلتقبلنى فقال له عمرو الا تستحى فاخذ عمارة عمرا ورمى به فى البحر فجعل عمرو يصيح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى ادخله السفينة واضمرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى أهدت اليه من عطرها أى ودخل عندها فلما رأى عمرو ذلك أتى النجاشي وأخبره بذلك اى فقال له أن صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وهو عندها الآن فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا أنه جاري لقتلته ولكن سافعل به ماهو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى أن مات على تلك الحال اهـ أى ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمار مع الوحوش الى أن كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد استأذنه في المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضى الله تعالى عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة عنه والفحص عن أمره حتى انه أخبر أنه فى جبل يرد مع الوحوش اذا وردت يصدر معها اذا صدرت فجاء اليه ومسكه فجعل يقول له أرسلنى والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر أنهم أرسلوا للنجاشى عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن أبى ربيعة وكان اسمه قبل أن يسلم بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة الذى هو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هى أم أبى جهل بن هشام فهو أخو أبى جهل لامه أرسلوهما اليه ليدفع لهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر ومن العجب أن صاحب المواهب ذكر ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد فى الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة فى الهجرة الثانية وابن أبى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله ابن أبى ربيعة أرسلته قريش مرتين الا أنه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا أرسلت فى أمر من هاجر الى الحبشة مرتين الاولى أرسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية أرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة فليتامل ومكث بنو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين في أشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس فى الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة أى من شلل يده كما تقدم وصار لا يقدر أحد أن يوصل اليهم طعاما ولا أدما حتى ان أبا جهل لقى حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى معه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فقال له ابو البخترى بن هشام مالك وماله فقال ابو جهل انما يحمل الطعام لبنى هاشم فقال ابو البخترى طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها خل سبيل الرجل فابى ابو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فاخذ ابو البخترى لحى بعير أى العظم الذى تنبت عليه الاسنان فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا وأبو البخترى بالحاء المهملة وفى مختصر أسد الغابة بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وحتى ان هاشم بن عمرو بن الحرث العامرى رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة جمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين أصبح وكلموه فى ذلك فقال انى غير عائد لشىء خالفكم ثم أدخل عليهم ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فغالظته أى أغلظت له القول وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه وصل رحمه اما انى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا وكان أبو طالب فى كل ليلة يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتى فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس أقامه وأمر أحد بنيه أو غيرهم أى من اخوته أو بنى عمه أن يضطجع مكانه خوفا عليه ان يغتاله أحد ممن يريد به السوء

الله عليه وسلم الى جلاس يحلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلنى معك ما قلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر يحلف أنه ما قال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم نبتل بن الحرث قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذى قال لهم انما محمد أذن من حدثه بشىء صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم الآية وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس معك رجل صفته كذا نقال للحديث الذى تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار * وفى رواية ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله بن أبى بن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه لان الانصار من آل قحطان اى ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخزرج الذى يتوج به الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى وقد جاء فى بعض الروايات في حكاية انتقاله صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة انه عرج على عبد الله بن أبى بن سلول يريد النزول عنده فقال له وكان عبد الله جالسا مختبيا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده قال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد

ابن عبادة يارسول الله لا تجدفى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما رد بالحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له فى بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبى بن سلول أى متألفا له لكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ماعنده من النفاق فانطلق صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبى صلى الله عليه  وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدى والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا فى البخارى وفيه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على عبد الله بن أبى ابن سلول فى جماعة فقال لقد آذانا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضى الله عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه برأسه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان عبد الله بن أبى جميل الصورة ممتلىء الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم الآية وعن الزهرى قال اخبرنى عروة عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على أكاف وأردف أسامة خلفه يعود سعد بن عبادة رضى الله عنه فى بنى الحرث من الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن سلول وذلك قبل أن يسلم فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فثار غبار من مشى الحمار فخمر ابن أبى وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال ابن

أى وفى الشعب ولد عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم اطلع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على أن الارضة أى وهى سوسة تأكل الخشب اذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهى التى دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أكلت مافى الصحيفة من ميثاق وعهد أى الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا اثبتته فيها وفى رواية ولم تترك الأرضة فى الصحيفة اسما لله عزوجل الا لحسته وبقى مافيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم أى والرواية الأولى اثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى وأكلت من بعض النسخ ماعدا اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم انتهى أى والتى علقت فى الكعبة هى التى لحست تلك الدابة مافيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما يأتى فذكر ذلك لعمه أبى طالب فقال له عمه والثواقب أى النجوم لأنها تثقب الشياطين وقيل التى تضىء لأنها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لأنها أشد النجوم ضوءا ما كذبتنى قط أى ما حدثتنى كذبا وفى رواية انه قال له أربك أخبرك بهذا الخبر قال نعم فانطلق فى عصابة أى جماعة من قومه أى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب () أى وفى رواية أن أبا طالب لما ذكر لاهله قالوا له فما ترى قال أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل فتكلم معهم أبو طالب وقال جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح أى مخرج يكون سببا للصلح وانما قال أبو طالب ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها اى فلا يأتون بها فأتوا بصحيفتهم لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم أى لانه الذى وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا لابى طالب أى توبيخا له ولمن معه قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى انفسكم فقال ابو طالب انما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم أى أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن أخى اخبرنى ان هذه الصحيفة التى فى ايديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك فيها اسما من أسماء الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم * اقول هذه على الرواية الثانية واما على الرواية الأولى التى هى اثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا اثبتته ولحست مواثيقكم وعهدكم ثم رأيت ابن الجوزى ذكر ذلك فقال أن أبا طالب قال أن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى قط أن الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الارضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقى فيها كل ما ذكر به الله تعالى وفى الينبوع أن أبا طالب قال لما حضرت الصحيفة أن صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن اخى اخبرنى ان الله تعالى سلط عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله أعلم قال ابو طالب فان كان الحديث كما يقول فافيقوا اى وفى رواية نزعتم رجعتم من سوء رأيكم وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذى يقول دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم او استحييتم فقالوا قد رضينا بالذى تقول أى وفى رواية انصفتنا ففتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبر به

أبى أيها المرء انه ماأحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا فى مجالسنا ارجع الى رجلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسعد ألم



تسمع ماقال أبو حباب يعنى عبد الله بن أبى قال كتذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه واصلح والذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به مارأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن أبى هذا رأس المنافقين وأبى أبوه وسلول أمه وقيل جدته أم أبيه ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزلت واذا القوا الذين آمنوا الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبى انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فاخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه وقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على رضى الله عنه اتق الله ياعبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن أتقول لى هذا والله أن ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون

---

الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم فلما رأيت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا أى قال اكثرهم هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على اخواننا وظلم لهم أى وقد جاء ان أبا طالب قال لهم أى بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة والاساءة ودخلوا بين استار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند ذلك مشى طائفة منهم هم خمسة فى نقض الصحيفة أى ماتضمنه وهم هشام بن عمرو بن الحرث وزهير ابن أمية ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد أسلم بعد ذلك كالذى قبله كما تقدم والمطعم ابن عدى مات كافرا كما تقدم وأبو البختري بن هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا واختلف فى كاتب الصحيفة فعند ابن سعد انه بغيض بن عامر فشلت يده ولم يعرف له اسلام وعند ابن اسحق ان الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل ان الكاتب لها منصور بن عكرمة أى فشلت يده فيما يزعمون كذا فى النور نقلا عن سيرة بن هشام وقيل النضر بن الحرث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وممن قتل على كفره عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر وقيل للكاتب لها طلحة بن أبى طلحة العبدري قال ابن كثير رحمه الله والمشهور انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ أى فكل كتب نسخة انتهى أى وينبغى أن يكون الذى شلت يده هو كاتب الصحيفة التى علقت فى الكعبة ولعلها هى التى كتبت أولا والى أكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذا كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمره والمساء
يالأمر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البختري من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدا الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منسا * ة سليمان لارضة الخرساء
وبها أخبر النبي وكم اخرج خبا له الغيوب خباء

أى فديت خمسة الصحيفة أى الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية ثبتوا او تراودوا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير او نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم ذلك الفعل بالامر عظيم وهو نقض الصحيفة أتاه بعد هشام زمعة بن الاسود وانه الكريم فى قومه الاتاء أى المبالغ فى ايتاء الخير وأتاه زهير وأتاه المطعم بن عدى وأتاه أبو البختري من المكان الذى قصدوه فنقضوا ابرم الصحيفة أى الأمر الذى ابرمته اذ كرتنا الارضة الخرساء باكلها تلك الصحيفة منساة أى عصا سليمان وباكلها للصحيفة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ومرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم شيئا مخبأ الغيوب له ساتر والمراد ان كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين نقضوا الصحيفة فدى باولئك الخمسة المستهزئين من

الاذى

الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآيه واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم الى آخر الآيات التي فى المنافقين كلها فيه وفى أصحابه وهو الذى قال لئن رجعنا الى المدينة لنخرجن الأعز يعنى نفسه وأصحابه منها الأذل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وستأتى القصة إن شاء الله تعالى وبالجملة فقد لاقى صلى الله عليه وسلم من شدة الأذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيئا كثيرا  ولكنه بالنسبة لأذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة فى غاية العزة والمنعة والقرة من أول يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت فى السؤال كما قال تعالى لن يضروكم الا أذى وكان جبريل يأتيه بغالب الأجوبة لأسئلتهم ومع ذلك صبر فى اول قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين ثم لما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين آية غالبها بمكة كلها يامره فيها هو ومن معه بالصبر على الأذى ثم أنجز له وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

( باب مغازيه صلى الله عليه وسلم )

وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر صفر فى السنة الثانية من الهجرة قال الزهرى أول آية نزلت فى الاذن بالقتال قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائى باسناده صحيح عن عائشة رضى الله عنها وأخرج الامام احمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر رضى الله عنه اخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما فهى أول آية نزلت فى القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية

---

الاذى الذى أصابهم المتقدم ذكره فلا ينافى ان بعض هؤلاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا قال جاء ان هشام بن عمرو بن الحرث رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير بن أمية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا كما تقدم فقال له يا زهير أرضيت أن تاكل الطعام وتلبس الثياب وأخوالك قد علمت لا يبايعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت لا نقضها يعنى الصحيفه قال وجدت رجلا قال من هو قال أنا فقال زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى فقال له يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف يعنى بنى هشام وبنى المطلب وأنت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال وجدت ثانيا قال من هو قلت أنا قال ابغنا رجلا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن أمية قال ابغنا رابعا فذهبت الى ابى البخترى بن هشام فقلت له نحوا مما قلت للمطعم فقال وهل معين على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير بن امية والمطعم بن عدى وأنا معك قال ابغنا خامسا فذهبت الى زمعة بن الأسود فكلمته فقال وهل من احد يعين على ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون واجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير انا أبدؤكم فاكون أول من يتكلم فلما أصبحوا اغدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقيل يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم أى والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله تعالى منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا أمر قضى بالليل فقام المطعم بن عدى الى [illegible]نمة فشقها انتهى أى وهذا يدل للرواية الدالة على أن الارضة لحست اسم الله تعالى واثبتت ما فيها من العهود والمواثيق والا فبعد امحاء ذلك منها لا معنى لشقها وفى كلام بعضهم يحتمل ان أبا طالب انما أخبرهم بعد سعيهم فى نقضها قال ابن حجر الهيثمى ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب فامروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا

﴿ باب ذكر خبر وفد نجران ﴾

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحوا من عشرين رجلا حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسالوه وكلموه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا

كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال وحكمة تاخير الاذن بالقتال انهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت  المدينة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا ان يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو سرية وبعثا وخرج بقولهم غالبا غير الغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا وجاؤا بعد الفتح من اقطار الارض طائعين وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهي غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بني سليم غزوة بني قينقاع غزوة السويق غزوة فرفرة الكدر غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر غزوة نجران بالحجاز غزوة أحد غزوة حمراء الاسد غزوة بني النضير غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة غزوة بدر الأخيرة وهي غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع غزوة الخندق غزوة بني قريظة غزوة بني لحيان غزوة الحديبية غزوة ذي قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادي القرى غزوة عمرة القضا غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التي بعث فيها أصحابه هذا

عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون أي تنظرون الاخبار لهم لتاتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق اي اقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما نزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وذكر في الوفاء وفود ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ضمادا قدم مكة وكان من أزدشنوأة وكان يرقى من الريح أي ولعل المراد به اللمة من الجن فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي قال فاتيته فقلت يا محمد اني أرقي من الريح فان الله يشفي على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد علي كلماتك هؤلاء فاعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال له لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي

﴿ باب ذكر وفاة عمه أبي طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها ﴾

(لتعلم انهما ماتا في عام واحد بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يوما والى موتهما في عام واحد أشار صاحب الهمزية بقوله

وقضى عمه أبو طالب والد ... هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا ... م ونالت من أحمد المناء

(وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم أي من مجيء جبريل عليه السلام بالوحي وهو يرد قول ابن اسحق ومن تبعه ان خديجة رضي الله تعالى عنها ماتت بعد الاسراء وأفاد صاحب كلام الهمزية ان موت خديجة كان بعد موت أبي طالب وقيل كانت وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة أيام ويؤيد ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها أي بثلاثة أيام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت * وذكر الفاكهاني المالكي في شرح الرسالة ان صلاة الجنازة من خصائص هذه الأمة لكن ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال وروي ان آدم عليه السلام لما توفي أتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه ثم اقبروه وألحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه الصلاة والسلام الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم

فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتى كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبي فى السيرة يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولاصحابه لامر الله له بذلك أى بالانذار وبالصبر على الاذى والكف بقوله تعالى واعرض عنهم بقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت اتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وابنائهم وأزواجهم  واصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن له فى القتال وقد ذكروا فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يارسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فاذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامر بالقتال المشركين كره بعضهم وشق عليه فانزل الله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية وكانت الصحابة رضى الله عنهم بمكة وبعد ان هاجروا قبل ان يؤذن لهم بالقتال في غاية من الحذر لان العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى أنهم أعنى المسلمين كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فانزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ثم اذن فى القتال أى ابيح الا بتداء به

هذا كلامه أى ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما فى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آدم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل بل أنت تقدم فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وقد أخرج الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه تعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على ان المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء وحينئذ لا يحسن القول بان صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة الا ان يقال لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة ان تكون معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وسيأتى عنهم انهم لم يفعلوا ذلك أيضا ولو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله عليه وسلم على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهما الذى هو زوجها وسيأتى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور قد مات فذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وانها أول صلاة صليت على الميت فى الاسلام ومرور معناه فى الاصل مقصود ولا يقال يجوز أن يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعاء لانا نقول قد جاء انه كبر فى صلاته أربعا وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلى وسيأتى عن الامتاع لم أجد فى شيء من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على أسعد بن زرارة وقد مات فى السنة الأولى ولا على عثمان بن مظعون وقد مات فى السنة الثانية (وفى كلام بعضهم) صلاة الجنازة فرضت فى السنة الأولى من الهجرة وأول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة فليتامل وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان يقوم ولى الميت بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن أى (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن ولزم بيته وأقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح (ويذكر) انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضى الله تعالى عنها وهى مريضة فقال لها ياخديجة أتكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت ان الله قد اعلمنى انه سيزوجنى وفى رواية أما علمت ان الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وهى التى علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون فقالت الله أعلمك بهذا يارسول الله وفى رواية الله فعل ذلك يارسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين زاد فى رواية انه صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين هو دعاء كان يدعى به فى الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملايمة مأخوذ من قولهم رفأت الثوب ضممت بعضه الى بعض (ولعل هذا كان قبل ورود النهى عن ذلك) هذا وفى الامتاع ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما تزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه اتى مجالس المهاجرين الاولين فى الروضة فقال رفئونى فقالوا ماذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت على هذا كلامه ولعل النهى لم يبلغ هؤلاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنهم وفى الشهر الذى ماتت فيه خديجة رضى الله تعالى عنها

حتى لمن لم يقاتل لكن في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم أمر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر امر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام القسم الأول محاربون وهم الكفار المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة والقسم الثاني أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بان صالحهم على ان يحاربوا ولا  يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل في الاسلام تقية وهم المنافقون فانه أمر أن يقبل منهم علانيتهم وبكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لاخذ ما فيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال ولتقوى قلوب أصحابه على القتال شيئا فشيئا وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التي يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها فكان أول بعوثه واسراياه صلى الله عليه وسلم ان بعث عمه حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه كان في رمضان وقيل في ربيع الاول في السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين فخرجوا يعترضون عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة أي يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها أبو جهل لعنه الله في ثلثمائة راكب وقيل في ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدي هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدي هذا على النبي صلى الله عليه وسلم كساهم ومجدي لم يعلم له اسلام ولم يذكره أحد في الصحابة مع انه سعى في هذا الصلح

وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران ابن عمها وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها أربعمائة درهم وقد كانت رأت في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فاخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت في ليلة أخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فاخبرت زوجها فقال لا البث حتى أموت فمات من يومه ذلك () ﴿وعقد صلى الله عليه وسلم على عائشة﴾ رضي الله تعالى عنها وهي بنت ست أو سبع سنين في شوال فعن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يارسول الله الا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحب خلق الله اليك بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ماتقول قال فاذهبي فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قالت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه قالت وددت ادخلي على أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شانك قلت أرسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفؤ كريم قال ماتقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها قال أي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين أن ازوجك منه قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم أخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثي على رأسه التراب ولما أسلم قال لقد كنت في السفه يوم احثي على رأسي التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته وذهبت خولة الى أم رومان أم عائشة فقالت لها ماذا ادخل الله عليكم من البركة والخير قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظري أبا بكر حتى يأتي فجاء أبو بكر فقالت له يا أبا بكر ماذا دخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قال وهل تصلح أي تحل له انما هي بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الاسلام وابنتك تصلح لي أي تحل فرجعت فذكرت ذلك له فقالت أم رومان رضي الله تعالى عنها ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فاخلفه تعني أبا بكر فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم ابنه المذكور فكلمت أبا بكر بما أوجب ذهاب ما كان في نفسه من عدته لمطعم فان المطعم لما قال له أبو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على أبي بكر وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبيه وتدخله في دينك الذي أنت عليه فاقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ما تسمع فقام أبو بكر ليس في نفسه من الوعد شيء فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم ان العقد على سودة تقدم على

العقد

المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معهم فلربما ان المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا الصلح ستر للحال وبقاء لشوكة أهل الاسلام فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدي انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر وانما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحدا من الانصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو معهم لانهم شرطوا له أن يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الامر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان في هذه السرية جماعة من الانصار والله أعلم ❁ سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتي ان شاء الله ❁ وكانت الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين رجلا وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار يلقى أبا سفيان ابن حرب وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وقيل عكرز بن حفص العامرى اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن أبي جهل وقد اسلم عام الفتح رضى الله عنه وكانوا في مائتى رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه رمى بسهم فكان أول سهم رمى به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم امام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهما مامنها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم أن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية أشهر في شوال وقيل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تاخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله أعلم ثم سرية سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه

العقد على عائشة لان العقد على سودة كان في رمضان الشهر الذى ماتت فيه خديجة رضى الله تعالى عنها وعلى عائشة كان في شوال ومعلوم أن الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة) ثم رأيت بعضهم ذكر أن خولة ذهبت الى طلب عائشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل ذهابها السوده عقدة عليها ولا يخفى المخالفة الا أن يراد بالعقد على سودة الدخول بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها السودة (ولما اشتكى أبو طالب أى مرض وبلغ قريش ثقله أى اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض أن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا عن ابن أخيه فليعطه منا فانا والله ما نأمن ان يبتزونا أمرنا أى يسلبونه ومنه قولهم من عز بز أى من غلب أخذ السلب وهو الثياب التى هى البز ولفظ انا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون مناشىء أى قتل محمد كما في بعض الروايات فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فمشى اليه أشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان رضى الله تعالى عنه فانه اسلم ليلة الفتح كما سيأتى وأرسلوا رجلا يدعى المطلب فاستاذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستاذنون عليك قال أدخلهم عليه فقالوا يا أبا طالب أنت منا حيث قد علمت وفى لفظ قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه صلى الله عليه وسلم أبو طالب فجاءه ولما دخل صلى الله عليه وسلم على أبي طالب وكان بين أبي طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشى أبو جهل أن يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفرجة فيكون أرق منه فوثب أبو جهل فجلس فيها فلم يجد النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب ابى طالب فجلس عند الباب انتهى وفى الوفاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم خلوا بيني وبين عمى فقالوا اما نحن بفاعلين وما أنت باحق به منا ان كانت له قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك وفى لفظ هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك وفى لفظ سألوك النصف وفى لفظ اعطى سادات قومك ماسألوك فقد نصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان اعطيتكم ماسألتم هل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم أى تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وأبيك عشر كلمات وفى لفظ لنعطيكها وعشر امعها فما هى قال تقولوا لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم قالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجب فانزل الله تعالى ص والقرآن ذى الذكر الى آخر الآيات وفى لفظ قالوا أيسع لحاجتنا جميعا اله واحد وفى لفظ قالوا اسألنا غير هذه الكلمة وفى لفظ ان أبا طالب قال يا ابن أخى هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما أنا بالذى يقول غيرها ثم قال صلى الله عليه وسلم لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ماسألتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفى لفظ قالوا اعندقيا مهم والله لنشتمنك والهك الذى

كانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الاولى منهما مشددة مفتوحة وهو وادي الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عير القريش فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالامس فرجعوا ولم يلقوا كيدا وأول مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة ودان قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السور من القرآن وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه كان ابي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يابني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها فاول غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودان بفتح الواو وتشديد الدال وهي قرية جامعة من اعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء فمنهم من اضافها الى ودان ومنهم من اضافها الى الابواء لانهما متقاربان في وادي الفرع خرج صلى الله عليه وسلم اليها في صفر لاثنتي عشر مضت منه على رأس اثني عشر شهرا من مقدمة المدينة يريد عير قريش وبني ضمرة أي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا لهم بل مريدا للعير التي لقريش فقط لما لقي بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من المهاجرين لما ليس فيهم احد من الانصار فلم يدرك العير التي اراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على انه لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وانه إذا دعاهم لنصر اجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم آمنون على اموالهم

يامرك بهذا أي وفي لفظ لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي امرك بهذا قال في الينبوع وهذه العبارة أحسن من الأول لانهم كانوا يعرفون انه يعبد الله وما كانوا ليسبوا الله عالمين لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله أمره بذلك وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي النهر ان سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا لابي طالب إما أن تنهى محمدا عن سب آلهتنا والنقص منها وإما أن نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الآية باق في هذه الامة فاذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الاسلام أو الرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لأن الطاعة إذا كانت تؤدي الى مفسدة خرجت عن أن تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخي ما رأيتك سالتهم شططا أي بالحاء والطاء المهملتين أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة أي لو ارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخي لولا مخافة السبة أي العار عليك وعلى بني أبيك من بعدي وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا أي بالجيم والزاي خوفا من الموت وهذا هو المشهور وقيل بالخاء المعجمة والراء أي ضعفا لقلتها وفي رواية لاقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكني أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الآية أي وعن مقاتل أن أبا طالب قال عند موته يامعشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياعم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد أن تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله تعالى فقال يا ابن أخي قد علمت انك صادق لكني أكره أن يقال الحديث قال في الهدي وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تاملها أي وكذا أقرباؤه وبنو عمه تاخر اسلام من اسلم منهم ولو أسلم ابو طالب وبادر أقرباؤه وبنو عمه الى الايمان به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم أن ذلك انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته بقولها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع وفيه انه لم يثبت ان العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وأيضا نزول الآية حيث ثبت ان نزولها في حق ابي طالب يرد ذلك ويرده ايضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله تعالى عنه انه قال قلت يارسول الله ان أبا طالب كان يحيطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته أي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح اي وفي لفظ آخر قال نعم هو اي يوم القيامة في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سال هذا السؤال ولا اداها بعد الاسلام إذ لو اداها لقبلت وقد يقال انما سال هذا السؤال ولم يعد الشهادة بعد الاسلام لانه

وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم أي قصدهم بسوء بشرط أن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه وانصرف إلى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته صلى الله عليه وسلم ﴿غزوة بواط﴾ بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو وآخره طاء جبل من جبال  جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول وقيل الآخر على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة في مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض التجار قريش عدتها الفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا أي حربا وكان اللواء بيد سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه

﴿غزوة العشيرة﴾

بضم العين المهملة مصغرا وبالشين أو بالسين آخرها هاء بخلاف غزوة العسرة فهي غزوة تبوك وأما هذه فنسوبة لموضع لبني مدلج بينبع خرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل في مائتي رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة. وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ويقال ان فيها خمسين الف دينار والف بعير وكان قائد تلك العير أبو سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه وصالح صلى الله عليه وسلم في

---

لما قال صلى الله عليه وسلم أولا لم أسمع فهم أنه حيث يسمعها صلى الله عليه وسلم لم يعتد بها سأل هذا السؤال وفهم أن اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيئا ويرده أيضا ما جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما كرر على أبي طالب ان يقول كلمة الشهادة وهو يأبى الى أن قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك أي عن الاستغفار لك فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى القربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم أي وتقدم ان سبب نزول هذه الآية طلب استغفاره لامه عند زيادة قبرها الا ان يقال لا مانع من تكرر سبب نزولها الجواز انه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين أمه وعمه لان أمه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وفي منع استغفاره لامه ما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم أحد اللهم اغفر لقومي لان ذلك أي غفران الذنوب مشروط بالتوبة أي الاسلام فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده رواية اللهم اهد قومي أي للاسلام قال وأيضا جاء في صحيح ابن حبان عن علي رضي الله تعالى عنه قال لما مات أبو طالب أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فوراه قال علي رضي الله تعالى عنه فلما واريته جئت اليه فقال لي اغتسل أقول لانه غسله وبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل أئمتنا على أن من غسل ميتا مسلما أو كافرا استحب له أن يغتسل وروى البيهقي خبر ان عليا رضي الله تعالى عنه غسله بامر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك لكن ضعفه وفي رواية عن علي رضي الله تعالى لما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب بكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله ورحمه وأما ما روي عنه أنه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه أبي طالب فقال وصلت رحم وجزيت خيرا يا عم فقال الذهبي انه خبر منكر والله أعلم وجاء أيضا أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار أي مقدار ما يغطي بطن قدميه) وفي رواية في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي لفظ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لابي وأمي وعمي أبي طالب وأخ كان لي في الجاهلية يعني أخاه من الرضاعة من حليمة كما في رواية تأتي أقول يجوز أن يكون ذكر شفاعته لابويه كان قبل احيائهما وايمانهما قدمناه جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله أعلم وفي لفظ آخر شفعت في أبي وعمي أبي طالب وأخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث هباء ومما يستأنس به لايمان أبيه ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى بالدال المهملة أو الكر بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك يعني عبد المطلب ولم يقل جدك يعني اباه الذي هو عبد الله وتقدم القول بان حليمة وأولادها أسلموا وغايته فيجوز أن يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم أخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك في أبيه وأمه وفي رواة الحديث الاول هو منكر الحديث وفي الثاني من هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزي أنه موضوع بلا شك أي وهذا أي قبول

هذه الغزوة بن مدلج بن كنانة وحلفاء بني ضمرة قال الواقدي أن هذه الغزوات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها التلقي تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا ﴿غزوة بدر الأولى﴾ قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي حتى أغار كرز بن جابر الفهري (٣٩٠) على سرح المدينة أي الابل والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وأمر على سرية واستشهد في فتح مكة ثم خرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الأولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه

﴿سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضي الله عنه﴾

الاسدي أحد السابقين الى الاسلام واستشهد باحد رضي الله عنه روى أبو القاسم البغوي عن سعد بن أبي وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية قال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضي الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين فهو أول من تسمى في الاسلام به ولا ينافيه القول بان عمر رضي الله عنه أول من تسمى بامير المؤمنين لأن المراد أول من ، أي تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا

شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين أو لا تنفعهم شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية أي وفي هذا الثاني أنه لا يناسب أن شفاعته لهم أن يكونوا من بعد البعث هباء أي في صيرورتهم هباء الا أن يقال أنه لم يستحب له في ذلك قال وجاء أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن أهون أهل النار أي وهم الكفار عذابا أبو طالب وهو ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه أي وفي رواية كما يغلي المرجل أي القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفي رواية كما يغلي المرجل بالقمقم قيل والقمقم بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة وذكر السهيلي الحكمة في اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة أن أبا طالب أسلم واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ بن حجر في الاصابة أي وقد قال وقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبي طالب ولم يثبت من ذلك شيء وروى أبو طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثني محمد أن الله أمره بصلة الارحام وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن أخي الامين يقول أشكر ترزق ولا تكفر تعذب انتهى (وفي المواهب عن شرح التنقيح للقرافي أن ابا طالب ممن آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لأنه كان يقول اني لا أعلم أن ما يقوله ابن أخي لحق ولولا أني أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن للاحكام هذا كلامه وفيه أن الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم أن الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكين من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وابو طالب طلب منه ذلك وامتنع وقد روى الطبراني عن أم سلمة أن الحرث بن هشام أي أخا أبي جهل بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال أنك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وايواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا مما يفعله هشام يعني والده فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا اله الا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فاخرجه الله لمكانه مني واحسانه الى فجعله الله في ضحضاح من النار (وذكر أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجهاء قريش فأوصاهم وكان من وصيته أن قال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة أوصيكم بتعظيم هذه البنية أي الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة اي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما اهلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش

فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة واخبر أصحابه أنه نهاه أن يستكره أحدا منهم ولم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الباء وضمها أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان رضى الله عنهما بعيرهما الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت بهم عير لهم تحمل زبيبا وادما أى جلودا وتجارة من تجارات قريش  فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكيم بن كيسان فنزلوا قريبهم فهابوهم فارشدهم عبد الله بن جحش الى ما يزيل رعبهم فحلق بعض أصحابه رأسه واشرف عليهم فلما رأوهم آمنوا وقالوا عمار أى معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا اطعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب أو فى أول يوم من شعبان أى شكوا فى اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم واجمعوا على قتالهم أى قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا عمرو بن الحضرمى رماه عبد الله ابن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان بن عبد الله المخزومى والحكم ابن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الاسلام وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضى الله عنه بين أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش فقالوا أن محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله

أى وهو الصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنان أى البغض وهو لغة فى الشنآن وأيم الله كأنى أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاضوا بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد) وفى لفظ آخر أنه لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا (ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى إن بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبى صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله تعالى مانع اباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش منى شيئا أكرهه أى أشد الكراهة حتى مات أبو طالب) تقدم وسيأتى بعض ما أوذى به قال ولما رأى قريشا تهجموا اقال ياعم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبو لهب ذلك قام أبو لهب بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذا كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك أحد حتى أموت واتفق أن ابن العيطلة أى وهو أحد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبأ أبو عتبة يعنى أبا لهب فاقبلت قريش على أبى لهب وقالوا له أفارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت وفى لفظ قالوا له أصبوت ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد قالوا قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول صلى الله عليه سلم على ذلك أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الا أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبى معيط الى أبى لهب فقالا له أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك أى المحل الذى يكون فيه يزعم أنه فى النار فقال له أبو لهب يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال أبو لهب لا برحت لك عدوا وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى) وفى لفظ قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبى جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم أنه فى النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى أن عبد المطلب من أهل الفترة وتقدم الكلام عليهم والله أعلم

## باب ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف

سميت بذلك لأن رجلا من حضرموت نزلها فقال لاهلها ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمى الطائف وقيل غير ذلك (ولما مات أبو طالب ونالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته

واقد بن عبدالله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم وبعثت قريش تعير النبى صلى الله عليه وسلم بفعل أصحاب السرية فانزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة يعنى الكفر أكبر من القتل فكان فى ذلك تاييد لما صدر من تلك السرية (٣٩٢) وفى ذلك يقول عبدالله بن جحش رضى الله عنه تعدون قتلا فى الحرام عظيمة *

وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله
وارجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبدالله عثمان بيننا
ينازعه غل من القيد عاقد

وبعث قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبدالله المخزومى والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين فى طلب بعيرهما فان تقتلوهما نقتل صاحبكم فقدم سعد وعتبة بعدها بايام فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن يضلل الله فلا هادى له وفى شهر رجب هذا حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون إلى بيت المقدس وفى شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر واما زكاة المال فقيل فرضت فى هذا الشهر أيضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله أعلم

منه فى حياته كما تقدم خرج الى الطائف أى وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش وقرابته وعترته خصوصا من أبى لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن على رضى الله تعالى عنه أنه قال بعد موت أبى طالب لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فو الله مادنا منا أحد الا أبو بكر فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان فى شوال سنة عشرة من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال فى الامتاع لانهم كانوا اخواله قال بعضهم ومن ثم أى من أجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا على من ضاق صدره من أهل مكة كذا قال وفى كلام غيره ولا جرم جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهى راحة الامة ومتنفس كل ذى ضيق وغمة سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتامل فلما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل أى واسمه كنانة () لم يعرف له اسلام وأخوه مسعود أى وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام لم يعرف له اسلام أيضا وحبيب قال الذهبى فى صحبته نظر أى وهم أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به أى من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أى ينتفها ويقطعها أى وقيل يسرقها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول الله كما تقول لانت أعظم خطرا أى قدرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ايس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الارض وأغروا به أى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا ارضخوهما أى دقوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا أذلقته الحجارة أى وجد لها قعد إلى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة أى بناء على انه كان معه صلى الله عليه وسلم يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم أى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة أى بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروف فى شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل أن يطيب قال السهيلى وهو غريب لم يذهب اليه أحد فى تاويل الحديث فجاء إلى ذلك المحل وهو مكروب موجع أى وقد جاء النهى عن أن يقال


Bibliotheca Alexandrina
04408002